

الجيلالي صاري

الأكاويحية الجزائرية للوثائق و المصاوير التاريخية.



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

الكارثة الديمغرافية

1868 - 1867



الجيلالي صاري



طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

وزارة المجاهدين

اللاكائمية الجزائرية للوثائق و المصاور التاريخية.

الكارثة الديمغرافية

1868 - 1867

ترجمة
عمر المعراجي

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ 45 لعيد الإستقلال والشباب

بِقَرَارِهِ رَجُلِيًّا



اللائحة الرسمية الجزائرية للوثائق و المصادر التاريخية

كيف نخميهما فنك احصا

1881 - 1882

تصوير
بمطبعة الجمهورية

بشرا

منشورات ANEP ©
ردمك : 2-74-846-9961-978
الإيداع القانوني : 2008-150

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى ذاكرة والدي

اللاكابسية الجزائرية للوثائق و المصادر التاريخية.

في نهاية الأمر
الاستعمارية التي
خطر يهدد وجوده
إلى ربيع 1868
فر كثير من المشركين
قاصدين المركز
تتقدم بصعوبة
منذ بداية
داخل المدن وقربها
نسبا كبيرة من
صائفة 1867
فأمام مثل هذه
وبدأت مخيمات
والمسولين دون
المستشفيات
فبراير/مارس
الموجودة في
أماكن أخرى



LA PAMISSE EN ALGERIE. — D'après les photographies de M. A. Bureau.

الأكاوسية الجزائرية الوثائق و المصاوير التاريخية.

المقدمة

في نهاية الأربعين سنة الأولى من المقاومة المسلحة ضد القوات الاستعمارية التي واجه فيها الشعب الجزائري فجأة إختبارا جديدا جعله في خطر يهدد وجوده عبر العديد من المناطق. ففي بضعة أشهر من صائفة 1867 إلى ربيع 1868 تعممت الكوارث، وتسارعت مزعزعة بقوة جماعات مختلفة، لقد فر كثير من المشرفين على الموت والناجين منه جماعات جماعات من بواديهم قاصدين المراكز الحضرية. وكانت حشود الجماهير الصامته والنحيلة والعارية تتقدم بصعوبة وأغلبها يسير نحو القبور المفتوحة ...

منذ بداية الشتاء كانت الجثث تنتشر في الأدغال وعلى الطرقات، وتتراكم داخل المدن وقربها، وأبيدت تقريبا مناطق بأكملها وفقدت مجتمعات سكانية نسبا كبيرة من تعداد سكانها، مثل مليانة وتنس. كما أخلت بسكرة في بداية صائفة 1867 وحطمت مدينة معسكر كل القياسات.

فأمام مثل هذه المشاهد بدأ الجيش ينظم إرجاع القبائل إلى أماكنها. وبدأت مخيمات التسول تفتح هنا وهناك، وصارت السجون مكتظة بالمساجين والمتسولين دون تمييز. وهيئت بسرعة الأكواخ لتعزل المصابين بالتفيس عن المستشفيات المخصصة في الأغلب للجنود والأوروبيين. وسجلت فترة فبراير/مارس الرقم القياسي في الوفيات كما تشير إلى ذلك الإحصائيات الموجودة في المَحَلَّات العمومية، كالمستشفيات والسجون والمخيمات وفي أماكن أخرى ؟

فالمعطيات بالأرقام، أكثر من الجفاف، تظهر النتائج الثقيلة الشيء الذي جعلنا نتوجه إلى شهادات المعاصرين لتتأكد من تقييم الوضع :

"كل ما كتبناه عن بؤس العرب المساكين الذي لا يحتمل الحكاية، لا يقترب في الواقع من الحقيقة... هل كان بإمكاننا مشاهدة أولئك المحرومين دون الشعور بهم وهم يموتون جوعا أمام ديارنا وبزاحمون الكلاب على البقايا المرمية في الطرقات..."⁽¹⁾

"...منذ ستة أشهر نشرت الجرائد المئات من المقالات حول المجاعة والدمار الكبير الذي تسببت فيه في الجزائر. ونعلن بأن أي مشهد مهما كان لا يمكنه أن يعبر مثل الصورة التي نضعها أمام أعين قرائنا. فلا شيء يمكنه أن يضاف إلى هذا الرسم ، ويمكن القول شاهدوا وتحسروا على أولئك الضحايا التعمساء".

"هذا كان مصير أولئك السكان العرب المساكين. انظروا إلى تلك الوجوه المعذبة من ألم الجوع، أنظروا إلى تلك الأجساد حيث تصور بكل رعب حياة الهيكل العظمي للإنسان واحسبوا طول عذاب النزاع الذي يقطع آخر أيام كل واحد من أولئك الجائعين".

لقد رأينا بؤساء وكانهم هياكل عظمية متنقلة، وهي تعاني مدة أربعة عشر يوما قبل لفظ الأنفاس الأخيرة، عمموا هذه الصورة على قبائل بأكملها ، واضربوا هذه الصورة كي تصلوا إلى مائة ألف جائع وستفهمون مدى هذا التاريخ المأتمى لسنة 1868 وما تركه تاريخ استعمارنا من أثر⁽²⁾؟

ليست الحالة في غاية الخطورة وحسب ولكنها تبقى دون شبيه مقارنة بما جرى في البلدان التي تفتك بها المجاعة عادة بصفة دورية كما تصف ذلك بدقة الصحافة الباريسية: "المجاعة هي تلك الكلمة التعيسة التي تسمع في بلدان أوروبا ...

هي موجودة في أيرلندا وفي السويد وفي روسيا وفي تركيا وفي الجزائر، هي النواحي التي كان يموت فيها الأهالي من الجوع ، ولكن يجب علينا أن نقول أنه من بين كل هذه الجهات فالجزائر هي التي عاشت أسوأ واسود المشاهد⁽³⁾

فيما يخص الأوصاف التي قدمها الشهود المباشرون مثل رجال المقدمة من طرف رجال الدين فإنها كثيرة وتتضمن العديد من التفاصيل اليومية لمأساة شعب بأكمله:

"لا يمكننا تعداد هذه المآسي لشناعتها ولا بد أن نؤكد على هذا الموضوع بعد العثور اليومي على الجثث في الطرقات والأدغال. هذه الجثث النجيلية الخالية من اللحم لدليل قاطع على حالة البؤس التي وصل إليها عربنا " هذا ما كتبه كاهن تنس إلى أسقفية مدينة الجزائر⁽⁴⁾.

وبالتالي حسب أغلب الملاحظين، المعاصرين منهم أو الذين عاشوا أواخر تلك الفترة المنصرمة⁽⁵⁾ فإن المصائب التي حدثت تعود إلى الكوارث الطبيعية كالجفاف وأسراب الجراد على الخصوص. وفي الواقع إن هذه الظواهر لا تتفصل عن المعطيات الأساسية للمحيط الطبيعي التي سجلت في تاريخنا وتاريخ البلدان المجاورة في حوض البحر الأبيض المتوسط على الخصوص. إن الشروحات المقترحة إلى غاية هذه السنوات الأخيرة لا بد أن يعاد فيها النظر من كل الجوانب كما برهنت على ذلك أني راي كولدزيفر⁽⁶⁾. لم يتردد بعض المعاصرين من وضع الأحداث في سياقها السياسي مع التأكيد على الانعكاسات السلبية عن الاصطدام العنيف بين المجتمع التقليدي والاقتصاد المالي. في هذا الصدد فإن تحليل لاكرتال يحافظ على حدائته⁽⁷⁾.

لا بد من متابعة الأبحاث في كل الاتجاهات لاسيما وان رقوف الأرشيف الاستعماري متواجدة بوفرة. إن استطلاع الرأي السريع الذي أجريناه خلال مهماتها القصيرة سمح لنا بالإحاطة بأشياء كثيرة. أضف إلى ذلك وكبداية تطرقنا إلى الحدث السياسي/العسكري وهو الشيء الذي مرّ خفية على معظم المؤرخين فكانت مهمتنا بناء على ذلك سهلة نوعا ما. والأمر يتعلق بانتفاضة

يج الثقيلة الشيء الذي
وضع :

عمل الحكاية، لا يقترب
وذلك المحرومين دون
الكلاب على البقايا

مقالات حول المجاعة
أي مشهد مهما كان لا
نا. فلا شيء يمكنه أن
على أولئك الضحايا

ظفروا إلى تلك الوجوه
تصور بكل رعب حياة
الذي يقطع آخر أيام كل

تعتاني مدة أربعة عشر
على قبائل بأكملها ،
وستتهمون مدى هذا
من أثر⁽²⁾ .

دون شبيه مقارنة بما
ية كما تصف ذلك بدقة
التي تسمع في بلدان

الكارثة الديمغرافية

1864-65 وأثارها وعواقبها حيث كانت الوقائع تسجل كثرة الوفيات التي وقعت سنتي 1867-68 وذكر هذه الأحداث باختصار بعض المؤلفين وحتى بعض المسؤولين لتلك الحقبة⁽⁸⁾. إن الأحداث السابقة لقتت نظرنا إلى هذه الظواهر⁽⁹⁾.

وهكذا نلاحظ أن هذه الانتفاضة لم تقتصر على الجنوب الوهراني فقط ، ولا على أتباع زاوية أولاد سيدي الشيخ التي تجاوزت إطار العمليات العسكرية الأولى لتشمل قسما كبيرا من التراب الوطني. وهذا ما أرغم العدو على الإسراع في تعزيز جيوشه.... بغض النظر عن المصادرات العسكرية المختلفة الأشكال المفروضة والمعقدة على العديد من القبائل والتي سبقتها الآثار وتبعتها الكوارث الطبيعية. الم يلاحظ أيضا على العموم تطابق خريطة العمليات العسكرية مع كل المجازر ؟

في الواقع إن أبعاد هذه الدراما تحث على فحص عميق لكل الأسباب الممكنة والتي رسمت الأحداث المذكورة تبعا للتحويلات الكبيرة الاجتماعية والاقتصادية. إن التخريب الذي أصاب المجتمع الجزائري متفش إلى أقصى درجة ومعمم.

تحطمت الجزائر التقليدية بعد عشر سنوات واختفت كل البنيات المتناسكة للمجتمع التقليدي وهذا بأجزاء متكاملة بعد عقد واحد من الزمن، كما أوضحت ذلك أني راي غولد زيغر⁽¹⁰⁾. إن ذكر الكوارث الطبيعية لا يكفي لوحده ليشرح الكارثة الديمغرافية لسنتي 1867-68 و الأسباب الحاسمة التي سبقت تلك الظواهر . إذا كان هذا التحليل يسهل نوعا ما نظرا لثراء المراجع ، فالأمر لم يكن كذلك فيما يخص سرد الخسائر البشرية في الحصيلة أو الحصيلات ؟

هذا هوالمشكل الرئيسي لهذه الدراسة. فرغم أنها عويصة إلا أنها تكتسي أهمية قصوى. إذا وصلنا إلى حصيلة حقيقية وشاملة تبرز مرة أخرى نقص الإحصائيات وبالأحرى التقليل الصارخ لتعداد الأهالي لاسيما طيلة الفترة الحاسمة التي تتوازي مع أواخر الإمبراطورية الفرنسية الثانية وما سبقها. هذه هي المشكلة الأساسية للديمغرافية في الجزائر تقريبا منذ 1830 وكان الهدف

1864-65 وآثارها وعواقبها حيث كانت الوقائع تسجل حجم الخسائر التي وقعت انطلاقا من المعطيات التي سنسني 1867-68 وذكر هذه الأحداث باختصار بعد تحقيقا والمسؤولين لتلك الحقبة⁽⁸⁾. إن الأحداث السابقة لفتت ذلك وهكذا نلاحظ أن هذه الانتفاضة لم تقتصر على ولا على أتباع زاوية أولاد سيدي الشيخ التي تجاوزت الأولى لتشمل قسما كبيرا من التراب الوطني. وهذا ما في تعزيز جيوشه.... بغض النظر عن المصادر العربية المفروضة والمعتمة على العديد من القبائل والتي الكوارث الطبيعية. الم يلاحظ أيضا على العموم العسكرية مع كل المجازر؟

في الواقع إن أبعاد هذه الدراما تحت على الممكنة والتي رسمت الأحداث المذكورة تبعا للتجربة والاقتصادية. إن التخريب الذي أصاب المجتمع جعل درجة ومعهم.

تحطمت الجزائر التقليدية بعد عشر سنوات واختفح ما بين 40 الى 60 بالمائة أو أكثر من ذلك وتتساءل للمجتمع التقليدي وهذا بأجزاء متكاملة بعد عقد واحون التمسك برقم شامل لتترك الأمر نهائيا ولا تعطي ذلك أنى راي غولد زيغر⁽¹⁰⁾. إن ذكر الكوارث الطبيعية⁽⁹⁾. هل هذه المشكلة لا تقبل الحل؟

الكارثة الديمغرافية لسنتي 1967-68 و الأسباب التي حاول تجاوز المصادر الرسمية التقليدية المستعملة لحد الظواهر. إذا كان هذا التحليل يسهل نوعا ما نظرا لتلك العسكرية والمدنية وبالخصوص إحصائيات السكان يمكن كذلك فيما يخص سرد الخسائر البشرية في الحادون أن نستطيع التخلي عنها نهائيا، فإنه على الملاحظ هذا هوالمشكل الرئيسي لهذه الدراسة. فرغم أنهخرى تتعلق بميدان الديمغرافية وذلك بعد أن يتخذ أهمية قصوى. إذا وصلنا إلى حصيلة حقيقية وشاملأمر هنا يعني إلى الحالة المدنية.

الإحصائيات وبالأحرى التقليل الصارخ لتعداد الأهالي من هذا المصدر كان منحصرأ في ذلك التاريخ على الحاسمة التي تتوازي مع أواخر الإمبراطورية الفرنسية الجزائرية وبعض المراكز الاستيطانية وأن تسجيل الولادات هي المشكلة الأساسية للديمغرافية في الجزائر تقريبا عفة عامة. ولكن همنا المتواصل خلال الإحصاء هو

الكارثة الديمغرافية

1864-65 وأثارها وعواقبها حيث كانت الوقائع تسجل كثرة الوفيات التي وقعت سنتي 1867-68 وذكر هذه الأحداث باختصار بعض المؤلفين وحتى بعض المسؤولين لتلك الحقبة⁽⁹⁾. إن الأحداث السابقة لفتت نظرنا إلى هذه الظواهر⁽¹⁰⁾. وهكذا نلاحظ أن هذه الانتفاضة لم تقتصر على الجنوب الوهراني فقط ، ولا على أتباع زاوية أولاد سيدي الشيخ التي تجاوزت إطار العمليات العسكرية الأولى لتشمل قسما كبيرا من التراب الوطني. وهذا ما أرغم العدو على الإسراع في تعزيز جيوشه.... بغض النظر عن المصادرات العسكرية المختلفة الأشكال المفروضة والمعقدة على العديد من القبائل والتي سبقتها الآثار وتبعتها الكوارث الطبيعية. الم يلاحظ أيضا على العموم تطابق خريطة العمليات العسكرية مع كل المجازر ؟

في الواقع إن أبعاد هذه الدراما تحث على فحص عميق لكل الأسباب الممكنة والتي رسمت الأحداث المذكورة تبعا للتحولات الكبيرة الاجتماعية والاقتصادية. إن التخريب الذي أصاب المجتمع الجزائري متفش إلى أقصى درجة ومعمم.

تحطمت الجزائر التقليدية بعد عشر سنوات واختفت كل البنيات المتماسكة للمجتمع التقليدي وهذا بأجزاء متكاملة بعد عقد واحد من الزمن، كما أوضحت ذلك أني راي غولد زيغر⁽¹¹⁾. إن ذكر الكوارث الطبيعية لا يكفي لوحده لشرح الكارثة الديمغرافية لسنتي 1867-68 و الأسباب الحاسمة التي سبقت تلك الظواهر . إذا كان هذا التحليل يسهل نوعا ما نظرا لثراء المراجع ، فالأمر لم يكن كذلك فيما يخص سرد الخسائر البشرية في الحصيلة أو الحصيلات ؟

هذا هوالمشكل الرئيسي لهذه الدراسة. فرغم أنها عويصة إلا أنها تكتسي أهمية قصوى. إذا وصلنا إلى حصيلة حقيقية وشاملة تبرز مرة أخرى نقص الإحصائيات وبالأحرى التقليل الصارخ لتعداد الأهالي لاسيما طيلة الفترة الحاسمة التي تتوازي مع أواخر الإمبراطورية الفرنسية الثانية وما سبقها. هذه هي المشكلة الأساسية للديمغرافية في الجزائر تقريبا منذ 1830 وكان الهدف

هو الوصول إلى دراسة حجم الخسائر التي وقعت انطلاقاً من المعطيات التي يمكن التثبت منها بعد التحقيقات و المقاربات للعناصر المختلفة.

إن الباحث من خلال الاستفسارات الأولى ، يحاصر بمشاكل لا يمكنه تصورهما إذا حدد المشكلة وربطها بمشكل الخسائر فقط. الفرق شاسع بين الإحصائيات الرسمية والملاحظات الأولية التي جرت على مستوى المقاطعات الإدارية المختلفة. قلة تتزايد شيئاً فشيئاً بعد تعميق التحليل. لقد نشرت السلطة العليا حصيلة في أواخر السداسي الأول لسنة 1868 وكان ذلك بعد أن تمسكت بصمت طويل ونكران تام لما جرى في العديد من المناطق. فقد تم الإعلان عن وفاة 21700 شخصاً أغلبهم لقي حتفه بعد وباء الكوليرا في صائفة 1867...⁽¹¹⁾ عشرون سنة بعد ذلك كانت مناسبة بداية الحملة الواسعة للتضامن لفائدة أهالي ناحية قسنطينة حيث يخيم من جديد شبح "مجاعة 1867" حيث تم خلال تلك الحملة إعادة تقييم النتائج التي بلغ بها عدد الوفيات 500.000 وفاة⁽¹²⁾ بعد الاعتماد على تقييم عدد السكان على مستوى العديد من المجموعات قبل وبعد الكوارث حسب رأي غولد زيغر التي حسبت نسباً للخسائر جرد عالية تتأرجح ما بين 40 إلى 60 بالمائة أو أكثر من ذلك وتتساءل الكاتبة ... ثم تتراجع دون التمسك برقم شامل لتترك الأمر نهائياً ولا تعطي للأرقام إلا قيمة نسبية⁽¹³⁾. هل هذه المشكلة لا تقبل الحل؟

من دون شك إن لم نحاول تجاوز المصادر الرسمية التقليدية المستعملة لحد الآن وهي تقارير السلطات العسكرية والمدنية وبالخصوص إحصائيات السكان للقرن التاسع عشر... ودون أن نستطيع التخلي عنها نهائياً، فإنه على الملاحظ أن يفكر في عناصر أخرى تتعلق بميدان الديمغرافية وذلك بعد أن يتخذ الإحتياطات اللازمة. والأمر هنا يعني إلى الحالة المدنية.

ومما لا شك فيه أن هذا المصدر كان منحصر في ذلك التاريخ على التجمعات السكانية الحضرية وبعض المراكز الاستيطانية وأن تسجيل الولادات والوفيات كان ضعيفاً بصفة عامة. ولكن همنا المتواصل خلال الإحصاء هو

ل كثرة الوفيات التي وقعت
ض المؤلفين وحتى بعض
نظرنا إلى هذه الظواهر⁽⁹⁾.

الجنوب الوهراني فقط ،
إطار العمليات العسكرية
أرغم العدو على الإسراع
مختلفة الأشكال
سبقتها الآثار وتبعثها
تطابق خريطة العمليات

عميق لكل الأسباب
تولات الكبيرة الاجتماعية
جزائري متفش إلى أقصى

تفتت كل البنيات المتماسكة
مد من الزمن، كما أوضحت
يكية لا يكفي لوحده ليشرح
الحاسمة التي سبقت تلك
لثراء المراجع ، فالأمر لم
حصيلة أو الحصيلات ؟

نهما عويصة إلا أنها تكتسي
أمة تبرز مرة أخرى نقص
هالي لاسيما طيلة الفترة
سبية الثانية وما سبقها هذه
يبا منذ 1830 وكان الهدف

إظهار الخلل والنقائص في تلك المراجع. وأكثر من ذلك فإن مقارنة النتائج المتحصل عليها، والمعطيات المأخوذة من مصادر أخرى (شهادات الوفيات) وصلنا إلى تقييم التقديرات الناقصة وإحصائها بصفة رقمية في بعض الحالات. ماعدا الأهمية الإحصائية لسجلات الحالة المدنية، فإن هذه السجلات تتضمن عادة بعض التفاصيل البالغة الأهمية التي تساعدنا على الخصوص في إعادة تكوين السياق العام والخاص لكثرة الوفيات على مستوى النواحي والمدن كما تظهر ذلك التحاليل المفصلة لمقاطعة الوسط⁽¹⁴⁾. كما يمكننا رفض بعض الإنكارات لتلك الفترة.

في النهاية إن هذا المصدر ذو أهمية بالغة وأحسن بكثير من المصادر المستعملة إلى حد الآن لأنه يسمح لنا في ما يخص الإحصائيات أن نضع حصرا تقريبا ولكن غير قابل للجدال حسب نتائج حوصلة سجلات العدد الكبير من المقاطعات الإدارية والتحليل الدقيق لآلاف شهادات الوفيات، وأن التقييم الأدنى يصل بسهولة إلى 800.000 وفاة. حيث أننا نلاحظ من جديد زيادة الوفيات في سنتي 1870 و1871، وكان العدد الكامل للوفيات التي حصلت ما بين 1866 إلى 1871 يصل على الأقل إلى مليون ضحية. أضف إلى هذا أنه حسب الإحصاء المسجل للأهالي سنة 1872 كانت الوفيات تمثل تقريبا نصف عدد السكان. وهذه النسبة الكبيرة تترك المجال صعبا في التطور على المدى القصير. وفي مثل هذا السياق الديمغرافي، فإن الطاقة الديمغرافية في حد ذاتها هي التي تصاب أكثر ببعض الأحداث التي تسجل تتابع وفيات اليتامى في بعض ملاجئ اليتامى. ولكن إذا صدقنا نتائج الإحصائيات السابقة، فالتطور سيكون شيئا آخر، وهكذا نصل إلى زيادة في التعداد السكاني تصل إلى 345.000 نسمة، وهي زيادة سنوية تقارب 4 ٪ مقارنة بنسب سنتي 1881 و1886 التي تعادل 2.9 ٪ و 3.1 ٪ وهي ثلاث قيم غير مقبولة للقرن التاسع عشر والتي ما وجدت بعد ذلك طفيلة ما تبقى من الحقبة الاستعمارية... (اللوحة 52) إن الدراسة المعمقة للمعطيات الديمغرافية الرسمية الأخرى تطرح تساؤلات عديدة إذا كان هذا التعداد يظهر بعض التحسينات في العمليات، فإنه يسجل

تقصا صارخا في التقييم وهذا ما قبل الكوارث. الم يكن الأمر كذلك فيما يخص الإحصائيات الأولى منذ سنة 1845...؟

وفي الختام فإن الحصر النهائي للكوارث يطرح بدوره مشاكل عويصة سنتطرق إليها بعد ذلك بفحص العواقب الديمغرافية وما ينجر عنها ومن دون شك فإننا سنصل إلى إعادة النظر في عدد السكان لسنة 1830، وبالتالي فإن الدراسة تتكون من ثلاث محاور

- حصيلة الكوارث

- الأسباب

- العواقب الديمغرافية العامة

بادئ ذي بدء وهي نهاية هذه الأبحاث الطويلة والشاقة التي تمت عبر التراب الوطني وأصابته هذقها والتي من خلالها نريد أن نلفت نظر بعض المسؤولين للعراقيل التي يتلقاها الباحثون لكثرتها ، لان الوصول إلى الوثائق الإدارية صار محفوفًا بالمخاطر وخلاقًا للمشاكل ... تنقلات مكلفة وباهظة ومتعبة ذهبت سدى بسبب مزايدات بعض الأعوان. هل يبقون في تجاهلهم مع أن المدة القانونية للاطلاع على أي وثيقة إدارية، أرجعت إلى 25 سنة عوضا عن 50 سنة كما كان معمولًا به في السابق⁽⁵⁾ وذلك بغض النظر عن الجهود المبذولة لدراسة تاريخنا ؟ في الوقت الذي تقام فيه حملة وطنية ضد البيروقراطية، فلا بد من التنديد بالتجاوزات حيثما وجدت. نحمد الله على أن الاستقبال كان أحسن من ذلك في نواحي أخرى وإلتمسنا من حين إلى آخر كرمنا الفياض وبالخصوص في المناطق الفقيرة للغاية. وفي الختام نشكر جزيل الشكر كل من ساهم وساعدنا من قريب أو بعيد.

ذلك فإن مقارنة النتائج
برى (شهادات الوفيات)
صفة رقمية في بعض
المدنية، فإن هذه
التي تساعدنا على
الوفيات على مستوى
مقاطعة الوسط⁽⁴⁾. كما

من بكثير من المصادر
الإحصائيات أن نضع
حوصلة سجلات العدد
شهادات الوفيات، وان
أنا نلاحظ من جديد
مل للوفيات التي حصلت
أضف إلى هذا أنه
فيات تمثل تقريبا نصف
في التطور على المدى
الديمغرافية في حد
وفيات اليتامى في
السابقة، فالتطور
السكاني تصل إلى
نسب سنتي 1881
للقرون التاسع عشر
ستعمارية... (اللوحة 52)
الأخرى تطرح تساؤلات
العمليات ، فإنه يسجل

الملاحظات

- 1 - "الصورة" (باريس) 1868 - نصف السنة الأول . ص 148 . شاهد صورتين 1 و 2
- 2 - الصورة 1868 . ص 412
إن الصور المعنية أخذها صارو" ربما حول قسنطينة
إنهما الصورة 1 و 2 مقابل .
- 3 - الصورة 1868 ص 34
- 4 - "لافيجري" (27)
- 5 - هكذا كتب "أجوليان" "ترجع الأزمة خصوصا للكوارث وكان سبب ذلك إدماج الجزائر داخل الأسواق الدولية " (تاريخ الجزائر المعاصر باريس 1964 . ص 349) .
إنها نفس الملاحظات التي أتى بها "ياكونو" (35) 125 . II و "نوشي" (29) ص 338-388 و "لاكوست" و "نوشي" و "بروفانت" (23) ص 372-374 (الأزمة الاقتصادية و مجاعة 1867-70) .
- 6 - "راي غولد زيغار" (33) ص 276-314
- 7 - "لاكرتلال" (25) .
- 8 - شاهد أسفله . ص 139 . الملاحظة داخل رقم 1
- 9 - الأبحاث التي جرت حول مجموعات المنشورين الغربي خلال العقد الفارط (الرجل و الانجراف في المنشورين الجزائر 1977 ص 655) تحدث معنا في الميدان مثقف مسن من سكان قلعة بني راشد حول الحركة المسلحة لسيدي لزرقي وهو الرئيس الجهوي للانتفاضة عبر مينا" .
- 10 - "راي غولد زيغار" (33) ص 693
- 11 - أخبار "11/06/1868
- 12 - شاهد الملف الملحق رقم 8 . نلاحظ أن هذا الرقم قد تبناه جميع المعاصرين وبعدهم كل الأدباء دون أي نقد
- 13 - "راي غولد زيغار" (33) ص 459
- 14 - لاحظ على الخصوص دراسة عقود البلدة و المدينة والتليعة (القسم الأول - الفصل الأول)
- 15 - هذه التوضيحات شرحها مدير المركز الوطني للدراسات التاريخية "جريدة المجاهد" 1977/12/10

وبهذا لا تكون النتائج العامة إلا تقريبية وذلك بالنظر للوضع الحالي للمراجع والبحوث، لأن نتيجة الدراسات العديدة لأكثر عدد ممكن من المعطيات الإحصائية والتقاطعات التي لا بد أن تدرس بعناية كاملة وتوضع في سياقها. إضافة إلى ذلك إن الأرقام والأحداث لا بد أن تخص المناطق العديدة التي تشمل التراب الوطني من الجانب الجغرافي والجانب الديمغرافي وهذا لإبراز الإعوجاجات الموجودة بين المناطق التلية للشرق والوسط والغرب من جهة، والشاطئ والنواحي التلية والسهوب والمناطق القاحلة من جهة أخرى. ويجب الأخذ بعين الاعتبار التمييز بين المدن والبوادي، وسندرس عند التحليل الآتي كل هذه العوامل ولو أن هذا التصميم لا يبتعد عن التقطيع الإداري، وذلك لأسباب إحصائية على الخصوص.

سنتطرق تدريجيا إلى

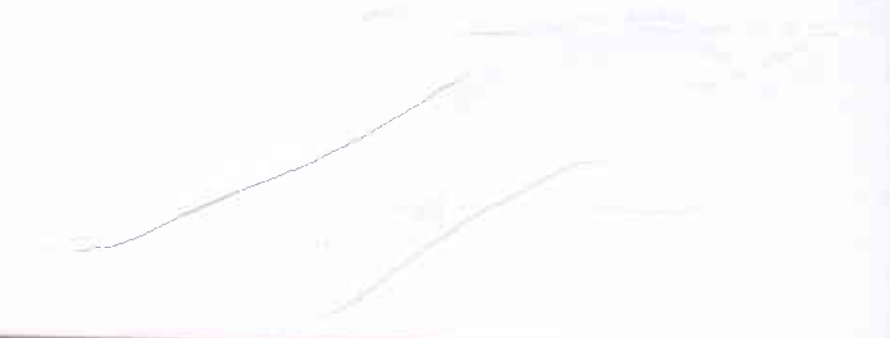
- تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر
- تقييم الوضع في مقاطعة قسنطينة
- تقييم الوضع في مقاطعة وهران
- تقييم الوضع العام

مقدمة في علم الاجتماع
الاجتماع هو دراسة العلاقات بين الافراد
والجماعات في المجتمع
والاجتماع هو دراسة السلوك البشري
في المجتمع
والاجتماع هو دراسة التفاعل بين الافراد
والجماعات في المجتمع
والاجتماع هو دراسة السلوك البشري
في المجتمع

الفصل الأول

تقديم الوضع في مقاطعة الجزائر

الجزائر هي دولة عربية إسلامية
تقع في شمال إفريقيا
وتحتل مساحة تبلغ حوالي 2 مليون
كلمة مربعة
ويبلغ عدد سكانها حوالي 35 مليون
نفساً
والجزائر هي دولة ذات نظام
ديمقراطي
وتحتل مكانة مهمة في العالم العربي
والإفريقي
والجزائر هي دولة ذات تاريخ
عريق
والجزائر هي دولة ذات حضارة
عريقة



الجزائر هي دولة عربية إسلامية
تقع في شمال إفريقيا
وتحتل مساحة تبلغ حوالي 2 مليون
كلمة مربعة
ويبلغ عدد سكانها حوالي 35 مليون
نفساً
والجزائر هي دولة ذات نظام
ديمقراطي
وتحتل مكانة مهمة في العالم العربي
والإفريقي
والجزائر هي دولة ذات تاريخ
عريق
والجزائر هي دولة ذات حضارة
عريقة



يظهر أن مقاطعة الوسط هي التي تأثرت كثيرا. لقد مست الوفيات
الكثيرة عددا كبيرا من المناطق لاسيما في الجنوب وكذلك في وادي
الشلف وعلى الخصوص كل الشاطئ الغربي للجزائر العاصمة. بفضل
الإحصائيات المتوفرة والمأخوذة من المناطق المختلفة والتي تسمح في
دراسة دقيقة جدا بفضل الشهادات الموضوعية نوعا ما وأخيرا بفضل
التقارير الطبية القيمة التي تخص كل المقاطعة. كما يمكننا حصر
الوضع العامة مع تمييز الفوارق الجهوية، والتميز الأساسي ما بين
المدن والبوادي من خلال أمثلة دقيقة وممثلة، فبعض التفاصيل
والإعدادات الدقيقة للوضع تسمح لنا ولو جزئيا بالتعرف على مدى النزوح
الكبير الذي هجر كليا عائلات من أراضيها، وقبائل بأكملها نحو المراكز
السكنية الكبيرة والمدن القريبة من عاصمة المقاطعة وذلك للبحث على
لقمة العيش وبعض الدفء والعلاج إن أمكن ذلك...

سنحلل تدريجيا الوحدات التالية حسب المقاييس الجغرافية
والإحصائية

- ناحية مدينة الجزائر

- بلاد القبائل

- جنوب شرق المقاطعة

- غرب المقاطعة

I - ناحية الجزائر

إن هذه الناحية صغيرة من حيث المساحة لأنها محدودة بسهل متيجة والمرتفعات الشاطئية والساحل، لكنها محفوفة بشبكة من المراكز الاستيطانية ومتحصلة على مكاتب للحالة المدنية ذات الإحصائيات الناقصة نوعا ما كما تحتوي أيضا خارج عاصمة المقاطعة على مدينتين وهما القليعة والبليدة والتين تعبرهما الموجات الكبيرة للقرويين المطرودين من قبائلهم. هذه الناحية تشكل لوحدها أهم المشاكل لكل وسط التراب الوطني وتعطينا تقييما أوليا، لكننا سنبقى نشككي لمدة طويلة وللأبد من ضياع سجلات الوفيات لمدينة الجزائر والمتعلقة بالفترة المعنية، ولندرس الآن المعطيات المتوفرة للمتيجة والساحل.

I - ملاحظة

دراسة المتيجة تهتم بالمراكز الاستيطانية الأساسية وبالأخص البليدة، ولتحصر أهم جوانب التطور سندرس إحصائيات المراكز الصغيرة وبالأخص مركز البليدة.

أ - الوفيات في المراكز الاستيطانية الهامة

إن دراسة الوفيات في المراكز التي وضعناها محط اهتمامنا (اللوحة 1) تنحصر غالبا على نقد الإحصائيات وتأويل شروط تأسيسها حيث أن نسبة الوفيات التي تتأرجح ما بين 5.7% في (حجوط) و14.6% في (وادي العلايق) لا تتناسب مع عدد الوفيات ولا تقترب شيئا ما من الواقع لأنها تركز على إعلانات جزئية كما تظهر ذلك الملاحظات الثلاثة التالية المتعلقة بالأربعاء وحجوط وبوقرة.

هكذا و في الحالة الأولى فإن دراسة العقود ملفتة للنظر وتسمح لنا بالإفصاح والكشف عن بعض الخلل. ففي سنة 1866 سجلت 5 وفيات ووفاة واحدة سنة 1867 ووفاة واحدة سنة 1868 وهذا مدهش جدا نظرا إلى الحالة العامة التي تسود هذا السهل. فالجداول الشهرية في شهر أغسطس

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

وأخرى في أكتوبر. فكيف يمكننا تقبل هذا التطور حيث أن شهر سبتمبر يمثل العدد الكبير لنسب الوفيات (وهو ما يقارب 150٪) ؟ ضف إلى ذلك أن عدد وفيات الأوربيين المسجل هو 42 وفاة مقابل 65 لمجموع السنة وهو ما يعادل 1.764. إن عدم وجود العقود المتعلقة بالجزائريين طيلة هذا الشهر ملفت للنظر. يمكننا تأويله بسهولة إذا ركزنا اهتمامنا ودققنا في كتابة العقود، فكأنما ضابط الحالة المدنية كان قد رفض عمدا تسجيل العقود التي تخص الأهالي عندما ظهر وباء الكوليرا وعند تسجيل وفيات الضحايا الأوائل للأوربيين.

لقد كانت أبواب مستشفى المركز تغلق فجأة عند وصول أي أشخاص لا ينتمون إلى الأعراق الأجنبية، بينما في السابق وفي تاريخ 12 جويلية استقبلت طفلة مسلمة في سن الثانية عشر وتوفيت في المستشفى (العقد مسجل سنة 1867). وعليه فسجلات مدينة الأربعاء لا تمثل إذن أي اهتمام.

أما الحالة الثانية فتخلو تماما من الاهتمام. لأن الوفيات التي وقعت في المصلحة العامة، وهي عيادة المركز الاستيطاني (مارنقو، حجوط حاليا) لم تسجل قط. ووجدنا آثار الوفيات عفويا في محكمة البلدية وعثرنا على 127 عقد فقراة الخمسين (العقود الخمسة الأولى كانت مقطعة) تخص جزائريين يسكنون المركز والجوار القريب (بني مناصر على الخصوص) وكذا عاملين اثنين من المغرب ونظرا للفارق الكبير الموجود بين المجموعتين (الجزائرية والأوروبية) يمكننا أن نفكر بأن عدد الفلاحين كان كبيرا جدا، لكن نظام الأولويات مختلف تماما فيما يخص استقبال المرضى ...

أما فيما يتعلق بمركز بوقره فإن الإجراءات تظهر عادية وصحيحة على العموم، واللوحة 2 تسمح لنا بالتعليقات التالية.

المجموع السنوي يبرز مشكلتين هما، نقص تقدير إعلان الوفيات المتعلقة بالذكور (43 على 80 وهو ما يساوي 46.2٪) ووفيات الصبيان (أقل من الثلث) أما المشكلة الثانية فإنها تظهر إرتياب الإجراءات

محدودة بسهل متيجة
بشبكة من المراكز
ذات الإحصائيات
مقاطعة على مدينتين
الكبيرة للقرويين
أهم المشاكل لكل
نسبى نشكي لمدة
الجزائر والمتعلقة
المتيجة والساحل.

وبالأخص البلدية،
المراكز الصغيرة

اهتمامنا (اللوحه 1)
أسيسها حيث أن نسبة
11٪ في (وادي العليق)
واقع لأنها تركز على
لثة التالية المتعلقة

للنظر وتسمح لنا
سجلت 5 وفيات ووفاة
دهش جدا نظرا إلى
شهر أغسطس

الكارثة الديمغرافية

الإدارية لهذه الفترة وبالأخص حين نلاحظ الفرق بين عقود الأولاد والبنات أما فيما يخص التسجيلات الشهرية لسبتمبر (ضحايا الكوليرا). نلاحظ أيضا بعض الفوارق (اللوحة 3) ولو أن المعادلة موجودة بين العقود التي تخص الكبار لكن المفارقة محسوسة جدا فيما يخص الأطفال (29.8 % للبنات) أما فيما يخص وفيات الأطفال فإنها لم تسجل عدا 4 عقود وفاة سجلت قبل فترة وباء الكوليرا.

مع أن هذا الوباء أكثر ما يصيب الصغار فالعقود التي تخص وفيات الأطفال هي 17 (اللوحة 3) لا تمثل إلا مجموعة 35.4 % فقط.

اللوحة 1 - إعلان الوفيات في مراكز المتيجة.

المركز	1867		1868		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
موزايا	264	7,1	93	2,5	357	9,1
واد العلايق	165	10,3	59	3,8	224	14,6
حجوط	114	3,6	110	2,8	224	5,6
أولاد يعيش	32	9,3	16	4,6	48	14
سيدي موسى	44	3,6	35	2,8	79	6,4
حمر العين	37	؟	12	؟	49	؟
البليدة	342	-	210	-	532	-
المجموع	998	8,2	535	4,41	1533	12,61

المصدر : الحالة المدنية.

(1) تابع التفاصيل في اللوحات 4-6

اللوحة 2 - توزيع

الجنس	العدد
ذكر	37
أنثى	43
المجموع	80

اللوحة 3 - بنية الوفيات في شهر

المجموع	
الجنس	العدد
الرجال	24
النساء	24
المجموع	48

المصدر : الحالة المدنية

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

اللوحة 2 - توزيع الوفيات في مركز بوقرة سنة 1867

الجنس	العدد	%	الوفيات عند الأطفال	
			العدد	%
ذكر	37	53,8	16	60
أنثى	43	46,2	11	40
المجموع	80	100	27	100

اللوحة 3 - بنية الوفيات حسب الإعلانات المسجلة في شهر سبتمبر 1867 في بوقرة

الأطفال			المجموع		
الجنس	العدد	%	الجنس	العدد	%
الرجال	24	50	الأولاد	12	70,18
النساء	24	50	البنات	5	29,82
المجموع	48	100		17	100

المصدر : الحالة المدنية.

الفرق بين عقود الأولاد
سبتمبر (ضحايا الكوليرا)،
من المعادلة موجودة بين
سنة جدا فيما يخص
الأطفال فإنها لم تسجل
عقود التي تخص وفيات
سنة 35,4 % فقط.

المجموع		
العدد	%	
357	9,1	2
224	14,6	3
224	5,6	2
48	14	4
79	6,4	2
49	?	
532	-	-
1533	12,61	4,

وهكذا فإن دراسة هذه الحالات الثلاثة تظهر ضعف المصادر المطوع عليها وعلى العموم هذا الأمر لا يدهشنا نظرا لطبيعة العلاقات ما بين الفلاحين و الإدارة. على كل حال فإن الإحصائيات تعطينا بعض الدلالات على النظام التقريبي الذي يجب تقييمه، ووتيرة التزايد العام للإعلانات حسب بعض الفترات (اللوحة 1).

نظرا إلى هذه الملاحظات فلنحاول تقييم جزافي للوفيات عبر السهل، فنسبة الوفيات طيلة السنتين والمتعلقة بتعداد 12.000 شخصا والذي يعادل 12.61% (1533 إعلانا) من بينها 8.2 / سنة 1867 4.41% سنة 1868. فالتأرجحات لهذه الفترة هي من 5.6% في (حجوط) إلى 14.6% في (وادي العليق) أما فيما يخص المعدل للوحدة الجسدية (المتيجة) فإنه لا بد أن يكون أكبر كما يبينه الملف المعطى لإسماعيل أوربان⁽¹⁾، وهو معاصر مهتم بهذه المشاكل.

"...هذا الأهلي (متيجة) لم يتعذب مثل عرب القبيلة، لكن في المناطق المعوزة وبجوار المراكز غير المؤهلة فإن أهالي المقاطعة المدنية تضرروا أكثر من أهالي المقاطعة العسكرية. لقد دفعوا ضريبة أقوى للمجاعة والموت".

هذه الدراسة تركز أيضا على إحصائيات اقتصادية تنفي تماما الاعترافات الموضحة مطولا في الصحافة والتي تناولت مزايا التواصل بين المعمرين والأهالي، لكنها تبرز أهمية الوفيات في إحدى النواحي المفضلة للاستيطان. إن الكاتب المذكور أعلاه وهو إسماعيل أوربان يتطرق مليا ومطولا للعواقب والآثار السلبية للاستعمار على الأهالي. مهما كان الأمر فإن الوفيات كانت كثيرة جدا كما سئرى فيما يخص الشاطئ القريب جدا ألا وهو الساحل الجزائري. يمكننا إذا أن نقدر نسبة الوفيات به 20% على الأقل. فأكثر من النصف قد توفي سنة 1867، لقد وجدت الكوليرا أرضية خصبة تبعا للتقلبات المذكورة أعلاه ولكن العواقب كانت مستدامة أيضا كما نشاهد ذلك في إحصائيات البلدية.

ب - تطور كثرة الوفيات في البلدة

إن الدراسة المعقمة لأكثر من 2000 عقد قد تناولت كل التفاصيل وهي منبع النتائج المترجمة في اللوحات من 4 إلى 7 . وهذا يمكننا من الإحاطة بالأصل والتطور السنوي والشهري لأربعة أنواع من الوفيات، النوعان الأولان وهما الهامان ويتعلقان بالمدن والبوادي القريبة. أما النوع الثالث فهو يقدم أيضا أهمية خاصة. أما الرقم الأول الذي نذكره فيتعلق بنسبة ضياع سكان المدن طيلة الفترة مابين 1867 و 1868 وهي نسبة أكبر من نسبة السهل حيث أنها تصل إلى 18.4 بالمائة. وهذا الفارق ناتج بصفة جزئية عن تحسين الإعلانات وهو يحضر لهيئة الوفيات عبر نفس المدينة.

وفيات سكان المدن

تشير اللوحة 4 إلى التطور السنوي للوفيات وتسجل سنة 1867 أكبر نسبة لكل الفترة الخماسية الأخوذة بعين الاعتبار في الفترة مابين (1866-1871) والتي تسجل تزايداً يفوق 112٪ بالنسبة لسنة 1866. لقد وصلت الإعلانات إلى 187 إعلاناً وهو ما يعادل نسبة ضياع تصل إلى 79.3٪. أما الإعلانات التي حصلت في شهر سبتمبر وهي 46، وهي تمثل 25٪ كحد أقصى في هذا الشهر وهذا عقب الوباء الذي تواصلت آثاره حتى شهر أكتوبر (المعدل الأقصى - اللوحة 5). مع أن هذه الإحصائيات لا تمثل إلا جزءاً من الخسائر في الأرواح. فدراسة معدل العمر للمتوفين لا تدل على نقص (الإعلان اللوحة 7) كما أن أصحاب 18 سنة لم يسجل منهم إلا القليل.

ضعف المصادر المطلع
طبيعة العلاقات مابين
تطينا بعض الدلالات
الترديد العام للإعلانات

جزافي للوفيات عبر
تعداد 12.000 شخصا
8.2 / سنة 1867 4.41 /
في (حجوط) إلى 14.6 /
حدة الجسدية (المتيجة)
إسماعيل أوربان⁽¹⁾، وهو

تقبيلة، لكن في المناطق
هالي المقاطعة المدنية
لقد دفعوا ضريبة أقوى

اقتصادية تنفي تماما
في تناوكت مزايا التواصل
يات في إحدى النواحي
وهو إسماعيل أوربان
تعمار على الأهالي، مهما
نرى فيما يخص الشاطئ
ذا أن نقدر نسبة الوفيات
سنة 1867، لقد وجدت
أغلاء ولكن العواقب كانت
البلدية.

الكارثة الديمغرافية

اللوحة رقم 4 - التطور السنوي للوفيات المسجلة في البلدة من

1866 إلى 1873.

الأصول	1866	1867	1868	1869	1871
المدينة (1)	88	187	164	110	139
الضواحي (2)	30	155	46	20	36
من مدينة أخرى (3)	44	98	365	58	49
عسكرية (4)		40	25	5	41
المجموع	162	480	600	193	265

المصدر: الحالة المدنية.

اللوحة 5- التطور الشهري للوفيات المسجلة في البلدة سنة 1867.

السن	يناير	فبراير	مارس	أبريل	ماي	يون	يولي	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
(1)	11	11	5	6	7	9	16	23	46	32	11	10	187
(2)	3	10	6	11	13	8	16	24	23	17	16	6	153
(3)								2	38	14	16	30	100
(4)					1	2	2	4	19	3	2		40
	14	21	11	17	21	19	34	53	126	66	45	53	480

فالوفيات ضئيلة ويكون الأمر كذلك على العموم فيما يخص الإناث وبالأحرى فيما يخص الأعمار الأقل من 18 سنة فنفس الملاحظات تنطبق أيضا على الحد الأقصى لشهر سبتمبر. فالاستنتاج يصبح كالتالي لان نقص إعلان الوفيات أمر صارخ حتى في الوسط الحضري.

اللوحة 6 - التطور الشهري

السن	يناير	فبراير	مارس	أبريل	ماي
(1)	12	10	10	19	
(2)	6	8	7	5	
(3)	59	48	68	48	
(4)	1	6	3	2	
	78	72	88	74	

أما فيما يخص التطور الشهري (16) ولو أننا نسجل أحداث فإننا نلاحظ ضعف إعلانات ضئيلة لتطور سنة 1867. أنقص عكس ما نلاحظه من

اللوحة 7 - التوزيع حسب

السن	1866
الولود ميتا	3
من سنة	17
من 1 إلى 18 سنة	28
+ على 18 سنة	40
المجموع	88

لكنه لا يمكننا منح حسب ضئيلة للوفيات التي تصيب و 19% سنة 1866 ويكون

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

اللوحة 6 - التطور الشهري للوفيات المسجلة في البلدية سنة 1868.

الجموع	ديسمبر	نوفمبر	أكتوبر	سبتمبر	أغسطس	يوليوس	يونان	ماي	أفريل	مارس	فبراير	جانفي	
164	7	11	15	10	17	28	11	14	19	10	10	12	(1)
46	2	3	2	0	4	6	3	0	5	7	8	6	(2)
365	7	18	18	15	18	16	25	25	48	68	48	59	(3)
25	0	2	4	0	5	2	0	0	2	3	6	1	(4)
600	16	34	39	25	44	52	39	39	74	88	72	78	

أما فيما يخص التطور طيلة سنة 1868 فإنه يمثل نسبة وفيات عالية (164) ولو أننا نسجل انخفاضا محسوسا بالنسبة للسنة الفارطة ، وبالتالي فإننا نلاحظ ضعف إعلانات سنة 1866 ، فوتيرة الإعلانات تبرهن على النتائج الطائلة لتطور سنة 1867 . إن النسب القصوى للأشهر التي تمتد من أفريل إلى أغسطس عكس ما نلاحظه من ناحية أخرى في (اللوحة 6 - الصورة 3) .

اللوحة 7 - التوزيع حسب السن لوفيات سكان المدينة.

السن	1866	1867	1869	1871
المولود ميتا	3	3,4	2	1
- من سنة	17	19	23	12
من 1 إلى 18 سنة	28	31	88	47
+ على 18 سنة	40	45	74	39
المجموع	88	187	164	139

لكنه لا يمكننا منح أهمية كبيرة للإحصائيات كما تظهر ذلك النسبة الضئيلة للوفيات التي تصيب الصبيان بـ 8.5% مقابل 12.5% سنة 1867 و 19.3% سنة 1866 . ويكون الأمر كذلك بالنسبة للوفيات حسب مراحل

مسجلة في البلدية من

1871	1869	1867
139	110	164
36	20	46
49	58	36
41	5	25
265	193	600

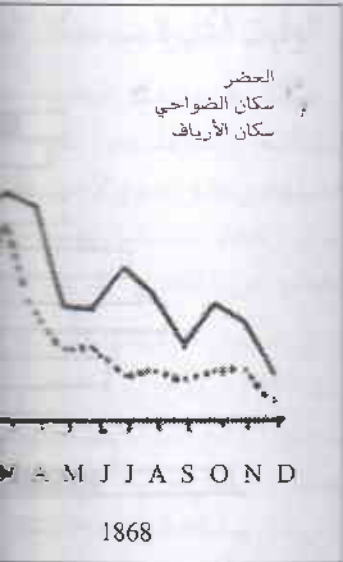
البلدية سنة 1867.

الجموع	ديسمبر	نوفمبر	أكتوبر	سبتمبر	أغسطس
187	10	11	32	46	
153	6	16	17	23	
100	30	16	14	38	
40		2	3	19	
480	53	45	66	126	

عموم فيما يخص الإناث سنة فتفس الملاحظات فلاستنتاج يصبح كالتالي وسط الحضري.

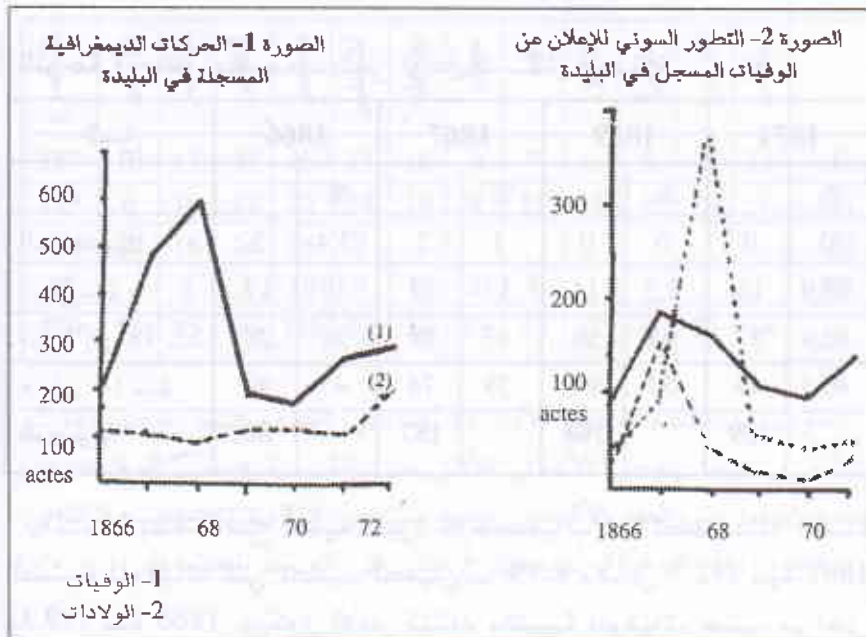
الكارثة الديمغرافية

العمر المحصورة بين سنة واحدة و18 سنة والتي لا تصل إلا لـ 34.1% مقابل 37% سنة 1867 و 45% سنة 1866. لا بد أن نضع هذه الانهيارات في السياق الخاص للمدينة والوفيات الاستثنائية طيلة هذه الأشهر. أمام كثرة الجثث التي تلتقط هنا وهناك، داخل المدينة وبالقرب منها (شاهد أسفله وفيات الأشخاص خارج البلدة وأريافها)، فإن العائلات لا ترى أي حاجة لتسجيل الوفيات خاصة وفيات الأطفال وحتى أصحاب الأعمار المتوسطة (الصورة 4) إذا فنسبة الوفيات تكون عالية جدا وقد تفوق حتى نسبة سنة 1867. نقص الإعلان لا يخص الذكور فقط لكنه أيضا يمس الإناث بـ 74 عقدا من 164 وهو ما يعادل 45% هذا النقص في الإعلان يوصلنا إلى ملاحظة أخرى فالحد الأدنى من تسجيلات الولادات (91) وهو عبارة عن نقص يعادل 17.5% بالنسبة للسنة الفارطة) حتى ولو أننا نلاحظ إستدراكا لسنة 1869، وتقهقرا لسنتي 1870 و 1871 وهو على التوالي 114 و 118 مقابل 183 سنة 1869.

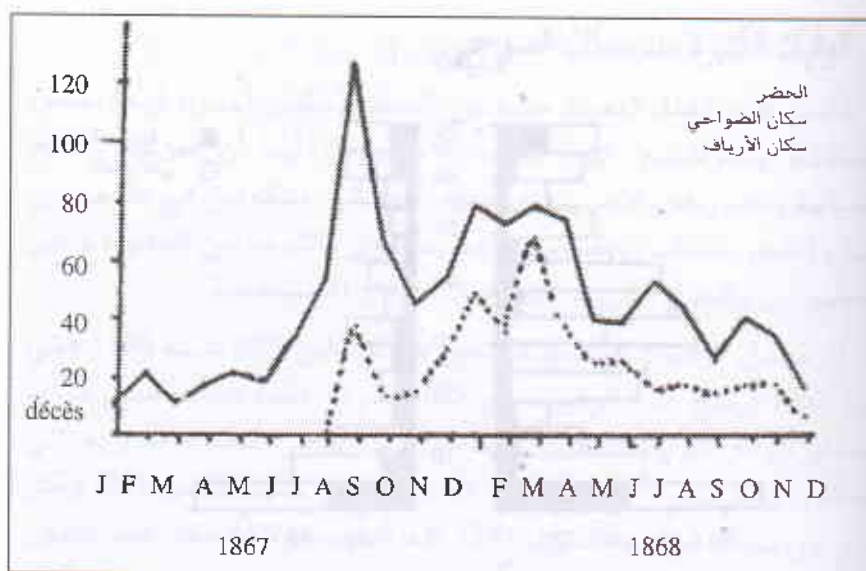


الصورة 3- ألتصو

أخيرا و لتتعرف على
مختلفين برسم هرم (الصورة
تكاثر بين الذكور والإناث
يضم الأهمية النسبية لـ
موضعا هكذا في الحالات
الوفيات والإجراءات الإدارية
ككذا فكل هذه الملاحظ
إحصائيات رغم التوضيح
فتيجة نسبة الوفيات لا
حالة المدنية ولناخذ
والتي تتجاوز في الحقيقة



تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر



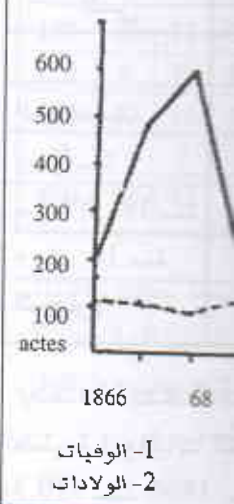
الصورة 3 - التطور الشهري للوفيات المسجل في البلدية

أخيرا و لتتعرف على ظاهرة قلة الإعلانات، درسنا مراحل نمو المتوفين برسم هرم (الصورة 4) هذا الهرم يظهر ثلاثة أشياء منها عدم التكافؤ بين الذكور والإناث، ضعف مراحل النمو من 5 إلى 20 سنة كما يظهر الأهمية النسبية للشرائح الأكثر من 60 سنة فيما يخص الجنسين، موضعا هكذا في الحالات الثلاثة الفارق الحقيقي والحساس بين كثرة الوفيات والإجراءات الإدارية .

هكذا فكل هذه الملاحظات تدعو للحفاظ والحذر فيما يخص الإحصائيات رغم التوضيحات المتعلقة بالتطور العام وتأرجح الكوارث. فتنتيجة نسبة الوفيات لابد أن تكون أكبر من المعدل المأخوذ من أرقام الحالة المدنية ولناخذ إذا بهذه القيمة الدنيا التي عبرت عنها بـ (18.4) والتي تتجاوز في الحقيقة 20% و لناخذ إذا هذه القيمة الدنيا.

تصل إلا لـ 34.1%
هذه الانهيارات في
الأشهر، أمام كثرة
منها (شاهد أسفله
لا ترى أي حاجة
أصحاب الأعمار
جدا وقد تفوق
ر فقط لكنه أيضا
النقص في الإعلان
يلات الولادات (91
ضفة) حتى ولو أننا
و1871 وهو على

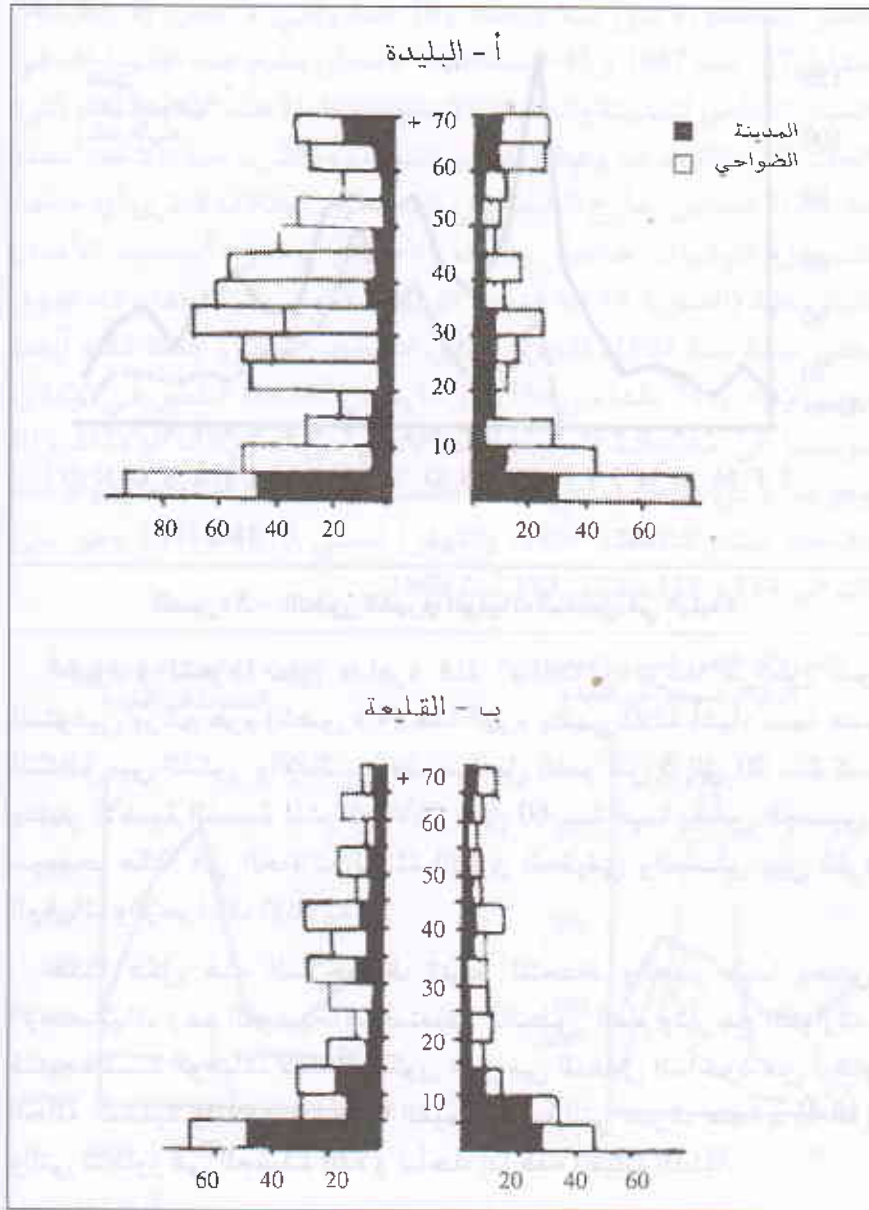
الحركات الديمغرافية
سجلة في البلدية



الوفيات الكثيرة عند سكان

تتميز هذه الفئة المعينة بتمائمهم وتموطنهم. نهائهم هئيتهم وتطورهم والأمر يتبع عمل (خدم، حمالين وخدماء) بخصوص بالجوار القريب من المدينة. إن معدل الوفيات السنوية سنة 1867 ارتفع عدد الوفيات متجاوزا وقع التزايد للمدينة يعيشون فيها كما يبرهن على أكثر من سابقه في شهر أكتوبر. نوباء مع أن سكان المدينة على الفارق.

فالأسباب الماضية والتي أدت إلى التي أصابت السكان في عين الاعتبار هذه الملاحظة سنتي 1867-1868. أما تطور سنة 1868 فيرى يعني أكبر من المعدلات السابقة يجب أن نهتم بالأحداث المتتالية مستشفيات الجزائر العاصمة ويقترب من عاصمة القديس (تابع أسفله). وقتها فرض نفسه طيلة بعض ما يظهر أيضا بعد دراسة ملفات الحالة المدنية.



صورة 4، هرم أعمار المتوفين (من سبتمبر 1867 إلى ديسمبر 1868)

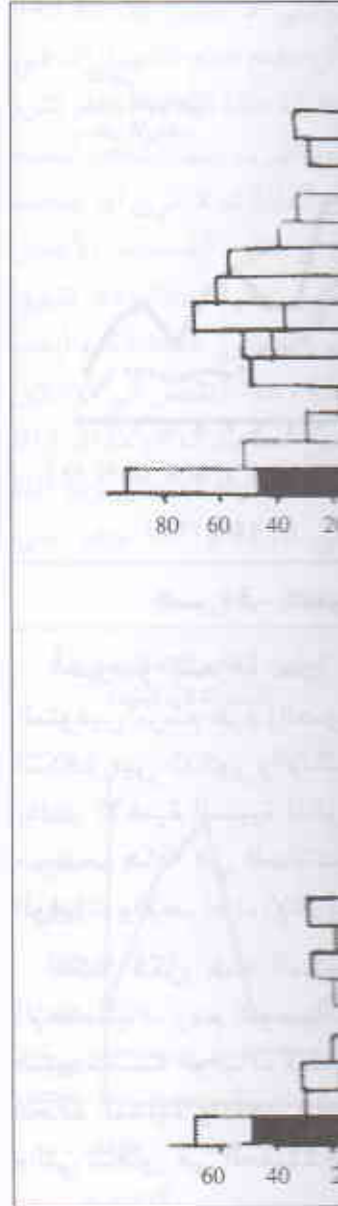
الوفيات الكثيرة عند سكان الضواحي

تتميز هذه الفئة المعينة جليا عن الحضر (سكان المدن) فيما يخص إنتمائهم وتموطنهم. لهذا السبب الأساسي إرتأينا أن نعزلهم لتتابع أهميتهم وتطورهم والأمر يتعلق بسكان مهمشين متكونين في غالبهم من عمال (خدم، حمالين وخماسة ...)، و يسكنون بالقرب من المدينة وعلى نصوص بالجوار القريب جدا من المراكز الاستيطانية .

إن معدل الوفيات السنوي لا يتغير عن الثلاثين (30) كسنة 1866 ففي سنة 1867 ارتفع عدد الوفيات إلى 155 وضرب هكذا فجأة بخمس مرات متجاوزا وقع التزايد للمدينة وقتك بالسكان نظرا للحالة المزرية التي يعيشون فيها كما يبرهن على ذلك الحد الأقصى لشهر سبتمبر (23) ولكن أكثر من سابقه في شهر أكتوبر (24). لقد أصيب هؤلاء السكان منذ ظهور نوباء مع أن سكان المدينة لم يتأثروا إلا بعد ذلك. فلا بد إذن من التأكيد على الفارق.

فالأسباب الماضية والتي سبقت بداية وباء الكوليرا هي مصدر الكوارث الأولى التي أصابت السكان غير المندمجين مع المدينة. لا بد من الأخذ بعين الاعتبار هذه الملاحظات لدراسة الأسباب الحقيقية لكثرة الوفيات نسنتي 1867-1868 .

أما تطور سنة 1868 فإنه يسجل إنخفاضا، ومجموع المعدل السنوي يبقى أكبر من المعدلات السابقة بـ (46 مقابل 30 سنة 1866) ولفهم هذا يجب أن نهتم بالأحداث المشهورة على مستوى مراكز أخرى وبالأحرى مستشفيات الجزائر العاصمة ومخازن التسول الموجودة بالبلدية وبالقرب من عاصمة المقاطعة حيث أن كثرة الوفيات هي الأعلى في هذه الأماكن (تابع أسفله). وفقا لتحركات الجوعى وإنقراضهم ، فالإخلاء فرض نفسه طيلة بعض الأشهر في المدينة وربما في أماكن أخرى. هذا ما يظهر أيضا بعد دراسة الحالة الثالثة للوفيات المكتشفة من خلال ملفات الحالة المدنية.



1868 إلى ديسمبر 1868)

كثرة الوفيات للأشخاص الساكنين خارج البلدة وفي أريافها

إن الإشارات الموجودة على عقود الوفيات مثل «المايين بهذه المدينة» (الوثيقة 1) مفيدة جدا وتسمح لنا بالإحاطة شيئا ما بطبيعة التحرك الكبير للجائعين والنازحين القاصدين البلدة أو العابرين منها وكانت بعض هذه الحالات وحجمها تشد اهتمام الملاحظ. لكنه لا بد من الاعتراف أن الفارق الذي يوجد بين الإعلان والواقع قد يكون كبيرا جداً أو أكبر مما سجلناه فيما يخص الحضر بصفة خاصة. الأمر يتعلق بوفاة مجهولين.

يجب على عمال البلديات إخلاء الطرقات العمومية وبالأخص أهم ساحة عمومية... فيما يخص الجثث الأخرى فإن الإجراءات الإدارية لم تأخذها بعين الاعتبار ولم تكن قد أخذت من قبل. لقد قام بالدفن متطوعون لأن ذلك الأمر واجب ولا بد من القيام به لكن علينا متابعة هذا التطور خلال هذه الفترة الوجيزة.

سجل 44 عقدا سنة 1866 وسجل تقريبا أكثر من ضعف ذلك سنة 1867 أي 97 عقدا وبالخصوص منذ بداية شهر سبتمبر (اللوحة 5) مع 38 عقدا. ثم نلاحظ إنخفاضا طفيفا في الشهرين المتتاليين متبوعين بزيادة في آخر شهر السنة (30). لقد وصل المجموع بعد أربعة أشهر إلى المائة وهو ما يعادل خمس مجموع الإعلانات. كما بدأ نزوح سكان الأرياف نحو المدينة في تلك الفترة على الخصوص ولقد تضاعفت هذه الحركة في بداية سنة 1868. لقد وصل الحاصل إلى 365 (اللوحة 6) على مجموع 600 وهو ما يعادل 760 ولكن الرقم في الواقع هو 71.4 (233 على 312) من الفترة التي تمتد من جانفي إلى أفريل. وكانت نسبة الزيادة في تلك الفترة هي 137%. إذا تعمدت الكوارث طيلة هذه الفترة وبالخصوص في شهر مارس مع حد أقصى 68 وهو ما يعادل سبعة أضعاف عدد سكان المدينة وأكثر من عشر مرات عدد سكان ضواحي المدينة... وإذا لاحظنا فيما بعد إنخفاضا، فالنازحون الموجودون في حجرة يصلون دائما ويموتون، فالآثار إذن طائلة وتمتد بصفة متأخرة إلى غاية نهاية الفترة المدروسة (1871)

أما فيما يخص سن و
لاهتمام أكثر بالرجال وكذا
يتصدر كبار السن القائمة و



نهج بيزو سابقا بال
يوميا النازحين

كبيرة من الذكور. إنهم قد
المليدة بشق الأنفس ليموتوا
ماتوا قبل تلك الفترة وأحد
سجلات الوفيات منذ جانفي
إن هذه الكوارث تطرح
جغرافية. فالأمر كذلك
البلدية، وبالأحرى الأحياء

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

أما فيما يخص سن وجنس المتوفين فهو مسجل في الصورة 4 مع الاهتمام أكثر بالرجال وكذا شرائح السن المتواجدة بين 20-30 و50 سنة كما تصدر كبار السن القائمة والذين تزيد أعمارهم على 70 سنة متبوعين بنسبة



نهج بيزو سابقا بالبليدة المحور الأساسي للإستيطان حيث يموت يوميا "النازحون" طيلة الثلاثي الأول لسنة 1868

كبيرة من الذكور. إنهم قبل كل شيء كبار في السن ورجال وصلوا إلى البليدة بشق الأنفس ليموتوا هناك. أما الأطفال والنساء فإنهم يكونون قد ماتوا قبل تلك الفترة وبأعداد كبيرة إننا لا نجد أي أثر للنساء والأطفال على سجلات الوفيات منذ جانفي 1868.

إن هذه الكوارث تطرح تساؤلات كثيرة وبالأخص فيما يتعلق بالأصول الجغرافية، فالأمر كذلك فيما يخص تحديد الموضع الصحيح للجنث بالبليدة، وبالأحرى الأسباب الحقيقية للكوارث. فيما يخص التساؤل الأول

بليدة وفي أريافها

مثل «الماراين بهذه المدينة»
بما ما بطبيعة التحرك الكبير
بين منها وكانت بعض هذه
لا بد من الاعتراف أن الفارق
جداً أو أكبر مما سجلناه فيما
مجمولين.

مومية وبالأخص أهم ساحة
جرائد الإدارية لم تأخذها
قام بالدفن متطوعون لأن
متابعة هذا التطور خلال

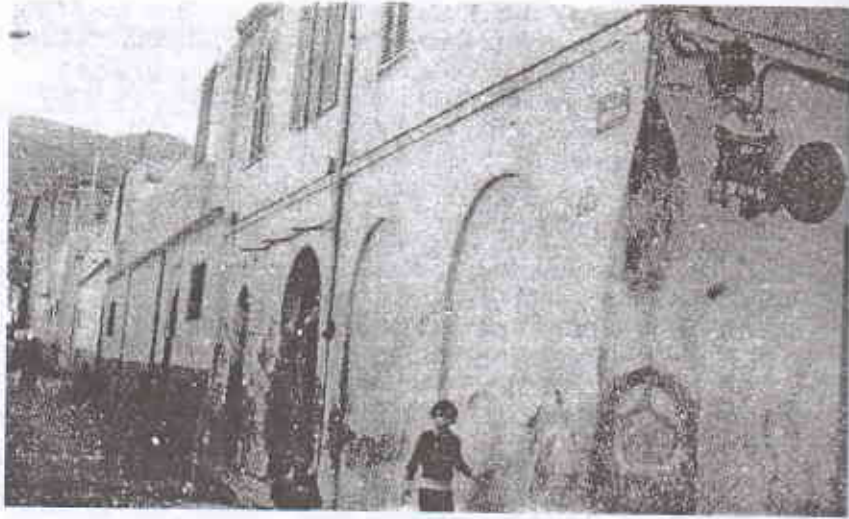
من ضعف ذلك سنة 1867 أي
الوحدة 5) مع 38 عقدا، ثم
ن متبوعين بزيادة في آخر
عشرة أشهر إلى المائة وهو ما
كان الأرياف نحو المدينة
هذه الحركة في بداية سنة

على مجموع 600 وهو ما
2 على 312) من الفترة التي
تلك الفترة هي 137%
ص في شهر مارس مع حد
كان المدينة وأكثر من عشر
حظنا فيما بعد انخفاضا،
لنا ويموتون. فالآثار إذن
بالمدرسة (1871)

الكارثة الديمغرافية

فالعقود تكون في بعض الأحيان دقيقة إذا لم توجد هناك إشارة "مجهول" إن الأصول المذكورة من نوفمبر 1867 إلى ديسمبر 1868 هي الشلف (حوالي 60 مليانة وشرشال وهي الدواوير القريبة من هاتين المدينتين (تقريبا ثلاثون دوار) والونشريس (ما يقرب العشرين) ومستغانم والمدينة والمغرب (15 تقريبا) وجنوب ناحية بلاد القبائل (يسر ودلس وتيزي وزو) بعشر لكل منها. أما النواحي الأخرى مثل ننس وتيارت ووهران و الجلفة ومزاب فهي أقل تمثيلا (أقل من 10). لكن حالات كثيرة بقيت غامضة، وتبقى المساحة الجغرافية للمتوفين واسعة جدا وتغطي جزءا كبيرا من غرب البلاد وهذا مع الصدارة الواضحة للشلف (الأصنام والدواوير القريبة) ومليانة وشرشال. لكن قبل سنة 1866. فبعض المصادر تلفت النظر ولا بد من الأخذ بها انطلاقا من الآن والأمر يتعلق بالمتوفين من أصل وادي مينا (فليتة وبني مسلم على الخصوص) من جهة وجنوب ناحية المدينة (بالأحرى أولاد سيدي عيسى السواقي) من جهة أخرى. لا بد من ملاحظة وجود تلك الناحيتين المنفرتين في سنة 66 وحتى قبل ذلك.

يبقى الآن النظر في نقطتين وهما تحديد موضع الوفيات بالبلدية وأسبابها. ففي ما يخص النقطة الأولى نلاحظ أنه في سنة 1867، وقرابة سنتين سجل عقد وفاة بالمستشفى العسكري وعشرة في باب رابع و7 في باب السبت و4 في شارع بيزو سابقا (وبالخصوص منذ بداية 10 ديسمبر) ونفس العدد في طريق الجزائر، أما الباقي فيقارب العشرة في أماكن متفرقة من المدينة. وفي سنة 1868 من تعداد 4000 منها 2000 تخص المستشفى العسكري و56 في الشارع الرئيسي بيزو سابقا (حسب الصورة أعلاه) و15 في فندقين والساحة المسماة بالساحة الأهلية، وما يقارب العشرة في ساحة المناورات والسوق و6 في شارع الباي وطريق دلماسيا (بني عيش) 5 في شارع القايد ديرة... وستون في نقاط متفرقة إذا ما عدا المستشفى العسكري (المخصص قبل كل شيء للجنود والأوروبيين) كانت الجثث تتراكم في بعض النواحي المألوفة القريبة أو داخل المربع الاستيطاني كما يبرز ذلك الطريق الرئيسي (بيزو سابقا)...



وكان الأمر كذلك بالنسبة لشوارع وأزقة أخرى مثل شارع قايد ديرة.

من ناحية أخرى فإن الدراسة الدقيقة للعقود المشروحة تسمح لنا باستنتاجات عديدة والتي تنفي بعض الأطروحات المقدمة بعجالة في ذلك الوقت ففي هذا الصدد فإن تأويل العقد رقم 179 (الصورة طبق الأصل) مفيد للغاية وهو يحكي واحدة من الستين (60) مأساة التي وقعت في الشارع الرئيسي المذكور. يتعلق الأمر بأرملة صغيرة في الخامسة والعشرين من عمرها... والتي ولدت لوحدها على الساعة التاسعة ليلا يوم 8 مارس⁽¹⁾. كانت تطمح في أن يعيش ابنها خصوصا في أواخر هذا الشتاء لقد أسمته محمد، وهو أغلى مسمى عند المسلمين. ليذكرها باسم أبيه وزوجها الذي يفترض انه قد مات أثناء الطريق قبل أن تصل إلى مكان الولادة. هل عاش الطفل بعض الساعات؟ وهل هذا وهم؟ أم حقيقة؟ اليقين لقد أحضروه صباح الغد، على الساعة الثامنة. ميتا إلى ممثل شيخ البلدية، بوريللي لا سابي، أكبر ناهب لأراضي الفلاحين بالسهول. أيكفي العقد لوحده لإيصال المعطيات الخام إلى الأجيال، لقد حضنت الأم ابنها وضمته إليها بيديها النحيلتين وهو يرضع ثديها الجاف لساعات. إذا كان قد عاش 11 ساعة فالأمر ليس كذلك بالنسبة للأطفال الذين كانوا

توجد هناك إشارة "مجهول" من 1868 هي الشلف (حوالي من هاتين المدينتين (تقريبا ومستغانم والمدينة والمغرب وليس وتيزي وزو) بعشر لكل وهران و الجلفة ومزاب فهي بيت غامضة، وتبقى المساحة ييرا من غرب البلاد وهذا مع ريبية) ومليانة وشرشال، لكن ولابد من الأخذ بها انطلاقا منينا (فليقة وبنو مسلم على بالأحرى أولاد سيدي عيسى طقة وجود تلك الناحيتين

موضع الوفيات بالبلدية أنه في سنة 1867، وقرابة وعشرة في باب رابع و7 في ص منذ بداية 10 ديسمبر) فيتقارب العشرة في أماكن 4000 منها 2000 تخص ويزو سابقا (حسب الصورة الساحة الأهلية، ومايقارب شارع الباي وطريق دلماسيا في نقاط متفرقة إذا ما عدا للجنود والأوروبيين) كانت القريبة أو داخل المربع ويزو سابقا)...

الكارثة الديمغرافية

يجمعون كالدواب هنا و حتى في سجون البلدية مثلما وقع في القليعة... مأساة 365 شخصا (لسنة 1868 لوحدها) هي الموت الختمي من جراء المجاعة والتشرد والبرد وقلة الملابس (كان جل المتحركين عراة) طيلة تلك الفترة العصيبة من السنة بسبب الغياب الكامل للمساعدة والتطبيب لإنقاذ جميع موتى تلك المدينة⁽⁴⁾ هل التيفوس هو المسؤول الكبير عن هذه الكارثة؟ التقرير الطبي المحوّل واضح⁽⁵⁾ ويعتمد ملاحظات قيمة انطلاقا من المؤسسات المختلفة كالمستشفيات والسجون إلا أن سبب وفيات المصابين بهذا الوفاء قليلة جدا.

"إننا نلاحظ وفيات كثيرة للأهالي في تلك الفترة في البلدة لكن التيفوس لم يظهر بعد"⁽⁶⁾

حسب نفس المصدر فالموت يصيب واحدا من عشرة مرضى ولو أن النسبة أكثر من ذلك عند المدنيين الأوروبيين (أعلى 4) والجنود الأوروبيين والأهالي بالأخص السلك الطبي فالأسباب الرئيسية لا تنفصل عن السياق السياسي والاقتصادي، يعني هذا أن النتائج والآثار تعود للعوامل التي سماها الأطباء "مرض الجوع والفقير" يكفي أن تزايد الوفيات بلغ أقصاه في الشهور الأولى لسنة 1868 كما تبرهن على ذلك إحصائيات البلدة ومراكز أخرى.

لقد وجدت الكوليرا أرضية خصبة وكانت نتائجها الوبائية طويلة المدى كما أن قلة الأكل تواصلت في أوقات السنة.

هكذا فإن التحليل المعمق والمنظم يوضح لنا جليا أسباب ضخامة الوفيات المسجلة كما يسمح بتقييم بعض الأحداث إذا كان التحقيق والمقاربة ممكنا. في هذا الصدد فإن دراسة الساحل تزودنا بمعلومات ثمينة.

2 - الساحل

نظرا إلى إحصائيات الحالة المدنية يظهر أن الساحل تأثر أكثر من السهول، والأمر كذلك بالنسبة للقليعة مقارنة مع البلدة كما تظهر ذلك اللوحة رقم 8.

أ - نظرة عامة حول الوفيات

لا بد أن نأخذ الأرقام بحسب التقويم هـام هنا بسبب عدم ملاحظ أيضا تسجيلات من سنة 1866 ومثلما هو الحال في المراكز سجل هكذا في تفشون سنة 1866 إلى سنة 1867 ومن جديد حتى سنة 1868. ومن جديد حتى سنة 1869. ومن جديد حتى سنة 1870. ومن جديد حتى سنة 1871. ومن جديد حتى سنة 1872. ومن جديد حتى سنة 1873. ومن جديد حتى سنة 1874. ومن جديد حتى سنة 1875. ومن جديد حتى سنة 1876. ومن جديد حتى سنة 1877. ومن جديد حتى سنة 1878. ومن جديد حتى سنة 1879. ومن جديد حتى سنة 1880. ومن جديد حتى سنة 1881. ومن جديد حتى سنة 1882. ومن جديد حتى سنة 1883. ومن جديد حتى سنة 1884. ومن جديد حتى سنة 1885. ومن جديد حتى سنة 1886. ومن جديد حتى سنة 1887. ومن جديد حتى سنة 1888. ومن جديد حتى سنة 1889. ومن جديد حتى سنة 1890. ومن جديد حتى سنة 1891. ومن جديد حتى سنة 1892. ومن جديد حتى سنة 1893. ومن جديد حتى سنة 1894. ومن جديد حتى سنة 1895. ومن جديد حتى سنة 1896. ومن جديد حتى سنة 1897. ومن جديد حتى سنة 1898. ومن جديد حتى سنة 1899. ومن جديد حتى سنة 1900.

نلوحة رقم 8 - تسجيل الوفيات

1867		المراكز
العدد	%	
59	16.5	زرالدة.....
46		تيازرة (1).....
37		تفشون.....
247	17.97	الدويرة.....
40	5	شرفانة.....
30	12.5	محالمة.....
459		المجموع.....

مصدر: الحالة المدنية.
! إن النسبة المئوية صعبة التحديد

أ - نظرة عامة حول الوفيات عبر المراكز الرئيسية

لا بد أن نأخذ الأرقام بكل تحفظ مثلما فعلنا مع النتيجة. فالتقييم المنقوص هام هنا بسبب الغياب الكامل للإعلانات قبل سنة 1867 كما نلاحظ أيضا تسجيلات مستعجلة ومبعثرة لعقود وفاة شهر سبتمبر. ومثلما هو الحال في المراكز الأخرى فالفجوات كثيرة فيما يخص الإناث. نسجل هكذا في تفشون عدد الوفيات الذي ارتفع من صفر (0) إلى 11 من سنة 1866 إلى سنة 1867 وفي المحاملة من صفر إلى 30 وفي زريدة من 3 إلى 59. ومن جديد نجد نسيانا كاملا لسنة 1868 فكأنما أعطيت هنا تعليمات لضباط الحالة المدنية لتسجيل الوفيات نظرا لحجم وباء الكوليرا عكس ما وقع في السهوب المجاورة وهذه الفرضية تشرح عدم النظام التسلسلي في تاريخ تسجيل عقود الوفيات مثلما وقع في الدويرة

اللوحة رقم 8 - تسجيل الوفيات عبر الساحل.

المركز	1867		1868		المجموع	
	العدد	% الضياع	العدد	%	العدد	%
زريدة.....	59	16,5	5	1,4	64	17,9
تيازة (1).....	46		12		58	
تفشون.....	37		49		86	
الدويرة.....	247	17,97	152	11,02	399	28,99
الشرافة.....	40	5	13	1,6	53	6,6
مخالمة.....	30	12,5	0		30	12,5
المجموع.....	459		231		690	

المصدر : الحالة المدنية.
(1) إن النسبة المئوية صعبة التحديد.

مدينة مثلما وقع في القليعة
في الموت الحتمي من جراء
جل المتحركين عراة) طيلة
لكامل للمساعدة والتطبيب
وس هو المسؤول الكبير عن
ويعتمد ملاحظات قيمة
بيات والسجون إلا أن سبب

لك الفترة في البليدة لكن

من عشرة مرضى ولو أن
وبين (1 على 4) والجنود
أسباب الرئيسية لا تنفصل
أن النتائج والآثار تعود
والفقر يكفي أن تزايد
1868 كما تبرهن على ذلك

نتائجها الوبائية طويلة
سنة .

لنا جليا أسباب ضخامة
الأحداث إذا كان التحقيق
الساحل تزودنا بمعلومات

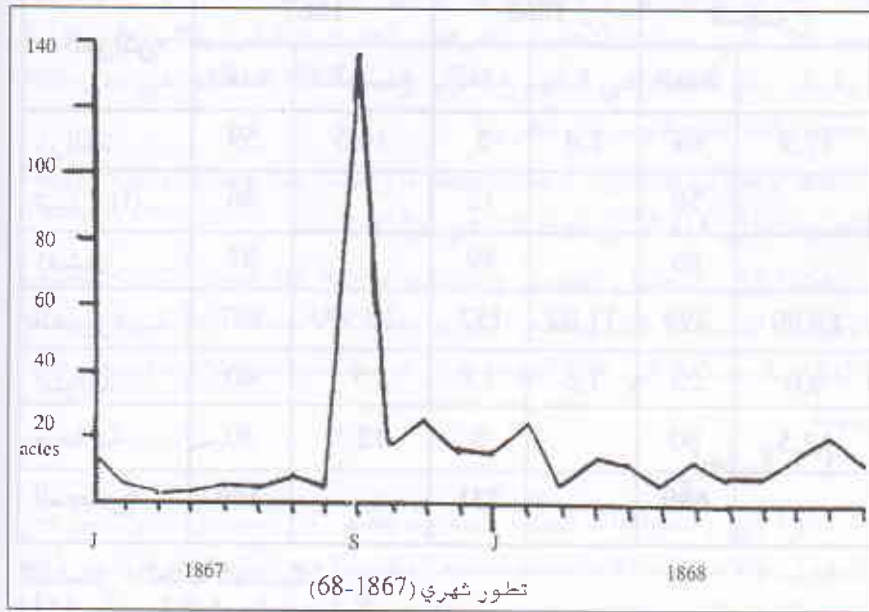
أن الساحل تأثر أكثر من
مع البليدة كما تظهر ذلك

الكارثة الديمغرافية

ونلاحظ أيضا أن أغلب التسجيلات وقعت في شهر سبتمبر. فالعقود المتعلقة بهذا الشهر تمثل 37.3% (22 على 30) وفي زلزلة 76.4%، ونلاحظ أيضا أن العقود المتعلقة بالأطفال دون 10 سنوات ضعيفة جدا (13 من بينهم 5 بنات، وهو ما يساوي 28.8% من المجموع الشهري) كما نسجل أيضا عقد وفاة واحد في المحالمة ويتعلق بالشريحة المذكورة وهو رضيع في السنة الثانية من عمره.

كما نلاحظ أيضا الإعلانات لسنة 1867 عبر الساحل والتي وقعت على الخصوص في شهر سبتمبر وكانت الإجراءات تهتم ببعض الشرائح وبالخصوص الكبار والجدير بالذكر أن تسجيلات العقود طيلة تلك الفترة بالضبط من السنة بقيت غامضة كما تبرهن على ذلك الدراسة المدققة لحالتين متعلقتين بالدويرة والقلبعة.

الصورة 5- تطور الإعلانات من الوفيات بالدويرة



تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

السجلات محتفظ بها بعناية في الدويرة بالنسبة للمراكز الاستيطانية الصغيرة الأخرى أما عقود شهر سبتمبر فلا تمثل إلا 54٪ من مجموع سنة. لكن مقارنة أرقام الحالة المدنية مع أرقام مصادر أخرى تظهر دورها ضعف الإجراءات الإدارية فيما يخص تنظيم الحالة المدنية. هكذا فإن بورزي وهو شاهد مباشر يسكن بالقرب من الدويرة (6) يذكر في فترة ما بين 8 سبتمبر إلى 14 أكتوبر، 235 حالة وفاة للأهالي. أما سجل المركز فإنه لا يحتوي فيما يتعلق بهذه الفترة (ابتداء من 10 سبتمبر) إلا على 136 حالة وهو ما يعادل 58.2٪ الفارق بين المعطيين يترجم من دون شك نقص التسجيلات للحالة المدنية، إن المؤلف الشاهد المباشر المذكور أعلاه حصل على إحصائيات بالقرب من الأوساط المطلعة جيدا على الأوضاع دون الاتصال بالبلدية وهذا بالاستناد على معلومات مستشفى و العيادة المتنقلة (بعض الآثار موجودة في عقود الوفاة) وبالأخص بالقرب من السلطات المعنية بالأمر مباشرة لهذا السبب (وفيات كثيرة) اخذ المؤلف مثل الدويرة كنموذج لناحية الجزائر وكانت دويرة قد سجلت الحد الأقصى في الوفيات، مع المنطقة الإدارية للمجالمة على الخصوص ومنطقة زرالدة، وهي الناحية المتأثرة حسب إعادة الرهبان لأحد المراكز (6) قمعطيات اللوحة 8 لا تترجم هذه الوفيات و لابد من إعادة تقييمها وقبل كل هذا، فلندرس حالة القليعة حيث معطيات التقييم متشعبة والمصادر مختلفة.

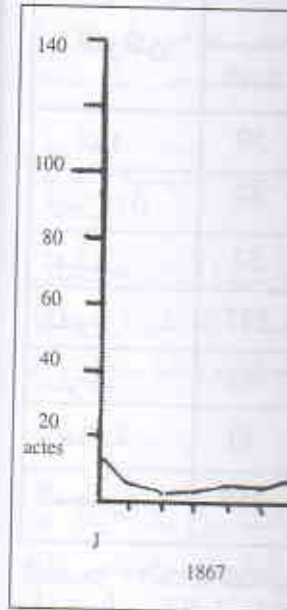
ب - تطور الوفيات في القليعة

لعبت القليعة نفس الدور كالبليدة بالرغم من حالتها الجغرافية التي جلبت مثل البليدة عددا كبيرا من الأشخاص البؤساء القادمين في غالب الأحيان من بعيد ولكن في القليعة كانت نسبة وفيات سكان المدينة أكبر شيئا ما بالذي لاحظناه في البليدة (19.01)

شهر سبتمبر. فالعقود
زرالدة 776.4، ونلاحظ
ضعيفة جدا (13) من
ع الشهرية) كما نسجل
سريجة المذكورة، وهو

حل والتي وقعت على
تتم بعض الشرائح
ت العقود طيلة تلك
من على ذلك الدراسة

بالدويرة



وفيات سكان المدينة

لقد وصل المجموع إلى 171 عقدا سنة 1867 مقابل 39 سنة 1866 (اللوحة 8) وهو نسبة تزايدية بـ 336% مقابل 112% للبلدية. يظهر إن سكان المدن تأثروا كثيرا، لكن هذه النسبة ترجع دون شك إلى قلة التسجيلات السابقة، الحد الأقصى الشهري وقع في سبتمبر مع 50 وفاة معلنة. البيانات السابقة تبقى شيئا ما هامة وذلك حتى نهاية السنة (اللوحة 9 والصورة 6) وكذا في الأشهر الأولى لسنة 1868 وهي تترجم الآثار الطائلة والدائمة. وهذا التطور يؤثر على مراحل العمر الأقل من 18 سنة ولو أن اللوحة 11 لا تبرز ذلك جليا وهذا للأسباب الموضحة سابقا. إذا فالخسائر في الأرواح عالية جدا وتجاوز بكثير المعدل المذكور والمقدر بـ 19%. وإن الضياع قد يصل إلى ثلث تعداد السكان على الأقل.

الوفيات عند سكان الضواحي

تختلف الوفيات عند سكان الضواحي قليلا ما عن سابقاتها، فهي أقوى كما نلاحظ ذلك في الحد الأقصى لشهر سبتمبر (اللوحة 9) وهو ما يعادل 75 من المجموع السنوي 151 (وهو ما يعادل 50%) مع أن جزءاً من هؤلاء السكان منتشرون وسجلت وفياتهم في البلدية والجزائر (نجد آثار ذلك في سجلات المدينتين) ويترجم هذا باخلاء البوادي المجاورة. ويعود نقص الإعلانات سنة 1868 (66) وسنة 1869 (35) إلى هذه الظاهرة.

وفيات البدويين القاصدين القلعة

إن البيانات المسجلة في الحالة المدنية (اللوحة 8 و 9 و 10) لا تمكننا من التعداد التقريبي لوفيات هؤلاء السكان. لكن التفاصيل التي تخص أصول المتوفين والدراسة الدقيقة لبعض العقود تعطينا مواد ذات أهمية كبيرة لمتابعة التحركات هؤلاء البدو الجوعى وعلى حافة الموت وهذا لنفي بعض الأطروحات المعدة بعجالة للإشارة بقدر هؤلاء الأشخاص البؤساء حتى آخر نفس من حياتهم.

اللوحة 9 - التطور السنوي لـ

1867	1866			
	ذ	أ	م	ذ
74	97	39	15	24
47	104	56	22	34
22	40	12	2	10
33	241	107	39	68

مصدر: الحلة المدنية

اللوحة 10-1 - التطور الشهري

الوفيات	فبراير	مارس	أفريل	ماي
6	2	2	5	3
7	2	5	5	3
1	2	0	0	0
14	6	7	10	6

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

نوحة 9 - التطور السنوي لإعلان الوفيات في القليعة.

	1866			1867			1868			1869			1871		
	ذ	أ	م	ذ	أ	م	ذ	أ	م	ذ	أ	م	ذ	أ	م
مدين	24	15	39	97	74	171	50	38	88	16	11	27	49	26	75
بواحي	34	22	56	104	47	151	39	27	66	24	11	35	21	4	25
من نواحي خرى	10	2	12	40	12	52	12	58	70	4	0	4	16	2	8
مجموع	68	39	107	241	133	374	147	77	224	44	22	66	76	32	108

مصدر: الحلة المدنية ذ: ذكر أ: أنثى م: مجموع.

نوحة 10-1 - التطور الشهري لإعلان الوفيات في القليعة سنة 1867.

	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
مدينة	6	2	2	5	3	3	3	6	22	22	42	22	171
بواحي	7	2	2	5	3	4	4	5	7	2	32	7	151
من نواحي أخرى	1	2	0	0	0	1	4	5	11	3	8	17	52
مجموع	14	6	7	10	6	8	15	16	35	77	133	46	374

مقابل 39 سنة 1866
% البلدية يظهر إن
مع دون شك إلى قلة
في سبتمبر مع 50 وفاة
تلك حتى نهاية السنة
سنة 1868 وهي تترجم
أجل العمر الأقل من
هذا للأسباب الموضحة
بكتير المعدل المذكور
د السكان على الأقل.

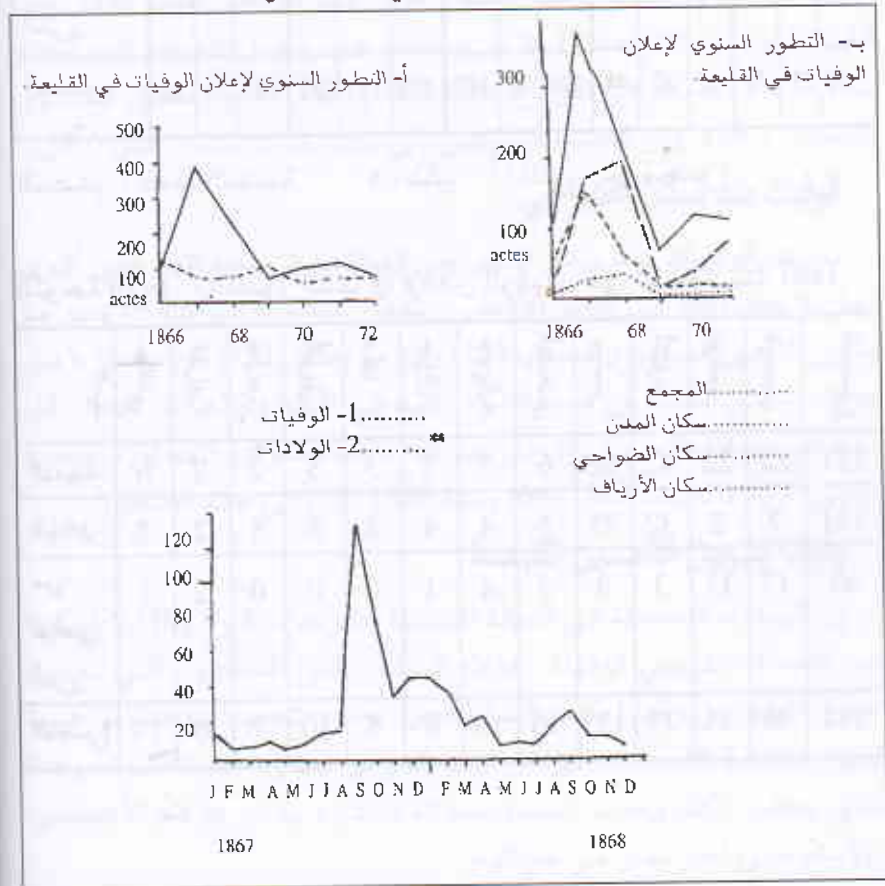
من سابقاتها، فهي أقوى
ر (النوحة 9) وهو ما
%50) مع أن جزءاً من
الجزائر (نجد آثار
بواحي المجاورة. ويعود
في هذه الظاهرة.

ت 8 و9 و10) لا تمكنا
التفاصيل التي تخص
عضينا مواد ذات أهمية
في حافة الموت وهذا
تقدر هؤلاء الأشخاص

الكارثة الديمغرافية

في بداية شهر نوفمبر ومع بداية شتاء يبدو شديد البرودة، بدأت الجثث تظهر في المدينة المقدسة، قبل كل شيء قرب المسجد، ثم شيئاً فشيئاً في أماكن أخرى وبالأحرى في مقلع الرمل، شرق المجمع السكاني الصغير الذي تحيط به التكنات. وبسرعة وصل الحد الأقصى لتسجيل عقود الوفاة في جانفي إلى 22. فالفرق قد يكون كبيراً ما بين هذا الرقم و الواقع. هكذا فإن التقييمات (السريعة والتقريبية حتماً) المسجلة من طرف بيربي⁽⁸⁾ تعطينا فكرة.

الصورة 6 - التطور الديمغرافي المسجل في القليعة



مدة بشهر جانفي وربما
حصوات من المتشردين العرب
بين 250 إلى 400 تقريباً يجتمعون
على ساحة المرابطين وبالخصوص
كثير من بين هذا العدد...
عروف بدأ يظهر إلى الوجود

الطرحة 2-10 - التطور الشهري

الوفيات	الولادات	الوفيات	الولادات	الوفيات	الولادات	الوفيات	الولادات
12	12	7	14	1	1	1	1
9	9	8	6	3	3	3	3
22	22	7	4	2	2	2	2
4	4	11	3	1	1	1	1
47	47	38	19	7	23	7	23

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

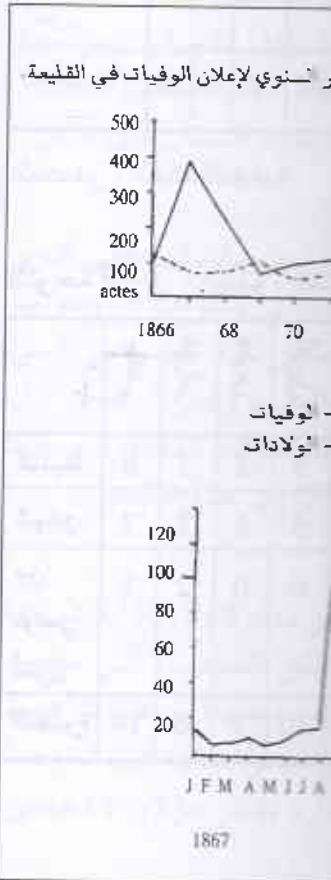
" مدة بشهر جانفي وربما قبل ذلك بقليل، إجتاحت مدينة القليعة جماعات من المتشردين العرب الجوعى. هؤلاء الأهالي وعددهم يتراوح ما بين 250 إلى 400 تقريبا يجتمعون فوق المسطحة الموجودة أمام التكنة أو على ساحة المرابطين وبالخصوص في الشارع التجاري "العين" كان يموت كثير من بين هذا العدد... طيلة هذا الشتاء الطويل وخاصة أن وباء غير معروف بدأ يظهر إلى الوجود.

اللوحة 10-2 - التطور الشهري لإعلان الوفيات في القليعة سنة 1868.

الجموع	يناير	فبراير	أكتوبر	نوفمبر	أغسطس	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	أبريل	ماي	يون	يولي	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	الجموع
المدينة	12	12	4	4	2	14	7	12	12	88							
البادية	10	4	2	4	3	6	5	8	9	86							
من نواحي أخرى	0	0	0	0	0	1	1	2	2	4	7	22					39
مجهولون	2	3	1	0	0	1	3	11	4	31							
المجموع	24	19	8	9	7	23	19	38	47	244							

بيدو شديد البرودة، بدأت فيء قرب المسجد، ثم شيئا ما، شرق المجمع السكاني بل الحد الأقصى لتسجيل يكون كبيرا ما بين هذا الرقم (ربحية حتما) المسجلة من

البل في القليعة



اللوحة 11 - التوزيع مع شرائح السن للمتوقين الحضر في القليعة.

السن	1866	1867	1868	1869	1871
المولود ميتا	1	4	4	3	1
أقل من سنة	13	28	12	5	14
من سنة إلى 18 سنة	9	66	35	9	20
أكثر من 18 سنة	6	73	37	10	41
المجموع	29	171	88	27	75

أما فيما يخص أصل هؤلاء الأشخاص فيجب أن نميز ذلك من خلال الإشارات الموقعة على عقود الوفاة لحدثين ، الحالة الأولى عادية لأنها تنبه إلى وجود سكان غير مستقرين ، وبالأحرى القريين جدا مثل الذين يأتون من شرشال أو من بلاد القبائل (الباحثة عن العمل) ، والحالة الثانية ذات أهمية و التي تلفت نظر المشاهد اليقظ والأمر يرجع إلى بعض الأمكنة مثل تنس ومستغانم ومليانة وأكثر من ذلك بوغار ، الأمر الأول يخص مدينة صغيرة ومجموعاتها القريبة وعلى الخصوص بني حجة ، أما حالة بوغار فهي مذهشة ويجب دراستها بعد ذلك (القسم الثاني) انطلاقا من هذه التفاصيل ، نجد إذا النواحي المنفرة والملعونة والمعذبة والبائسة منذ 1866 مع أن الأصول على الأقل تغيرت أكثر فأكثر تنضم نواحي أخرى كالشلف ووادي جر...

أما الحالة المكررة مرارا على العقود والتي تخص أولاد خلوف (واد مينا) ، و يمكننا أن نشرح ذلك من خلال دراسة كل التفاصيل الموجودة على العقود. إن بعض الموتى القادمين من ذلك المكان والذين إتفقوا ببعض الأقارب الذين مكثوا بالقرب من القليعة (طريق فوكة) بعد كوارث سنة 1867 ففي هذه الحالة بالذات كان المعلنون يشيرون جيدا إلى

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

مكان إقامتهم والقراية التي تربطهم بالموتى المعلن عنهم . فدوام
الذاكرة يشرح وصول هؤلاء الأشخاص الهالكين إلى هذه المدينة طمعا
في النجدة ...

إن التفاصيل التالية تشد انتباهنا أكثر فحالة ذلك العقد المؤرخ في 30
نوفمبر 1867 والذي يتعلق برضيع عمره شهر واحد والذي توفي في
طريق فوكة والذي ولد أبوه في نواحي مستغانم وتوفي من دون شك
تداء الطريق . كان سن الأم 25 سنة (وهي على قيد الحياة) . وهي التي أعلنت
وفاة بمساعدة أحد أقاربها "متسول" في الثلاثين من عمره (أثار العائلة
غوسعة طيلة الهجرة المكثفة) . هذه هي الرسالة لذلك العقد لـ3 ديسمبر .
تلك الطفلة صاحبة الثلاث سنوات والمولودة قرب شرشال والتي ضيعت
عنها في نفس مكان ولادتها . وتبعث أباهما حتى القليعة وبالخصوص في
سقع الرمل المتواجدة شرق المدينة الصغيرة . هذا ما لاحظناه عند
دراسة ذلك العقد لـ8 ديسمبر 1867 . توجد أمثلة كثيرة من هذا النوع كما
ذكر مثل تلك الطفلة اليتيمة الأبوين واصلها من تنس (عقد 10 ديسمبر)
أو المجهولون فهم كثرة . قد أعلن عن وفاة بعضهم (الملف2) ووجد
بعضهم بالجوار وبالأخص قرب وادي مزفران .. (الملف2) .

لقد عرفت القليعة وفيات كثيرة وجلبت عددا كبيرا من الأشخاص
تبعاء . تأثرت كثيرا بواديهما وأخليت من سكانها . وقع مثل هذا الأمر في
جزء كبير من الساحل ونزح الناجون نحو عاصمة المقاطعة القريبة من
جزائر . فلندرس الآن المواد الجزئية التي حصلنا عليها حول هذه
مدينة لنتمكن بعد ذلك بتقييم خسائر المقاطعة .

3 - في الجزائر

دراسة كثرة الوفيات في الجزائر كان مؤسفا . لم نجد سجلات الوفيات
بعاصمة الحالية والتي تتعلق بالفترة المدروسة . لا توجد الوثائق حاليا لا

البحر في القليعة .

1871	1869	1867
1	3	4
14	5	1
20	9	3
41	10	3
75	27	8

بأن نميز ذلك من خلال
الحالة الأولى عادية لأنها
في القريتين جدا مثل الدين
عن العمل) . والحالة الثانية
والأمر يرجع إلى بعض
من ذلك بوغار . الأمر الأول
على الخصوص بني حجة .
بعد ذلك (القسم الثاني)
نواحي المنفرة والملعونة
على الأقل تغيرت أكثر فأكثر

ي تخص أولاد خلوف (واد
كل التفاصيل الموجودة
نك المكان والذين إتحقوا
قليعة (طريق فوكة) بعد
المعلنون يشيرون جيدا إلى

عقود جزائريين قضوا نحبهم في مستشفى الداى (العسكري) ---- وفي قسم مصطفى الدين ماتوا في المستشفى المدني لهذا المركز ولكن في الحالة الثانية لا نجد إلا الملفات التي سبقت سنة 1868 أما في الحالة الأولى فإننا لا نجد إلا سجل 1868. لقد ضاعت إذا مراجع هامة لهذه الفترة ويمكننا على كل حال الإحاطة علما بوفيات اليتامى الذين تكلفت بهم المؤسسات الدينية المسيحية بفضل وجود قوائم المتوفين والموجودة ببلدية الأبيار وقصر العدالة أما فيما يخص مقر بلدية القبة فإنه يسمح لنا بمتابعة تطور الوفيات للبنات اللاتي كن موجودات بسان شارل وبتلك البلدية .

لم تتمكن من متابعة تطور الوفيات لسكان المدينة ، ولكن بفضل الأرشيف المذكور أعلاه سنحاول تقييم الحالات الأخرى للوفيات حالات البلديات المجاورة والمؤسسات العمومية والمستشفيات والسجون (الحراش)

1 - الوفيات في البلديات المجاورة

تابعنا البحوث في المناطق الإدارية للحراش وبرج الكيفان والدار البيضاء والروبية وبوزيعة ودالي إبراهيم وبولغين والأبيار والقبة والشراقة، فماعد المناطق الثلاثة الأخيرة (الأبيار والقبة والشراقة) فكل المناطق الأخرى لم تكن ذات أهمية. الإعلان معدوم إذا وجدنا السجلات ولم تتلف وتضيع (الدار البيضاء).

نسجل هكذا في الأبيار 13 عقدا سنة 1866، 6 عقود سنة 1867 و 11 عقدا سنة 1868 مقابل على التوالي 23 و 28 و 44 عقدا من الأوروبيين، يوجد هناك حد أقصى في القبة سنة 1868 ب 26 مقابل 10 سنة 1866 و 10 سنة 1867، لكن هذه الأعداد قليلة جدا لا تناسب الحقيقة، في الواقع إن نسبة الوفيات للفترة ما بين 1867-68 لا تصل إلى 6.1% وهو ما يعادل نسبة اقل بكثير من جميع مراكز متيجة. أما فيما يخص الشراقة

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

(لوحة 8) فنجد بها فجوات كبيرة فيما يخص الإحصائيات (6.6% من ضياع المسجل) إذا ولا بلدية واحدة مجاورة سجلت وفيات سكان مدينة الجزائر، الم يكن الأمر كذلك فيما يخص المستشفيات حيث الاستقبالات ضئيلة وموجهة أيضا إلى سكان غير مندمجين في المدينة؟

ب - كثرة الوفيات في المستشفيات

الاستقبالات على مستوى مستشفى الداى (العسكري) قد تكون استثنائية، نسجل هكذا 4 عقود وفاة سنة 1867⁽¹⁰⁾ وطيلة الستة أشهر الأولى للسنة التالية نسجل 66 من بينهم 23 بخصوص الإناث، من بينهم شاب تم التعرف عليه وعمره 13 سنة واصله من تنس وسجين، وكل العقود تشير إلى الأهالي مجهولين والثلاث سجل في فبراير (21 عقدا).

لقد اطلعنا على سجلات السنوات الثلاثة المتتالية 1866-1868 بالمستشفى المدني لمصطفى باشا ولا توجد سجلات السنوات التي تلت، النتائج مرسومة على اللوحة 12. وكان المجموع لسنة 1866 يمكن أن يتطابق مع المعدل المناسب لقدرة الاستقبال المتخصصة للأهالي. نلاحظ إذا أن أرقام 1867 لم تسجل إلا تزييدا ضعيفا وهو 127 وفاة مقابل 104. ولا تظهر هنا آثار وباء الكوليرا وأثار المجاعة في الإحصائيات. فنسبة وفيات المسلمين بالنظر للمجموع قفزت من 16.6% إلى 20.1% من سنة 1866 إلى سنة 1867. هذه النسب تجسد إذا الفرضيتين المذكورتين. لقد بقيت أبواب المستشفى موصدة أمام الجماعات الهائلة من المحتاجين طيلة الشهرين الأخيرين لسنة 1867 ولو أن قرابة ربع المجموع السنوي من الوفيات قد وقعت في الثلاثي الأخير من تلك السنة (38 على 127)، فشير سبتمبر الذي كان من المقروض أن يسجل الحد الأقصى لم تصل فيه التسجيلات إلا لـ 18 فقط وهو مجموع أكثر بقليل من شهر جانفي، أفريل وجوان بإحدى عشرة وفاة لكل من هذه الأشهر الثلاثة و 14 في شهر نوفمبر...

الكارثة الديمغرافية

لكن سنة 1868 تزايد عدد الوفيات إلى 123٪ مع مجموع 263 تبعا للزيادة التي سجلت في بداية شهر جانفي إلى غاية شهر جويلية مع حدين قياسيين، الأول في فبراير بـ 46 وفاة من بينها 6 نساء والأخر في مارس بـ 42 من بينها 9 نساء. لكن بالنسبة للوفيات المسجلة بالمستشفى طيلة السنة وهو مجموع 835 ولا تمثل نسبة المسلمين إلا 31٪ مقابل 20٪ سنة 1867. إذا فالفارق شاسع بين المجموعتين داخل هذه المؤسسة⁽¹⁾ ففي ظروف مثل هذه لا يمثل تطور وفيات الأهالي التطور الموجود في المدينة ولا المعدل العام للوطن، إنه لا يعطي على الأكثر نظرة على الأصول الجغرافية والاجتماعية للأشخاص الذين استقبلوا وتوفوا؟ نواحي عديدة ذكرت في العقود مع ملاحظة التكرار رغم تباعد المسافات لكننا نسجل بعض الحالات في المدن وحتى من أقصى الجنوب (الأغواط، بسكرة...) ومن النواحي المذكورة كالقليعة والبيدة (جنوب تيزي والجلفة وبوغار... الأصنام والشلف ومستغانم وتنس ومليانة على الخصوص). هذه الأصول المختلفة تظهر وجود خليط من سكان غير مستقرين، وبالخصوص في الجزائر والحراش (أنظر أسفله) وهي أيضا تشهد نزوحا أقل سبق سنة 1867 (في 1865-66 على الأكثر) أو ناتجا مباشرة من الكوارث. في هذه الحالة الأخيرة لقد وصلت أقلية من الأشخاص القادمين إلى المستشفى. هذا ما يشرح النسبة الضئيلة للنساء (60) وهو ما يساوي 22.8٪ والنتيجة هو أنه لا يمكننا التعرف على التطور بالمدينة من خلال الوفيات المسجلة في المستشفى فلندرس إذا الحالة الخاصة بالحراش.

نوحة 12 - تطور الوفيات في

1866			
شهر	ذكر	أنثى	مجموع
جانفي	6	2	8
فبراير	3	0	3
مارس	7	0	7
أفريل	7	1	8
ماي	6	2	8
حزيران	0	6	6
جويلية	1	0	1
أغسطس	6	2	8
سبتمبر	4	1	5
أكتوبر	13	2	15
نوفمبر	20	3	23
ديسمبر	12	0	12
المجموع	85	19	104

مصدر: قصر العدالة. مدينة

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

اللوحة 12 - تطور الوفيات في مستشفى مصطفى .

شهر	1866			1867			1868		
	مجموع	ذكر	أنثى	مجموع	ذكر	أنثى	مجموع	ذكر	أنثى
جانفي	8	2	6	11	2	9	24	5	19
فبراير	3	0	3	9	0	9	46	6	40
مارس	7	0	7	10	1	9	42	9	33
أفريل	8	1	7	11	6	5	32	11	21
ماي	8	2	6	7	0	7	21	4	17
جوان	6	6	0	11	0	11	21	7	14
جويلية	1	0	1	4	0	4	21	4	17
أغسطس	8	2	6	8	1	7	15	3	12
سبتمبر	5	1	4	18	2	16	5	1	4
أكتوبر	15	2	13	11	1	10	9	2	7
نوفمبر	23	3	20	14	1	13	16	4	12
ديسمبر	12	0	12	13	3	10	11	4	7
المجموع	104	19	85	127	17	110	263	60	203

المصدر : قصر العدالة . مدينة الجزائر .

مجموع 263 تبعا
شهر جويلية مع
6 نساء والأخر في
بمجلة بالمستشفى
إلا 31% مقابل 20%
بل هذه المؤسسة (1)
لتطور الموجود في
الأكثر نظرة على
استقبلوا وتوفوا ؟
التكرار رغم تباعد
وحتى من أقصى
رة كالقليلة والبيدة
تفانم وتنس ومليانة
بود خليط من سكان
(أنظر أسفله) وهي
(على الأكثر) أو ناتجا
مد وصلت أقلية من
النسبة الضئيلة للنساء
التعرف على التطور
في فلندرس إذا الحالة

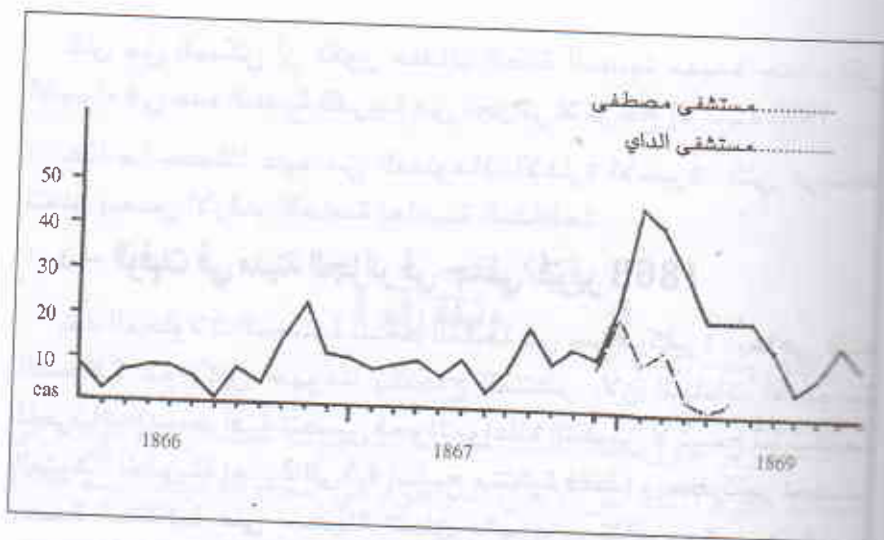
ج - حالة الحراش

منف واحد وملاحظتان تكونان المراد للدراسة وتسمح لنا بالافتراء من وضعية تقارب شيئاً ما حالة السهول المجاورة. الملف يتمثل في تقرير ملحق يسجل الوفيات لسنة 1868 في مقر بلدية القبة (الصورة طبق الأصل). يتعلق الأمر بجنة أكلت الحيوانات نصفها بالقرب من محطة القطار لجسر قسنطينة (الملف 9) ويرجع الطبيب الشرعي الوفاة إلى مجاعة كبيرة، هو دليل بسيط... ولكن يرسم دلالة في المكان بعينه في تاريخ (آخر فبراير).

اللوحة 13 - تطور الوفيات في مستشفى الداى سنة 1868.

الشهر	ذكور	إناث	مجموع
جانفي	8	2	10
فبراير	14	7	21
مارس	2	9	11
أفريل	12	2	14
ماي	4	2	6
جوان	1	0	1
جويليا	2	1	3
المجموع	43	23	66

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر



الصورة 7- تطور الوفيات في مستشفيات مدينة الجزائر.

حيث أن الحراش كان منذ تلكم الفترة مركزا هاما للسجون، وبالمكان المفضل للأوبئة، لا بد من الانتباه هنا لهذه المؤسسة والنتائج المختلفة التي تنجر عنها والتي يمكننا إلماسها شيئا ما بصفة مباشرة. هكذا فالمكان المخصص للمساجين المرضى والمصابين بالتيفوس، حولوا نحو ورشة أعمال الممر الجبلي لبني عائشة، على طريق الجزائر دلس وسجلت الملاحظات الطبية في جوان وحتى في جويلية في ورشة أخرى (جزائر - قسنطينة) لعمال قادمين دائما من نفس المعتقل بالحراش⁽¹²⁾، وحتى بعد نهاية وباء التيفوس والآثار المباشرة للمجاعة، بقيت هذه المؤسسة العمومية مركزا للأوبئة.

هذا ما يفسر هروب السكان غير المستقرين من الحراش خوفا من المخاطر المخيمة على تلك المؤسسة، إننا نجد بعض الإشارات حول هذا الهروب في سجلات الوفاة للمدن التي درسناها (البلدية والقلية والمدية) مثل ساكن بالحراش أو قادم من الحراش أو مولود بالحراش... وبالآخرى حيث أن الأمر غالبا ما يتعلق بعمال يوميين و خماسة.

تسمح لنا بالاقتراب
المرادف. الملف يتمثل في
بلدية القبة (الصورة
بالقرب من
الشرعي الوفاة
في المكان بعينه
سنة 1868.

مجموع	
10	
21	
11	
14	
6	
1	
3	
66	

كان من الممكن أن تكون ملفات الحالة المدنية مفيدة جدا . لكن الأجواء في هذه البلدية القريبة من الجزائر لا ترجع إلا لسنة 1890 ... هذا ما حصلنا عليه من المعلومات. الإشارة الأخيرة التي درسناها تتعلق ببعض الأرقام الخاصة بعاصمة المقاطعة .

د - الوفيات في مدينة الجزائر في جانفي/فبراير 1868

بعد المحاولات المختلفة للبحث المتبعة في جهات كثيرة . بما في ذلك الصحافة لم تكمل جهودنا بالنجاح المنتظر . لان البيانات الأسبوعية للحركات الديمغرافية تتضمن فجوات وإعادة التكوين لا تسمح لنا بمتابعة الفترة⁽³⁾ الطويلة (من 2 الى 4.5 اسابيع متتالية فقط) وبحظ كبير تحصلنا بصفة استثنائية على حصيلة تتعلق بشهرين متتالين وهما جانفي - فبراير 1868 (اللوحة 14) .

اللوحة 14 - التحركات الديمغرافية لمدينة الجزائر

(جانفي - فبراير 1868)

الأصل	الولادات		الوفيات		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
المسلمون	44	15	147	31,7	103 -	234
اليهود	36	12,1	33	7,1	+ 38,3	8,3
الأوربيون	206	72	283	61,1	- 77	27,2

المصدر : أخبار 3 مارس 1868 .

وثيقة رقم 1

3- تقرير حول جثة نصف مفترسة، موجودة حيث ترجع الوفاة إلى
مجاعة كبيرة (أعيد عن الأصل الموجود في سجل الوفيات لسنة 1868
بالحالة المدنية لبلدية القبة (الجزائر)

تقرير عمالة الجزائر

بلدية ودائرة الشرطة نسجل وجود هيكل لجثة أهلي .

إقامة القبة رقم 515 وجدت في وادي لمملكة السيد قارو.

بلدية القبة، 8 مارس 1868 ترجع الوفاة إلى مجاعة كبيرة

تقرير

في سنة ثمان وستين وثمانمئة بعد الألف وفي الثامن من مارس، نحن
جان بوايي فارس جوقفة الشرف ومحافظ الشرطة المقيم بالقبة، ضابط
الشرطة القضائية، ومساعد السيد النائب العام للإمبراطورية لدائرة
الجزائر.

حققنا هذا اليوم في حدود الساعة الثامنة صباحا بعد الخبر من
السمي ميشال سمنار، فحما يعمل على ضفة وادي الجراش، ملكية لاحظ
بوش وهو متوجه نحو القبة قرب سبيل يوصل إلى الحد رقم 11 للسكة

عقيدة جدا، لكن
لا لسنة 1890 ...

رة التي درسناها

18

شيرة، بما في ذلك

ليانات الأسبوعية

لا تسمح لنا بمتابعة

بحظ كبير تحصلنا

من وهما جانفي -

الجزائر

المجموع	
العدد	%
103 -	234
38,3 +	8,3
77 -	27,2

الكارثة الديمغرافية

الحديدية بالقرب من محطة جسر قسنطينة وعلى ملكية السيد قارو ببلدية القبة هيكلًا لجنّة يفترض أنها لأحد الأهالي المجهولين والذي قد افترسته الحيوانات.

طلبنا في الحين من الطبيب بايان الساكن بحسين داي الحضور إلى المكان الذي قصدناه على التو مرفوقين بالضابط قائد الدرك لبلدية والسيد ميشال سمونير.

عند وصولنا إلى المكان الخالي من الأدغال وغير المسطح. وجدنا هيكلًا آدميًا خال من اللحم ماعدا العمود الفقري وعند التدقيق من الثياب المبعثرة وثلاث برك صغيرة من الدم اليابس. تحققنا أن هذه الحالة سببها الحيوانات المفترسة التي تنتشر على مساحة خمس مائة هكتار من الأدغال التي تجاور المكان.

لما وصل الطبيب بايان واقسم القسم التقليدي وبعد تحقيق دقيق أعلن أن هيكل الجنّة يعود لذكر من الأهالي مع نفي أن تكون هناك جريمة. كما أن الوفاة ترجع لمجاعة قاتلة وتعود الوفاة إلى عشرة أيام.

طلبنا إذا من شيخ بلدية القبة القيام بالإجراءات اللازمة لدفن بقايا الجنّة.

محافظ الشرطة

بوايي

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

تبرز هذه الإحصائيات أربعة ملاحظات أساسية عدم التكافؤ الشاسع في نسب الوفيات مقارنة مع الولادات المناسبة. كثرة وفيات المسلمين خاصة الخاصة بوفيات الأوروبيين والرصيد الايجابي لليهود فالحالة الأولى هي الأعلى بكثير وهو ما يساوي 234/ فإعلانات الوفيات تفوق قرابة ثلاثة مرات إعلانات الولادات. كان الرصيد السنوي السلبي شاسعا جدا لاسيما خلال هذه السنة. ولكن قبل وبعد مثلما كان الحال في كل نواحي. إذا درسنا معطيات أخرى جزئية (اللوحة 15) نلاحظ أن نقص الإعلان يرجع إلى بعض مراحل السن وبالخصوص عند الإناث (32 امرأة مقابل 47 رجلا) مع أن النساء هن النواتي يتعرضن أكثر للخطر والأطفال وهم الأكثر عددا والأقل مقاومة فهم ممثلون بكيفية ضعيفة تمثل مقابل 79 كبير لكن إحصائيات شهر أفريل تظهر جيدا تزايد الإعلانات للوفيات بالنسبة لشهري جانفي/فبراير. فمجموع شهر أفريل وقرابة 112 إعلانا يفوق بكثير المعدل الشهري لشهري جانفي/فبراير (77 إعلانا). مثلما هو الحال في نواحي أخرى فهناك استفحال عام ومحسوس على مستوى سكان المدينة، عاصمة المقاطعة. في الأخير على التطور هو نفسه والخسائر كثيرة جدا عكس المجموعتين الأخيرين المسيحية اليهود هي الأحسن فرصتهم ايجابي لاسيما مدة الشهرين المذكورين (جانفي-فبراير) وكذا طيلة الأسابيع العديدة كما تظهر ذلك البيانات الأسبوعية المنشورة في الجرائد. أما فيما يخص السكان الأوروبيين فإن إحصاء جانفي-فبراير غير ممثل. مثلما أوضحت ذلك جريدة من بين 283 وفاة. لأن البعض يأتي من مراكز أخرى وبالأخص الحدود (يرجع ذلك إلى وجود مستشفيات في عاصمة المقاطعة). إذا درسنا إحصاء ايجابي مثلما تظهر ذلك على الخصوص إحصائيات سنة

1862

على ملكية السيد قارو
المجهولين والذي قد

سين داي الحضور إلى
قائد الدرك للبلدية

وغير المسطح. وجدنا
عند التدقيق من الثياب
تتأ أن هذه الحالة سببها
خمس مائة هكتار من

وبعد تحقيق دقيق أعلن
أن تكون هناك جريمة.
في عشرة أيام.

اللازمة لدفن بقايا

محافظة الشرطة

بوايي

الكارثة الديمغرافية

اللوحة 15 - بيان الوفيات لشهر أفريل 1868.

الأسبوع	رجال	نساء	أطفال	بنات	المجموع
من 29 مارس إلى 5 أفريل	10	7	5	3	25
من 5 إلى 12 أفريل	14	10	5	5	34
من 12 إلى 19 أفريل	8	9	2	4	23
من 20 إلى 26 أفريل	15	6	4	5	30
المجموع	47	32	16	17	112

المصدر : "أخبار" أفريل 1868.

أما كثرة وفيات اليتامي فترجع إلى مشاكل خاصة لا تتعلق مباشرة بمدينة الجزائر، على العكس فإنها تعبر نوعا ما عن الحالة العامة للمقاطعة التي سنتطرق لها عند تحليلنا لهذه الأخيرة.

إذا فهناك فارق شاسع بين التطور عند المسلمين وعند المجموعتين الآخرين لا بد أن يتعرف الأولون بالمدينتين المدروستين سابقا مع أنه لا يمكننا تقييم موضوعي وصحيح للخسائر مثلما وقع في البلدة والقلعة ولكن بحجم أكبر فيما يخص مدينة الجزائر، لأن مدينة الجزائر كانت المرحلة الأخيرة والموعود الآخر لنجدة عدد كبير من الأشخاص القادمين من بعيد والمطرودين من أراضيهم بسبب أمراض عديدة فالوفيات الملاحظة في المستشفيات لا تمثل إلا نسبة ضئيلة... ويصعب علينا وصف المشاهد اليومية التي تقع في العديد من الأمكنة، هذه الأمكنة هي مخازن المتسولين والملاجئ...

الحصينة ثقيلة جدا عبر ناحية مدينة الجزائر لاسيما في المدن وكذا الأرياف بما في ذلك التراب المدني عكس إدعاءات الصحافة والأوساط

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

الرسمية، إذا قيمنا نسب الخسائر بأقل من 20% بالبلدية و 30% بالقلية، فالتسبب تكون أعلى بكثير في الأرياف وبالأخص عبر القطاعات الواسعة نشاطي، فسهولة الحسابات ولنبقى دون الواقع فلنأخذ مجموع ناحية الجزائر، وهو ما يقرب القطاع المناسب، النسبة 25% حيث أن تعداد القطاع يدور حول 40.000 نسمة، فالخسائر تكون 10.000 على الأقل، إذا ما هو الوضع في الأماكن الأخرى حيث أحوال الطبيعة والسياسة صعبة جدا في بعض الأحيان؟ الاستثناء الوحيد بالنسبة للقطاع قد تكون دلس (بلاد القبائل) وهو ما يناسب الناحية الشمالية الغربية لمقاطعة بلاد القبائل.

II - بلاد القبائل

إن ناحية القبائل هي من النواحي التي نجت من الكوارث المعممة فكل المعطيات الإحصائية الجزئية والتقارير الطبي المجمل وبعض الشهادات تتقاطع وتتناسب وتتوافق مع ذلك الأمر.

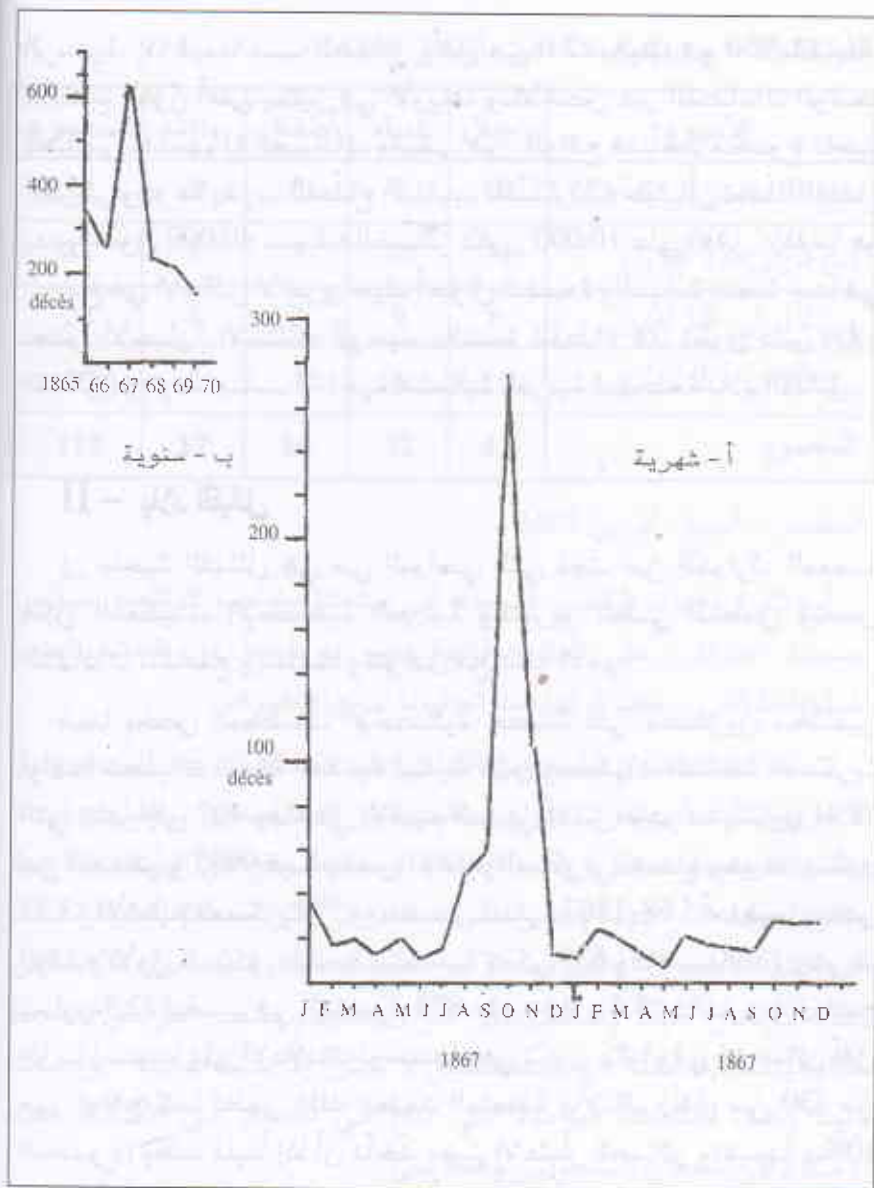
فيما يخص المعطيات الإحصائية حصلنا على مصدرين مختلفين وأولها معطيات الحالة المدنية لبلدية دلس ومعطيات السلطة العسكرية التي تشير إلى 407 وفاة في الإقليم المدني (دلس) وهو ما يساوي 3.94% من الخسائر و 9095 فيما يخص الإقليم العسكري للقطاع وهو ما يساوي 3.33% للأقاليم العسكرية⁽¹⁴⁾ ومخصص للفترة 1867-68؟ أما فيما يخص الإقليم الأول المذكور فالحالة المدنية تذكر 639 وفاة سنة 1868 وهو ما يساوي 2.3% لنحسب في المجموع 878 عقد وفاة و 8.5% فالفارق إذا واضح إذا ما إستندنا على الإعلانات لوحدها وهي تكون غالبا وفي كل مكان أقل من الواقع كما تظهر ذلك العقود المتعلقة بالإناث (أقل من 30% من المجموع) يجب علينا إذا أن نأخذ بعين الاعتبار الخسائر ونقيمها بـ 10% على الأقل إذا فبلاد القبائل لن تتأثر عكس الناحيتين اللتين وصفناهما سابقا.

بنات	المجموع
3	25
5	34
4	23
5	30
17	112

صحة لا تتعلق مباشرة
ما عن الحالة العامة
رقة.

بين وعند المجموعتين
وستين سابقا مع انه لا
مع في البلدية والقلية
مدينة الجزائر كانت
كثير من الأشخاص
سبب أمراض عديدة
نسبة ضئيلة... ويصعب
يد من الأمكنة. هذه

تسببا في المدن وكذا
ت الصحافة والأوساط



الصورة 8 - تطور الوفيات في بلدية دلس

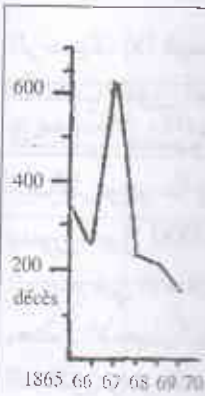
تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

وهي تكون غالبا وفي كل مكان أقل من الواقع كما تظهر ذلك العقود المتعلقة بالإناث (أقل من 730 من المجموع) يجب علينا إذا أن نأخذ بعين الاعتبار الخسائر ونقيمها بـ 10% على الأقل إذا فبلاد القبائل لن تتأثر عكس الساحيتين اللتين وصفناهما سابقا.

أما فيما يخص التطور العام طيلة السنتين، فلا بد من دراستهما من خلال البيانات الشهرية للحالة المدنية. تقع الخسائر المسجلة سنة 1867 وهي ناتجة أساسا عن وباء الكوليرا، فالحد الأقصى الشهري لا يسجل في شهر سبتمبر كما هو الحال في النواحي الأخرى أما شهر أكتوبر فهو الذي جمع 275 وفاة وهو ما يعادل 743... لا بد من ذكر ذلك الفارق. من الممكن أن يكون ذلك نتيجة عدوى متأخرة، إذا فهي آتية من ناحية أخرى أي من النواحي المجاورة؟

ترجم هذا التأخر بمظاهر مفاجئة وعنيفة في آن واحد وذلك ما يبرز تسجيل العقود في فترة قصيرة، كما يبرز أيضا في شهر نوفمبر حدا أقصى آخر ولكن بأقل من الذي سبقه، فالآثار محدودة لشهر أكتوبر، أما بيانات السنة التالية فلا يظهر فيها أي خلل. يتميز التطور الجهوي جليا مع تطور الجزء الكبير من الإقليم كما سنرى ذلك. الأحداث التي يجب الإشارة إليها خارج هذه التحقيقات ترجع إلى الملاحظات الطبية.

يذكر التقرير الطبي المجلد⁽¹⁷⁾ حالة حمى التيفويد في نواحي أربعاء ناث ارتان وذلك من أكتوبر إلى نوفمبر 1867 كما اجتاح أيضا تينوس بعض القرى وكان سببا في العديد من الوفيات. ذكرت أيضا حالات موت من بين 17 مريضا التحقوا بالمستشفى المذكور. لقد تضرر سكان تيزي وزو كثيرا عندما ظهرت فيهم الكوليرا مثلما جرى بدلس. هذه الملاحظات صحيحة بالنسبة إلى ناحية أخرى وهي ناحية ذراع الميزان حيث الخسائر ترجع خصوصا لوباء الكوليرا "لم تتعرض بلاد القبائل إلى المجاعة بسبب توفر التين والزيتون لديهم لكن الكوليرا قضت على السكان" يظهر إذا أن بلاد القبائل لم تتأثر إلا بالكوليرا وبصفة غير



شعبية

الكارثة الديمغرافية

مباشرة بسبب الاحتكاك مع المتنقلين المرضى والجوعى. شهادة المتخصص في قضايا القبائل مثل هانوتو لها دلالتها وتستحق الذكر والنظر فيها مطولا⁽¹⁹⁾.

لقد أعطى قبائل ناحية دلس برهانا قاطعا على كرمهم الذي ينمو معهم. منذ شهر أكتوبر 1867 حتى شهر ماي 1868 وهم يتفانون في إطعام المتسولين الأجانب القادمين من عدة نقاط من الجزائر وحتى من المغرب ولقد وصل عدد المتسولين في بعض الأحيان إلى 12000 شخصا كما استقبلت دائرة فورنا بوليون النصف وهي التي تعداد سكانها لا يتجاوز 76000 نسمة. لقد توفي بعض هؤلاء البؤساء المنهكين قبل وصولهم من طول الحرمان ولا احد توفي منهم من اثر الجوع في بلاد القبائل... لم يتدمر السكان ولم يتضرروا من ذلك العطاء رغم ثقل ما كانوا يتحملونه من الأعباء. لم يطلبوا أبدا مساعدة السلطات الفرنسية... الشيء الملفت للنظر والذي يشرف المؤسسات القبائلية، هو ذلك الحضور المطول في البلاد لهذا العدد الكبير من الأجانب العراة والذي لم يخلق أي إخلال بالنظام⁽²⁰⁾.

يرجع هذا الأمر إلى الحالة الجغرافية والسياسة (لم تتأثر كثيرا بلاد القبائل من التخريبات الإستعمارية عل العموم قبل ذلك العهد) والمحافظة على البنيات الاجتماعية الاقتصادية، لهذا السبب فإن نسبة الخسائر هي من اضعف النسب عبر التراب الوطني. إذا حافظنا على نسبة 10٪ فالحصيلة ترتفع من 27000 إلى 30.000 ضحية تقريبا، أما جنوب الناحية فقد تأثر أكثر من ناحية الجزائر.

III - الجنوب الشرقي للمقاطعة

يشمل الجنوب الشرقي على العموم الدائرة الإدارية لصور الغزلان حيث كانت الحالة العامة في غاية الخطورة رغم ثروة العميد قائد المقاطعة الذي يحاول قلب الحقائق بعد نهاية الشهرين الأولين لسنة

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

1868 وهي بالتالي أخطر فترة تمر بها هذه الناحية. مواد التقييم قليلة لكنها واضحة شيئا ما لتسمح لنا بالحكم على الخطورة التي تمر بها تلك جبال التي تمتد من تابلان إلى عاصمة الدائرة الإدارية مع نتائج تقرير الطبي ومعطيات الحالة المدنية المتعلقة على الخصوص بعاصمة دائرة لكل المنطقة العسكرية .

1- نتائج التقرير الطبي

يعطي التقرير نظرة عامة على الوفيات الكثيرة التي أصابت الأهالي⁽²¹⁾ والذي يذكر أضرار المعدة والتي يمكننا أن نسميها أمراض الفقر والجوع⁽²²⁾. تأسست الملاحظات حول التطور في المستشفيات وبالأخص في السجن.

هكذا فإن الاستقبال في مستشفيات عاصمة الدائرة كان محدودا بعد أن أظير الطبيب العسكري شعورا يريد به عزل المراكز الأوروبية⁽²⁴⁾ ولكي تتخذ الإجراءات الأخرى التي تكون أكثر نفعاً... وصلت الوفيات إلى 30 طيلة شهر مارس في 1868 وهي أعلى نسبة مما سجل في البلدية أو في مستشفى الداى على سبيل المثال. وعرفت حالات التيفوس حتى في شهر جويلية (5استقبالات).

فيما يخص نسبة الوفيات في السجنين . فإنها تتميز بقيمة عالية جدا في مخيم جبل فحام إختلط المساحين والمتسولون معا بإعداد كبيرة 190 مسجوناً و 104 متسول وهو معدل شهري افريل و ماي حيث أحصينا 61 وفاة مقابل 80 حالة تيفوس. وهذه لم تلاحظ في أي ناحية أخرى كما كان الجوع لوحده سبب نفس النتائج في النواحي الأخرى⁽²⁴⁾ على العكس فلم يلق حتفه من 104 متسول إلا 12 بسبب الأمراض الأخرى عدا تيفوس كما وضع ذلك التقرير.

أما سجن بالقاسم فالنتائج فيه مشابهة. ففي نفس الفترة التي يعادل فيها تعداد السكان 100 شخص تتغير ما بين 30 إلى 180. فالوفيات بسبب

والجوعى . شهادة
التيها وتستحق الذكر

كرمهم الذي ينمو
18 وهم يتفانون في
من الجزائر وحتى من
إلى 12000 شخصا
مداد سكانها لا يتجاوز
قبل وصولهم من
في بلاد القبائل... لم
بل ما كانوا يتحملونه
شيء... الشيء الملفت
الحضور المطول في
خلق أي إخلال بالنظام

لم تتأثر كثيرا بلاد
قبل ذلك العهد)
ببدا السبب فإن نسبة
إننا حافظنا على نسبة
تقريبا . أما جنوب

إدارية لصور الغزلان
م ثرثرة العميد قائد
الشهرين الأولين لسنة

التيفوس تعد ب 103 على 160 حالة. 18 حالة وفاة تعود لأمراض أخرى ونعد في جوان إحصائيات أقل ولكن الأمراض لا زالت تهيمن أما فيما يخص مخيم السجناء الثالث و المسمى "بالانضباطي" فإنه يتميز أيضا بوفيات كثيرة بسبب التيفوس 49 وفاة على 63 حالة أما الأمراض الأخرى فلا تحصد الموت بسببها إلا 61 وفاة من تعداد 204 أشخاص.

نرى هذا التطور الموجود في هذه المخيمات الثلاثة التي تشبه كل مراكز السجن الأخرى كما تبينه الأمثلة الدقيقة الموجودة في التقرير الطبي مثل البليدة وعلى الخصوص وأكثر من ذلك في سجن العراش (أعلاه) فشروط الاعتقال فيه سيئة للغاية وبكثافة كبيرة ...

2 - معطيات الحالة المدنية

أمام مدى الكوارث التي خيمت داخل المؤسسات العمومية، نبقى متشائمين بالنظر إلى الإحصائيات الآتية من هذه المصادر حيث أن الاحتكاك ما بين الطائفتين (الفرنسية والعربية) صعب جدا على مستوى عاصمة الدائرة الإدارية. لكن مهما يكن فإن تحليل الإحصائيات الموجودة تبقى دائما مفيدة، فالتطور يشبه نوعا ما تطور البليدة. يقع الحد الأقصى سنة 1868 مترجما هكذا عواقب عدم توفر القوات لمدة طويلة بحضور شتاء قاس وإنعدام أي نجدة كما يظهر ذلك الاستقبال لـ 1044 شخصا من المتسولين ... بالسجن المذكور أعلاه (جبل فحام). نذكر 470 عقد وفاة طيلة هذه السنة مقابل 218 لسنة 1867 وهو ما يساوي تزايد ب 115%. لا يمكن لهذه القيمة أن تترجم التطور الحقيقي ولو أننا نلاحظ حدين قياسين في شهري فبراير و أبريل، وهو ما يعود إلى فطرة ظاهرة إصابات المعدة على الخصوص. فالتزايد الذي يرجع إلى آخر الصيف وبداية الخريف ذو دلالة كبيرة ويترجم لوحده دوام هذه الأمراض والظواهر المتأخر لداء التيفوس ابتداء من السجن على الخصوص أما الكوليرا فبدأت تخيم في شهر أغسطس⁽²³⁾ وأخيرا بدأ يشد

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

لا يتباه دليل آخر كاد يمر خفية ألا وهو ارتفاع عدد تسجيل عقود مجهولين. فلم نحص إلا 42 عقدا طيلة الفترة المحدودة ما بين 16 مارس و 2 افريل ولو أننا نسجل بعض الآثار حتى شهر جويلية. هذه نتيجة لرفض المعلن للسلطات المحلية وحتى الجهوية أمام نزوح القرويين لعشرفين على الموت مع أن الحالة بقيت في خطورة متزايدة طيلة الصيف وشتاء. حاول الناجون القادمون من الجنوب الاقتراب من أهم مركز طبيطاني للأوروبيين. لقد تراكمت جثثهم عبر الطرق وبعض الأماكن كما وصحت ذلك الصحف في السابق.. (صائفة 1866) يخص جثث الإبل الموجودة على طول الطريق التي تربط الأربعاء بسور الغزلان⁽²⁶⁾.

تمثل الخسائر 19.9% من تعداد السكان وهذا عبر الإقليم المدني الصغير لهذه الناحية. وقد يكون الفارق الحقيقي أهم من ذلك بكثير. إذا أخذنا قيمة تعادل 30% والتي تبقى دائما بعيدة عن الحقيقة. المجموع يصل إذا إلى 31.000 وفاة على الأقل عبر مجموع الدائرة الإدارية.

IV - الوسط وجنوب المقاطعة

لم يستطع تقرير العميد قائد مقاطعة الجزائر حجب الحقيقة أمام كوارث التي عمت هذه المناطق وتسربت منها بعض المعلومات. هكذا بعدما تكلم عن تتابع بعض الأحداث المريرة كما أشار أيضا إلى آثار تنفاضة 1864 وهو يعطي بعض النتائج ويرجعها إلى وباء الكوليرا (هل هو تناقض متعمد؟) وقيم الخسائر في الأرواح بـ 2350 وفاة وأعلن عن وفاة بعض اليتامى والنساء والشيوخ دون تركيز...⁽²⁷⁾

ولكي نقوم بالدراسة سنحلل المعطيات الإحصائية المتعلقة بالمدينة ومعطيات أخرى جزئية تتعلق بوسط وجنوب المقاطعة.

(1) - كثرة الوفيات المسجلة بالمدينة

نظرا لما سبق تظهر لنا بيانات الحالة المدنية ناقصة وصعبة التحليل خاصة حينما لا يمكننا التمييز بين سكان المدينة وسكان أريافها القريبة،

فأما تعود لأمراض أخرى لا زالت تهيمن أما فيما ضبابي فإنه يتميز أيضا بحالة أما الأمراض الأخرى 204 أشخاص.

تات الثلاثة التي تشبه كل قة الموجودة في التقرير من ذلك في سجن الحراش قة كبيرة ...

مؤسسات العمومية، نبقى من هذه المصادر حيث أن (ب) صعب جدا على مستوى فإن تحليل الإحصائيات نوعا ما تطور البلدة. يقع قب عدم توفر القوات لمدة كما يظهر ذلك الاستقبال ور أعلاه (جبل فحام). نذكر سنة 1867 وهو ما يساوي في التطور الحقيقي ولو أننا أفريل. وهو ما يعود إلى . فالترديد الذي يرجع إلى . ويترجم لوحده دوام هذه ابتداء من السجن على أغسطس⁽²⁵⁾ وأخيرا بدأ يشد

الكارثة الديمغرافية

ولمصدر العراقيين حجتان عدم دقة مضمون العقود وعدم الإعلانات الموسعة لعقود الوفيات التي تتعلق بجزء كبير من سكان البلدية. وبالنسبة للريف حاولنا إحصاء سكان القرى الصغيرة الموجودة في الدائرة الإدارية للمدينة والذين يبقون مرتبطين بعمل الأرض لكن داخل تلك القرى الصغيرة توجد نسبة من العاملين الذين لهم ارتباطات مهنية مباشرة بالإشغال المتواجدة بالمدينة هم حرفيون (يشغلون على الجلود والأخشاب...) ونساجات. إذا أخذنا بعين الاعتبار هذا الاندماج الاقتصادي قبل مكان الولادة والإقامة، لا يمكننا فصل هذه الفئة الاجتماعية المهنية عن المدينة، ووصلنا إلى نتائج اللوحات 16-18 من خلال تلك العوامل لكن في هذه الحالة يبقى حساب نسب الوفيات والمفقودين لا يمثل أهمية...

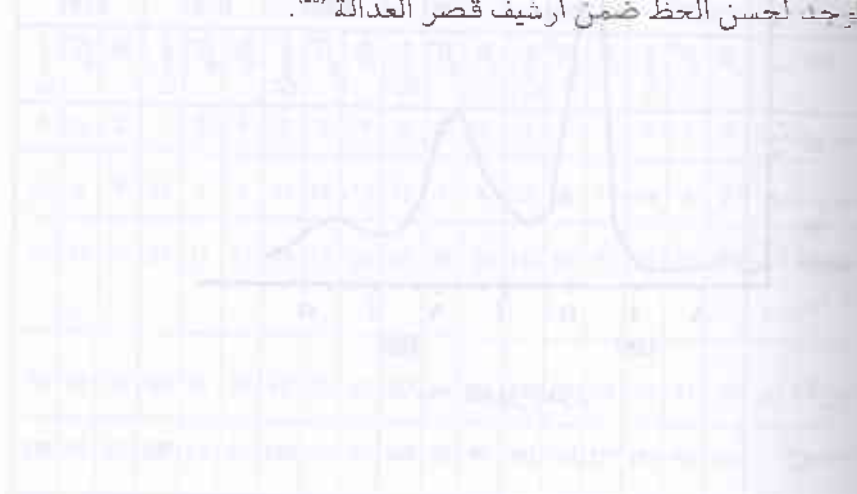
اللوحة 16 - أصل الإعلانات المسجلة في الحالة المدنية بالمدينة.

الأمكنة	1866	1867	1868	1869	1870	1871
المدينة	119	301	169	130	107	130
البادية	18	69	67	24	24	50
من نواحي أخرى	20	67	223	42	21	44
المجموع	157	437	459	196	153	224

المصدر: قصر العدالة بالمدينة.

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

إذا تكلمنا عن المفقودين الحضر سكان المدينة لوحدها، فإنهم يكونون قد ماتوا عن آخرهم وهذا مستحيل، كذلك إذا تطرقنا إلى مجموع خسائر المدينة من سكان البلدية الإدارية (بما فيها القرى المحاذرة) نصل إلى نسبة خسائر اقل من 10% في سنتي 1867-68 (606) من وفاة وهو ما يعادل 9.6% من بينها 5.8% سنة 1867 و3.8% سنة 1868. ولا يمكننا استبقاء قيم كهذه، فالحالة اخطر بكثير في المدينة من البلدية في الحقيقة لأنه في ربيع سنة 1868 هجر سكان القرى المذكورة ببوتهم وذهبوا يموتون تحت الخيام التي أقيمت خارج المدينة في ضيعة الباي الموجودة شمال شرق المدينة. بنسبة تعادل 30% ويبقى التقييم دون الحقيقة. ويبلغ عدد السكان الموجودين في هذه الحالة إلى 2000 شخصا مع أن المدينة كانت كالبلدية يمر بها عدد كبير من البدو القادمين من بعيد ومن اتجاهات مختلفة. فلنوضح إذا التطور حسب كل نوع من الوفيات. هذه أهم فائدة تعطى إيانا إحصائيات الحالة المدنية والتي توجد لحسن الحظ ضمن أرشيف قصر العدالة⁽²⁸⁾.



تغير عدد السكان في الجزائر بين سنة 1868 و 1871

عقود وعدم الإعلانات سكان البلدية. وبالنسبة دائرة في الدائرة الإدارية لكن داخل تلك القرى تباطات مهنية مباشرة يشتغلون على الجلود لا اعتبار هذا الاندماج لكننا فصل هذه الفئة مع اللوحات 16-18 من حساب نسب الوفيات

حالة المدينة

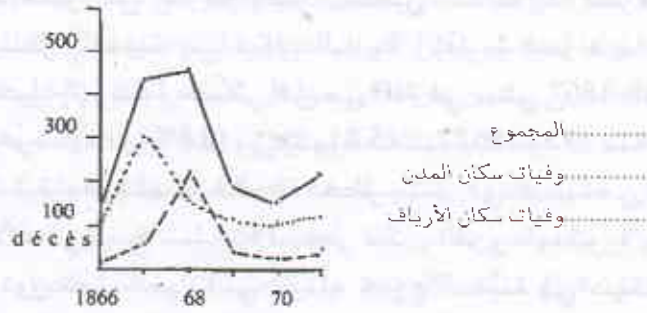
1871	1870	1869
130	107	130
50	24	24
44	21	42
224	153	196

٢٠ - تطور ضخامة الوفيات على

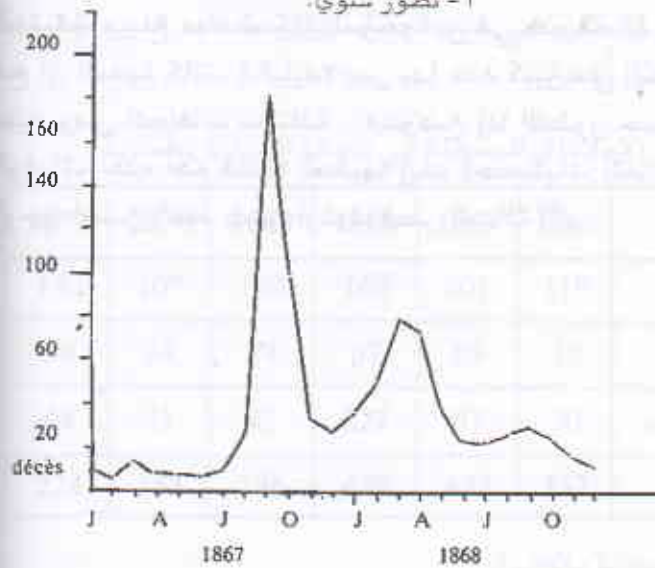
عندما حدث في البلدة، فالحدود الملائمة لسكان المدينة وهو ما كان سابقاً و 69 وفاة لباقي سكان المدينة بالنسبة لسنة 1869. فتراثت المدينة نفسها، فنصيب شهر سنة 1869 (الصفحة 17) ولا يمكننا أن نأخذ في الاعتبار قبل ظهور وبداية قتل الناس الشهري نشاهد إشارات قتل في الأعمار ونقص في وفيات الأطفال.

الصفحة 17 - التوزيع بأعمار المتوفين

	1867			1866		
أولاد	3	2	0	2	9	3
شباب	6	20	8	12	14	6
بنين	29	143	68	75	37	13
بنات	43	136	68	68	59	31
مجموع	81	301	144	157	119	53



أ - تطور سنوي



ب - تطور شهري

صورة رقم 9 : تطور الوفيات المسجلة في المدينة

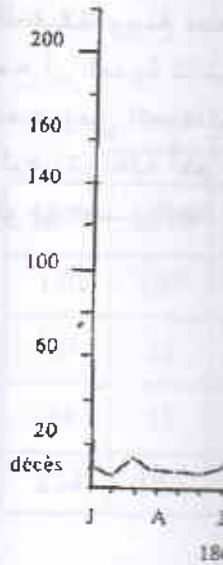
تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

(2) - تطور ضخامة الوفيات عند سكان البلدية

عندما حدث في البلدية، فالحد الأقصى السنوي وصل سنة 1867 إلى 144 وفاة لثلاثين ألفا نسمة وهو ما يساوي أكثر بقليل من الضعف بالنسبة إلى السابق و 69 وفاة لباقي سكان البلدية وهو ما يساوي أكثر من ثلاث مرات بالنسبة لسنة 1869. فتزايد الوفيات المعلنة أكثر بكثير خارج المدينة نفسها. فنصيب شهر سبتمبر ثقيل جدا وهو ما يساوي 78.9% من مجموع الوفيات ولا يمكننا أن نأخذ في الاعتبار هذه الحالة إذا اعتبرنا قلة البيانات قبل ظهور وبداية فتك الكوليرا. بالرغم من قيمة الحد الأقصى الشهري نشاهد إشارات تدل على نقص في تسجيل الوفيات والوفيات ونقص في وفيات الأطفال والإناث على العموم.

الرجحة 17 - التوزيع بأعمار المتوفين الحضر بالمدينة.

1871	1870			1869			1868			1867			1866					
♂	♀	ت	♂	♀	ت	♂	♀	ت	♂	♀	ت	♂	♀	ت	♂	♀	ت	
6	4	2	7	3	4	7	3	4	5	2	3	2	0	2	9	3	6	السنون مينا
15	6	9	12	4	8	27	15	12	15	9	6	20	8	12	14	6	8	من وحدة
35	15	20	28	11	17	33	13	20	60	31	29	143	68	75	37	13	24	من سنة إلى 18 شهر
74	35	39	60	24	36	63	30	33	89	46	43	136	68	68	59	31	26	من 18 شهر
130	60	70	107	42	65	130	61	69	169	88	81	301	144	157	119	53	66	المجموع



في المدينة

الكارثة الديمغرافية

اللوحة 18 - تطور تسجيل الوفيات لسنة 1867.

الأصل	جانفي - أغسطس		سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	سبتمبر - ديسمبر		المجموع
	%	عدد					%	عدد	
المدينة	19,9 %	33	143	97	19	9	268	89 %	301
البوادي	47,8 %	33	24	3	4	5	36	52,1 %	69
من نواحي أخرى	34,3 %	23	14	1	14	15	44	65,6 %	67
المجموع	20,3 %	89	181	101	37	29	348	79,6 %	437

اللوحة 19 - تطور الوفيات المسجلة سنة 1868.

الأصل	جانفي	فبراير	مارس	أفريل	ماي	يون	جويل	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
المدينة	10	5	14	15	10	13	16	18	24	18	13	13	169
البادية	2	12	12	6	10	10	4	3	2	5	1	0	67
من نواحي أخرى	25	34	55	55	20	23	5	8	6	5	5	2	223
المجموع	37	51	81	76	40	26	25	29	32	28	19	15	459

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

أما فيما يخص بيانات سنة 1868 فهي من دون شك ناقصة جدا لان تطور يزداد خطورة في الشتاء ويشمل كل الربيع. انقرضت القرى المحيطة وهذا ما نحاول تأكيده في حين بقي العدد العالي للوفيات المسجلة (67 مقابل 69 سابقا) وبالأخص النزوح نحو مخيم ضيعة الباي مع أن هذه المخيمات كانت مخصصة لاستقبال جزء من حركة البدو القادمين من الجنوب والمتوجهين نحو عاصمة المقاطعة... زيادة على ذلك فإن أحداثا أخرى تبرهن على نقص الإعلانات العامة، وبالخصوص كان المدينة هكذا نلاحظ في هذه الحالة أن مجموع الثمانية أشهر الأولى (اللوحة 18) تعادل 40٪ فقط مع أننا نسجل في شهري سبتمبر وأكتوبر على التوالي 18 و24 عقدا وهو ما يساوي الحد الأقصى لكل السنة فلا تأخذ إذا بعين الاعتبار الحدود الدنيا للأشهر الأولى أمام الحجم الكبير والمتطور للوفيات، أمام الكوارث المعممة، هذا ما يظهر أكثر أو أقل بيان العقود المتعلقة بوفيات الأجانب للبلدية.

تنتج من ذلك أن سكان البلدية قد تأثروا كثيرا ولم يتمكنوا من التخلص من الآثار المباشرة وغير المباشرة للتطور العام الملاحظ في الأرياف القريبة والبعيدة نظرا إلى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي في واقع لا مفر منه.

3- ضخامة الوفيات الخارجية المسجلة في المدينة

بفضل الدراسة الدقيقة للعقود توصلنا إلى تعريف كثرة هذه الوفيات والتي لا نعطي عليها الإجراءات الإدارية إلا فكرة فقط.

تقرب وتيرة تزايدها كثيرا بما شاهدناه في البلدة. حيث تمر الإعلانات من سنة 1866 إلى سنة 1867 من 20 إلى 67 وهو ما يعادل 71٪ وفي سنة 1868 وصل المجموع إلى 223 وهو ما يعادل 232٪ مقابل 272 بالبلدة. لكننا سجلنا 80٪ من جانفي إلى ماي. بسبب النزوح الذي يمر بالمدينة وضواحيها كما سجلنا وفيات البعض من الناجين وكانت تقريبا

المجموع	ديسمبر - ديسمبر	ديسمبر
301	89 %	268
69	52,1 %	36
67	65,6 %	44
437	79,6 %	348

المجموع	ديسمبر	نوفمبر	أكتوبر
169	13	13	18
67	0	1	5
223	2	5	5
459	15	19	28

كل مجموعات الناحية ممثلة ويمكننا أن نضم إلى ذلك مجموعات أقصى الجنوب وصل أهل ريفه والمفاتيحة يهيمنون مع المجموعات القليلة (وزرة والدوير...) بوغار وأولاد عنتر وأولاد شعيب وأولاد المختار وسكان الجلفة والأغواض ومزاب... كلها تلتقي أيضا هنا.

على العكس فإن الملفت للانتباه هو الأصول التي أكدنا عليها في البلدة والقلعة وبالخصوص سكان الشلف وضواحيها ومليانة ومستغانم على الخصوص كما يجب أيضا أن نضيف نسبة ضئيلة من أقصى المقاطعة الوهرانية وعليه فمساحة الجذب كبيرة جدا. لا بد من طرح التسبب بداية من خميس مليانة والتحرك الكبير شرق-غرب، على طول الشلف نحو مدينة الجزائر بغض النظر عن النزوح الكبير للجنوب من الأغواض نحو عاصمة المقاطعة ويتصور أيضا نزوح ثانوي آخر وهو الذي يمر بالهضاب العليا لسرسو من تيارت إلى المدية والذي يجمع مجموعات المنحدر الجنوبي للونشريس مثلما تبرهن على ذلك آثار مجموعات مطامط وبني مايدة وبعض الأشخاص من ثنية الحد.

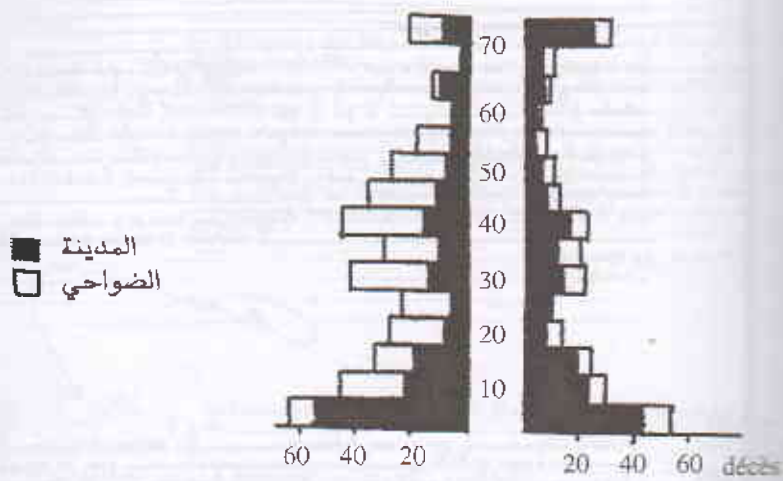
يجب أيضا رسم خارطة المتوقفين بالمدينة وما حولها وإذا كان المستشفى العسكري في المقدمة في المدينة، فأماكن أخرى لها أيضا دلالاتها فمنذ بداية سبتمبر بدأت تظهر الجثث خارج العاصمة السابقة للبايلك ووجدت أيضا جثثا أخرى في الأكواخ وفي بساتين الضاحية وقرب المركز الإسميطاني للوادي وفي المغارات المسماة بمغارات الشيطان وفي عين الذهب بالمخبزة والمخازن... وهذه ماهي إلا آثار خلدتها العقود فكل من وري التراب منهم ولم تسجله الإجراءات الإدارية كانوا بدون شك هم الأغلبية وبالخصوص في بداية شهر ديسمبر مع تزايد نزوح البدو القادمين من كل النواحي.

الصورة 10- هرم الأعداد



الصورة 10- هرم الأعمار للمتوفين المسجلين في المدينة

1867-68



مجموعات أقصى
غات القليلة (وزرة
تار وسكان الجلفة

نا عليها في البلدة
ة ومستغانم على
أقصى المقاطعة
شرح الشعب بداية
طول الشلف نحو
من الأغواط نحو
لذي يمر بالهضاب
مجموعات المنحدر
مجموعات مطامطة

حولها وإذا كان
من أخرى لها أيضا
ع العاصمة السابقة
يساتين الضاحية
المسماة بمغارات
هذه ماهي إلا آثار
الإجراءات الإدارية
شهر ديسمبر مع

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

N° 120.
 Mohamed
 Condoct.
 2 Mars

De l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

En vertu de la loi du 20 mai 1836, relative à l'organisation municipale, et de l'arrêté du Préfet de l'Algérie en date du 25 mai 1836, portant organisation municipale de l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Sur la déclaration à nous faite par le sieur **Abd el Kader**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

et par le sieur **Ben Youssef**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Nous, **Cornet**, Adjoint au Maire de la commune de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

de l'Etat civil.

(Signature)

N° 121.
 Mohamed
 Condoct.
 2 Mars

De l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

En vertu de la loi du 20 mai 1836, relative à l'organisation municipale, et de l'arrêté du Préfet de l'Algérie en date du 25 mai 1836, portant organisation municipale de l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Sur la déclaration à nous faite par le sieur **Abd el Kader**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

et par le sieur **Ben Youssef**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Nous, **Cornet**, Adjoint au Maire de la commune de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

de l'Etat civil.

(Signature)

N° 98.
 Abd el Kader
 Condoct.
 2 Mars

De l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

En vertu de la loi du 20 mai 1836, relative à l'organisation municipale, et de l'arrêté du Préfet de l'Algérie en date du 25 mai 1836, portant organisation municipale de l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Sur la déclaration à nous faite par le sieur **Abd el Kader**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

et par le sieur **Ben Youssef**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Nous, **Cornet**, Adjoint au Maire de la commune de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

de l'Etat civil.

N° 99.
 Fatma
 Beni Rached
 2 Mars

De l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

En vertu de la loi du 20 mai 1836, relative à l'organisation municipale, et de l'arrêté du Préfet de l'Algérie en date du 25 mai 1836, portant organisation municipale de l'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Sur la déclaration à nous faite par le sieur **Abd el Kader**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

et par le sieur **Ben Youssef**, en son domicile à Médéah, d'arrondissement de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

Nous, **Cornet**, Adjoint au Maire de la commune de Médéah, département d'Alger, Algérie, le jour du mois de Mars, l'année mil huit cent quarante et deux.

de l'Etat civil.

رقم 4- الأماكن العادية لوفيات الأشخاص المارين بالمدينة، مثلا القري
 محض من طرف المكتب العربي قرب باب الجزائر (العقود رقم 99 و 120 و
 121)...

البنات ذات الثامنة من العمر (عقد

انطلاقاً من هذا الشهر وبعد تأزم ظروف المعيشة وتهديد الخطر المفاجئ لهذه الجماعة تزايدت كثرة الوفيات حتى كتض المستشفى وصار لزاماً تحضير أمكنة أخرى للاستقبالات الاستعجالية في أول كوخ يسمى المكتب العربي عند باب الجزائر (الملف 4) حيث يتم التعرف على جنث الجنسين من مختلف الأعمار أطفالاً وبنات في بداية 29 مارس وصارت العقود تدل على مكان آخر، خيام ضيقة الباي.

حتى نهاية آخر ماي نسجل 48 عقدا يرجع بعضها لسكان القرى القريبة من المدينة مثلما رأينا .

فمن خلال المعلومات البسيطة المكتوبة على سجلات الوفاة نصل إلى إعادة الخطوط العريضة ولو لم تكن دقيقة، وهو انعكاس للخطورة العامة داخل الوطن وبالقرب من التخوم الصحراوية.

(4) نظرة عامة عبر أطراف البلاد

إذا كانت الإحصائيات غير موجودة نظراً للصمت التام لبوغار والحلقة حتى 1869-70، فالشهادات القليلة التي بحوزتنا تتوافق كلها على تأكيد الخطورة الاستثنائية الموجودة في المناطق الشاسعة لجنوب عاصمة المنطقة الإدارية. ومن ناحية أخرى فإن الوفيات التي تضرب ثكنات بوغار تنعكس حتماً وبصفة إجمالية على السكان الأوروبيين الذين تتكون غالبيتهم من جنود قدامى⁽²⁹⁾.

هكذا، حتى العميد قائد المقاطعة لم يتمكن من ضبط نفسه وبدأ يتكلم عن ظروف استثنائية ساحقة في دائرة بوغار ولكن بالنسبة له فإن الأسباب بعيدة عن "المجاعة".

"تراجعت كل القبائل التي شاركت في الانتفاضة وعادت إلى مواطنها مسلوبة ومتأثرة" ويوضح «لقد ماتت القطعان بنسب كبيرة⁽³⁰⁾» ولكنه يتراجع عندما يذكر 47 وفاة من شدة البرد وقلة الغذاء.

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

تتراجد نفس الحالة بملحقة الجلفة حسب الكاتب أما الصحافة فهي كانت الانتباه إلى التطور في هذه النواحي ولكن بكيفيتها. أول مرة في فبراير فهي تصف كرم احد أغنياء قصر البخاري وفي المرة الثانية بعد تراجع رسالة مبعوثة من ساكن مجهول عن القرية والتي لم تظهر إلا عند اقرب الصيف⁽³¹⁾.

يحلل الكاتب مطولا المأساة التي ألمت بالقرية وضواحيها وذلك بكتابة تاريخ موجز (الملف الملحق رقم 7) الذي يبرهن فيه ويوضح هكذا تحولات السلطة العسكرية، في الوقت الذي مات فيه الجنرال يوسف براس المدبر للأرض المحروقة ضد قبائل الهضاب العليا. رغم الإيضاح بطول الذي خصصه الكاتب لأعمال الرسميين وبعض التفاصيل، فإنه يفتقر بعض الحقائق ويؤكد الحسرة العامة التي انتشرت عبر كل قبائلنا وكوارث التي لم ينج منها حتى القبائل النادرة التي لم تشارك في معاناة 1864 مثل أولاد احمد بن ساعد الذين تأثروا كثيرا.

أما التقرير الطبي فإنه يذكر حالة الوفيات الكثيرة بالجلفة⁽³²⁾ في مارس أبعد مستودع للمتسولين عن المركز وكان كذلك الحال بالمخيم الذي يحل محل محل العبادة بعد التخوف الكبير من التيفوس والأمراض الأخرى الناجمة عن المجاعة والفقر المزمن. وهكذا فقد أجبر السكان على ظروف معيشية من أصعب ما يكون حتى صار بعضهم يقتات من ثمرة العرعر.

في ظروف مثل هذه وبعد هاته التحقيقات فما هي إذا القيم التي يمكن أن تعبر عن ضخامة الوفيات المعتممة؟ فالحسابات المقدمة من طرف راي غولد زيغر حول بعض المجموعات واضحة وتؤكد الكتابة قبل كل شيء وبمقلانية على الكوارث التي أصابت الأطفال، وهي أن أولاد حمزة قد ضيعوا في ظرف ثلاث سنوات 50% من تعداد السكان الصغار في السن وهذه النسبة المئوية النسبية بالتأكيد من خسائر الأرواح شيء غير مفاجئ لا، ناولا في أماكن أخرى. أما نسبة 18% من خسائر الأرواح

بمشة وتهديد الخطر
في كتض المستشفى
عجالية في أول كوخ
يتم التعرف على
في بداية 29 مارس

بعضها لسكان القرية

مالات الوفاة نصل إلى
كاس للخطورة العامة

الانتم لبوغار والجلفة
وافق كلها على تأكيد
سعة لجنوب عاصمة
التي تضرب ثكنات
أوروبيين الذين تتكون

في ضبط نفسه وبدأ
ولكن بالنسبة له فإن

وعادت إلى موطنها
نسب كبيرة⁽³⁰⁾ ولكنه
غذاء.

المتعلقة بثمان قبائل قريبة من مراكز الاستيطان وهي الناحية الثلية المفضلة، فإنها تظهر لنا نقصا كبيرا في التقييم. فالإحصائيات المستعملة... أي ما قام به ضباط المكاتب العربية... فهي تبتعد كل البعد عن الحقيقة. فنسبة 18% أقل بكثير من نسبة المدينة...

فإن نتيجة ذلك هو أن الخسائر عالية جدا ويمكن أن تكون أكثر من خسائر الجنوب الشرقي للمقاطعة. على كل حال فلنحتفظ بنفس النسبة الأ وهي 30% وهي نسبة أدنى من النسبة المقدمة من طرف راي غولد زيغر وهي 40.4% عند أولاد حمزة، 31.12% عند أولاد دايد و 51% عند الدوائر⁽³⁵⁾ وإذا توغلنا في أكثر في الجنوب فإننا نلاحظ أن بعض أعضاء أولاد شعيب ما زالوا في تعداد المفقودين⁽³⁶⁾ ويؤكد كل هذا حصيلة ثقيلة جدا يصعب تقييمها. إذا أحصينا نسبة 30% على الأقل فإننا نصل إلى 36.000 وفاة على تعداد 120.000 ساكن لناحية المدينة لوحدها. حسب العميد وبمبفان.

V - الجزء الغربي للمقاطعة

من الناحية الإدارية فالجزء الغربي للمقاطعة يضم على العموم قطاعات الأصنام و مليانة ويشتمل من الناحية العملية المناطق التالية، الشاطئ من الشنوة إلى غرب تنس والزهرة والشلف والونشريس. ولأغراض إحصائية خاصة سنحلل المجموع بتمييز كل الوحدات الطبيعية المذكورة وهي الشلف ومليانة وأطرافها والشنوة وشرشال وضواحيها وتنس وما قاربها والتي قيم مجموع سكانها سنة 1866 بحوالي 233.000 نسمة والتي مات الجزء الأكبر منها منذ بداية صائفة 1866 على طول الشاطئ خاصة. فكيف يمكننا أن نثبت هذه الخسائر.

1) الشلف ونواحيها القريبة

والأمر يرجع بالخصوص للسهول والجبال المحيطة بها والموجودة بين خميس مليانة في الشرق وواد رهيو في الغرب خصوصا وباقي

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

جبل وادي الشلف (الشلف الأسفل وغليزان) فإنه ينتمي إلى مقاطعة
وهران سواء من الجانب الإداري أو الجانب الاقتصادي على السواء.
تعمت وتسارعت الكوارث عبر هذه الأراضي الحارة في الصيف
والخارسة في الشتاء زيادة على أن هذا الوادي يأوي إليه العديد من
الجانحين والناجين ويمثل هذا النزوح الأكثر أهمية على التراب الوطني
والذي وقع في ظروف مثل هذه الظروف عبر الأزمنة... فالمعطيات
الكثيرة من مصادر مختلفة لا يمكنها أن تعبر على ذلك إلا بنسبة ضئيلة
وبشكل متناقض فمعطيات الحالة المدنية هي الأكثر نقصا كما تظهر
من تلك الملاحظة التالية حيث أن إعلان وفيات المجهولين وصلت إلى 53 في
ديسمبر 1867 بخميس مليانة. كما يشير ياكونو أنه في نفس الفترة عثر
على 109 جثة على حافة الطريق العمومي وبالقرب من المركز. لا بد
من إضفاء قيمة لشهادة كاهن نفس البلدية وهو الملاحظ اليومي لكل ما
يجري حوله.

تجد كل يوم جثتا على حافة الطريق، في الحفر والأودية والتي
قترتها الضباع والذئاب. بالأمس فقط عندما استدعي طبيينا لتشريح
جثة... فإنه عثر على جثة أخرى لأحد الأهالي على بعد خطوات ونصفها
متر من طرف السباع⁽³⁷⁾.

هذه هي الدلالات التي تظهر مرة أخرى نقائص الحالة المدنية
وبالخصوص في هذه الفترة من ديسمبر 1867 التي سجلت خلالها 263
جثة وفاة من بينها 218 مجهولا وهو ما يعادل 78% فمتد شهر جانفي تم
تسجيل حد أقصى لـ 79 حالة وفاة، إن هذا العدد لا يمثل إلا التحرك
الليل للأشخاص البؤساء والذين يمررون بالقرب من المركز للالتحاق
بمدينة الجزائر.

في الواقع وفي الجهة الغربية على بعد 10 كيلومتر فقط وفي مركز
بيدي لخضر ويتعلق الأمر بصفة حصرية بوفاة مجهولين. وهنا نجد أن

هي الناحية التالية
م. فالإحصائيات
في تبعد كل البعد
أن تكون أكثر من
نفس النسبة ألا
رف راى غولد زيغر
751 عند الدوائر⁽³⁴⁾
أعضاء أولاد شعيب
ثقلية جدا يصعب
على 36.000 وفاة على
عميد ويمفان.

ة يضم على العموم
مالية المناطق التالية.
والشلف والونشريس.
تتميز كل الوحدات
ها والشنوة وشرشال
سنة 1866 بحوالي
داية صائفة 1866 على
الخسائر.

محيط بها والموجودة
غرب خصوصا وباقي

نقص الإعلانات هام جداً لأن عقود 1866 و 1867 لا تبدي إلا فارقا ضعيفا إذ نسجل على التوالي 32 و 36 والتزايد ضعيف شيئا ما سنة 1868.

فالمجموع يرتفع إلى 83. يعني أكثر من الضعف بقليل، بينما نجد قيما أقوى في جهات أخرى. فيما يخص أهم مركز في الوادي وهو مركز الأصنام، فإن سجلات الوفاة لا تأتينا بأي جديد يذكر لتقييم الوضع. إذا سجلنا 101 عقد وفاة سنة 1867 مقابل 31 سنة 1866 و 97 سنة 1868 فإننا نشك في هذه المعطيات. ألم يذكر بورزي 2000 جثة قد جمعت داخل الأسوار وعدد غير مضبوط خارج الأسوار وهذا طيلة شهرين فقط⁽³⁸⁾ فالحالة إذا في غاية الخطورة. ألم ينتبه قراء جريدة الأخبار شبه الرسمية إلى تلك الخطورة عندما اطلعوا على بعض المعلومات النادرة لهذه الجريدة عند إصدار إحدى المراسلات الخاصة؟ لقد أدرج قبل الأوان يوم 10 نوفمبر 1867 مقال موجه من طرف مشارك من نفس المكان:

"لقد التجأ اليوم بالأصنام كل من نجا من الكوليرا والذين يموتون جوعا وهم يتكاثرون رغم وجود الصدقة التي لم تستطع تخفيف ألم هذه المجموعة الكثيرة من الشيوخ والنساء والأطفال التي كانت أجسادهم نحيفة وتظهر كأنها ميتة.

فالمراسلة وجيزة ومختصرة وقصيرة. هدفها الرئيسي هو شيء آخر. الإشارات إلى الكوارث (المخطط الملحق رقم 7) لها دلالة رغم أنها محتشمة. والمراسلة تشير إلى ملاحظة عدة وفيات في اليوم تقع بعد الإنهاك.

يجب ذكر ملاحىء العطاف في هذا السياق (تبعء العطاف بـ 30 كلم شرق الأصنام) وذكر المخيمات المشهورة للتسول بوادي سلي (والذي يبعد بعشرة كلم على المخيم القديم للماريشال (الأصنام)). وفي المجال، فإن ملاحظات الطبيب المعالج صريحة: "إنه المشهد الأكثر بؤسا" كما يقول وهو يذكر "كل تلك الآلام وذلك الفقر وذلك البؤس المقدم من طرف

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

الملاحي الأخرى⁽⁴⁰⁾ وهو ما أدى بمسؤولي الصحة إلى المطالبة بتفكيك تلك المخيم أمام كل تلك المخاطر. وفيما يخص المعنيين، يعني المحتجزين، فالنتيجة هي نفسها. وبالفعل فإن التفرقة في رأي بعض الأطباء هي الموت بالنسبة للمطروودين. فلو أبقى المعسكر فإن الخسائر كانت تتزايد. فمنذ بداية 1866 وصل العدد إلى 300 وفاة من بين 12 إلى 1300 في صفوف الحاضرين المتواجدين به وذلك دون أي مزايدة... فتسعة أعشار من الذين يبقون سيكون لهم نفس المصير⁽⁴¹⁾. ومع هذا فإن أسباب الأساسية للانقراض ترجع إلى الحمى المتقاطعة أو الإسهال والجوع... ولم يظهر التيفوس إلا عند بعض المرضى فقط.

أما الوفيات المسجلة في مستشفى المركز فهي لا تعطي أي نتائج ذات قيمة وتبقى دون شك عينة غير ممثلة. كما كانت الشهادات ناقصة في أقصى الغرب ما عدا بعض الإحصائيات المشار إليها من طرف بورزي والمتعلقة بالوفيات بوادي رهيو. يذكر بورزي انه طيلة فترة وباء الكوليرا كما سجل 30 وفاة في اليوم الواحد وفي غليزان كانت القيم أكبر بكثير كما جرى.

أما فيما يخص السفوح الجنوبية للجبل فإن الخسائر كانت عالية جدا. والآثار العديدة الموجودة في سجلات البلدة تعطينا إشارات صادقة كما نرجح هذه الآثار أيضا بالمدينة ومدينة الجزائر. وأما أسماء سنجاس وعطاف وبنو بودوان والأصنام وجبل دوي وبنو راشد المذكورة في العديد من المرات لقد انقرض بنوا راشد تقريبا عن آخرهم فلم يبق من تعداد 4173 إلا 763 بعد كوارث 1867-68 وهو ما يعادل 817% من خسائر... حتى في حالات النقص في التقييم للعدد الأول فنسبة ضحايا عالية جدا وترجع لأثار عديدة مستديمة طيلة سنوات كما تبين تلك المراسلات العادية للمشاهد المنتبه والموضوعي مسكراي⁽⁴³⁾.

لا تبدي إلا فارقا ضعيفا
ثامنا سنة 1868.

بعض بقليل. بينما نجد
في الوادي وهو مركز
يذكر لتقييم الوضع. إذا
1867 و97 سنة 1868 فإننا
جثة قد جمعت داخل
طيلة شهرين فقط⁽³⁸⁾
بيدة الأخبار شبه الرسمية
المعلومات النادرة لهذه
قد أدرج قبل الأوان يوم
من نفس المكان:

الكوليرا والذين يموتون
تستطع تخفيف ألم هذه
التي كانت أجسادهم

الرئيسي هو شيء آخر.
(7) لها دلالة رغم أنها
قياس في اليوم تقع بعد

بعد عطاف بـ30 كلم شرق
وادي سلي (والذي يبعد
صنام). وفي المجال، فإن
الأكثر بؤسا كما يقول
النؤس المقدم من طرف

لقد أصيبت سهول الشلف بقوة وكانت النتائج ثقيلة جدا والقيم تشير إلى نقص ثلث تعداد السكان لكن المؤلف بقي متحفظا نظرا إلى غياب أي إحصاء لسنة 1868. في الواقع إن عملية من هذا النوع وفي هذه السنة تبقى مستحيلة، فالنسبة المذكورة تظل ذات دلالة وحتميا تقريبية لأن أقصى الحدود تتأرجح ما بين 20% و 80%...

(2) الونشريس

إن المفارقات الجهوية تبقى كبيرة جدا عبر الونشريس فهي الناحية الغربية التي تأثرت أكثر وهي تشترك مع أرياف الشلف كما سنرى أما ناحية ثنية الحد فإنه يصعب علينا تقييمها نظرا لنقص المعطيات فسجلات الحالة المدنية لسنتي 1867-68 غير موجودة ولم نسجل إلا وفاتين سنة 1871... التقرير الطبي محجم ولا يشير إلا لثلاث حالات غامضة. عدم استقبال أي داخل للمستشفى منذ بداية شهر فبراير مع تحضير ملحقة خارج القلعة ووجود مخيم مسمى بمخيم المساكين قرب غابة الأرز حتى شهر ماي يستوعب 190 نزيلة في ظروف حسنة. وفيات ناجمة عن الجوع في شهر فبراير (بالمستشفى؟) وبيين أيضا أن لم تعالج أية حالة تيفوس في المستشفى⁽⁴⁴⁾. عدا هذه المعلومات وجدنا بعض الآثار لوفيات بالبليدة والمدينة لأشخاص أصلهم من ثنية الحد ونواحيها⁽⁴⁵⁾

فيما يخص الجزء الأوسط وهو ما يعني النواحي الموجودة بين وادي رهيو غربا وأولاد زدين شرقا فهي صعبة لعدم وجود المراجع لتقييم الوضع. في الحقيقة فإن وجود عدد من العقود في المدينتين المذكورتين والمتعلقة بالقبائل المعنية ضعيفة جدا بالنسبة لعقود ثنية الحد. هل يرجع ذلك إلى أن عزلة تلك الناحية جعلتها لم تتأثر بالوباء؟

أما الملاحظة العامة المقدمة من طرف راي غولد زيغر :

"يتدفق الونشريس في وادي الشلف"⁽⁴⁶⁾

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

لا يقبل ذلك في الحقيقة إلا نحو الغرب، غيلزان والمحمدية وحتى
وهران ومستغانم كما سنوضح ذلك فأولاد بوعلي الذين تذكرهم المؤلفة
روي تولد زيغر) وتذكر الخسائر التي حلت بهم فهم يتواجدون غرب
جزائر على المنحدر الشرقي لجبال بني شقران.

على العموم واستثناءا للناحية المحددة بوادي مينا ووادي رهيو
الجبال لم تتأثر كثيرا من الكوارث. إن دراستنا السابقة حول الإعمار
وتقسيم السكان في حدود 1870⁽⁴⁷⁾، برهنت على إعمار مكثف في الجبال
عكس المنحدرات ووادي الشلف. فتلك المناطق تأثرت أكثر من الجبال.

3) مليانة وأطراف مواطنها

فالمجموع المكون من المدينة وأريافها القريبة وكل الحوض الذي
صب في وادي جر والزبوج ويمتد إلى غاية متيجة الغربية قد تأثر كثيرا
بالكوارث المعممة، وكل شهادات الملاحظين المباشرين تبين ذلك بعكس
المعطيات الإحصائية التي لا تشير إلى ذلك إلا جزئيا على العموم.

أ) منحدر وادي الزبوج ووادي جر

التكرار الموجود في سجلات المدة التي درسناها لأسماء المجموعات
التي تسكن هذه الوحدة تظهر ذلك جليا. فأسماء السومطرة على
الخصوص هي المذكورة أكثر، أما الإحصاء الذي يعطيه بورزي والمتعلق
بحد وفيات الأجانب المسجل في مليانة وبالغرباء عن هذه المدينة كبير
حدا. فهو يفوق 1207 طيلة الفترة ما بين أكتوبر 1867 إلى 11 أبريل
1868 (48) مع أن الحالة المدنية لا تحتوي فيما يخص هذه الطائفة طيلة
كل الفترة ما بين السنتين 1867-68 إلا على 553 وفاة فقط (اللوحة 19).
فلا شك أن من بين هذا المجموع لم توجد إلا نسبة تمثل المنحدر. ولكن
الظهور المسجلة بو مدفع أيضا عالية جدا وتتعلق مباشرة بهذا الجزء
الكبير. إضافة إلى ذلك فلم يعتمد بورزي إلا على إعلانات الدفن الرسمية
وحتى الفارق بين حالة الدفن هذه وحالات الدفن الحقيقية فارق كبير
حدا...

جدا والتقييم تشير
نظرا إلى غياب أي
وفي هذه السنة
تقريبية لأن

يس. فهي الناحية
فكما سترى. أما
لنقص المعطيات.

ة ولم نسجل إلا
إلا ثلاث حالات
شهر فبراير مع
تيم المساكين قرب

ظروف حسنة. و8
؟) وبيّن أيضا أنه
المعلومات وجدنا
لهم من ثنية الحد

الموجودة بين وادي
ود المراجع لتقييم
ود في المدينتين
بالنسبة لعقود ثنية
يا لم تتأثر بالوباء؟

زيغر
...

مهما يكن فالوفيات عالية جدا على المنحدرين منذ بداية الخريف كما تذكر بإيجاز الصحافة شبه الرسمية بعد ظهور الكوليرا⁽⁴⁹⁾. كما كان راهب بومدفع يسمح للتاجين حصد أعشاب بستانه ويذكر أشياء أخرى لا يمكن قبولها بعد ذلك بمرور الوقت...⁽⁵⁰⁾

تظهر هذه المعطيات بعضا من حالات الخطورة الكبيرة وبالأحرى حينما يتعلق هذا الأمر بالوادي المستعمل الذي يشهد أكبر نزوح للقرويين القادمين من الغرب.

ب) مليانة

لقد شغلت حالة مليانة الرسميين خصوصا وعلى رأسهم السلك الطبي بمجمله. ألم يتكلموا على "المرض في مليانة"؟ لذكر هذه الإصابات التي يصعب تشخيصها وتسميتها بمسمى واحد. المستشفى الكبير للمدينة وعيادته التي أقيمت بعيدا عن المدينة وشوارع المدينة المكتظة باليتامي والأشخاص من مختلف الأعمار الباحثين على قطعة خبز... كل هذا يعطي فكرة على الحالة العامة. ولهذا نتردد في هل نطيل النظر في إحصائيات اللوحة 20. ولاسيما وان الملاحظة السابقة أعطتنا إشارة جديدة حول نقص إعلانات الوفاة مع أننا نلاحظ أن نسبة الوفيات بلغت 24.6% بالنسبة للمدينة و 27.5% بالنسبة للبدويين وهي إذا نسب أعلى من نسب البلدة والمدية والقلية وهذه النسب ذات دلالات خاصة، وفي مثل هذه الظروف تكون إعادة تقييم النسب أعلى من التي ذكرت. علينا أن نقبل بضياح ثلث تعداد سكان المدينة وقرابة نصف البدويين. صف إلى ذلك عكس ما لاحظناه في هذه المدن. حيث سجلت سنة 1868 حدا أقصى وتزايدا خطيرا ليمر مجموع العقود من 70 سنة 1867 إلى 89 سنة 1868 والأمر كذلك بالنسبة للبادية ففي سنة 1867 سجلنا حدا أقصى طيلة هذه الفترة ب 354 وفاة مقابل 60 وفاة في السنة التي سبقت وهو ما يعادل تزايدا ب 490% ووجد وباء الكوليرا أرضية أكثر ملاءمة من النواحي الأخرى واستفحل فيها مدة أسابيع طويلة من شهري سبتمبر وأكتوبر (مع حدين مرتفعين جدا) وذلك ما يظهر من تطور الإعلانات في 1866 و1867 (432).

شوحه 20 - تطور تسجيل

تأصل	1865	1866
مدينة	32	30
بادية	122	60
مجهولون	9	5
حدود		1
لمجموع	153	96

صدر : بروننت المذكور

فخلال الستين المتتالية وحتى في سنة 1869 بقيت سجلت فيما يخص الوباء اليومية تصل من 6 ووفيات في ما يخص الأيام مدينة لها دلالاتها وبعض عجيولة يعبر جيدا عما وفيات قليلة حتى سنة 1866 وهو تزايد عسوع أكبر من مجموع نزوح الكبير للقرويين قصصا لنزوحات أخرى ثانوية التي الذي فر منه حتى أن يمتحسين إلى المدن حيث جمع عدد كبير من اليتامى

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

الوحدة 20 - تطور تسجيل الوفيات في مليانة

الأصل	1865	1866	1867	1868	1869	1870	1871
المدينة	32	30	70	89	30	22	48
الريف	122	60	354	258	95	81	124
مجهولون	9	5	83	470	21	16	6
جنود		1	4	24	4	4	
المجموع	153	96	511	841	150	123	178

المصدر : بروننت المذكور من طرف راي غولد زيغر .

فخلال السنتين المتتاليتين كانت الكوارث عالية جدا بصفة خاصة وحتى في سنة 1869 بقيت إعلانات الوفيات في البوادي أعلى من تلك التي سجلت فيما يخص المدن . وفي ملاحى المتسولين بمليانة كانت الوفاة اليومية تصل من 6 و 8 و 10 و 12 وحتى 19 وفي فبراير 1868 سجلنا 195 وفاة فيما يخص الأيام 19 الأولى من هذا الشهر⁽⁵¹⁾ فشهادات راهب المدينة لها دلالتها وبعض التصريحات تفوق الخيال⁽⁵²⁾ ومنحى الوفيات المجهولة يعبر جيدا عما جرى مع انه يتعدد كثيرا عن الواقع . كانت الوفيات قليلة حتى سنة 1866 ثم تزايدت فجأة إلى 83 سنة 1866 ثم إلى 470 سنة 1868 وهو تزايد بنسبة 466% خلال بعض الأشهر فقط . وهذا المجموع اكبر من مجموع البليدة (365) علما بأن مليانة لم تصب مباشرة بالتزوح الكبير للقرويين المارين بوادي الشلف .. وهذه المدينة ليست قطاعا لتزوحات أخرى ثانوية . وفضل جذبها حتما محدودا بسبب طابعها الجبلي الذي فر منه حتى أهالي البوادي القريبة والبعيدة تاركين أراضيهم ومتجهين إلى المدن حيث نجد آثارهم في عقود الوفاة وبإعداد كبيرة . فجميع عدد كبير من اليتامى بالأبيار وبن عكنون وكانوا أعدادا كبيرة

بداية الخريف كما
كما كان راهب
أشياء أخرى لا يمكن

الكبيرة وبالأحرى
يشهد اكبر نزوح

رأسهم السلك الطبي
هذه الإصابات التي

تلقى الكبير للمدينة
المكتظة باليتامى

ممة خبز .. كل هذا
طويل النظر في

سابقة أعطتنا إنارة
نسبة الوفيات بلغت

إذا نسب أعلى من
خاصة . وفي مثل

ذكرت . علينا أن نقبل
ويين . ضف إلى ذلك

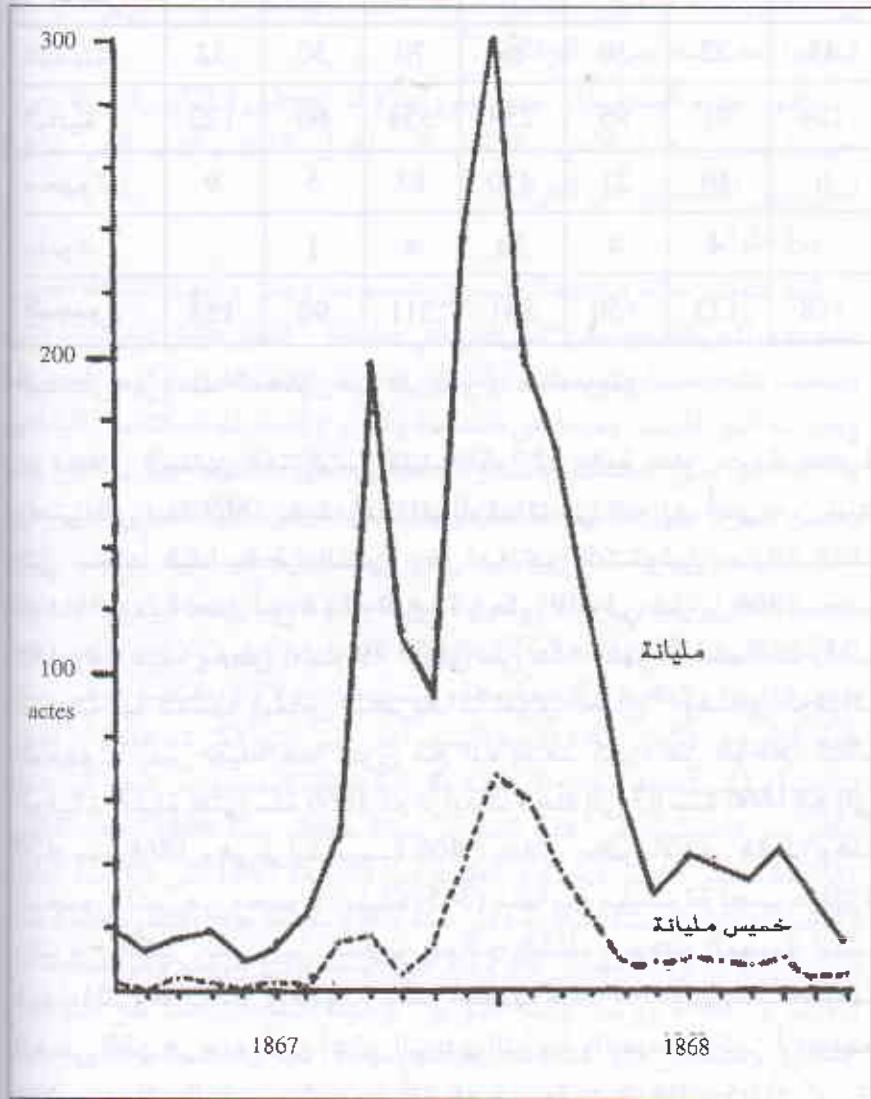
1868 حدا أقصى
18 إلى 89 سنة 1868

حدا أقصى طيلة هذه
سبقت وهو ما يعادل

ملازمة من النواحي
سبتمبر وأكتوبر (مع

الإعلانات في 1866

(أسفله) وكل هذا يترجم إذا بتناقص كبير للسكان وحتما يصعب هنا الإحصاء.



الصورة 11- الوفيات المسجلة في مليانة وخميس مليانة

تتطرق إلى كل هذا جزئياً
في تقرير ويمبفان. ونشاهد
تجدياً وهذا أيضاً مع بعض
البيانات.

معظم الحصيلة يرجع إلى
سنة ذلك (اللوحة 19) يعني
شريحة: أكتوبر ونوفمبر وديسمبر
بـ 1177 بالنسبة للمعدلات
يذكر المؤلف أن يذكر هذا
ملاحظة أخرى أكثر دلالة.

مهما كان فإن الأحداث
... (53)

هكذا فإن وادي الشلف ومين
حاصر عليا والأمر كذلك بالنسبة
محاوره من الجهة الغربية.

4 - الشاطئ الغربي

من الشنوة حتى غرب التنس
تتضمن حيث بدأت أول الكور
تبرز ذلك المعطيات المتعددة
بموس وتنس على الخصوص
الشنوة

تأثر كثيرا هذا الجبل
الوفيات التي سجلها
الذي يمكننا إبرازه
تتمت بثلاثة مرات عقود

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

ستتطرق إلى كل هذا جزئيا عبر التقرير الرسمي المذكور عدة مرات وهو تقرير ويمبفان. ونشاهد فيما يتعلق بقطاع مليانة أن الحصيلة قليلة جدا وهذا أيضا مع بعض التفاصيل وبعض التنويه الذي يصعب تصديقه.

إن معظم الحصيلة يرجع إلى... الكوليرا مع أن الحالة المدنية تظهر عكس ذلك (اللوحة 19) يعني 8823 ضحية بينما نجد أن وفيات الأشهر أربعة: أكتوبر ونوفمبر وديسمبر من سنة 1867 ويناير 1868 يسجل ترايدا بـ 1177 بالنسبة للمعدلات العادية. في ظروف مثل هذه الظروف كان يجدر بالمؤلف أن يذكر هذا الرقم ولا يكتفي بالخلاصة بل ينتقل إلى ملاحظة أخرى أكثر دلالة.

ومهما كان فإن الأحداث الملاحظة خطيرة للغاية وتستحق طلبات اللجنة...⁽⁵³⁾

هكذا فإن وادي الشلف ومليانة وكل أطراف مواطنها سجلت نسبة خسائر عليا والأمر كذلك بالنسبة لكل شواطئ هذه الناحية والناحية المجاورة من الجهة الغربية.

4 - الشاطئ الغربي

من الشنوة حتى غرب التنس فالشاطئ هو الأكثر إصابة من مجموع المقاطعة حيث بدأت أول الكوارث تظهر منذ صائفة 1867 وبعنف كبير كما تبرز ذلك المعطيات المتعلقة بجبل الشاطئ الصغير وشرشال ومخيم واد الداموس وتنس على الخصوص.

أ) الشنوة

لقد تأثر كثيرا هذا الجبل الصغير رغم عزلة النسبية وهكذا فإن إعلانات الوفيات التي سجلها بصفة استثنائية القايد⁽⁵⁴⁾ لها دلالتها رغم القصر الذي يمكننا إبرازه هنا كذلك. من سنة 1866 إلى سنة 1867 تضاعفت بثلاثة مرات عقود الوفيات مرورا بالتوالي من 120 إلى 385

حتمًا يصعب هنا



مليانة

(ب) - شرشال

إذا كانت سجلات الوفيات للمدينة غير موجودة وضياعها يرجع إلى وقت قديم سابق⁽⁵⁶⁾ فإن ثلاث ملاحظات تسمح لنا بدراسة دقيقة نوعا ما كما تسمح بتطور وفاة الأوروبيين المذكورة سابقا وتحويل مسجد المدينة إلى عيادة بصفة نهائية (الصورة أعلاه) وأخيرا الملاحظات الطبية الدقيقة.



لقد أصابت الكوليرا سنة 1867 شرشال ونواحيها وحصدت أهلها وفي تأثيرها الخطير متفشيا عندما ظهر في دائرتها مرض الجدري بحالات الخطيرة والمتشابهة للكوليرا والتي قتلت مثلما قتلت الكوليرا مع أن مرض الجدري لم يطل الأوروبيين ولكن ضحاياه كانوا بعض أهالي الجنوب الذين تم تلقيح بعضهم وكانوا محتكين ببني جلدتهم.

كان سكان شرشال، المدنيين والعسكريين تحت وقع التخوفات الناجمة عن هذه الأوبئة حتى ظهرت حسب السيد ديلاسوس وبسطها أمامهم بصناعات يطاردها البؤس الشنيع.

أعلى بكثير، ففي
طيلة هذه السنة
لجبال لهم علاقات
سادي ... رغم ضياع
ن معهم أيضا في
مع بني موسى⁽⁵⁷⁾
برية شرشال وهي
بنيهم وباء الكوليرا.

1866
Cherchall
1867
1868
1869
1870
1871
1872
1873
1874
1875
1876
1877
1878
1879
1880
1881
1882
1883
1884
1885
1886
1887
1888
1889
1890
1891
1892
1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1900

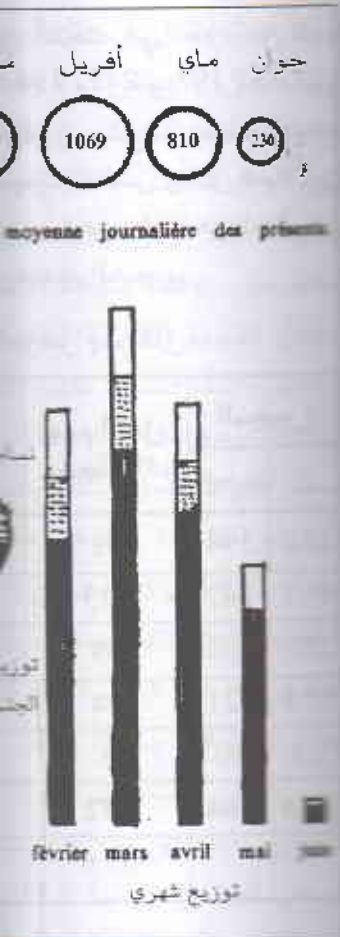
1866
Cherchall
1867
1868
1869
1870
1871
1872
1873
1874
1875
1876
1877
1878
1879
1880
1881
1882
1883
1884
1885
1886
1887
1888
1889
1890
1891
1892
1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1900

الكارثة الديمغرافية

كل هذا يترجم إذا التطور الصعب مع الخسائر الثقيلة جدا في الأرواح والمبكرة والطائفة والمتأخرة أيضا، حيث أعلنت تأثيراتها في القرار الطبي حتى شهري جوان وجويلية كما أن أحد مخيمات المتسولين له يفرغ منه الفقر المريع إلا في 11 جوان 1868. أضف إلى ذلك الأمراض العديدة والمعقدة وزاد من خطورتها ظهور التيفوس في بداية شهر مارس...

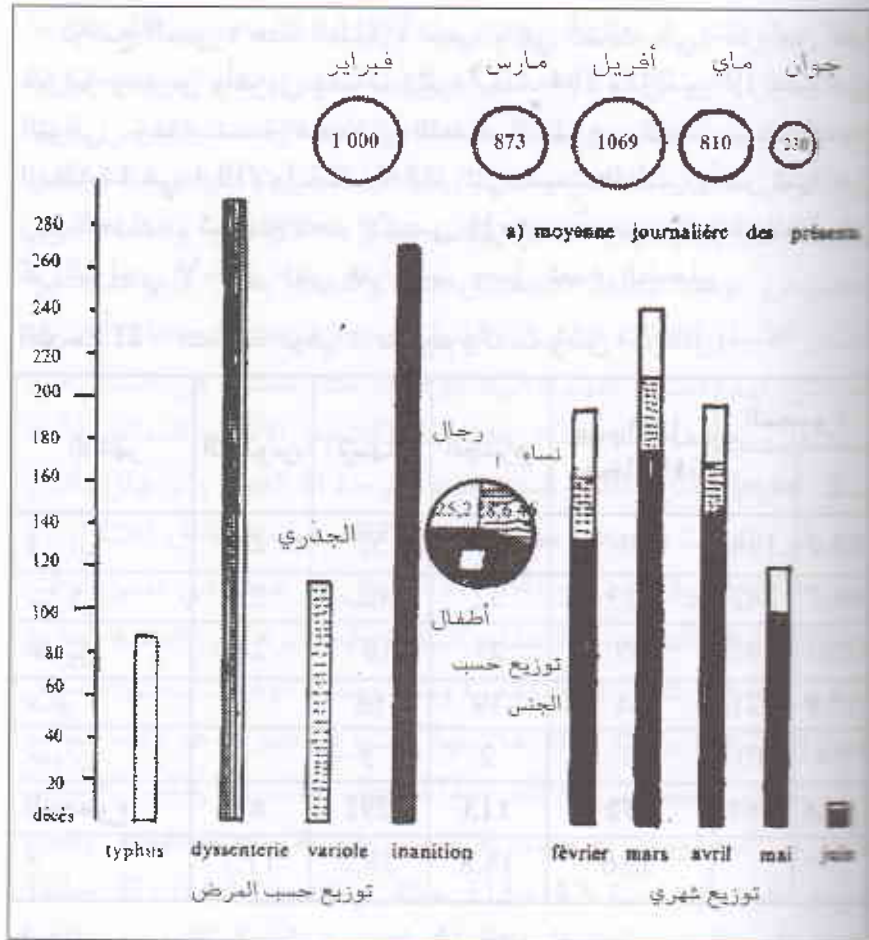
ج) كثرة الوفيات في مخيم وادي الداموس

التحويل المتتالي لمستودع المتسولين من أبواب المدينة إلى وادي الداموس... حيث أقيم من 21 فبراير إلى 23 ماي، ثم تم التحويل بصفة نهائية إلى سيدي إبراهيم الخواس (من 24 ماي إلى 11 جوان) بهدف عزل القيصرية القديمة، هذا التنقل له دلالاته حيث أننا حصلنا على الإحصائيات الأكثر دقة، المتعلقة بالتطور والمصدر الحقيقي لكثرة الوفيات (اللوحة 21)



تصورة 12- ضخامة الوفيات
التسول من

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر



الصورة 12- ضخامة الوفيات في وادي الداموس (شرشال) (مستودع التسول من فبراير إلى جوان 1868)

الكارثة الديمغرافية

توضح الصورة هذه الظاهرة جليا والتي أنتجت في كل من شهر فبراير ومارس وأفريل وفيات كثيرة بعدد 194 و242 و 197 وفاة على التوالي. وهذه نسبة معدلات التعداد الشهري وكانت نسب الضياع المطابقة هي 19.4% و27.7% و18.4% التي ضيعت الخمس وأكثر قليلا من ربع التعداد... كما بلغ الحد الأقصى في شهر مارس مثلما هو الحال في كل النواحي الأخرى. ففي هذا الشهر وصل تعداد الضحايا...

اللوحة 21 - ضخامة الوفيات بمخيم واد داموص (شرشال).

الأشهر	التيفوس	الإسهال	الجدري	مدم الأكل ومخاضات	المجموع	
					العدد	%
فبراير	28	52	33	81	194	25,4
مارس	35	62	32	113	242	31,7
أفريل	24	107	27	39	197	25,7
ماي		68	19	34	121	15,8
جوان		3	2	5	10	1,4
المجموع	87	292	113	272	764	122,6
%	11,3	38,2	14,8	35,6		

المصدر : بروننت المذكور من طرف راي فولد زيغر.

إلى 242 وهو ما يعادل 31.7% من الخسائر الكلية للأرواح في المخيم ولم تتحسن الوضعية إلا في نهاية الربيع... يصعب معرفة الأوضاع خارج المخيم حيث انه بقي مقصودا ولم يتغير تعداد الأشخاص الموجودين في شهر ماي بل أننا نجد 810 شخصا في مارس و873 في ماي مقابل 1069 في أفريل و1000 في فبراير والمتعلق بجنس ومراحل العمر وهذا نلاحظ أن وفيات الأطفال تمثل اقل من نصف العدد المسجل وهو 352

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

فعلا حيث يمثل الرجال الربع تقريبا (193) أما النساء فهن أكثر تعدادا من الرجال إذ يبلغن 219 وهذا الرقم لا يمكننا من إعداد النسب، مقارنة مع الأشخاص الحاضرين. لكننا نلاحظ أن هذه الإحصائيات تبرز جليا كثرة الوفيات عند الأطفال والنساء وهم الأشخاص الأكثر عرضة والأقل مقاومة فيزيولوجيا. نذكر أيضا وجود الأطفال والنساء على الخصوص. وهذه نتيجة الانفصال التام والمعمم بأخر الروابط نظرا هيبار القبيلة والعائلة الشامل والعنيف لعدد كبير من مجتمعات أطراف الوطن. لهذا السبب نفهم غالبية الوفيات عند الذكور في المدن التي نعيشها. ومع هذه الملاحظات يجدر بنا الكلام عن الأسباب المذكورة أنفا حسب أهميتها ولعل ذلك توضحه جيدا اللوحة 21 الجوع والإسهال يأتيان على رأس القائمة ويصلان معا إلى نسبة 73% وهو ما يعادل ثلاثة أرباع الوفيات (546) و وفاة مقابل (764). فالإسهال اثر وعلته في نفس الوقت ناتجة عن استهلاك بعض الأعشاب السامة والخطيرة على الجسم كما أن سوء برجع إلى شرب المياه القذرة وكانت نسبة الوفيات بسبب الإسهال تصل إلى 38.2% ب 292 حالة. فالإسهال متبوع بالجوع وهو الداء المعمم حيث تصل نسبته إلى 35.6% ب 272 حالة ومنه إن هذين السببين الأخيرين المذكورين لم يسببا إلا خسائر في الأرواح محدودة. وتعود لمرض الجدري بنسبة 14.8% (113 حالة) والتيفوس 11.3% (87 حالة). عندما كان الأمر في كل المراكز الأخرى، يبقى جزء التيفوس ناقصا دائما. هذه الخلاصة العامة التي يجب ذكرها.

في الأخير فإن مخيم وادي الداموس يوفر لنا معطيات إحصائية بالغة الأهمية وأكثر من ذلك ممثلة جدا. فهي توضح كثرة الوفيات عند الأطفال والنساء مع النسب الدقيقة لكل حالة وفاة. كما تسمح لنا أيضا هذه المعطيات بتوقع الخطورة العامة على كل الشاطئ وأطراف الجزائر مدة هذه الأشهر الطويلة، وحالة تنس تظهر ذلك جليا.

في كل من شهر 24 و 197 وفاة على كانت نسب الضياع نسب وأكثر قليلا من مثلما هو الحال في ضحايا... (فرشال).

المجموع	الأكل	
	العدد	نسب
194	25,4	8
242	31,7	11
197	25,7	3
121	15,8	3
10	1,4	5
764	122,6	27
		35

بالأرواح في المخيم معرفة الأوضاع خارج الأشخاص الموجودين في 873 في ماي مقابل ومرآحل العمر وهنا عدد المسجل وهو 352

(5) كثرة الوفيات القصوى في تنس وضواحيها

مثلما تظهره الكثير من الأحداث بين كل النواحي الشاطئية، فتنس هي التي تضررت أكثر وفي هذا الشأن تكثر المعطيات المرقمة التي يصعب قبولها من طرف الملاحظ العادي لأنها عالية جدا بالخصوص عندما نعرف عكس ما كنا نرده. فنقص التقييم الفادح للإحصائيات الرسمية بالنسبة للحالة المدنية. استثنائيا في تنس حيث نجد أن الإحصاء يستنتج من أرشيف الحالة المدنية. هكذا فإن ملفات فإنسان⁽⁵⁸⁾ تشير إلى المدة التي تمتد فقط من 15 أغسطس 1867 إلى جوان 1868 وتسجل فيها 2315 ضحية على تعداد 6004 نسمة (الموطن المدني لمدينة تنس) وهذا ما يعادل 38.35% مع أن سجل الحالة المدنية لا ينص إلا على 60% فقط من الخسائر. وعليه فهذا الفارق شاسع جدا.

وحيث أننا حصلنا على مواد أخرى للتقييم، الذي يجب علينا نقد أرقامه الرسمية بدورنا لأن التقرير الطبي العام⁽⁵⁹⁾ يذكر حالة وفاة من بين أربعة في نفس الناحية وهو ما يعادل 1500. وهذا الرقم مذكور أيضا في مصدر آخر⁽⁶⁰⁾ ولكنه لا يختص إلا بشهر واحد ... للمدة التي تتعلق بالوباء في سجل الوفيات تبين ذلك جليا. فمن 19 إلى 25 سبتمبر نسجل 175 عقدا. يسبق ذلك حد أقصى يومي بـ 51 وفاة يوم 18 سبتمبر كما يتبع أيضا بحد أقصى آخر بعد ذلك بـ 42 وفاة يوم 26 سبتمبر. والأمر يخص هذا الشهر بالضبط وهذه الأيام بالخصوص إذ لا يمكننا أن نتوقع هذه الوفيات خارج الموطن المدني لأن الترحيل والعودة إلى الموطن وافق سنة 1868 فترة الهجرة⁽⁶¹⁾، وهذا الإمداد عاد بكوارث معممة تد التاريخ بها في التقاليد المعاصرة وبالأحرى في كتابات راهب المرسي وراهب المركز المجاور سيدي عكاشة والعقود المخطوطة باليد لها دلالتها إذا تمعنا فيها مليا.

يقول الراهب الموقر مونتونوت وهو أكبر رجال الدين في الجزائر "حالي في أسوأ ما يكون. إني أعيش وسط العرب. ففي كل يوم ياتون

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

ويعتبر باب البيت بتعداد الخمسة عشرة إلى عشرين. أعطي لكل واحد منهم قطعة خبز حتى لا يموتوا وبعض الحلويات للمرضى. أتعب من هذا هو منظر النساء وأطفالهن الصغار على ظهورهن والكل أقرب إلى الجثث منهم إلى الأحياء، فهؤلاء المساكين محكوم عليهم بالموت لأنهم غير قادرين على إعطائهم ذلك الثدي الجاف من جراء الجوع...⁶²

أما الشهادة على تنس فهي أكثر وضوحا: "بقلب مقبوض تم تسجيل هذه الحالات التي تحرك المشاعر والتي لاحظناها في شوارع تنس ونحن نرى النساء يأكلون حبات من روث الخيل لم تهضم ليغسلوها ويأكلونها بعد ذلك. ورأينا الأطفال يتصارعون مع الكلاب على العظام الموجودة في البقايا ثم يكسرونها ويبلعونها ..."

إذا تعمم البؤس الفظيع وطال ذكره، فكل يوم توجد الجثث على شرفة الطريق وفي الأدغال وفي الشوارع. وكأنت الجثث نجيلة وخالية من اللحم. وهذا برهان لا يشك فيه على الحالة التي بلغها عربنا⁶³.

ونعتقد نفهم حدود الحالة المدينة. كما أن القراءة العفوية لعقد الموقر تساعد على إعادة بعض الأحداث لان الموظف في البلدية لا يستطيع تسجيل كل شيء ولا يستطيع إحصاء كل الموتى الموجودين داخل المدينة ذات الألف سنة (تنس العتيقة) وبالقرب منها فالمفقودين أكثر ويجتازون الحدود القصوى اليومية المسجلة في العقود... فالمستشفى والمخيمات الأخرى مكتظة بالجثث. ولكن يمكننا أخذ فكرة من خلال نفس المصادر وهي سجلات الحالة المدنية ولو أن دراستنا كانت حريصة عن نصف المجموع السنوي أو آخر ثلاثي السنة الذي يذكر قيما عالية بالنسبة للمعدلات السابقة مؤكدا هكذا الآثار الطائلة لشهر سبتمبر والأخير التي سبق.

كل هذا يؤكد إذا النزيف الديمغرافي لبداية خريف 1867 والذي انتهى بضياع ربع تعداد الدائرة الإدارية الصغيرة على الأقل والتي تمت تغطية تيمبيا. أضف إلى ذلك وانطلاقا من الملاحظات السابقة التي تدفعنا

في الشاطئية، فتس
طيات المرقمة التي
ية جدا بالخصوص
الفادح للإحصائيات
يث نجد أن الإحصاء
فإنسان⁶⁸ تشير إلى
ن 1868 وتسجل فيها
ي لمدينة تنس) وهذا
س إلا على 60% فقط

ندي يجب علينا نقد
يذكر حالة وفاة من
الرقم المذكور أيضا
... للمدة التي تتعلق
الي 25 سبتمبر نسجل
ة يوم 18 سبتمبر كما
م 26 سبتمبر. والأمر
ذ لا يمكننا أن نتوقع
والعودة إلى المواطن
بكوارت معممة تم
تبات راهب المرسى
وطة باليد لها دلالتها

ل الدين في الجزائر
ففي كل يوم ياتون

الكارثة الديمغرافية

أيضا لنقد النتائج الرسمية، إذا استثنينا ضياع 1500 ضحية في سبتمبر وأكتوبر 1867 و2315 خسارة كاملة، فإن الأمر يظهر ناقصا جدا مع أن ظروف المعيشة والبقاء لا تزال تزداد خطورة في هذا السياق. في الواقع فإن هذه الأرقام تناسب أرقام الحالة المدنية ولكن الحالة المدنية لا يمكنها أن تؤكد ذلك نظرا للملاحظات التي ذكرناها (الصورة 13).

هذه هي العناصر الرئيسية التي تشرح استثنائية ضخامة الوفيات بتونس وموطنها المدني حيث بلغت الحصيلة الرسمية ما يقارب 40% وهي أعلى نسبة سجلت في كل المقاطعة. وفي الحقيقة لا بد من مراجعة هذه النسبة لأن فترة الكوارث لا تحدد بالفترة التي أخذناها بعين الاعتبار. أضف إلى ذلك أننا عبرنا وأكدنا على تحفظاتنا إزاء المصدرين المذكورين. يمكن أن تكون الحصيلة قريبة جدا من نصف تعداد السكان وهي نفسها بالنسبة لكل المجموعات القريبة مثل بني مانع على سبيل المثال حيث قدرت راي غولد زيغر نسبة الخسائر بـ 41.5% أما المجموعات البعيدة مثل بني زنتيس (الضهرة الوسطى) فكانت النسبة بها... 58.5% حسب نفس المؤلف.

أما فيما يخص السبب الأساسي لهذه الكوارث فهو لا يختلف عن السبب الذي ذكرناه ولاحظناه في مخيم واد الداموس كما يوضح الكاتب بيربي أن حالة التيفوس هي (أقل انتشارا) فالوباء الأكثر فتكا هو الجوع وتقدير الطبيب المعالج صارم ويعلن لشهر جانفي 25 وفاة في المستشفى نفس ونفس العدد في شهر فبراير ويرجع سبب الوفيات فيه إلى الجوع والطبيب ينفي أي مركز لوباء التيفوس وهو يدرس كل الفرضيات بما في ذلك فرضية عودة الناس إلى الوطن ويعني بذلك البدو الذين نزلوا بمرسى تنس والقادمين من مدينة الجزائر.

يمكنني أن أصرح هنا فيما يخص العائدين إلى الوطن وهم العرب الأهالي القادمين من الجزائر والذين لم يكونوا حاملين لوباء التيفوس وكنا نشدد الرقابة فلا نسمح للمرضى بالركوب على ظهر الباخرة وأخيرا ولحسن الحظ سلم طاقم البحرية من أي وباء يذكر⁽⁶⁶⁾.

ويضيف بعد سرد كل
عرب في الأمر أن السكان
حالات شاذة أما فيما يخص
صابين بهذا المرض
نجد قط أكثر من أربع
نقص الغذاء وأثاره
تحت المقاطعة واطراف

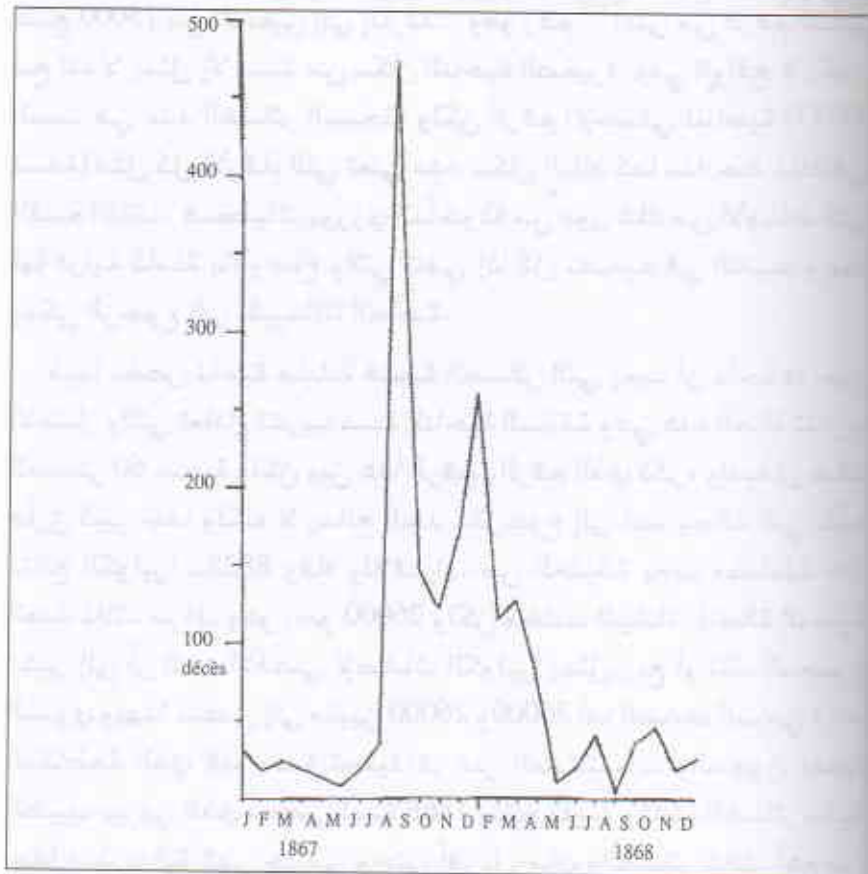


الصورة رقم 13 - تط

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

ويضيف بعد سرد كل حالات التيفوس الملاحظة عند الأوروبيين :
عريب في الأمر أن السكان الأهالي لم يظهر عليهم وباء التيفوس إلا في
حالات شاذة أما فيما يخصني فإنني أؤكد إنني لم أجد إلا ثلاثة أهالي
صابين بهذا المرض ...

لم نجد قط أكثر من أربع أو خمس حالات تيفوس في مرة واحدة في
من فنقص الغذاء وأثاره العديدة هي مصدر الخسائر المعممة على طول
شطي المقاطعة واطراف الموطن مع مليانة وواد الشلف يعني النواحي ...



الصورة رقم 13 - تطور الوفيات المسجلة في بلدية تنس.

يبلغ 1500 ضحية في
ذمر يظهر ناقصا جدا
ورة في هذا السياق في
ولكن الحالة المدنية لا
لها (الصورة 13).

ضخامة الوفيات بتنس
يقارب 40% وهي أعلى
من مراجعة هذه النسبة
يعين الاعتبار. أضيف إلى
من المذكورين. يمكن أن
وهي نفسها بالنسبة لكل
حيث قدرت راي غولد
مثل بني زنتيس (الضهرة
مؤلفة.

هو لا يختلف عن السبب
ما يوضح الكاتب بيربي
فتكا هو الجوع وتقدير
ة في المستشفى نفسه
فيات فيه إلى الجوع
كل الفرضيات بما في
لك البدو الذين نزلوا

في الوطن وهم العرب
حاملين لوباء التيفوس
على ظهر الباخرة.
يذكر⁶⁶.

المتأثرة أكثر في وسط التل الذي يستدعي تقييما تقريبا للخسائر المناسبة للدائرتين الإداريتين المدروستين وهما الأصنام ومليانة ففي الأصنام نلاحظ نسبة غير بعيدة عن 40% ولو أن هذا قد يظهر زيادة في التقييم ولهذا الغرض يجب علينا دراسة النتائج المطلقة ومقارنتها بملاحظات أخرى وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه القيمة فسوف ترتفع الخسائر إلى 33200 شخصا إذا كان الأرشيف العسكري لا يشير إلا إلى 12851% وهو ما يعادل فقط 36% فإن بورزي يشير إلى أن قائدا واحدا قد ضيع 15000 من التابعين إلى إدارته... وهو رقم ⁽⁶⁷⁾ أعلى من الرقم السابق مع انه لا يمثل إلا نسبة من سكان الناحية الصغيرة، وفي الواقع لا يكمن السبب في عدد الخسائر المسجلة ولكن الرقم الإجمالي للناحية (83717 نسمة) مثل كل الأرقام التي تعني عدد سكان البلاد كما سنلاحظ ذلك في القسم الثالث، فمعطيات بورزي المأخوذة من دون شك من الأوساط التي لها دراية كاملة بالأوضاع والتي تنفي إذا كل تضخيم في التقييم وبهذا يمكن الرجوع إلى تقييماتنا الخاصة.

فيما يخص ناحية مليانة فنسبة الخسائر التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار والتي تعادل تقريبا نسبة الناحية السابقة وفي هذه الحالة تقارب الخسائر 60 ضحية ولكن بين هذا الرقم والرقم الذي ذكره وامبفان هناك فارق كبير جدا ولكنه لا يمانع النقد بالرجوع إلى تصريحاته التي تُقيد نتائج الكوليرا بـ 8823 وفاة وللاقتراب من الحقيقة يجب مضاعفة هذا العدد ثلاث مرات وهو نحو 26000 ولكن مختلف البيانات للحالة المدنية تشير إلى أن الحد الأقصى لإصابات الكوليرا يمثل ربع أو ثلث المجموع السنوي وبهذا سنصل إلى ما بين 26000 و 35000 أما الضابط السامي قائد المقاطعة الذي قام بعدة تحقيقات عبر المستشفيات والسجون بمعين الطبيب بيربي الذي أحصى لسنة 1868 نتائج ثقيلة وكانت الخسائر عالية جدا منذ بداية شهر جانفي وحتى أفريل-ماي والخسائر كانت أهم من التي سجلت في كل مكان وتجاوزت بكثير خسائر سنة 1867. (كل هذه

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

تأصيل تظهر أن النتائج المتوسطة المقدرة بـ 60.000 ضحية لا تقارب الحقيقة كما لاحظناها من قبل.

هكذا فإن كل الناحية الغربية للمقاطعة تأثرت وفقدت نسبة عالية من سكانها في بضعة أشهر وهي تحتفظ برقم قياسي تعيس مع النواحي الشمالية لصحراء البلاد ووسطها. قبل تقديم الحصيلة الكاملة لا بد من دراسة آخر الفترة المتعلقة بكثرة الوفيات الخاصة والاستثنائية وهي التي تتعلق ببيتامى بن عكنون والابيار (الجزائر).

تقريباً للخسائر
عام ومليانة ففي
يظهر زيادة في
منطقة ومقارنتها
من فسوف ترتفع
لا يشير إلا إلى
من قائدا واحدا قد
من الرقم السابق
في الواقع لا يكمن
للناحية (83717)
منلاحظ ذلك في
من الأوساط التي
في التقييم وبهذا

أن نأخذها بعين
هذه الحالة تقارب
وأميفان هناك
ريحاته التي تقيم
مضاعفة هذا
للحالة المدنية
أو ثلث المجموع
سابط السامي قائد
والسجون بمعية
تت الخسائر عالية
بأن كانت أهم من
1867. (كل هذه

VI - كثرة الوفيات في ملاحى الهامى

لم يزال هذا السجل الخاص موضوعا في مكان خاص في مقر بلدية ملاحى وهو الذي يحمل هذا السر لأنه يتضمن قائمة الأهالي المتوفين في مكنون وفي بون بستور من 23 جانفي إلى 20 مارس 1867 وهذه القائمة تضم 225 متوفيا ومتوفية (صورة طبق الأصل) ومن دون عقود رسمية مثلما هو الحال في القسم الثاني من السجل الذي يتضمن 293 سجلا من 20 فبراير إلى بداية سبتمبر من نفس السنة.

عينا يكن فإن هذا الملف مفيد جدا ويسمح لنا بمتابعة تطور الوفيات حيث أن العقود تحتوي على كل التفاصيل فيما يتعلق بالأصل والجنس والسكن غير أننا لا نلفت اهتمامنا لهذه الملاحظات بل لابد من وضع المشكلة في سياقها الحقيقي السياسي والديني والاجتماعي بعد دراسة إحصائيات.

1) تطور ضخامة الوفيات

تعمل الخسائر بأكملها ثلث التعداد طيلة تلك الفترة المنصرمة والتي حدثت في ديسمبر وهي نسبة عالية مع أن ظروف الاستقبال أحسن من تلك الموجودة في الخارج. لكنه يجب علينا أن نتساءل عن حالة العامة للأطفال وهؤلاء يكونون 1735 من اليتامى الموجودين حتى آخر سنة 1867 وهم ثلاثة أفواج من المصابين بالتيفوس والجذري والقرع...

في الفترة الأولى (اللوحة 21) نلاحظ 220 طفلا وخمس نساء في سن 20 و30 و45 عاما ومن بين الأطفال نجد 148 ولدا و72 بنتا (32.73٪) كما سجلنا 4 وفيات فقط في شهر جانفي فبسرعة وصلت الوفيات إلى 100 شخصا في فبراير كما وجه إلى مستشفى مصطفى عدد من المرضى من بينهم عشرة تركوا أثارا على سجل الوفيات للبلدية (مصطفى) الحد الأقصى اليومي يسجل يوم 13 مع 13 وفاة، ثم تعرضنا لحين أقصى ثانويين وقعا خلال نفس الشهر وسجل حد أقصى ثالث



الكارثة الديمغرافية

اللوحة 22 - تطور كثرة الوفيات ليطامى الأبيار وبن عكنون.

المدة	من 01/23 إلى 03/19			من 3/20 إلى سبتمبر 1868			المجموع		
	مجموع	أنثى	ذكر	مجموع	أنثى	ذكر	مجموع	أنثى	ذكر
أقل من سنة	2						2		
سنة 1	1	3	4	2	2	2	6	5	1
سنتان	2	4	6	2	6	8	14	6	8
3 سنوات	9	2	11	3	6	9	20	5	15
« 4	2	4	6	6	9	15	21	10	11
« 5	10	11	21	6	14	20	41	17	24
« 6	17	9	26	14	14	28	54	28	31
« 7	20	14	34	29	29	58	92	43	49
« 8	19	5	24	10	34	44	68	15	53
« 9	21	4	25	14	26	40	65	18	47
« 10	12	2	14	11	20	31	45	13	32
11 سنة	9	6	15	5	5	11	26	12	14
« 12	12	7	19	3	11	14	33	10	23
« 13	3	1	4	0	4	4	8	1	7
« 14	8	0	8	0	4	4	12	0	12
« 15	1	0	1	1	2	3	4	1	3
« 16				1	1	1	1	1	
من 20 إلى 50	7	7		1	1		8	8	
المجموع	148	77	225	184	109	293	518	186	332

المصدر : بلدية الأبيار.

لوحة 23 - الوفيات الشهرية

الشهر	الذكور
جانفي	3
فبراير	84
مارس	105
أفريل	47
ماي	28
يون	41
جويلية	13
أغسطس	9
سبتمبر	2
المجموع	43

في شهر الموالى أكثر من
 (7.5%) منهم من 6 إلى عشر
 (21%) (50 من بينهم 24 طفلة
 - من مابين 11 إلى 15 سنة
 - هذه الإيضاحات : فقائمة
 - جان اسم الأب أو الأم والسن
 - تيتيما يوجد 220 في
 - (بون باستور) مع النس
 - مرة على قيد الحياة حتى بع

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

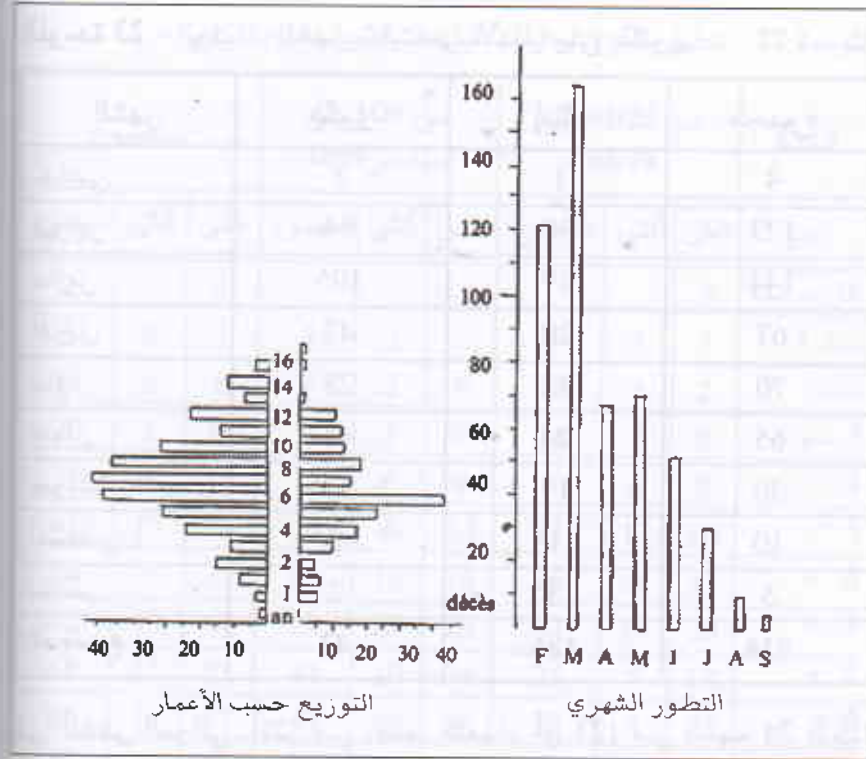
الوحدة 23 - الوفيات الشهرية ليتامى الأبيار وبن عكنون

الشهر	ذكور	إناث	مجموع
جانفي	3	1	4
فبراير	84	39	123
مارس	105	39	144
أفريل	47	20	67
ماي	28	42	70
جوان	41	24	65
جويلية	13	17	30
أغسطس	9	1	10
سبتمبر	2	3	5
المجموع	43	186	518

في الشهر الموالي، أكثر من نصف التعداد أي 123 من بينهم 24 طفلة (7.5%) منهم من 6 إلى عشر سنوات يمثل الأطفال الأقل من 6 سنوات (23.5%) (50 من بينهم 24 طفلة) والباقي وهو 47 من بينهم 14 بنتا تتراوح أعمارهن ما بين 11 إلى 15 سنة، ولا يمكننا الحصول على تفاصيل أخرى عن هذه الإيضاحات؛ فقائمة الوفيات لا تتضمن إلا الاسم وفي بعض الأحيان اسم الأب أو الأم والسن التقريبي (الصورة طبق الأصل) فمن بين اليتامى يوجد 220 في ملجأ اليتامى لابن عكنون والبقية في ملجأ أبيار (بون باستور) مع النساء الخمس المذكورات سابقا وبقية تلك الكثرة على قيد الحياة حتى بعد وفاة كل الأطفال.

عكنون

المجموع	ذكور	أنثى	مجموع
2	2		
6	5	1	
14	6	8	
20	5	15	
21	10	11	
41	17	24	
54	28	31	
92	43	49	
68	15	53	
65	18	47	
45	13	32	
26	12	14	
33	10	23	
8	1	7	
12	0	12	
4	1	3	
1	1		
8	8		
518	186	332	



الصورة 14- ضخامة الوفيات في دور يتامى الأبيار وبين مكنون (مدينة الجزائر) من 23 جانفي إلى سبتمبر 1868

نسجل في الفترة الثانية 293 وفاة من بينها 109 طفلة وهو ما يعادل 37.4% مثلما هو الحال في النواحي الأخرى. ويسجل شهر مارس الحد الأقصى المطلق بـ 142 عقدا (96 من الفترة الأولى والباقي من الثانية) وهكذا وفي شهري مارس وأفريل نجد أن وتيرة التزايد هي نفسها مثل النواحي الأخرى. تكون الأشهر الثلاثة المتوالية مرحلة مع 67 و70 و65 وفاة. وابتداء من شهر جوان اختفت الكوارث وصارت الوفيات دون أهمية تذكر.

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

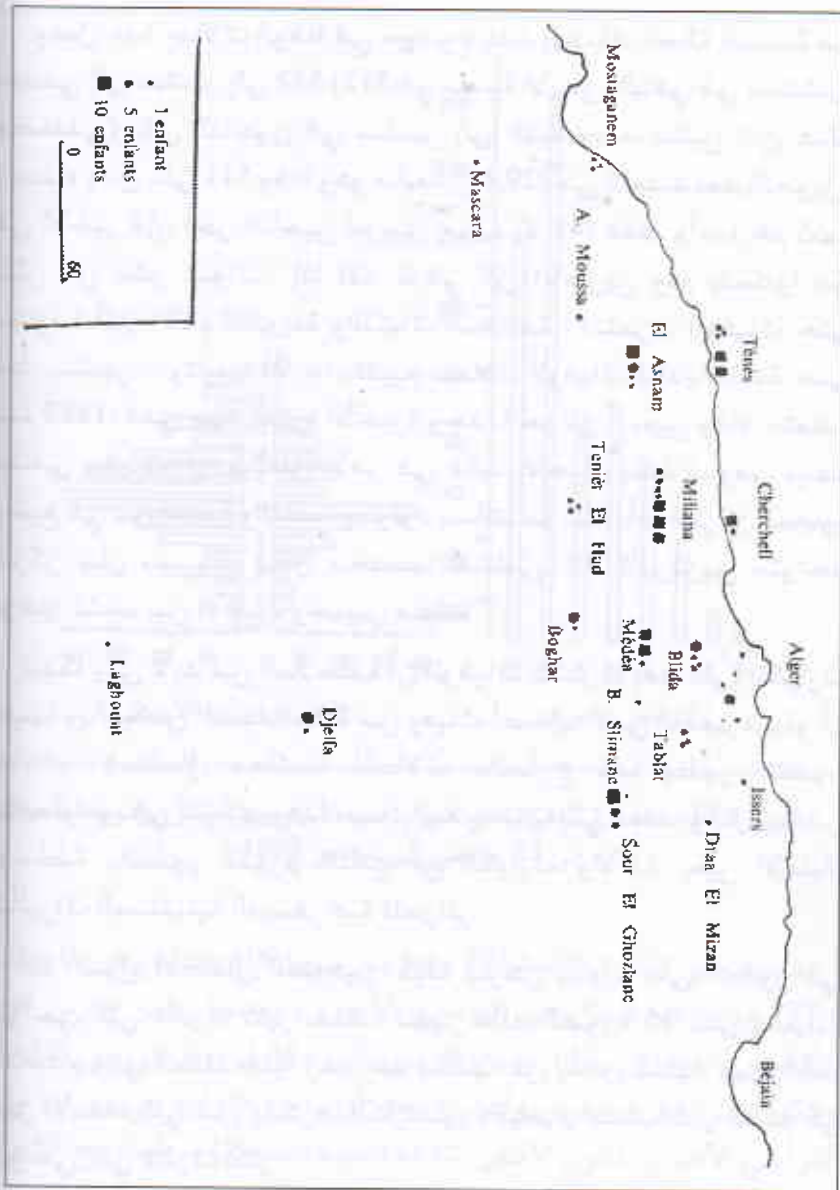
وصل عدد حالات الوفاة في مجموع عدد إعلانات الحالة المدنية من حنفي إلى سبتمبر إلى 522 (512 في بلدية الأبيار والباقي في مستشفى مصطفى) نقل التاجون في سبتمبر إلى القبّة وبعد سنتين كان هناك إحصاء يدل على 511 وفاة وهو ما يعادل 29.1٪ من التعداد بعد التحويل. في الأخير فإن آخر الناجين لم يبق منهم إلا 41٪ فقط وأعمارهم كلهم أكثر من عشر سنوات. إذا لقد توفي كل الآخرين ولم يتمكنوا من مقابلة أثار الألام الطويلة والنكبات المختلفة استمرت الوفيات حتى بعد سبتمبر... وتابعنا أثارها بتقييم سجلات الوفيات لبلدية القبّة حتى سنة 1882. ففي مدة الفترة الأخيرة وجدنا حوالي أربعين وفاة متعلقة بمرض يسمى سان شارل، ويتعلق الأمر في غالب الأحيان بالبنات ومن بينهم ربيع في سن الثانية والنصف ومولود بسانت مونيك. أما المركز المجاور مركز سان سيبريان فكان مخصصا لليتامي. كلا المركزين متواجدان في الوادي الشلف بين الأصنام وخميس مليانة⁽⁶⁹⁾.

عنها يمكن لا بد من الملاحظة أن الوفيات استمرت بعد فترة الكوارث عينا وبالأخص النسبة العالية من وفيات أصحاب السن الصغيرة، ولو أن حالات الاستقبال معاكسة للحالات بالخارج كما يظهر التطور بالخصوص في الوادي وهذا حسب الملاحظات التي سبقت وهنا لا بد من الحفاطة بالتطور الفوري الناتج عن الكوارث والأخذ بعين الاعتبار التغيرات المستقبلية الديمغرافية للجزائر.

أما أصول الأطفال المتوفين، فإنه يبرهن بدوره على التطور في كواحي التي تأثرت كثيرا مثلما تظهر ذلك الصورة 15 تنس ومليانة والأصنام وهي ممثلة جليا رغم بعد بعضها عن بعض نسبيا. فهي أيضا من الأسماء التي كان يذكرها الكاردينال لافيغري عندما كان يتكلم عن كواحي التي تأثرت أكثر.



تكون (مدينة الجزائر)
طفلة وهو ما يعادل
من شهر مارس الحد
والباقي من الثانية).
أيد هي نفسها مثل
مرحلة مع 67 و70
صارت الوفيات دون



الصورة 15- الأصل الجغرافي لـ 145 متوفيا داري اليتامى بين عكنون والأبيار (مدينة الجزائر)

هكذا مع معطيات مخيرة
 التي يمكن إنكارها ومواد التفتيش
 تعبئة بالخصوص في ملاجئ
 يجري ظروف مختلفة عن الخ
 كرويون، فالنسب تتأرجح م
 - خلاصة دقيقة لا بد من

(2) السياق العام لتأسيس م
 لا يمكن لأي ملاحظ محاي
 عن قصد بعض الأوساط وص
 تصعقة السكان طيلة الفتر
 في شعب يعاني برمته الود
 صبة أشهر الحسرة، كانت
 نعوم موقفين، موقفا
 كسيجات أو «التسربات» الج
 والموجه لزيادة الخطر على
 حرج.

مثما ذكرنا ذلك ففي
 حثابها نهائيا وبالأحرى
 بوضحة¹⁷⁰ مثلا، أو نشر الإ
 بخصوص النتائج الرسمية
 في بعض الأحداث وإدراج
 حص المشاركين : ففي
 وبخصوص كرم المستعم
 عبرة الصادرة من سطين
 من قصر البخاري(الوثيقة

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

هكذا مع معطيات مخيم وادي الداموس فنحن نمتلك الآن الحالات التي يمكن إنكارها ومواد التقييم لا تمثل في كلتا الحالتين نسبة الخسائر عالية بالخصوص في ملاجئ اليتامى نظرا لسن الأطفال. في الحالتين وفي ظروف مختلفة عن الخارج ولا مثل لها مع المحيط الذي يتخبط فيه آريون، فالنسب تتأرجح ما بين 20% إلى 41% مع معدل يقارب 30% وهي خلاصة دقيقة لا بد من اعتمادها.

(2) السياق العام لتأسيس ملاجئ اليتامى

لا يمكن لأي ملاحظ محايد أن يتجنب المشاكل العويصة التي طرحتها في قصد بعض الأوساط وطرحها بعض الأشخاص. على إثرها هاجمت الصحافة السكان طيلة الفترة الفتاكة دون أن تحاول التخفيف من هجماتها على شعب يعاني برمته الويلات والحسرة.

طيلة أشهر الحسرة، كانت الصحافة شبه الرسمية والحررة تتخذ على حيز موقفين، موقفا مثيرا للشبهة وهو الصمت التام عدا بعض تصريحات أو «التسربات» المتحكم فيها عن قصد والموقف الثاني الهادف لزيادة الخطر على مصير الطرف المقابل والحكم عليه دون حرج.

مثلا ذكرنا ذلك ففي الحالة الأولى لا تنقصنا الفرص كما لا يمكننا اختابها نهائيا وبالأحرى عندما يعود الأمر إلى أحداث متفرقة واضحة⁽⁷⁰⁾ مثلا، أو نشر الإعلانات الرسمية مثل تقرير وامبقن وعلى خصوص النتائج الرسمية التي تخص المقاطعات الثلاثة⁽⁷¹⁾. فالإشارات إلى بعض الأحداث وإدراج بعض رسائل القراء لا يقصى دائما لطمأنة بعض المشاركين، ففي هذه الحالة يؤكد دائما على المظهر الإيجابي وبالخصوص كرم المستعمرين والمسيحيين كما تظهر ذلك أمثلة البراقة الصادرة من سطيف والمقدمة للأوساط الباريسية بالصورة أو مثل قصر البخاري (الوثيقة الملحقة رقم 6).



بن عكنون والأبيار

لا يمكن أيضا تجنب بعض الرسائل، كرسالة الكاردينال لافيغري، وأكثر من ذلك بعد نشرها خارج المستعمرة، يكون الأمر أيضا كذلك بالنسبة للمشادة الكلامية التي جرت بين رجل الدين والحاكم العام للجزائر ماك ما هون... (أعلاه)

كل هذا لا يؤثر على الأذهان على العموم ولكنه موجه لمساعدة ومواساة البعض. وهذا الأمر مقبول وهو في الصالح العام للنظام الاستعماري. فلماذا يختلف موقف الصحافة تماما عندما يتعلق الأمر بمصائب المجموعة الكبيرة من السكان البؤساء. فكثرة وفيات الأطفال والتطلع للإحسان والكرم مستغلة ذلك لهدف معين للمساس ببعض وتمجيد البعض الآخر. إن ناشر جريدة "أخبار" يتهمك ويحكم بصفة قطعية على شعب برمته وعلى حضارة بأكملها :

"إن قلة حب العرب لأولادهم واللامبالاة العميقة بالمحافظة عليهم وعلى صحتهم وتربيتهم، كل هذا يشكل بدون منازع السبب الرئيسي في التناقص السكاني المتزايد لهذا البلد. فلا يعرف الحنان الأبوي لدى أغلبيتهم".

ويختم بكل وقاحة :

"يمكننا أن نصرح دون خوف لا شك بأنه من بين السبع مائة يتيم الذين كفلهم الكاردينال لافيغيري عدد كبير منهم لهم والدان وتخلف عنهم بآتم معنى الكلمة بسبب الفقر".⁽⁷²⁾

كل التجاوزات مسموح بها وكل الأحداث المتفرقة لا بد من استغلالها كما يظهر ذلك مثل فقدان طفلين أوروبيين... "قتلا وأكلا من طرف العرب"⁽⁷³⁾ كذب الخبر بعد ذلك ولم يفقد إلا طفل واحد ومن الآن فصاعدا فأكل لحوم البشر صار متفقا عليه وكانت الجرائد تردد الخبر حتى صدر إعلان رسمي وضع حدا لهذه التجاوزات وأرجعت المياه إلى مجاريها⁽⁷⁴⁾.

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

في الواقع الصحافة ليست لوحدها هي المسؤولة حيث أن الصدى
جاء بعد من ذلك وتناول لافيجيرى نفسه في موضوع أكل لحوم البشر
في رسالته المؤرخة في 6 أبريل 1868 التي بعثها إلى مدير "أعمال
مغارس الشرق" وهو يعتمد على شهادات الأطفال الذين سألهم بنفسه
وأمر يتعلق بطفلين من تنس، ثم نظر في الحالات التي أدرجتها
الصحافة وختم بملاحظة "الغياب الكامل للحس الأخلاقي الذي هو أصل
هذا الجنس البائس المنحط". كشف الكاردينال عن حقيقته ووضح كل نواياه
مع أن أغلب رجال الدين يضحون بأنفسهم ويتفانون في مهماتهم
اليومية بمساعدة ومعالجة الباقين على قيد الحياة مع تحمل كل الأخطار
التي تنجر عن ذلك⁽¹⁷⁵⁾. هاجم الكاردينال مباشرة الإسلام فهل فكر مليا في
هذا الموقف؟ إنه بالفعل اظهر عدم واقعيته السياسية وكان على السلطة
تركزية أن ترجعه إلى مكانته... النظام الاستعماري⁽¹⁷⁶⁾.

أما الذين ظنوا أنهم قدموا المساعدة للأشخاص المشرفين عن الموت
بحول واقعية... ومجانا فإن أفكارهم ذكرت وبدون تعليق⁽¹⁷⁷⁾ ومع هذا
فإننا أولينا اهتماما بمشكلة خاصة ومفيدة جدا، شعور الأراضي بعدما
تحت الكوارث مع تناسي كل القواعد الأولية لمكبتها المقننة شرعا والتي
حاول بعض الأطراف الاستيلاء عليها بوسيلة أو بأخرى...

ونتيجة لذلك فإن تكوين ملاجئ لليتامى بالجزائر وفي نواحي أخرى
لم يجر غير منفصل عن السياق السياسي والديني والاجتماعي الذي تندرج
فيه، كما أنها محاولة لإبعاد جيل 1867-68 عن الإسلام وكذلك الناجين
من الكوارث، والدراسة الجيدة لبعض العقود المحتفظ بها في بلدية القبة
لا تترك أي مجال للشك ونلاحظ من حين إلى آخر لقب المسلم مسبق
قبل آخر من أصل مسيحي، هل كانت تلك أمنية المعنيات بالأمر يعني
سنوات النحيلات و المتأثرات كثيرا من الآلام المتعددة؟ لاشك أن الإرادة
التي يتكلم عنها لافيجيرى ليست إرادة أولئك القصر. المثال التالي له
الدلالة وهو مسجد بالعقد 107 المؤرخ بـ 10 جانفي 1868 والذي يحوي

الكارثة الديمغرافية

سجل الوفيات لقسم مستشفى مصطفى، والعقد يتعلق بوفاة يتيمة أوها مركز جون باستور (الأبيار) ثم نقلت إلى مستشفى باشا حيث توفيت وهي بنت تحمل اسم ماري زهرة بنت...⁽²⁸⁾

اللوحة 24 - حصينة مقاطعة الجزائر.

الدوائر الإدارية			المدن		
المحسوبة المقيمة			نسب الخسارات التقييمات		
المجموع	%				
10.000	25 %	الجزائر	+20	18,4	البلدية
30.000	10 %	بلاد القبائل	1/3	19,0	القلية
31.000	30 %	سور الغزلان	+1/3	9,6	المدية
36.000	30 %	المدية			(سكان البلدية)
32.000	40 %	الأصنام	1/3	24,6	مليانة
60.000	40 %	مليانة	+1/2	38,5	تنس
199.000	26,9 %	المجموع			الموطن المدني

هي أيضا من الناحية الاجتماعية والإنسانية على الخصوص شهادات لتلك العقود العديدة التي يجب قراءتها بتأمل كبير. لقد ذكرنا ذلك من قبل وتكلمنا عن أهميتها البالغة بشرح ظروف بعض الوفيات... كما أن نساء حوامل ولدن لوحدهن في عزلة وفي سكون الليل والظلام الحالكة ولكن بكل كبرياء وهن يتمسكن بالحياة ولا يتركن دائما الجثث قبل القيام بالإجراءات الإدارية العادية أتينا هكذا بالبراهين القاطعة ضد كل الأنباء التي تنشرها الصحافة شبه الرسمية والحرّة. لقد غير بعض الآباء زوجاتهم مع المحافظة على أبنائهم حتى آخر نفس ليجنبوهم السجن البندي

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

التفعية.... في نفس المدينة أقبل متسولون تلقائيا لتسجيل أقاربهم، ألف تفصيل وتفصيل يحكي عن شعب بأكمله على حافة الموت لكنه شعب متمسك بكرامته وقيمه.

عقود إدارية بسيطة ومكتوبة باختصار وبصفة تلقائية تشهد دائما على الكرامة والصبر والإنسانية في وقت يجابه فيه شعب برمته أكبر محنة مؤلمة في تاريخه... يصف الملف الملحق رقم 13 إدارة ودور مؤسسة عمومية موجهة لمساعدة السكان في حالة الكوارث وفي ساعة الحاجة طيلة الفترة التي سبقت الاحتلال.

في نهاية هذا التحليل وصلنا في غالب الأحيان إلى إبراز النقص وانحراغ في المعطيات الإحصائية المستعملة ونعني بذلك معطيات الحالة المدنية لكننا وصلنا في بعض الأحيان بفضل مقارنة المصادر المختلفة وبعض التقاطعات إلى مقاربات دقيقة والى ضبط الحقيقة بعزل بعض العظاهر وبالأخص، من الملاحظات الطبية الحكيمة لبيري وهكذا وصلنا إلى تقييمات محلية وجهوية مقبولة وهذا بالأخذ بعين الاعتبار النسب والتقييم ذات الحد الأقصى للخسائر المسجلة في الأرواح مثلما يظهر ذلك الفارق بين معدلاتنا ومعدلات راي غولد زيغر فيما يخص الكثير من المجموعات.

وتوجد أهم النتائج في اللوحة 24 وتبرز جليا الفرق بين المدن والأرياف، وتتأرجح النسب في المدن من 20 إلى أكثر من 50% مثلما هي الحال الشاذة تنس بالمدينة وبموطنها المدني. ويمكننا القول أيضا بأن مراكز السكنية قد ضعفت ما يقارب الثلث من سكانها، أما في الأرياف فخسائر الأرواح أكبر نسبيا من خسائر المدن فإذا كان معدل الحد الأدنى لا يبلغ إلا 26.9% فقط فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار الحالة الخاصة لبلاد القبائل وهي الناحية الأكثر كثافة سكانية (36% من مجموع المقاطعة) ويجدر الذكر أنها لم تتأثر كثيرا من الكوارث وكانت النسبة 10% طيلة

يتعلق بوفاة يتيمة أوها
بأنا حيث توفيت وهي

نسبة المقيمة	
المجموع	%
10.000	25 %
30.000	10 %
31.000	30 %
36.000	30 %
32.000	40 %
60.000	40 %
199.000	26,9 %

على الخصوص شهادات
تقد ذكرنا ذلك من
عض الوفيات... كما أن
الليل والظلام الحالك
دائما الجثث قبل القيام
تقاضة ضد كل الأنباء
ر بعض الأباء زوجاتهم
جنبوهم السجن البلدي

الكارثة الديمغرافية

الستين المتتاليتين، والنتائج مختلفة شيئا ما عن الوفيات العادية لهذه الفترة ب35 إلى 40، إذا قنسبة المعدل باستثناء بلاد القبائل تصل إلى 36٪ وهو أكثر بقليل من الثلث. على كل حال فالنسبة لمجموع المقاطعة تتراوح ما بين 26.9 و30٪ فالحد الأدنى للخسائر في الأرواح يصل إذا إلى 200.000 نسمة تقريبا.

ومن ناحية أخرى قد تعرفنا على أهم الأسباب بفضل التقارير الطبية الصحيحة. في أغلبية المستشفيات والمراكز الأخرى للملاحظة لقد اجمع السلك الطبي على رأي واحد : فسبب ضخامة الوفيات مرتبط مباشرة بالجوع ونتائج أمراض "الفقر والجوع". لقد سبقت المجاعة وباء الكوليرا وبالخصوص في النواحي الأكثر تأثرا حيث وجد أرضية خصبة. أما التيفوس وهو لا يستثنى عن بعض الأمراض الأخرى. فلم تكن له إلا تأثيرات دنيا على العموم حسب ملاحظات واعترافات السلك الطبي.

وأخيرا إذا استطعنا أن نقيم بصفة صحيحة وفيات الإناث والأطفال بفضل دراسة مخيم وادي الداموس، فملاجئ اليتامى للجزائر توضح ذلك جليا، خاصة وأن تطور الناجين في الأبيار وبن مكنون له دلالاته. إن الحصيلة الحقيقية لخسائر الأرواح لا تحسم بنهاية فترة الكوارث (بداية صائفة 1868) ولا بنهاية سنة 1868. لكن قبل التطرق لهذه المشاكل يعني العواقب الحينية التي تنعكس على الحالة الديمغرافية لذا يجب علينا دراسة المقاطعتين الأخرين ولو أننا لا نمتلك كثيرا من معطيات التقييم. لهذا فالفارق بين المقاطعات واضح. والمعطيات الإحصائية محدودة والملاحظات الطبية ذات القيمة مثل ملاحظات بيري معدومة.

الملاحظات

1. التقديم من طرف راي غولدزيغار (33) ص 491. ملاحظة داخلية رقم 1 إن الملف موجود في الأرشيف العسكري في قصر فانسان (فرنسا) ح 230 .
2. نلاحظ الأهمية العالية لهذا التاريخ بالنسبة للنساء .
3. تتكون الحصنة المقدمة للعمال المكلفين باستغلال الحجارة في مخيم الواد الكبير من 1.500 غراما من الخبز كأجرة نادرة كمية قليلة من البن * بيرى (32) ص 470. أما المحجوزون بملاجئ التسول فإنهم لا يحصلون إلا على نصف الحصنة من الخبز .
4. بيرى (32) 1869 . ص 471 .
5. بيرى (32) 1869 . ص 467-474 .
6. بورزي (18) ص 65. كان المؤلف راهب قرية الشبلي الموجودة على بعد 20 كلم فقط من الدويرة .
7. لقد كتب راهب المحالمة : لقد شاهد معمر وقرتي الحدث التاليص : كانت عربية محملة بالزبل متوجهة للحقول وكان العرب يخطفون منها بقايا الكرب واللفت ثم يهزونها ويأكلونها بشراسة (مجلة مدارس المشرق - باريس في مارس 1868 . رقم 50 ص 34 .
8. بيرى (32) ص 466 . حسب نفس المؤلف كانت النساء مضطرة لعرض أنفسهن لجنود مقابل صحن من الحساء .
9. وقع التحويل سنة 1977 لكن السجلات لم تنظم بعد ولقد فقدنا كل الأمل بعد الأبحاث العديدة التي قمنا بها .
10. من بينهم جندي ذو 23 سنة .
11. عكس ذلك فإن التزايد الخارق للعادة في الوفيات عند غير الأهالي أمر خاص على العموم يختلف عن الوفيات عند الأغلبية الكبيرة من الأوروبيين مثلما نرى، بعجالة فيما يلي (ص 37) .
12. .
13. البحث المنظم لجريدة أخبار لمستتي 1867 و 1868 .

البيانات العادية لهذه
ماتل تصل إلى 736
مجموع المقاطعة
رواح يصل إذا إلى

البيانات الطبية
ملاحظة لقد اجمع
ت مرتبط مباشرة
بجاعة وباء الكوليرا
رضية خصبة، أما
ن. فلم تكن له إلا
السلك الطبي .

الإناث والأطفال
عزائر توضح ذلك
تكون له دلالاته. إن
رة الكوارث (بداية
هذه المشاكل يعني
ا يجب علينا دراسة
ليات التقييم. لهذا
حصائية محدودة
ي معدومة .

الكارثة الديمغرافية

14. المؤسسات الفرنسية في الجزائر، 1867-72، ص 86. الحوصلة الإيجابية لليهود من 1866 إلى 1872 وصلت إلى 622 شخصا و الأوربيين 28252. في هذه الحالة فإن جزءا يتعلق بالهجرة.
15. نهج "السوتر" و"التقارن" و أعالي المدينة حيث لاحظنا حالات التيفوس في شهر مارس لاسيما بين الجماهير وحتى داخل المنازل، حسب "بيري" (32) ص 510.
16. لقد تحير الرأي العام في مدينة الجزائر مثلما كان الأمر في المراكز الأخرى داخل الوطن فيما يخص الفقر المهيم على العرب. ما قامت به السلطات للتخفيف من الأزمة، لقي ملاحظات عديدة أهمها كان الخطر الذي سيلحق بالسكان الأوربيين في المدينة و المستشفيات وملاجئ التسول. "بيري" (32) ص 511.
17. الأرشيف العسكري بفانسان - باريس، ح 230. أما تصريحات الجنرال قائد المقاطعة "ويمفان" فإنها لا تحتاج لتعليق ص: لم تقع أي وفاة ترجع لنقص في التغذية في دائرة دلس يشير الجنرال "توفو" إلى ثلاث وفيات فقط لأهالي أنهمكه الحرمان وكان ذلك مدة أسفار (36)
18. "بيري" (32) ص 506. لقد أكدت مراسلة مجهولة آثار و بناء الكوليرا، جريدة أخبار، في 15 سبتمبر 1867.
19. "هانوتو" و"ترونو" ص: بلاد القبائل والعادات باريس 1872-73 الجزء 2 ص 57 إلى 68.
20. إن كان الأمر ببلاد القبائل أمرا خاصا فإننا نلاحظ أيضا توجهها عفويا للإحسان في مواضع أخرى إن الصحافة الرسمية و شبه الرسمية هاجمت الأعيان وشيوخ العرب ولكنها لم تبقى صامته على بعض حالات الإحسان مثلما تعلق الأمر في قصر البخاريس: "إن السيد دم يهدي مجانا ما يقارب 250 خبزه للأهالي المساكين المتواجدين في البلدة.... بالإضافة إلى ذلك لقد وضع كل المساكن التي توجد تحت تصرفه لفائدة هؤلاء المساكين" جريدة أخبار، 20 أبريل 1868.
21. "بيري" (32)، 1869، ص 500.
22. "بيري" (32)، 1869، ص 498.
23. "بيري" (32)، 1869، ص 500. لقد اقترح الطبيب المعالج التهجير على مستوى كبير عوض ملاجئ الإسعاف وهو ما يعني العزل.
24. "بيري" (32)، 1869، ص 502.
25. وقع الثاني في سبتمبر حيث أن الإعلانات لا تحتوي إلا على عقدين فقط سنة 1866.... فإن إعلانات 1867 و 1868 تبقى إذا تقريبية... لقد خص الأمر فقط نية من السكان.
26. كل المسار لهذا الطريق (من الأربعاء إلى سوق الغزلان) محفوف بالإبل الميتة

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

- ومجلة على حافة الطريق من طرف قوافل العرب المكلفة بحمل الحبوب لتمويل القتال. جريدة أخبار في 1867/08/01.
27. الجنرال ويمبنفن (36).
28. إن أرشيف البلدية ناقص أما أرشيف قصر العدالة عليه آثار الحريق.
29. نجد من بينهم طرابلسي.
30. ويمبنفن (38).
31. جريدة أخبار في 7 و26 جوان 1868. (شاهد نصوص الملف الملحق رقم 7).
32. بيري (32) 1869. ص 493.
33. هناك ملاحظة ترجع إلى دراسة الحالة المدنية. يتعلق الأمر بعقد وفاة أروبية أصلها من كادين (إسبانيا) وهي زوجة أحد الأعيان من الناحية (بداية 1868).
34. راي غولديغار (33). ص 461.
35. توجد هذه العناصر في التقارير المختلفة لتحديد الجماعات المعنية وعلى الخصوص أولاد شعيب. الجريدة الرسمية 1877. ص 672.
36. ياكونو (35) الجزء الثاني ص 125.
37. لافيغري (27) ومجلة مدارس الشرق. باريس. مارس 1868.
38. بورزي (18).
39. أخبار 10 نوفمبر 1867.
40. بيري (32) 1869. ص 478.
41. بيري (32). ص 478 و479.
42. راي غولديغار (33). ص 467.
43. نشرت في جريدة ديبا (باريس) طيلة العقدين الأخيرين للقرن التاسع عشر. شاهد على الخصوص أرقام 20 و26 أغسطس 1890.
44. بيري (32) 1869. ص 489.
45. إن دراسة السجل الأصلي لدوار هروال شمال شرقي ثنية الحد سنة 1890 يشير إلى بنت صاحبة 30 سنة هذه الإيضاحات التالية ص: غابت سنة 1867 وقت المجاعة. هي موجودة حاليا في سانت مونيك حيث احتضنت سنة 1867. لقد فقدتها أخوها وسنها تقارب الخمس السنوات ولكن لم ينسها ووقعها في السجل.... شجرة الأناص 312.
46. راي غولديغار (33) ص 469.
47. الجيلالي صاريص: الرجل والانجراف في الونشريس. الجزائر. الشركة الوطنية للنشر والإشهار. 1977. ص 187.
48. بورزي (18) ص 88.
49. أخبار 8 سبتمبر 1867. بصفة غير مباشرة. يصرح بوريلي دو لا سابي "عن الكوارث الناجمة عن ورشات السكك الحديدية... (15 سبتمبر 1868).

الكارثة الديمغرافية

- 50 ذكرت من طرف لافييجري (27) ص 488 أنهم يبحثون والجوع يستعجلهم في القمامات ويتخاصمون على البقايا التي يمكنهم أن يجدوها. لقد فاقت مهارتهم شراسة الثعالب في افتراس الحيوانات الميتة المرعية هنا وهناك، غير بعيد عن السكان. ص 34.
- 51 بييري (32) ص 488.
- 52 ذكرها لافييجري (27) ص : بعد امتحان الكوليرا . اكتظت فجأة شوارع المدينة بعدد من الأهالي من سن وجنس وهم يطلبون حينا قلسا وحينا آخر قطعة خبز و مرة أخرى لباسا مائلا . كان الجوعى يرتمون بشراسة على البقايا وهم يخاصمون الكلاب على العظام وبقايا أخرى . عندما كنت مارا يوما أمام إسطبلات الجيش رأيت بأعيني البعض يبحثون في الزبل وهم ينتظرون روث الخيل ليأكلوا بعض الحبات من الشعير . والثيء الذي أصابني في الصميم القلب هو رؤية تلك الأم الصغيرة وهي تحمل على ذراعها طفلا صغيرا ميتا وهو عار لتحت المارة على أكثر عطف . كما أسفت كثيرا لتلك المسلمة المتبوعة بطفليها الصغيرين وهي تحاول تكسير بعض العظام بصعوبة والتي كانت يابسة منذ مدة طويلة . كانت المرأة تحاول إخراج بعض النخاع بقدر المستطاع .
- 53 . "ويمفن" . أخبار أول مارس 1868 .
- 54 وجدت بمقر بلدية شرشال في حالة رديئة جدا (شاهد الصور طبق الأصل) .
- 55 الإقترانات المتعددة ما بين هذه المجموعة والسكان القريبيين من شرشال الأحداث مسجلة من خلال عقود الحالة المدنية "لشنوه" .
- 56 لم يبقى إلا سجل 1864 . حسب موظف كان يعمل بمقر البلدية قبل 1962م يقع أي حريق في الأرشيف أضف إلى ذلك أن سجل 1864 موجود إن السجلات المعنية قد تكون أتلفت عمدا حيث أنها لا تحتوي إلا على عقود الأهالي .
- 57 . بييري (32) . 1869 . ص 490 .
- 58 أرشيف قصر فانسان (باريس) ح 230 .
- 59 . بييري (32) . 1869 . ص 484 .
- 60 . ذكره لافييجري في جريدة أخبار في 19 أفريل . جاء هذا التصريح بعد إعادة نشر رسالة الراهب إلى أسقفية الجزائر في تلك الجريدة .
- 61 . كان الناجون يصلون من مدينة الجزائر إلى ميناء تنس بييري (32) 1866 - 1869 ص 482-84 .
- 62 . ذكره لافييجري في مجلة "مدارس الشرق" . باريس مارس 1868 ص 34 .
- 63 . ذكره لافييجري . ص 34 .
- 64 . اضطررنا إلى تحديد الأبحاث حيث أن الملفات الناقصة كانت تستحق دراسة معمقة . يوجد أيضا سجل لسنة 1868 فيما يخص الإقليم العسكري .
- 65 . راي غولدزيغار (33) ح 465 .
- 66 . ذكره لافييجري . ص 34 .

تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر

67. بورزي(18) في نفس الناحية كان للقائد 35000 مواطن ولم يبقى له إلا 20000.....ص 87.
68. تيكات(34)
69. فيما يخص التطور في المركزين. شاهد تيكات(34).
70. أخبار 31 مارس 21 ماي و 21 جويلية 1868. المضاف بعد مناقشة المجلس على الخصوص .
71. أخبار ومونيتور في 11 جوان 1868. تنشر جريدة أخبار إضافات فيما يخص مناقشات المجلس بمناسبة الاقتراح حول الميزانية المخصصة للمستعمرات 31 مارس 1868 رقم 4633.
72. أخبار في 20 فبراير 1868 ص : "اليتامى الأهالي".
73. أخبار في 3 ماي 1868 يكذب الخبر ويوضح فقدان طفل أوروبي في سن العاشرة
74. على الخصوص بعد نشر الحوصلة العامة المتعلقة بالضياح في المقاطعات الثلاثة "المونيتور وأخبار في 11 جوان 1868.
75. كانت هذه المراسلة وسط نصوص أخرى في ملحق 21 ماي 1868 لجريدة أخبار شاهد أيضا لافيغري(27).
76. راي غولديغار (33) ص 497-500. إنها تشرح مطولا الخصام ما بين لافيغري و "ماك ماهون" وهي توضح المصادر. لهذا السبب فإننا لا نقر هذه الحالة.
77. تجتهد دائما الاقتراحات في المحافظة على اقتصاد السلطات العمومية. يتعلق الأمر بتجنيد 3000 طفلا في صفوف الجيش الفرنسي. هكذا لا تتكلف الدولة إلا بنصيب الخبز المقدم للجنود. "ليكو دوران" (Echo d'orain) في 31 ماي 1868.
78. أرشيف قصر العدالة لمدينة الجزائر. إن تعريف الوفيات ناقص.

الفصل الثاني

الحميلة في مقاطعة قسطنطينة

الملخص المقدم من طرف نوشي⁽¹⁾ يبقى مقبولا على العموم ولكن لابد من مراجعة بعض التفاصيل ضف إلى ذلك أن المؤلف ارتكز خصوصا على إحصائيات رسمية ولهذا السبب لابد من إعادة تقييم الخسائر نظرا لبعض الملاحظات وبعض الاستطلاعات التي قمنا بها في مكاتب الحالة المدنية.

حسب المؤلف تمثل الخسائر خمس تعداد السكان تقريبا لكن الفوارق من ناحية لأخرى كبيرة جدا. تتغير من 4% (تكتونت) إلى 44% (تبسة) وأثرت الوفيات كثيرا على السهول العليا والواحات أكثر من الجبال الشاطئية. لهذا الغرض يجب علينا أن نميز بين النواحي التي تأثرت قليلا والنواحي التي تأثرت كثيرا.

1) النواحي التي تضررت قليلا

هي الدوائر التي تعد اقل من 13%، ويرجع الأمر إلى دائرة تكتونت (4%) بجاية (9%) والميلية (12%).

وظهور هذه القيم الضعيفة يرجع مصدرها إلى عاملين اثنين : الرطوبة الكثيفة للتضاريس الشاطئية حتى في فترة الجفاف مع الحفاظ على البنية الاجتماعية/الاقتصادية. أضف إلى ذلك أن اغلب القطاعات لم تخضع مباشرة للأطماع الاستعمارية، إذا إستثنينا أول احتكار لغابات الفلين لفائدة الأقلية الأوروبية.

من خلال هذه المعطيات يتضح لنا تزايد السكان في دائرة عزابة (1407+) ودائرة جيجل (+2838) أما دائرة القل التي بقيت على حالها فإن

الكارثة الديمغرافية

هذه الظاهرة يترجمها إستقبال الناس القادمين من نواحي أخرى أي النواحي الجانبية المتضررة والمتأثرة كثيرا.

اللوحة 25 - نقصان السكان من 1866 إلى 1869.

الدوائر	العدد	النسب المئوية %
قسنطينة	61.824	40
الميلية	3.693	12
عين البيضاء	18.483	32
تبسة	18.314	44
سطيف	22.519	15
تكتونت	1.485	4
بجاية	8.412	9
برج بوعريج	13.977	14
باتنة	22.427	20
قالمة	6.644	18
المجموع	177.778	19,7

المصدر : نوادي (29) ص 369.

غير أن نسب الخسائر تتطلب تعليقا فهي من دون شك بعيدة عن الواقع مثلما تظهر الحالة المدنية في بجاية، فدراسة إعلانات الوفيات تتطلب ذلك لأن المركز الذي نذكر فيه نسبة 10٪ من الوفيات كان قد استقبل عددا كبيرا من الجوعى والمشرفين على الموت والقادمين من الهضاب العليا لسطيف .

إذا كانت عقود الوفيات المسجلة سنة 1867 لا تشد الإنتباه ولا تعبر عن أي أثر... لوباء الكوليرا فالأمر ليس كذلك بالنسبة لسنة 1868. لقد

الخصيلة في مقاطعة قسنطينة

تضاعفت الإعلانات ووصلت إلى 110. ووصل الحد الأقصى الشهري في شهر ماي لـ 29 عقدا. يرجع هذا الحد الأقصى قبل كل شيء إلى الوفيات التي وقعت في المستشفى وهو ما يعادل 13 في المجموع ويقارب النصف (44%) نضيف إلى ذلك أن نقص إعلانات الوفيات الخاصة بالنساء والأطفال كان فادحا تبرز هذه الملاحظات نقص تقييم الحالة المدنية، فلابد إذا من مراجعة تقييم الخسائر، حسب أرقام الإعلانات التي بلغت فيها نسبة الوفيات إلى 12.41% لسنتي 1867 و1868 وهذه النسبة تبقى بعيدة عن الواقع لأن القيمة تصل إلى 20% تقريبا وهذا هو الرقم الذي يجب أن نحفظ به، لأنه لا يمكننا قبول المجموع السنوي لسنة 1867؟ فهو نجت المدينة من الوباء فإن العدوى (إعلان وفيات الأشخاص القادمين من الدواوير القريبة من سطيف) تبقى تأثيرها على سكان المدينة، ففي سنة 1867 كانت هناك (76 وفاة) وتميزت سنة 1868 خصوصا (93 وفاة) أما بالنسبة لمعدلات 1866-67 فإنها ليست عفوية مع أنها شهدت تحسينات في الإجراءات، أما مجموع سنة 1871 فإنه يتناسب مع آثار الانتفاضة طيلة هذه السنة.

ملوحة 26 - تطور إعلان الوفيات في بجاية.

السنة	العدد
1866	55
1867	50
1868	110
1869	76
1870	93
1871	102

وأحي أخرى أي

سبب المئوية %	
40	
12	
32	
44	
15	
4	
9	
14	
20	
18	
19,7	

ن شك بعيدة عن
إعلانات الوفيات
الوفيات كان قد
ت والقادمين من

الانتباه ولا تعبر عن
سنة 1868. لقد

" إذا فدراسة المصادر لوحدها تعطينا فكرة عن فجوات الإحصائيات المستعملة من طرف نوّشي فمنطقيا لا بد أن يفوق معدل النسبة للدائرة ويتجاوز بكثير معدل نسبة المدينة عكس ما نلاحظه... يصعب علينا إذا قبول معدل للخسائر ادني من 10% وان كانت هذه المناطق قد نجت من الوباء مثل التي عرفت بعض الاستيطان.

(2) النواحي المتأثرة

هي كل تلك النواحي التي تتأرجح قيمها ما بين 14 إلى 30% والتي تتعلق بدوائر برج بوعريريج (14%) سطيف (15%) قالمة (18%) وباتنة (20%) والتي تنتشر جنوب المناطق الأولى (بجاية) وتضم جزءا من الهضاب العليا وجزئيا جبل الأوراس جنوبا.

توجد فوارق معتبرة لاسيما ضمن هذه المجموعة ولكن أيضا وسط كل مركز وبين المراكز السكانية كما تظهر ذلك الإحصائيات المتوفرة والشهادات. هكذا فإن حوصلة وباء الكوليرا - بل تقييمات جزئية- تكون كالتالي في صائفة 1867 : 134 في بوسعادة و249 في المسيلة و608 من بينهم 241 طفلا في برج بوعريريج. وكانت النتائج أثقل بكثير في دائرة سطيف : 5349 وفاة من بينها 1660 طفلا و 1748 امرأة من مجموع تعداد سكاني يبلغ 146.000 نسمة⁽³⁾ وهو ما يتجاوز بقليل خمس الخسائر وذلك في بضعة أيام من الصيف وبدون ذكر نقص التقييم الفادح للأطفال والنساء.

إن الآثار صارت كبيرة ومستدامة في الشتاء والربيع اللذين تليا ذلك حسب ما تبرزه تلك الأحداث والمعانيات المتعددة. إذا كانت سجلات الوفيات بسطيف غير موجودة⁽⁴⁾ فالبيانات المدرجة في الجريدة المحلية⁽⁵⁾ والمتعلقة بشهري مارس وافريل تظهر ذلك جليا فلا نجد إلا عقد ميلاد واحد مقابل 192 عقد وفاة طيلة هذه الفترة كما تطرقت الجريدة الباريسية إلوستراسيون التي تناولت مشكلة الكوارث بصفة أو

الحصيلة في مقاطعة قسنطينة

بأخرى 6 مرات وخصصت لذلك صفحة كاملة تقريبا لمراسلة صادرة من سطيف، ولكن مع صورة مطمئنة متغيرة عن المشاهد اليومية وأقل أساسة. بعنوان "تقسيم المواد الغذائية للعرب من طرف المعمرين الفرنسيين في سطيف"⁽⁷⁾ لكن رغم الفكرة الرئيسية المعروضة من طرف صاحب (الكرم) يمكن للقارئ المتنبه أن يحيط علما بالواقع وأن تكون له فكرة عامة تقترب من الواقع المعاش في سطيف وأريافها⁽⁸⁾. أما مدير شركة الجينيفية فهو مختار كثيرا قبل كل شيء من العواقب التي تتركها الكوارث فيما يخص العمل. فكتب لرئيسه في جينيف (سويسرا): "إن الأهالي يموتون جوعا حول وداخل المدينة... في ناحية العلمة. اختفت فرقة من 400 عضو ولم يبق فيها إلا 10 فقط... إنهم لا يدفنون"⁽⁹⁾. إن هذه الشهادات المختلفة الآتية من مصادر مختلفة تطلعتنا على الحالة المأساوية للهضاب العليا لسطيف والأمر كذلك جنوب الحصنة وبوسعادة وفي ظروف كهذه فالتقييمات المذكورة آنفا (اللوحة 25) تتعد كثيرا عن الواقع.

(3) النواحي الكثيرة التأثير

إن السهول القسنطينية وكل الجنوب الشرقي للمقاطعة قد تأثر كثيرا كما نتعرف على ذلك في المقاربات الأولى من خلال الإحصائيات الرسمية المتعلقة بدوائر عين البيضاء (32%) وقسنطينة (40%) وتبسة (44%) هذه المقاطعات الثلاثة تمثل لوحدها أكثر من نصف الخسائر. في الواقع فإن الفروقات بارزة جدا عبر هذه المجموعة الثالثة مثلما تشرح ذلك التفاصيل والشهادات التالية. هكذا ففي الدائرة الأبعد جنوبا أي دائرة تبسة التي انقرضت بها مجموعات بكاملها: ضيقت العلونة أكثر من نصف سكانها: 4321 من مجموع 8339 وهو ما يعادل 52.6%⁽¹⁰⁾. أما أولاد سيدي يحيى بن شعيب الذين انقرضت منهم مجموعة كاملة، وانخفض تعداد السكان من 10.211 إلى 4325 نسمة لينخفض الرقم بـ 6886 نسمة.

الكارثة الديمغرافية

وهذا يعادل نسبة مئوية تقدر بـ 67.6%⁽¹¹⁾ وبقيت الآثار لمدة طويلة كما يظهر ذلك التقرير المكتوب بعد هذه الكارثة⁽¹²⁾.

"لن يتمكن أهالي دائرة تبسة الوقوف بعد هذا الخذلان الذي أغرقهم فيه الوياء والفقر".

أمام مثل هذه الوضعية نتساءل عن الأسباب الحقيقية والمباشرة لهذه الكارثة. إن بعض المعطيات -وجيزة جدا ولكنها منبئة- قدمتها الصحافة في صيغة إجمالية، هكذا فإن الجريدة شبه الرسمية أخبار تشير بالرغم من بعض التحفظات عن إنشغالها الكبير بهذه الناحية مذ خريف 1867 وترجع العوامل الأساسية إلى غياب أو شبه غياب البذور والحيوانات مع عدم استطاعة الفلاحين شراء المواشي ونحن نتساءل عن العواقب المنتظرة والتي لا مفر منها.

"إننا نخشى أن الفقر، بموكبه البائس، سيظهر عن قريب في دائرة تبسة إن الأهالي الذين جنوا بعض القناطر من القمح باعوا الجزء الباقي⁽¹³⁾".

ويضيف:

"إننا نتذكر أن هذه الدائرة هي من بين الدوائر التي تضررت كثيرا بشرا ومواشيا، من جراء مجاعة السنة الماضية...".

وهذا مس كل جنوب المقاطعة بكثرة الوفيات. لقد مرت بسكرة طيبة صائفة 1867 بواحدة من أشنع الفترات في تاريخها. منذ نهاية جويلية سجلنا ما يقرب من مائة وفاة في اليوم مع حد أقصى يصل إلى 120⁽¹⁴⁾ من ضمن سكان يصل تعدادهم إلى 56.000 نسمة (مع الواحات القريبة من دون شك) إنها كوارث معمة ووصل الأمر فيها إلى إخلاء المدينة بصفة مستعجلة (45).

أما جنوبا من الناحية الحدودية لدائرة تبسة فالحالة مماثلة. انقرضت المواشي وأصيبت المجموعات بشدة مثلما أكدت السلطات المحلية على ذلك "اجتاح وباء فتاك السكان المحرومين من كل شيء والذي... تسبب

الحصيلة في مقاطعة قسنطينة

في وفيات هائلة لا يمكن تقديرها نظرا للانهيار المعنوي الذي وصل إليه قادة الأهالي⁽¹⁶⁾.

أمام شساعة الكارثة، فإن الناجين فرّوا في كل الاتجاهات في الغرب نحو بسكرة وفي الشرق نحو الجريد والجنوب التونسي. وفيما يخص ولاء سيدي عبيد الذين كانوا في زمن مضى أقوياء، فلم يبق منهم إلا خيمة فقيرة جدا، كما لاحظ ذلك أحد الرسميين⁽¹⁷⁾.

إن كانت الوفيات أقل قوة في دائرة قسنطينة فإلخسائر في الأرواح على العكس من ذلك عديدة لأن نقصان عدد السكان المسجل رسميا سنة 1869 يتجاوز قليلا 60.000 نسمة (اللوحة 25) ويتعلق الأمر بالناحية أكثر كثافة سكانية وهذه الأخيرة لوحدها مثلت ثلث الخسائر... وهذا مع عدم إمكانية متابعة التطور في الدائرة بالتفاصيل وهذا ما أجبرنا على دراسة عاصمة المقاطعة لوحدها بفضل معطيات الحالة المدنية

4- تطور الوفيات في قسنطينة

إن تحليل هذه الإحصائيات يبرز حالتين: الأهمية النسبية للوفيات وبالأخص التطور الشهري طيلة الفترة القصوى (اللوحات 27 و28)

طيلة السنتين المتتاليتين 1867-68 ارتفع مجموع إعلانات الوفيات إلى 4.435 وهو ما يعادل 19.9% ويظهر الفارق هاما جدا حيث أن الظاهرة عكفت ما يقارب 40% نظرا لقلّة الإعلانات الحقيقية والتي لا مفر منها عندما تظهر ذلك العديد من الإشارات (قلّة نسبة وفيات النساء، 41.1%- في مجمل سنة 1866، وأكثر من ذلك ضعف إعلانات الوفيات عند الأطفال...) بيد أن النسبة التي تأخذ بعين الاعتبار يجب أن تتجاوز أكبر كبحر 20% مثلما يشير إليه التطور السابق، وعلى الخصوص فإن تزايد إعلانات الوفيات لسنة 1863 وطيلة ثلاث سنوات متتالية، وهذا بغض النظر عن الرصيد السلبي المتتالي منذ سنة 1861 (اللوحة 27) وطيلة كل عشرة المدروسة (1861-1872) فكل الملاحظات تتطلب بيان الخطورة

الكارثة الديمغرافية

المتأزمة السابقة وتؤكد على الضعف الصارخ لتسجيل عقود الوفيات طيلة هذه الفترة الاستثنائية للوفيات في سنتي 1867-68. في كل الأماكن الأخرى من بجاية مثلا أو من المدن الأخرى التي درسناها (تابع ما سبق) فالفارق بين إعلانات سنة 1866 وسنتي 1867-1868 فارق شاسع يتغير من الضعف إلى ثلاثة أضعاف وأكثر من ذلك في بعض الحالات.

اللوحة 27 - الحركة الديمغرافية للسكان الأهالي في بلدية قسنطينة.

السنة	الولادات	الوفيات	الحصر
	857	908	51 - 2%
1862	697	878	181 - 10,1
1863	611	1087	476 - 27,1
1864	587	1112	525 - 30,7
1865	540	1199	659 - 39,7
المجموع	3292	5184	1892 58,3%
المعدل السنوي	37,6%	42,7	20,6%
1866	673	952	279 -
1867	635	1662	1027 - 46,7
1868	439	2773	2334 - 111
1869	502	1336	834 - 45
1870	542	1125	583 - 31,5
1871	551	1412	861 - 37,7
1872	516	931	415 - 23,1
المجموع	3858	10191	6318 65,2%
المعدل السنوي	24,7%		40,5%

الأشهر
جانفي
فبراير
مارس
أفريل
ماي
جوان
جويلية
أغسطس
سبتمبر
أكتوبر
نوفمبر
ديسمبر
المجموع

المصدر: العانة

الحصيلة في مقاطعة قسنطينة

فإنها لا تصل في قسنطينة إلا لـ 76% سنة 1867 و 191% في سنة 1868؛
 صفت إلى ذلك أن الفارق بين عدد العقود سنة 1867 والمعدل للفترة
 خماسية ما بين 1861-1864 (1.036) لا يزال ضعيفا جدا. كل شيء يسير
 وكان جساممة الكوارث تجعل السكان يتهاونون عن الإجراءات الإدارية.
 ولو أن الوفيات في المدن تكون حتما أقل من الوفيات في الأرياف
 الموجودة في الدائرة المناسبة مثلما لاحظنا ذلك في النواحي الأخرى
 أخطر حالة البلدة و القليعة ومليانة على الخصوص). فإن الفارق لا
 يمكن أن يكون عاليا مثلما تبرزه إحصائيات الحالة المدنية وهو ما يعادل
 على التوالي 20 و 40%.

نمهما يكن فإن التطور الشهري رغم قلة الإعلانات. هام ويختلف أيضا
 عن المدن التي ذكرناها والتي أظهرت تحسنا منذ أواخر ربيع سنة 1868
 في المدن التي سبق ذكرها، أما في قسنطينة (اللوحة 4) فهناك مداومة
اللوحة 28 - التطور الشهري للوفيات.

الأشهر	1867	1868
جانفي	121	177
فبراير	75	227
مارس	84	295
أفريل	62	285
ماي	88	230
جوان	53	192
جويليا	147	205
أغسطس	314	209
سبتمبر	94	298
أكتوبر	329	278
نوفمبر	103	220
ديسمبر	192	157
المجموع	1662	2773

المصدر: الحالة المدنية بقسنطينة.

بود الوفيات طيلة
 في كل الأماكن
 ها (تابع ما سبق)
 ش شاع يتغير من
 ات.

ية قسنطينة.

الحصر	
2%	- 5
10,1	- 18
27,1	- 4
30,7	- 5
39,7	- 6
12,6	189
20,6%	
	- 2
46,7	- 10
111	- 23
45	- 8
31,5	- 5
37,7	- 8
23,1	- 4
	63
40,5%	

الكارثة الديمغرافية

عادية تقريبا في تسجيل العقود طيلة سنة 1868 وهنا لا بد من توضيح هذا التطور وفق الزمن.

بلغت العقود 1662 سنة 1867 وهو ما يعادل 7.5% فقط من الخسائر المتعلقة بكوارث سنتي 1867 - 68. كما نلاحظ منذ جويلية تزايد مفاجئا، فمجموع هذا الشهر (147) هو ثلاث مرات أكبر من شهر جويلية وكان الحد الأقصى الثاني في شهر أغسطس من نفس السنة وهو 314 وفاة عكس ما نلاحظ في النواحي الأخرى.

وهذا الحد الأقصى بالنسبة للإعلانات الكاملة للسنة هو (18% مقابل أكثر من الثلث المسجل في غالب الأحيان في النواحي الأخرى ...) ولعل ذلك هو النتيجة المباشرة لوباء الكوليرا.

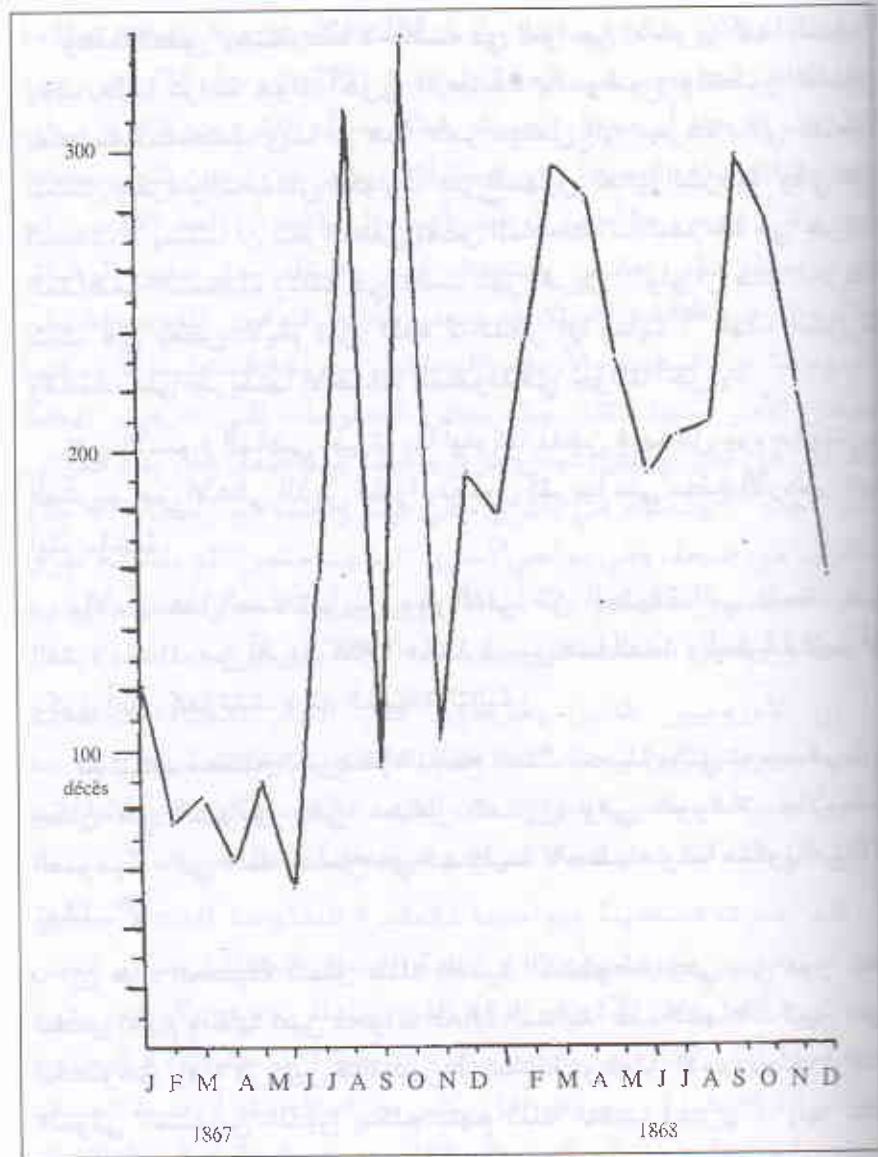
إذا كان عدد العقود لا يصل إلى 94 في شهر سبتمبر فإننا نجد 329 عقد في شهر أكتوبر وهو أول حد أقصى للسنة مظهرا هكذا الخطورة المعقدة أكثر مما كان عليه الحال في بداية الصيف. ستفانم الآثار مع البرد القارس للشتاء ومظاهر أخرى مثل القدوم المكثف لسكان الأرياف الفارين من النواحي البائسة...

إن هذه الظروف الخاصة والعامة هي التي تشرح تطور سنة 1868 حيث وصل مجموع الإعلانات إلى 2773 وهو ما يعادل 62.6% من الخسائر في الأرواح سنة 1867-68. وبما أننا لم نستطع دراسة تفاصيل الأوصاف الجغرافية للمتوفين المعلن عنهم مثل الجهات الأخرى، فإننا لم نستطع ضبط عدد الحضر في هذا المجموع فالمجموع يشير إلى تدهور الظروف المعيشية مع بقاء السكان على قيد الحياة ومن هنا بدأ يتزايد عدد الوفيات في بداية السنة ووصل إلى معدلات عالية جدا من فبراير إلى ماي مع تسجيل حد أقصى بـ 295 وفاة (اللوحة 28- الصورة 16) لشهر مارس، وهذا بعد نقص في شهر جوان كما بلغ السداسي الثاني معدلات شهرية عالية. سجل في شهر سبتمبر الحد الأقصى لكل السنة بـ 298 وفاة.



الصورة 16- تطور

الحصيلة في مقاطعة قسنطينة



الصورة 16- تطوّر الوفيات في بلدية قسنطينة

لا بد من توضيح

من الخسائر
جويلية تزايد
من شهر جوان
وهو 314 وفاة.

هو (18% مقابل
أخرى ...)

فإننا نجد 329
هكذا الخطورة
تتفاقم الآثار مع
لسكان الأرياف

سنة 1868 حيث
من الخسائر في
تفاصيل الأصل
فإننا لم نستطع
تدهور الظروف
بدأ يتزايد عدد
من فبراير إلى
صورة 16) لشهر
الثاني معدلات
سنة بـ 298 وفاة.

وهذا التطور يختلف عما لاحظناه في النواحي الأخرى. لهذا السبب يجب علينا دراسة مواد أخرى للإحاطة بالموضوع والتطور الخاص بعاصمة المقاطعة. وبما أن هذا الأمر سيصل إلى معرفة باقي الناحية لنشكل فكرة واضحة عن الكوارث عبر السهول العليا الشرقية. وفي هذا الصدد، لا يمكننا أن نتعرف على بعض الملاحظات المدرجة في جريدة المقاطعة المستقلة وذلك في نصف شهر أبريل... ولو أن هذه الجريدة كانت في بعض الأيام قبل ذلك لا تذكر أي بداية⁽¹⁸⁾ لهذه الكوارث. وقد تمت على طريقتهما الأحداث المنقولة في جرائد أخرى.

"في الأسبوع الماضي، مرت بنا أيام كنا ندفن فيها كل يوم ما يقرب من العشرين من الأهالي الذين كانوا يدفنون تقريبا على سطح الأرض. أيام ساخنة.

والآن هذا العدد تقريبي وهو أدنى من الحقيقة التي طبعت في الفترة بالذات من أبريل 1968 فالفارق بين هذا العدد والحقيقة لا بد أن يكون أعلى كما تثبت ذلك الشهادة التالية :

"لم تتكلف مصالح الشرطة إلا بجمع الجثث النحيلة والتي توجد في كل مكان في الطريق وفي دهاليز المنازل وفي الورشات والأماكن العمومية... في ذلك الصباح في قسنطينة لاحظنا موكبا متكونا من نعشا...⁽²⁰⁾

إن هذه الحصيلة تتعلق بتلك الفترة المضبوطة وهي من دون شك لبعض الأيام ولكنها تبين فجوات الحالة المدنية. هذه الشهادات تبين عن الخصوص وفاة قرويين قاصدين قسنطينة. ويتعلق الأمر بجثث أولئك "الموتى المتنقلين" الذين يتكلم عنهم ذلك النقيب أبيري⁽²¹⁾. إنها تلك الأشباح التي تتكالب عليها قوات الشرطة والجيش لمطاردها خارج شوارع المدينة بواسطة جبل... وبفضل التوضيحات المقدمة من طرف مؤلف آخر. مارسيي⁽²²⁾ الذي مكننا من تقييم تقريبي لضخامة

الحصيلة في مقاطعة قسنطينة

حيات، وهكذا يذكر في شهر مارس 288 وفاة وهو عدد يتوافق شيئاً ما في عدد الموجود في الحالة المدنية (295-اللوحة 28). في هذه الظروف نلاحظ أن معدل الخسائر يمثل حسب الفترة من 2 إلى 6 مرات عدد وفيات سكان المدينة وهي نسبة أكبر بكثير من المدن التي درسناها والتي تخص مقاطعة الوسط. أضف إلى ذلك أن الحد الأقصى تم تحديده منذ شهر جانفي ويتحدث نفس المؤلف عن مدى الوفيات الكثيرة في الإقليم العسكري، ويعني بذلك النواحي الموجودة على حدود ما بين المدينة والأرياف "المستقبل" جريدة قسنطينة لا يمكنها محض الأمر لكنها اكتفت بث بعض المعلومات التي أدرجت "نهضة جرجان" في جبل وحش (شمال-شرق عاصمة المقاطعة) كان عدد الموتى فيها ⁽²³⁾ وكذلك في الشرق وفي ليلة واحدة تم إحصاء 17 جثة قرب من ضيعة، وفي نواحي أخرى "المشهد متعس" لم يستطع بيروي جمع الجثث من مخيمهم...⁽²⁴⁾ أما الأوروبيون، أو بالأحرى بعضهم، فإنهم يحجلون بعض المشاهد اليومية مثلما أتى بذلك بيروي:

الأوروبيين الذين يخرجون قبل النهار لقضاء حوائجهم يصاحبه ينظرون برعب لتلك القافلة الطويلة والبائسة وهي تتوجه نحو مقبرة المسلمين. الجنازة عند العرب غالباً ما يكون فيها الضجيج والرقص في هذه المرة مرت بلا صراخ وخيم عليها صمت الموت⁽²⁵⁾.

عند صارت قسنطينة ونواحيها كالمقبرة المفتوحة لعدد لا يحصى من المتضورين جوعاً وهزالاً. إن نسبة الخسائر المتعلقة بسكان المدن المذكورة آنفاً يناهز 20% وهو الرقم الذي يحتفظ به وهو يكون من دون حد أدنى أما فيما يخص باقي الناحية (اللوحة 25) فالمجموع لا حود من مصدر رسمي هو أقل بكثير من الواقع ولو أن نسبة الخسائر المتوقعة من طرف نوشي تصل إلى 40% وهي نسبة عالية، في الواقع إن الحسابات تتطلب مراجعة وتعليقاً، فلندرسها ونحاول معرفة حقيقة المقاطعة.

(5) - حوصلة المقاطعة

أسس نوشي دراسته على تعداد السكان لسنة 1866 (902763) وسنة 1869 (724689) للحصول على معدل النسبة للمقاطعة فتعداد الخسائر يصل إذا إلى 178074 نسمة⁽²⁶⁾ مع أن نفس المؤلف قيم تعداد السكان سنة 1866 بـ 1.100.000 نسمة.

نلاحظ هكذا سببا مزدوجا لأسباب نقص التقييم. الأول ينجم عن تعداد السكان لسنة 1866 (فارق شاسع) وبإحصاء معطيات 1869. التي لا يمكننا قبولها فكيف استطاعت المكاتب العربية الحصول على نتائج مقبولة بعد بضعة أشهر من بعد كارثة 1867-1868؟ أما أرقام سنة 1869 فإنه يصعب علينا الإحاطة بها لكنها تبتعد كثيرا عن الحقيقة...

لابد من قبول الفارق الواضح جدا ما بين المقاطعتين المتاخمتين. له يتأثر كثيرا الشاطئ والسلسلة الجبلية لمقاطعة قسنطينة لكن نسبة الخسائر تعادل أو تفوق بقليل نسبة بلاد القبائل وتكون إذا ما بين 10 إلى 15... أما باقي المقاطعة فإنها تأثرت كثيرا. وهنا وصلنا إلى تقييم من خلال التحريات ومواجهة الشهادات ولا حظنا نقصا بالغا في تقييم المعطيات الرسمية فلو أخذنا كمرجع نسبة الخسائر المحدودة، من قبل نوشي بـ 20% وهذا بتعداد سكاني شامل يقدر بـ 1.100.000 فالحصيلة الدنيا لا تكون أقل من 220.000 وفاة أما فيما يخص حساب نسبة الوفيات فإنها تشرح لنا مدى الكوارث سواء على المستوى المحلي والجهوي إذا كان المعدل يصل إلى - 20⁽²⁷⁾ طيلة الفترات العادية. فإنها وصلت إلى 28% طيلة الأربعة أشهر الأولى لسنة 1868 مع حد أقصى بـ 288.4% لتبسة.

وهنا أيضا كانت أسس الحساب منبثقة من المعطيات الرسمية... ولا بد من أن النسب قد تكون أعلى بكثير وتترجم جيدا هذا التطور الخطير.

الحصيلة في مقاطعة قسنطينة

أخيرا يجب علينا أن نقارن خسائر المقاطعتين المتاخمتين. فهي تتعادل على العموم لكن تعداد سكان الوسط (مقاطعة الجزائر) اقل بكثير من تعداد السكان في مقاطعة قسنطينة ويشير وامبفين إلى عدد 750.000 نسمة بالنسبة لعدد السكان في الوسط ولكننا لم نقتد هذا الرقم لغياب المعطيات .

في الأخير فإن مقاطعة قسنطينة قد تأثرت كثيرا باستثناء الشاطئ والأطلس التلي. لقد انقرضت السهوب العليا والنواحي الصحراوية. والأمر كذلك فيما يخص مقاطعة الغرب على العموم.

18 (902763) سنة
تعداد الخسائر
م تعداد السكان سنة

م. الأول ينجم عن
طيات 1869. التي لا
حصول على نتائج
ما أرقام سنة 1869
الحقيقة...

تتين المتاخمتين. لم
قسنطينة لكن نسبة
ن إذا ما بين 10 إلى
صلنا إلى تقييم من
صا بالغا في تقييم
المحدودة، من قبل
1.100.000 فالحصيلة
خص حساب نسبة
المستوى المحلي
ترات العادية، فإنها
18 مع حد أقصى

الرسمية... ولا بد
التطور الخطير.

ملاحظات

1. نوشي (29) ص 336-378 و (30) ص 105-139.
2. حسب ألكيس (1) إن الخسارة التي ترجع إلى وباء الكوليرا تصل إلى 1954 من أسيوط إلى آخر الشهر.
3. ألكيس (1) 163.
4. جرت البحوث في شهر مارس 1978. هل يرجع هذا الضياع إلى تحويل الخريف إلى المحل الجديد المخصص للحالة المدنية أم ترجع إلى تاريخ سبق تحويل؟
5. حسب جريدة "السطايفي" ذكرت "أخبار" في 07 ماي 1868، ولكن حسب بييري (6) فإننا نعد في شهر مارس 468 ولادة و 288 وفاة فقط.
6. "الصورة" باريس 1868. 1. 31. ص 18. 3488. فيما يتعلق بزيارة أسقف وهران إلى معسكر. 148، 184 و 412.
7. أعيدت أيضا من طرف راي غولد زيغار (33) ص 499، اللوحة الخامسة.
8. "الصورة" 51. ص 148.
9. أرشيف شركة جنيف مراسلة من سطيف في 4 ماي 1868. ذكرتها غولد زيغار (33) ص 459.
10. "نوشي" (30) ص 123.
11. "نوشي" (28) ص 370.
12. التقارير الشهرية 1866-67، دائرة تبسة. أرشيف "أكس أن بروفانس".

الكارثة الديمغرافية

13. أخبار في 8 نوفمبر 1867
14. بورزي (18) ص 59.
15. تكاثرت الوفيات بسرعة مروعة حتى أن الأحياء لم يتمكنوا من دفن الموتى... أخيرا وصل الأمر إلى إخلاء المدينة إن عدد... الجثث كان كبيرا جدا ولم يتمكن من دفنهم. أخبار في 30 أغسطس 1867.
16. ذكره كاستال الملازم المكلف بمصالح الأهالي في تبسة، تاريخ ورسم الإقليم الجزائري باريس 1876 ص 143.
17. ذكره كاستال، ص 144.
18. إننا نرى العرب ميتين ولم يبقى منهم إلا الجلد والعظام ونقول في كل مكان أنهم ماتوا جوعا... كلا فمن هذا العدد مات خمسة من التخمّة وثلاثة من الضحك ومات اثنان لأنهما على حال لا بد فيه أن يموتا وكان واحد منهم لا بأس به... كان ينام هكذا نكتب التاريخ... إن تقرير الجنرال القائد لقسم الجزائر جاء لحسن الحظ لتهدئة الأوضاع وإسكات الكلام القبيح وإرجاع حقيقة الأحداث... ماذا تعني كل هذه الطلبات التي يسمح بها في كل مكان هذا التسول وهؤلاء المتسولين؟ ذكرته جريدة 'ليكو دوران' (Echo d'Oran) في 11 مارس 1868.
19. ذكره 'ليكو دوران' في 31 مارس 1868.
20. بييري (61) ص 260.
21. بييري ص 260-263.
22. مارسيني (60) ص 269.
23. ذكره 'لاندباندنت' (l'Independance) في 18 أبريل 1868.
24. ذكره 'لاندباندنت' في 18 أبريل 1868.
25. بييري (61) ص 262.
26. هناك فارق ضئيل بالمقارنة مع اللوحة 25 لأن المؤلف يحتسب في العدد الإجمالي دوائر عزابة و القل. إن الحوصلة الإيجابية المذكورة في بعض النواحي من طرف 'نوشي' مقبولة بصعوبة حتى ولو أن الأمر يتعلق بنواحي سلمت نسبيا وجلبت الجوعى... الذين هم على حافة الموت كل هذا يدل على التحفظات التي يجب اتخاذها نحو المعطيات الرسمية وعلى الخصوص في نفس هذه الظروف.
27. 'نوشي' (30) ص 118.

م يتمكنوا من دفن
كان كبيرا جدا ولم

تاريخ ورسم الإقليم

ونقول في كل مكان
ثلاثة من الضحك
نهم لا بأس به... كان
أثر جاء لحسن الحظ
ماذا تعني كل هذه
بولين؟ ذكرته جريدة

الفصل الثالث

الحصيلة في مقاطعة وهران

هذا الفصل هو حصيلة ما ذكرناه في الفصول السابقة من تاريخ وهران وحوادثها من سنة 1868 إلى سنة 1900. وقد ذكرنا في هذه الفصول ما كان من شأنها من أحداث عظيمة وأثرها في حياة سكانها. وقد ذكرنا في هذه الفصول ما كان من شأنها من أحداث عظيمة وأثرها في حياة سكانها. وقد ذكرنا في هذه الفصول ما كان من شأنها من أحداث عظيمة وأثرها في حياة سكانها.

لف يحتسب في العدد
في بعض النواحي من
في سلمت نسبيا وجلبت
مات التي يجب اتخاذها

1868

لقد تأثرت مقاطعة وهران كثيرا مثلما تأثرت مقاطعة الوسط. ونذكر بعض نواحيها الشلف والشاطئ من الشنوة إلى تنس ولقد كان التأثير اخطر على الخصوص في دائرة معسكر وكل جنوب المقاطعة فلا المعطيات المختصرة والشاذة للحالة المدنية ولا التصريحات المقدمة من طرف الملاحظين المحايدين نوعا ما يمكنها أن تعطينا نظرة شاملة ومقبولة عن النتائج العامة. لقد اختار الرائد القائد العام للمقاطعة أن يصمت عوض الكشف عن الحقيقة واتخذت الصحافة نفس الموقف إذا ما استثنينا بعض الأخبار القصيرة المدرجة في الصفحات الوسطى لبعض الجرائد المحلية وعل الخصوص "لوكوريي" لمستغانم وتلمسان أما الجريدة الكبيرة في المقاطعة ليكودوران، فإنها اتخذت نفس الموقف وهو الصمت...

مهما يكن ورغم كل الحواجز الموضوعية من طرف النظام الاستعماري فإن بعض الشهادات تلوح من وقت إلى آخر مثل شهادة الراهب الذي أراد أن يلفت النظر إلى :

"الحالة الفظيعة للعرب والتي تجاوزت كل حدود الخيال في المراكز مثل وهران وسيدي بلعباس حيث كانت الجثث تجمع كل يوم بالعشرة والعشرين والثلاثين للأشخاص الذين كانوا يموتون جوعا. أنا لا أتكلم إلا على سكان قريتي لكن الأمر نفسه كان في كل مكان. وماذا يجري إذن في المراكز الأخرى البعيدة؟ في كل مكان كان في الأدغال والواحات جثثا أكل نصفها من طرف الذئاب والضباع."⁽¹⁾

أما من الناحية الديمغرافية فالواقع أكثر تعقيدا وتصعب الإحاطة به وهذا في غياب الإحصائيات التي تغطي النواحي الواسعة المختلفة. إن المشاهد اليومية التي كان يظهرها آنذاك مركز معسكر قد تركت من دون شك بصمات لا تنسى وللأبد على جيل بأكمله. طيلة السداسي الأول لسنة 1868، كان الأموات يحسبون بالعشرات والعشرات وحتى بالمئات بل كانوا يقدرون. إنها قوائم طويلة من المجهولين ولكل مجموعة من الموتى لا يخصص إلا سطر واحد دون أي إيضاح عدا إشارة "مجهولين" (صورة طبق الأصل رقم 8) حتى ولو وصل العدد إلى رقم قياسي... 211 وفاة في 30 مارس. ولكن ما هو الفرق بين الأرقام والواقع؟ انه واقع نسي للأبد أفسدته وسائل الإعلام لتلك الفترة التي مضت. ويبقى الصمت مخيما ولمدة طويلة على هذه المأساة.

لا بد أن نؤكد على الطابع التقريبي لهذا التحليل، فلا فائدة إذا في الدخول في التفاصيل وإعادة النقد الموجه للمعطيات الرسمية. على كل فإننا سنجتهد في التقويم وإعطاء نظرة عامة عن الدوائر الإدارية لوهران وسيدي بلعباس وتلمسان ومعسكر ومستغانم وهذا التقسيم الإداري المحض فرضته علينا فقط أملاءات إحصائية.

I - ناحية وهران

لا تتكون هذه الناحية الضيقة إلا من الشاطئ الشرقي حتى مصب المقطع والسهول الداخلية التي تحدها جنوبا الجبال المطلة على سيق والمحمدية وتلييلات وهي منطقة تأثرت كثيرا من الاستيطان كما تبرر ذلك العديد من المراكز المسكونة من طرف الأجانب والتي بنيت على حساب الأراضي الفلاحية. إن إعلانات الوفيات القليلة التي وجدناها عبر سجلات هذه المراكز لا تترجم إلا نسبة ضئيلة من الوفيات الحقيقية.

(1) التطور في السهول

تظهر الحدود القصوى لسنتي 1867 و1868 في جميع المصادر لكن لا بد من التأكد على أنها منقوصة في التقييم. ولهذا فإنها غير بارزة في رزيو، 50 عقدا سنة 1868 مقابل 46 في سنتي 1866 و1867 مع أنه على بعد 10 كلم. في بطيوة كان المجموع لسنة 1868 تقريبا ضعف سنة 1866. في قديل يظهر المجموع أهم نظرا لبطلان الإعلانات السابقة، لكنها كلها بعيدة جدا عن الواقع.

والأمر كذلك بالنسبة للمحمدية ولو لم تكن في ذلك الوقت إلا منطقة ملحقة لبلدية السيق. لكن الدراسة المعمقة لـ 33 عقدا مسجلا لأول مرة سنة 1868 لها دلالتها الخاصة وتسمح لنا باستنتاجات مفيدة للغاية على النواحي المجاورة. هكذا فإن 18 عقدا لمجهولين تتعلق بجثث جمعت في نقاط مختلفة من البلدية: الساحة العمومية والسوق والنقهي وبعض الديار ومخزن معمر... تتفاوت أعمارهم من 12 إلى 60 سنة مع معدل من 25 إلى 30 سنة كما أننا لا نسجل فيها إلا وفيات في صفوف الإناث - أما المتوفون المتعرف عليهم فمصدرهم هو الذي يشد انتباه الباحث أكثر. إنهم من الحوض الأسفل والمتوسط لوادي مينا، إن أصلهم من فليتا مع أننا لا نلاحظ إلا واحدا من بني شقران القريبة.

أما سجلات الحالة المدنية بالتليلات فإنها بقيت صامتة... لكن شهادات كاهن المركز ثمينة جدا. تشير هذه الشهادات إلى 200 مشرفا على الموت من الجوع والبرد والفقر ("النص الملحق رقم 4). أما الصغار في حالة عربة: "الأطفال الصغار عراة تقريبا ولا يظهر على أعضائهم النحيلة إلا الجلد الذي يغطي العظام... يسقطون على الأرض دون سبب" لا يمكن لهؤلاء الأكدميين أن يعيشوا في الشتاء، وتعمت المجاعة في بداية شهر فبراير ونتجت إثر ذلك تحركات للجوعى نحو عاصمة المقاطعة، وبالتالي فمنذ هذا الشهر كثرت تسجيلات عقود الوفيات للمجهولين وبقيت لفترة طويلة حتى نهاية السنة وذلك ما يبرز الآثار الطائلة للكوارث. مثلما تظهر ذلك معلومات الحالة المدنية للسيق.

الكارثة الديمغرافية

هنا لابد من تسجيل العديد من التفاصيل. يصل عدد إعلانات الوفيات إلى 201 سنة 1867 مقابل 87 سنة 1866 وهو ما يعادل تزايداً بـ 131% إن هذا التزايد ناقص من دون شك على النسبة الحقيقية ويرجع في جزئه الكبير إلى وباء الكوليرا. وكان الحد الأقصى قد تم بلوغه في أكتوبر وهنا تجولت آثار هذا الوباء في الزمن بالنسبة للمقاطعات الوسطى والشرقية للبلاد. أما في سنة 1868 فالتطور كان أخطر. لقد وصل مجمل إعلانات الوفيات إلى ... 1040 وهو ما يعادل تزايداً بـ 417% وهي أعلى نسبة في مقاطعة وهران أي ما يقارب نسبة عاصمة المقاطعة (أعلاه) إننا ما اعتبرنا الوفيات المتعرف عليها وهي 842. فالخسائر تمثل طينة الستين المتتاليين 41.1% ومثلما هو الأمر في النواحي الأخرى، فوفيات الأطفال والإناث منعدمة في غالب الأحيان ولا تظهر في الإعلانات ونتيجة لهذا فإن النسبة القريبة من الواقع تعادل على الأقل 50%... وهذه النسبة تترجم ملياً الكوارث التي أصابت السهول، لقد ضيعت دائرة وهران نسبة من سكانها وهو ما يقارب 8000 شخصاً. في مدينة وهران بالذات كان سكانها الأصليون يواجهون مشاكل عويصة للبقاء على قيد الحياة.

(2) الوفيات المسجلة في وهران

لا تسمح كتابة العقود على العموم بالتعرف على الحالات المختلفة للوفيات مثلما وجدناه في النواحي الأخرى. فنحن مجبرون على دراسة وجيزة.

فمجموع سنة 1867 لا يظهر إلا تزايداً بنسبة 152/ مقارنة بسنة 1866 مقابل 131 بالسيق (أعلاه) ويصل إلى 397 وفاة مقابل 157 سنة 1866. (اللوحة 29) بدأت تزايد الإعلانات منذ شهر سبتمبر وهذا ما يظهر خطر الظروف العامة للمعيشة والبقاء على قيد الحياة لقسم كبير من السكان.

اللوحة 29 - تسجيل الوفيات

السنة	الولادات
1866	119
1867	84
1868	62
1869	101
1870	77
1871	64
المجموع	507

المصدر: بلدية مستغانم.

أما المجموع لسنة 1868 فهو فقط وهو رقم أدنى من دون شك يبقى تقديره ويلاحظ هكذا ثلاث حدود شهر جوان يبقى عالياً مع شهر أفريل على العموم في 1868. ولأن الإحصاءات هنا فالنقص الذي نلاحظه في الوضع في المدينة لا يتناقض على كل أطراف المدينة مهما يكن فإن نسبة الخسائر 28.38% في 1868. إعلانات العامة للأشخاص من هذا العدد قريب من الوفيات

الحصيلة في مقاطعة وهران

اللوحة 29 - تسجيل الولادات والوفيات في وهران.

السنة	الولادات	الوفيات	الحصر
1866	119	157	38
1867	84	397	313
1868	62	900	838
1869	101	166	65
1870	77	160	83
1871	64	280	216
المجموع	507	2060	-1563

مصدر بلدية مستغانم.

أما المجموع لسنة 1868 فلا بد من ضبطه. حيث أن العدد لا يصل إلا لـ 900 فقط وهو رقم أدنى من رقم مدينة السيق الصغيرة (1040) وهذا من دون شك يبقى تقديرا ناقصا لان وهران تمر بفترة صعبة جدا، ونلاحظ هكذا ثلاث حدود قصوى شهرية من مارس إلى ماي ومجموع شهر جوان يبقى عاليا مع أن الحالة بدأت تتحسن في النواحي الأخرى منذ شهر أفريل على العموم يجب أيضا ذكر قلة تسجيلات الولادات لسنتي 1867 و1868. ولأن الإحاطة بالحصيلة العامة غير ممكنة مع أنها ثقيلة جدا فالنقص الذي نلاحظه مع نهاية الفترة عال جدا وهو 1553. وهو لا يمثل الوضع في المدينة لاسيما وان آثار الجذب الكبير الذي تلعبه عاصمة المقاطعة على كل أطراف الموطن (شاهد النص ملحق رقم 2).

مهما يكن فإن نسبة الخسائر تصل إلى 4.098 للسنتين (12.6٪ في 1867 و28.38٪ في 1868). نظرا للملاحظة السابقة من جهة وقلة الإعلانات العامة للأشخاص الصغار وبالأخص الإناث من جهة أخرى، فإن هذا العدد قريب من الواقع ويمكننا الأخذ به.

إعلانات الوفيات
تزايداً بـ 131٪ إن
ويرجع في جزئه
ملوغه في أكتوبر،
مناطق الوسطى
لقد وصل مجمل
417٪ وهي أعلى
مقاطعة (أعلاه). إذا
سائر تمثل طيلة
الأخرى، فوفيات
هر في الإعلانات
لأقل 50٪... وهذه
يبتع دائرة وهران
نة وهران بالذات
على قيد الحياة.

لحالات المختلفة
يبرون على دراسة

قارنة بسنة 1866

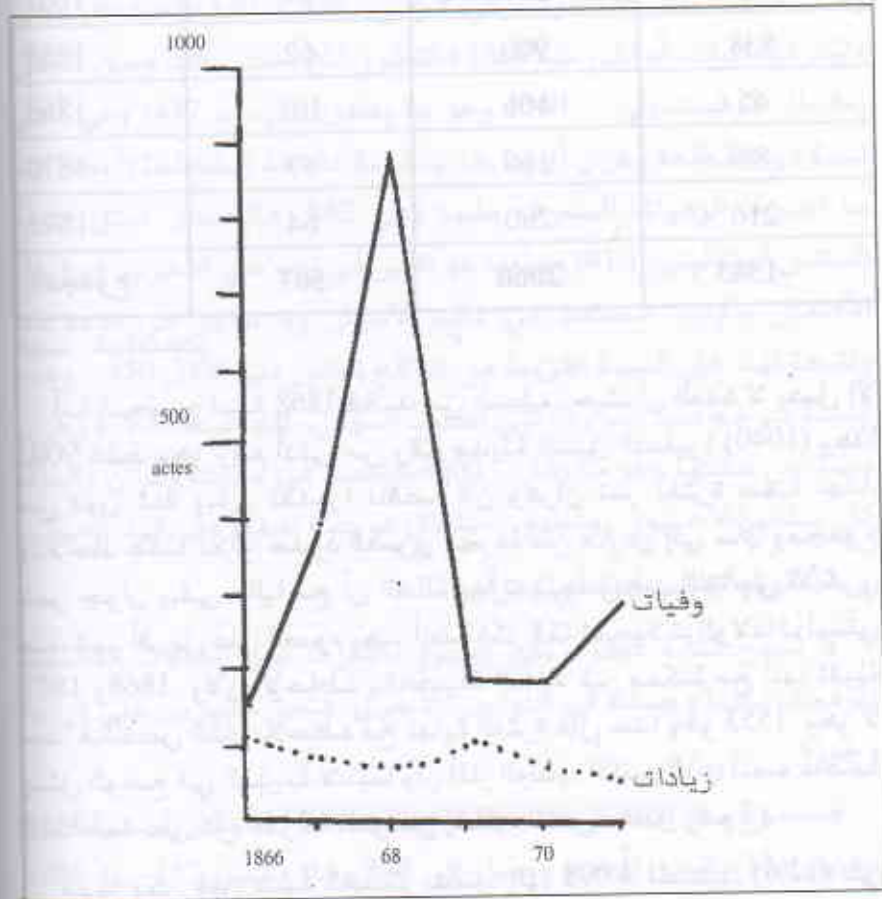
س 157 سنة 1866

وهذا ما يظهر

ة تقسم كبير من

الكارثة الديمغرافية

هذه هي الحالات الأساسية لانتشار الكوارث وسط عاصمة المقاطعة بالذات والحالة حول المدينة وعبر النواحي الأخرى للغرب الجزائري خطيرة جدا وصارت المشاهد المرعبة تتعمم في كل مكان. ويمكن معرفة ذلك عبر الأحداث والإحصائيات الجزئية و التالية.



الصورة 17- الحركات الديمغرافية الطبيعية المسجلة في وهران

والحالة حول المدينة وعبر النواحي الأخرى للغرب الجزائري خطيرة جدا وصارت المشاهد المرعبة تتعمم في كل مكان. ويمكننا معرفة ذلك عبر الأحداث والإحصائيات الجزئية و التالية.

3) ضخامة الوفيات المسجلة في سيدي بلعباس

إن نسبة الخسائر مثلما تتبين في الحالة المدنية تعادل تقريبا نسبة مدينة وهران بـ 41.1% من مجموع 603 وفيات من بينها 476 سنة 1868⁽²⁾. يمثل هذا المجموع تزايدا بـ 274% مقارنة بسنة 1867

لكن هذه الإحصائيات لا تترجم إلا بصفة تقريبية الأحداث مثلما تظهر ذلك على الخصوص الدراسة المفصلة لمختلف العقود. لان الأمر يخص غالبا العقود المتعلقة بالوفيات التي وقعت في المستشفى العسكري، أما العقود المتعلقة بالمجهولين والتي ظهرت في بداية جانفي 1868، إننا نلاحظ ذكر طريق معسكر في كثير من العقود مثلما هو الحال في النواحي الأخرى فالوفيات المتعلقة بالأطفال والإناث ناقصة جدا، وحتى التطور الشهري فإنه يبين تلك الفجوات للحالة المدنية. وهكذا نلاحظ حدين مرتفعين لشهرين فقط سنة 1868، الأول في فبراير بـ 119 وفاة والثاني في مارس بـ 106 إعلانات مع أن التطور صعب جدا كما تشير إلى ذلك الشهادة التالية: " لقد ذهبت الأحد الماضي إلى سيدي بلعباس وقسمت بنفسني ما يناسب 20 فرنك من الخبز على النساء والأطفال خصوصا، وصار بقائي في هذه المدينة مستحيلا وكلما خرجت للطريق تبعني مجموعة من الجوعى حتى أبلغ الديار"⁽³⁾

اللوحة 30 - تطور إعلان الوفيات في سيدي بلعباس.

الأشهر	1867	1868	الأشهر	1867	1868
جانفي	6	37	جوليا	8	22
فبراير	8	119	أغسطس	4	28
مارس	8	106	سبتمبر	8	11
أفريل	4	67	أكتوبر	34	8
ماي	5	33	نوفمبر	16	6
جوان	5	32	ديسمبر	21	7
			المجموع	127	476

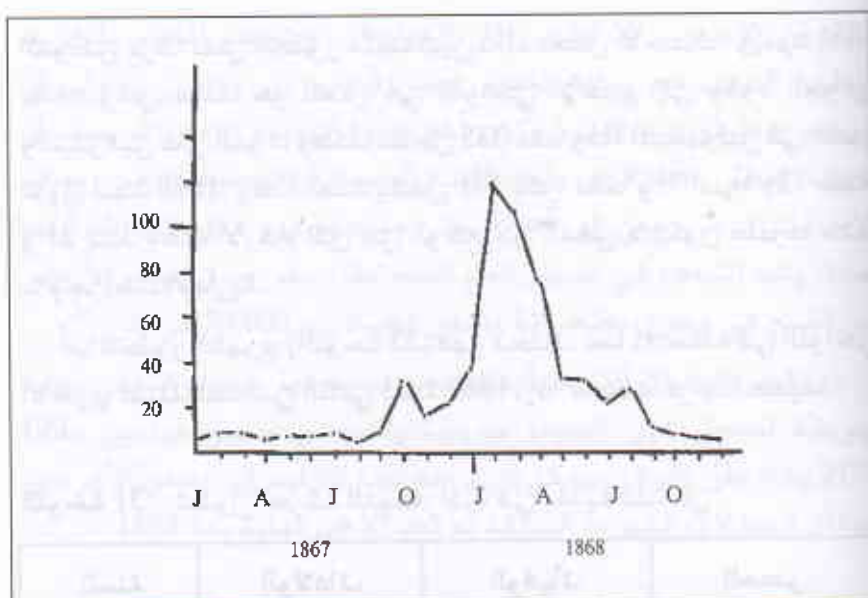
المصدر : بلدية سيدي بلعباس.

الأمر يتعلق بعدد كبير من المجهولين والمتوفين من أصل الإقليم العسكري فمدينة سيدي بلعباس تجلب إليها الكثير من الجوعى. بالإضافة إلى ذلك، ومثل السجون الأخرى تلاحظ أن مركز بوخنيس يعرف وفيات عالية. وهناك عقود تتعلق بمساجين في هذا المركز... والمقصود الذين ساهموا في إستصلاح الأراضي المستعمرة مثلما يقر بذلك والد العميد لاكرتال⁽⁴⁾.

الصورة 18- تطور

(4) الوفيات المسجلة في سنة 1867 أما الوفيات المسجلة في سنة 1868 خلال معطيات الحالة المدنية مأخوذة من الصحافة المحلية معينة (اللوحة 31) (1863-1862) خصوص سنتي 1867 و1868 مسلمين سنة 1867 تصل إلى سنة 1868 وهو ما يعادل 391 ثيلا من سنة 1867 إلى سنة 1868 تحويلة عند المسلمين تصل نتيجة أقل مقارنة مع ما لاحظت في العاصمة القديمة للمغرب

الحصيلة في مقاطعة وهران



الصورة 18- تطور الوفيات المسجل في سيدي بلعباس

(4) الوفيات المسجلة في تلمسان

أما الوفيات المسجلة في تلمسان فسنحاول القيام بهذه المقاربة من خلال معطيات الحالة المدنية الناقصة ومن خلال بعض التفاصيل الأخوذة من الصحافة المحلية والجهوية. إن الإحصائيات المتعلقة بفترة معينة (اللوحة 31) (1863-72) تظهر العديد من التآرجحات وعلى الخصوص سنتي 1867 و1868. هكذا فإن خسائر الأرواح في صفوف المسلمين سنة 1867 تصل إلى 1.169 وهو ما يعادل 7.98٪ و2.057 وفاة سنة 1868 وهو ما يعادل 13.91٪ بينما لم نسجل عند اليهود إلا تزيادا قليلا من سنة 1867 إلى سنة 1868 مرورا من 152 إلى 188 وفاة بينما الحصيلة عند المسلمين تصل إلى 3226 وهو ما يناسب 21.98٪ إنها إذا نتيجة أقل مقارنة مع ما لاحظناه في وهران وسيق وسيدي بلعباس. يبدو أن العاصمة القديمة للمغرب الأوسط لم تتأثر كثيرا نسبيا ولو أن مؤرخ

1868	1867
22	8
28	4
11	8
8	3
6	1
7	2
476	12

من أصل الإقليم
جوعى. بالإضافة
خنفيس يعرف
كز... والمقصود
يقر بذلك والد

الكارثة الديمغرافية

الموطن عرف نفس التطور مثلما تبين ذلك بعض الأحداث . ويعود الأمر بالخصوص مثلما هو الحال في النواحي الأخرى إلى وفود الجوعى والمشرفين على الموت وهكذا نسجل 335 وفاة للمجهولين في الشهر الأول لسنة 1868 . وهذا العدد يشمل 171 ذكرا بالغا و71 امرأة و72 طفلا و 21 بنتا . وهذه الأرقام اقل من الواقع لان الدفن لا يكون متبوعا حتما بالإجراءات الإدارية .

أما التطور الشهري (اللوحة 32) فهو مختلف عما نلاحظه في النواحي الأخرى طيلة السداسي الثاني لسنة 1867 . إذا لاحظنا تزايدا طفيفا .

اللوحة 31 - تطور الحركة الديمغرافية في بلدية تلمسان .

السنة	الولادات	الوفيات	الحصر
1863	617	585	32
1864	526	446	80
1865	559	574	-15
1866	559	517	42
1867	514	1169	-655
1868	268	2057	-1789
1869	397	440	-43
1870	397	594	-197
1871	376	951	-575
1872	443	402	41

المصدر : الحالة المدنية لبلدية تلمسان

ابتداء من جويلية فإن هذا يرجع بالخصوص للحد الأقصى لشهر نوفمبر الذي يلفت الإنتباه بمجموع 335 وفاة وهو ما يعادل ثلاث مرات شهري سبتمبر وأكتوبر . لا يمكننا تأويله لاسيما أن تقديرات هذين

الحصيلة في مقاطعة وهران

الشهرين الأخيرين لا تظهر آثار الكوليرا... ويترجم الشتاء والخريف التطور الصعب مع زيادة الخطورة من فبراير إلى أبريل بأكمله. إن المجموع طيلة هذه الفترة يكون أهم نظرا لانعدام الإعلانات حيث أن الجثث تغطي الطرقات، كما كانت الصحافة المحلية تغطي بعض الإحصائيات من حين إلى آخر⁽⁵⁾ حتى منتصف شهر ماي. تبين لنا أيضا حدثا يشد انتباهنا في السياق العام "للمجاعة" : وهو حرق بعض الأكياس من القمح في مخزن بطافراته وتقدر الخسائر بـ 50.000 فرنك...⁽⁶⁾

إن نقص الوفيات الذي بدأ يظهر منذ بداية شهر ماي توقف في بداية جويلية ليسجل شهرا الصيف جويلية وأغسطس حدين قياسين بـ 199 و 217 وفاة على التوالي. يمكن أن يرجع هذا التزايد إلى بعض الأمراض كما أن المعدلات الشهرية السابقة لم تعد إلا في نهاية سنة 1868 ...

اللوحة 32 - التطور الشهري للوفيات (تلمسان).

الأشهر	1867	1868
جانفي	71	324
فبراير	50	354
مارس	53	380
أفريل	42	273
ماي	59	167
جوان	84	131
جويلية	106	199
أغسطس	106	217
سبتمبر	145	157
أكتوبر	179	129
نوفمبر	335	83
ديسمبر	145	89
المجموع	1475	2503

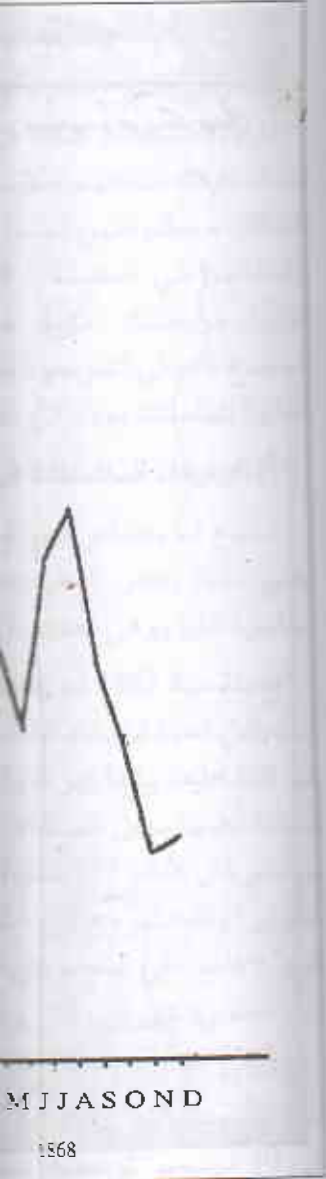
الكارثة الديمغرافية

إذا ورغم نسبة الوفيات الأقل من تلك الموجودة بالمراكز الأخرى للغرب الجزائري فإن تلمسان تتميز بتطور شهري متميز بتأرجحات شهرية خاصة. فكل شيء يجري وكأن المدينة بعدما قاومت هجمات الكوليرا في خريف 1867 قد أصيبت مرة ثانية بأوبئة أخرى في نهاية خريف نفس السنة .

إن الحد الأقصى للأشهر الأولى من سنة 1868 كان عاليا نوعا ما ليتكرر في وسط الصيف وكل هذا لا بد أن يكون مرتبطا بالتطور مع أطراف البلد ولا يمكن شرحه لإنعدام المعطيات. لذا نختار في هذه الحالة على الخصوص بسبب صمت الحالة المدنية عن بعض المدن القديمة، إلا من بعض الإشارات التي تبعث على الشك مثل ندرومة أو المراكز الأوروبية القديمة مثل الغزوات ... ومغنية.

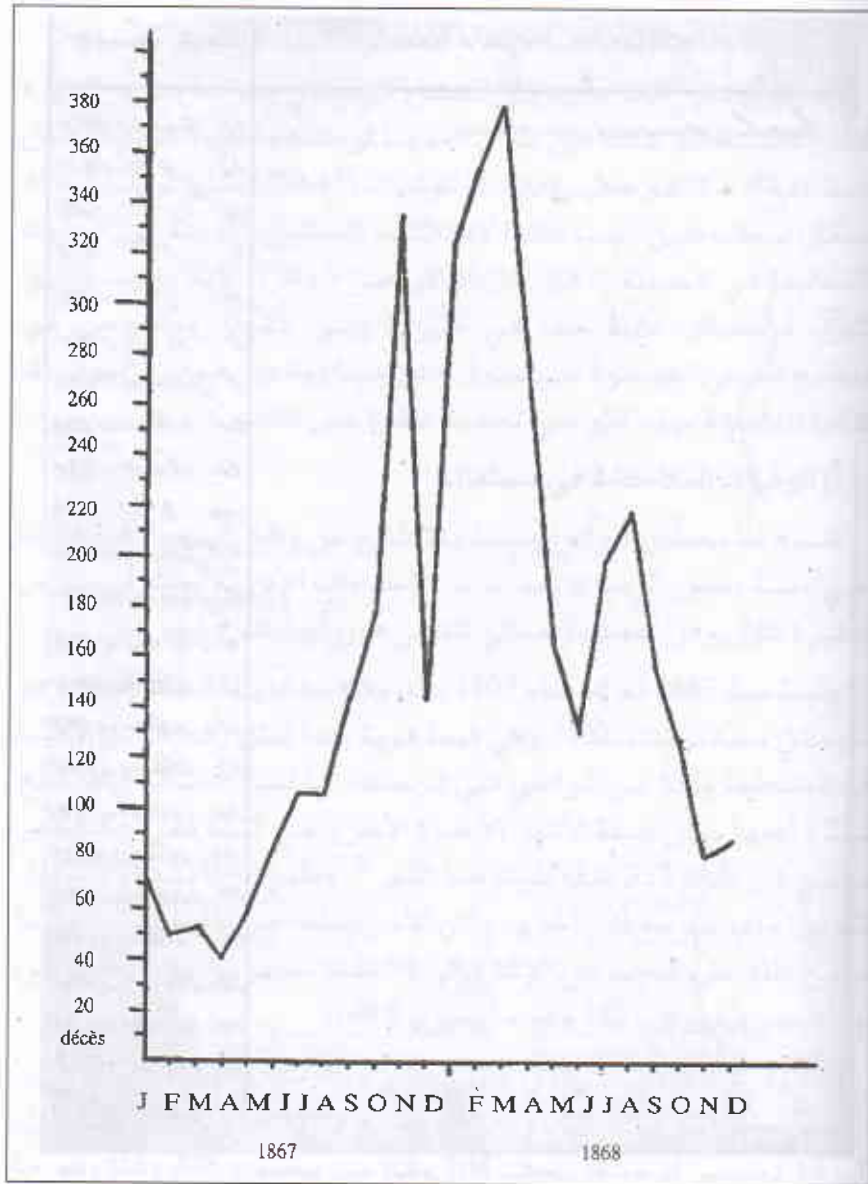
لا تبعث بعض الإشارات على الشك. وهكذا فمثل السهول الأخرى، فسهل تلمسان تأثر كثيرا⁽⁷⁾. لقد ضيع بنو منير في الطرارة 41.3٪ من تعداد سكانهم⁽⁸⁾.

فالحالة جد خطيرة عبر الجزء الغربي للإقليم ولو أن المدينة قاومت أكثر أو أقل. والأمر كذلك لباقي المقاطعة الوهرانية حيث نسجل بعض الأرقام القياسية.



الصورة 19- تطور

الحصيلة في مقاطعة وهران



الصورة 19- تطور ضخامة الوفيات في بلدية تلمسان

بالمراكز الأخرى
متميز بتأرجحات
ما قاومت هجمات
أخرى في نهاية

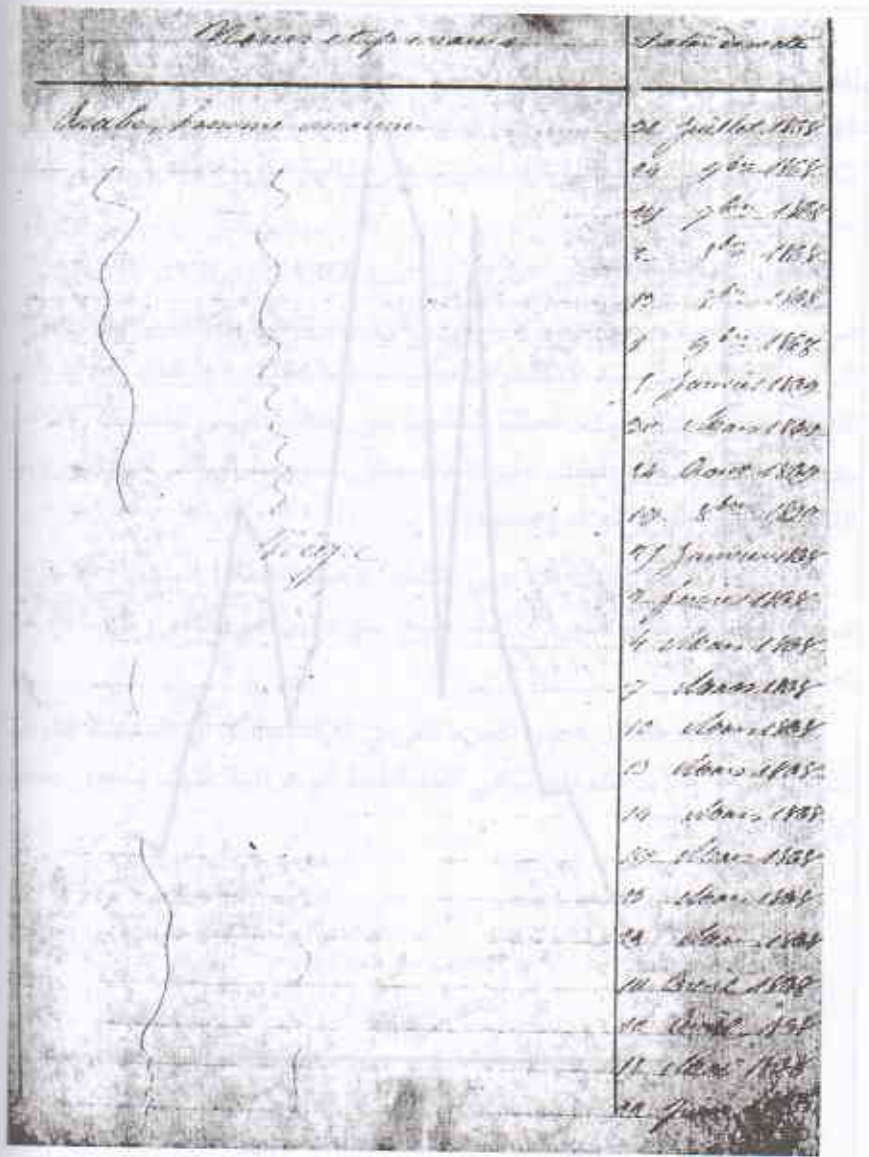
باليا نوعا ما ليتكرر
تطور مع أطراف
في هذه الحالة على
من القديمة، إلا من
والمراكز الأوروبية

السهول الأخرى.
الطزارة 41.3٪ من

أن المدينة قاومت
حيث نسجل بعض

(5) ضخامة الوفيات عبر الحدود قد تأثر كثيرا الجزء الشرقي من سورية لمستغانم هكذا فإن عدد سكان معظمها حسب إحصاءات 1867 كان محظوظين نسبيا نظرا لبعادها عن المدينة... فإن نسبة الخسائر عالية جدا. تجمع الجبلي الموجود بين النواحي المتعلقة بهذه النواحي.

(أ) الوفيات الملاحظة في دمشق
 تسمح لنا مصادر الحالة المدنية في نسبة بعض الوفيات بعد الكارثة كان يوفر العدد الإجمالي في سنة 1867 تم إحصاءه في بعض نسبة تزايد بـ 402 في المقاطعة وكذا عبر النواحي. أهمها سجل طيلة الأثني عشر كان هناك 333 مقدا صيدا كويرا وتفاعلت مع آثار أخرى. أوضح ذلك على الخصوص في مجموع شهري بـ 152 وهو يتنازم الوضعية إذا في كل ديسمبر حيث بدأت تزايد في 10 ديسمبر لوحدها سجل عدل 41.9 فلا مجال إذن للحد من متأثرا برؤية العدد النهائي.



وفيات الأشخاص المجهولين المسجلين في تلمسان يتم الترتيب حسب «مبادئ» تلك الحقبة.

5) ضخامة الوفيات عبر الدائرة الإدارية لمستغانم

لقد تأثر كثيرا الجزء الشرقي للقطاع الوهراني وهو ما يناسب الدائرة الإدارية لمستغانم. هكذا فإن سكان المدينة لوحدهم سجلوا خسارة تعادل نصف تعداد سكانهم حسب إعلانات الوفيات (750.43) حتى لو كان أولئك السكان محظوظين نسبيا نظرا لاملاكهم البساتين القريبة من المدينة والمتاجر في المدينة... فإن كل الباقي من الدائرة الإدارية قد تأثروا كثيرا، فالخسائر عالية جدا في غليزان وبني شقران وبالأخص في النجم الجبلي الموجود بين سهل وادي مينا ووادي رهيو. إن المعطيات التالية المتعلقة بهذه النواحي تعطينا نظرة على ذلك.

أ) الوفيات الملاحظة في مستغانم

تسمح لنا مصادر الحالة المدنية بالاطلاع عن واقع التسجيلات وهو ما يعني نسبة بعض الوفيات بعد غياب الإجراءات الإدارية حيث أن حارس المقبرة كان يوفر العدد الإجمالي للدفن دون أي إيضاح آخر...

طيلة سنة 1867 تم إحصاء 1107 عقد وفاة مقابل 241 سنة 1866 وهو ما يعادل نسبة تزايد بـ 402% وهي قيمة قوية جدا تمثل رقما قياسيا لاسيما في المقاطعة وكذا عبر النواحي التي درسناها. أما نسبة الخسائر فإنها تبلغ 22.2% أهمها سجل طيلة الأشهر الأخيرة الأخرى من السنة فمن بداية شهر سبتمبر كان هناك 333 عقدا طيلة هذا الشهر¹⁹⁾. وظهرت إذا بشدة وعنق أثار الكوليرا وتفاعلت مع أثار أخرى. وكان الأمر كذلك عبر إقليم الدائرة مثلما توضح ذلك على الخصوص الإشارة إلى 91 عقدا لمجهولين في نوفمبر من بين مجموع شهري بـ 152 وهو ما يساوي 49.8%.

وتتأزم الوضعية إذا في كل مكان باقتراب الشتاء وهذا بداية من شهر ديسمبر حيث بدأت تتزايد الإعلانات بصفة عادية فطيلة الفترة من أول إلى 10 ديسمبر لوحدها سجلت 104 وفاة من مجموع 248 وفاة وهو ما يعادل 41.9% فلا مجال إذن للشك فيما يخص شهادة راهب مستغانم الذي كان: "متأثرا برؤية العدد الهائل كل صباح من الشباب والعرب المساكين

نعم الترتب حسب

الكارثة الديمغرافية

الذين يموتون بالليل في طرقاتنا، فطلبت من السيد مارنكوويتش إن كان في استطاعته وضع بيت تحت تصرفنا لإيواء هؤلاء الأطفال المساكين طيلة الليل...⁽¹⁰⁾.

كل هذا يشرح إذا التطور طيلة كل السداسي الأول لسنة 1868 (اللوحة 33) وفي الأخير المجموع السنوي هو 2006 وفاة أما بالنسبة للمجموع السابق فإن التزايد يبلغ 781 ولكن يجب مقارنة المعدلات السابقة مع مجموع الأشهر الأولى لسنة 1868 (اللوحة 33)، فإن مجموع يناير 1868 يمثل 12 مرة مجموع يناير 1867... ومارس 1868 (يعني الحد الأقصى (426) يمثل 13 مرة). وفيما يخص الأعداد اليومية فإنها تتغير من 10 إلى 30 مع معدلات قريبة من 20 طيلة الثلاثي الأول (اللوحة 34).

اللوحة 33 - التقييم الشهري لإعلان الوفيات بمستغانم.

الأشهر	1867	1868
جانفي	24	298
فبراير	28	381
مارس	33	426
أفريل	40	302
ماي	30	189
جوان	32	130
جويليا	27	78
أغسطس	11	60
سبتمبر	333	34
أكتوبر	149	71
نوفمبر	152	16
ديسمبر	248	21
المجموع	1107	2006

المصدر: بلدية مستغانم.

الحصيلة في مقاطعة وهران

وقع تحسن تدريجي في بداية شهر ماي فقط مع انخفاض محسوس لوتيرة إعلانات الوفيات إذا استثنينا مجموع أكتوبر وهو 71. لكن هذا الانخفاض طيلة السداسي الثاني للسنة يطابق توقف وصول الجوعى والمشرفين على الموت إلى المدينة، كما يجب أيضا ملاحظة العواقب المباشرة لكثرة الوفيات عند سكان المدينة بذاتها مثلما يظهر ذلك على الخصوص الانخفاض القوي للولادات. وهكذا نلاحظ 126 عقد ولادة سنة 1867 مقابل 250 سنة 1866 و 92 ولادة فقط سنة 1868 ...

في المجموع وبغض النظر عن عدد وفيات المجهولين فالوفيات الدنيا المجمعة لسنتي 1867 و 1868 تمثل 5043 وهي إذا قيمة عالية.



ملاحظة: إن انخفاض الوفيات في سنة 1867 و 1868 يرجع إلى انخفاض عدد الوفيات المجهولين في هذه السنتين.

رنكوويتش إن
ولاء الأطفال
1868 (اللوحة
سنة للمجموع
السابقة مع
يناير 1868
الحد الأقصى
بير من 10 إلى
(34).

اللوحة 34 - التطور اليومي في مارس 1868.

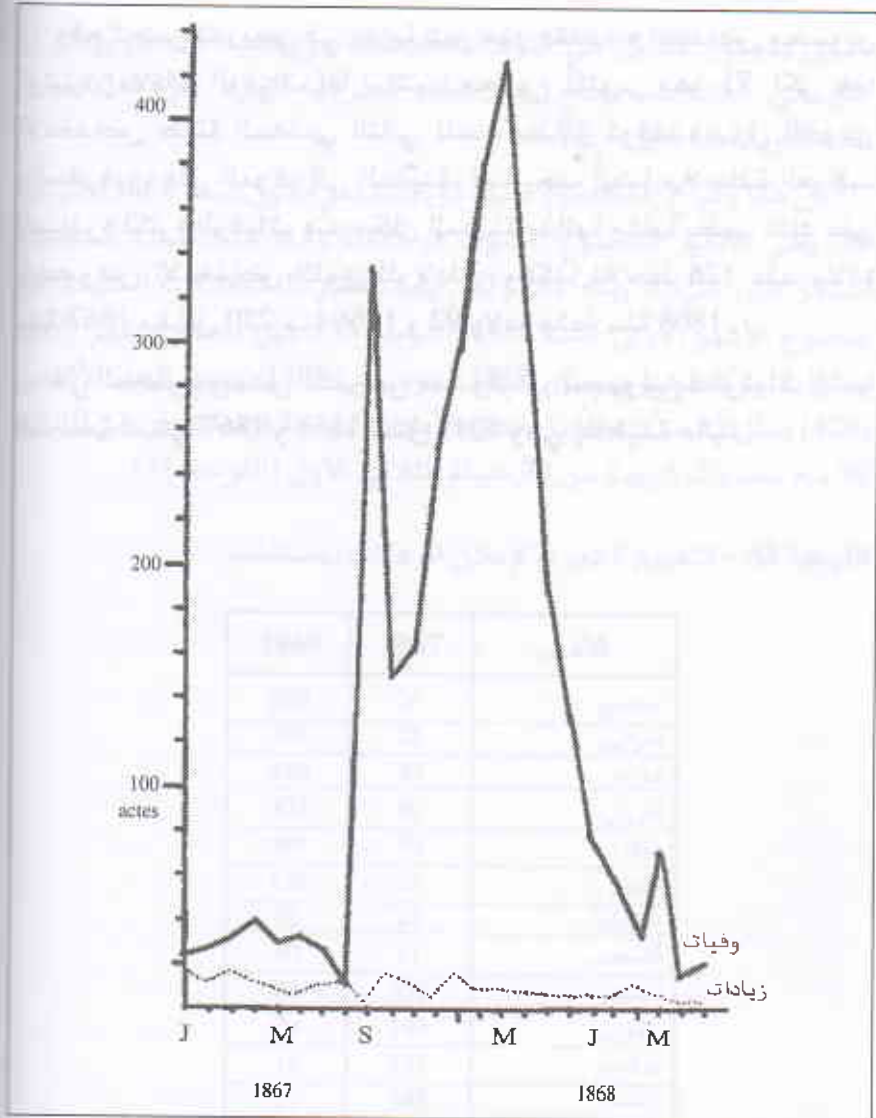
الأيام	المجموع
2	9
4	
5	
6	
7	
9	
10	
11	
12	
13	
14	
16	
19	

المصدر: بسمية

(ب) ضخامة وفيات القرويين

يصعب علينا تصور المتهوكن الأرياف من بداية نوفمبر التي أدرجتها الصحافة المحلية "تخبار" تعطينا فكرة عن الأمور التي أجراء بعض التقاطعات.

بعد مراسلة راهب المدينة كوربي لمستغانم⁽¹¹⁾ في ختبر ضيلة الشتاء. فمنذ أول جانتفر



الصورة 20 - الحركات الديمغرافية الطبيعية المسجلة في مستغانم

الحصيلة في مقاطعة وهران

اللوحة 34 - التطور اليومي لإعلان الوفيات في مستغانم من 2 إلى 19 مارس 1868.

المجهولون منهم	المجموع	الأيام
2	29	2
4	18	4
5	29	5
6	18	6
5	25	7
3	29	9
0	14	10
6	16	11
1	14	12
2	15	13
5	18	14
19	23	16
13	26	19
17	247	

المصدر : بلدية مستغانم

(ب) ضخامة وفيات القرويين الملاحظة في مستغانم

يصعب علينا تصور المشهد الذي يعبر عنه الوصول غير المنقطع لسكان الأرياف من بداية نوفمبر 1867. فالتصريحات الشاذة والاستثنائية التي أدرجتها الصحافة المحلية والمعاد نشرها في الجريدة شبه الرسمية "أخبار" تعطينا فكرة عن الموضوع، وفي بعض الأحيان يمكننا الوصول إلى إجراء بعض التقاطعات.

بعد مراسلة راهب المدينة فالحصيلة التي تذكرها الجريدة المحلية "لو كوريي لمستغانم"⁽¹¹⁾ في ختام الثلاثي الأول لسنة 1868 تبرز التدهور العام طيلة الشتاء. فمنذ أول جانفي إلى 9 أفريل تذكر الجريدة 1089 متسولا

الكارثة الديمغرافية

ماتوا إما في الملاجئ وإما على الطريق العمومي ولكن الجريدة تطمئن قراءها بالإجراءات التي يمكنها تغيير الحالة العامة :

"يظهر ان الوفيات بدأت تتقلص منذ بضعة أيام بفضل الإجراءات المتخذة من طرف السلطات المدنية والعسكرية لمطاردة كل المتسولين من المدينة"⁽¹²⁾.

ترجمت هذه الإجراءات بإيقاف 331 "متسولا" من طرف المكاتب العربية وعددا مساويا له أو أكثر منه "من طرف السلطات العسكرية". ولكن هذا لا يكفي لمنع وصول حشود الجوعى. لذا تتابع وترايدت التوقيفات حتى نهاية شهر أفريل : طرد 673 شخصا في أربعة أيام من 25 إلى 29 أفريل من بينهم 312 يوم 26⁽¹³⁾. وعند الحصيلة الأولى للوفيات المذكورة تشير الجريدة إلى حصيلة ثانية للفترة مابين 9 و23 أفريل وهو ما يساوي 69 وفاة فمن 24 إلى 30 أفريل كانت هناك 40 وفاة وهو ما يساوي 1198 وفاة لسنة 1868. كما تضيف الجريدة المحلية أن هذه النتائج لا تعني بالضرورة الأشخاص الذين يموتون في الحقول وعلى الطرقات... وحسب هذا المصدر فإن الوفيات للمتقلبين الجوعى الذين يصلون إلى مستغانم فتبلغ نسبتهم 6% في اليوم الواحد... ولكن لا معنى لهذه النسبة وهي موجهة لتقليل النتائج المنشورة استثنائيا وهي نتائج جزئية ولا تنطبق الا على المدينة فقط. وهذه النتائج ثقيلة وصارخة وتعطي نظرة على الحالة المأساوية التي تتخبط فيها البوادي القريبة والبعيدة من الدائرة الإدارية⁽¹⁵⁾.

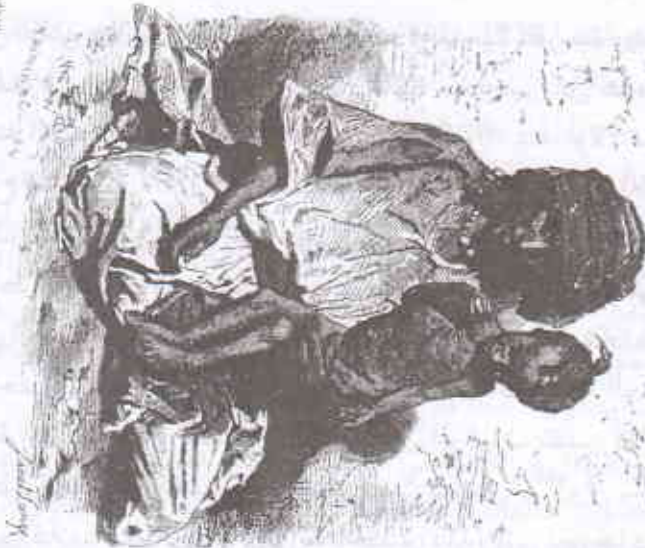
ج) ضخامة الوفيات المسجلة في غليزان :

تتفاقم الحصيلة كلما ابتعدنا عن الشاطئ وهنا أيضا توجد ثغرات. ففي غليزان حيث تشتغل الحالة المدنية مثلما يظهر ذلك مثلا بيان سنة 1866 : 10 عقود وفاة. وفي سنة 1867 أحصينا 4 وفيات حتى نهاية شهر أغسطس لكن طيلة الأربع أشهر الأخيرة أحصينا 157 وفاة من بينها 76

الحصيلة في مقاطعة وهران



MUSEUM OF TURKEY 51



صورة المجاعة في الجزائر

لكن الجريدة تطمئن

بأنه بفضل الإجراءات
طاردة كل المتسولين

من طرف المكاتب
السلطات العسكرية

لذا تتابع وتزايدت

ما في أربعة أيام من

حصيلة الأولى للوفيات

بين 9 و23 افريل وهو

تلك 40 وفاة وهو ما

بحسب أن هذه النتائج

في الحقول وعلى

تقنين الجوعى الذين

حدد... ولكن لا معنى

استثنائيا وهي نتائج

نتائج ثقيلة وصارخة

فيها البوادي القريبة

أيضا توجد ثغرات،

ذلك مثلا بيان سنة

تحتى نهاية شهر

وفاة من بينها 76

الكارثة الديمغرافية

في سبتمبر⁽¹⁶⁾ وبالمقابل وفي سنة 1868 فإن عدد العقود يرتفع إلى 828 ومن بينها 608 خلال السداسي الأول، يعني 773. أما فيما يخص الستين المتتاليتين 1867 و 1868 فالمجموع يصل إلى 989. إلا أن هذا المجموع أكثر أهمية من مجموع سكان المركز ولكنه يبقى أدنى من الحصيلة المذكورة من طرف مصدر آخر⁽¹⁷⁾ وهو ما يساوي 1353 ضحية للفترة وحدها من أكتوبر 1867 إلى ماي 1868. لا بد من ذكر هاتين الملاحظتين وعلى الخصوص الرقم الأخير الذي يترجم في آن واحد ضخامة وفيات المركز وحده ووفيات أطراف الإقليم، وكانت غليزان تجلب عددا كبيرا من المشرفين على الموت⁽¹⁸⁾ لأنها المسلك المباشر لكل تلك الكتلة الجبلية المتواجدة بين وادي مينا ووادي رهيو وهي الناحية التي تأثرت كثيرا من جراء إنتفاضة سنة 1864.

و) ضخامة الوفيات في المنطقة الجبلية

يتعلق الأمر هنا بالناحية المذكورة وكذا الناحية الغربية وهو ما يعني الجناح الشرقي لبني شقران فالخسائر عالية جدا عبر كل هذه الجبال : 62.4% عند أولاد بوعلي و 65.7% عند بوعمان و 67.8% عند أولاد سيدي يحيى وهي روح انتفاضة 1864 على المستوى الجهوي. فمن بين 2460 نسمة التي كانت تتكون منها هذه المجموعة لم يبق منها إلا 791 وهذا ما يعادل الثلث فقط⁽¹⁹⁾. أما الرقم القياسي، فقد بلغته دائرة عمي موسى وهو ما يعني كل الضفة اليسرى لوادي رهيو والمناخمة مباشرة لمقاطعة الوسط حسب احد الملاحظين الأكثر انتباها والمتتبع للتطور الحاصل في المقاطعة الغربية وهو العميد لاكرتال فإن الوفيات تقدر بثلاثة أرباع السكان طيلة الفترة الحاسمة في مركز عمي موسى...⁽²⁰⁾ وان بدت النسبة مبالغاً فيها فلا بد من الرجوع إلى ملاحظة الآثار التي نجدها في البليدة والقليلة وبالأخص في ملاجئ اليتامى للأبيار وبن عكنون والقبة للأطفال أوالبالغين من أصل هذا المركز...

العصيلة في مقاطعة وهران

فالكوارث تعممت إذا في الدائرة الإدارية لمستغانم ووصلت إلى
خائر تتراوح ما بين 750 إلى 775 من التعداد السكاني الملاحظ. أما في
الدائرة الإدارية لمعسكر فالعصيلة كانت أثقل.

(6) الكوارث عبر الدائرة الإدارية لمعسكر

إذا استثنينا المركز الرئيسي ومعظم الشهادات القليلة فإن المعطيات
الإحصائية تنقص كثيرا للإحاطة علما بالتطور عبر السهول والجبال
أي هذه الناحية وبالأحرى جنوب مقاطعة وهران

(أ) ضخامة الوفيات الملاحظة في معسكر

رغم الثغرات التي لا مفر منها، فإن معطيات الحالة المدنية تعبر على
أكبر الخسائر التي حسبت لحد الآن في وسط سكاني، هكذا فيما يخص
الفترة ما بين 1867-1868 لوحدها فالنتائج تصل إلى 2837 وفاة مسجلة
وهو ما يعادل 759.26 (اللوحة 35).

نسجل أيضا 1034 عقدا سنة 1867 وهو ما يساوي 721.60 وهذه
القيمة أعلى بكثير من تلك المسجلة في المراكز العمرانية الأخرى طيلة
هذه السنة، وسجلنا تلك الإعلانات طيلة شهر سبتمبر (307) وهذا يبرز آثار
وباء الكوليرا ويرجع ذلك للمحيط العام الصعب جدا، أما الأشهر الأخرى
ولو أنها تسجل إنخفاضا فإنها تصل إلى أرقام عالية جدا وتزايد أكثر
فأكثر (اللوحة 35). مثلما هو الحال في الدائرة الإدارية السابقة
(مستغانم) فإن قدوم الشتاء يظهر بقساوته حيث يسجل شهر ديسمبر
لوحده مجموعا يعادل أو يزيد على معدل كل السنة الفارطة (236 عقد
وفاة وهو ما يساوي 722.8 من الإعلانات السنوية).

مثلما هو الحال في النواحي الأخرى سجلت الأشهر الأولى لسنة 1868
الحدود القصوى فالعقود المسجلة طيلة الثلاثي الأول تساوي المجموع
السنوي لسنة 1867 (1007) يمثل شهر مارس الرقم القياسي بـ 398 إعلانا
وتبقى رغم هذا عقود شهر أبريل عالية (287)، إننا نلاحظ تحسنا باقتراب
الصيف.

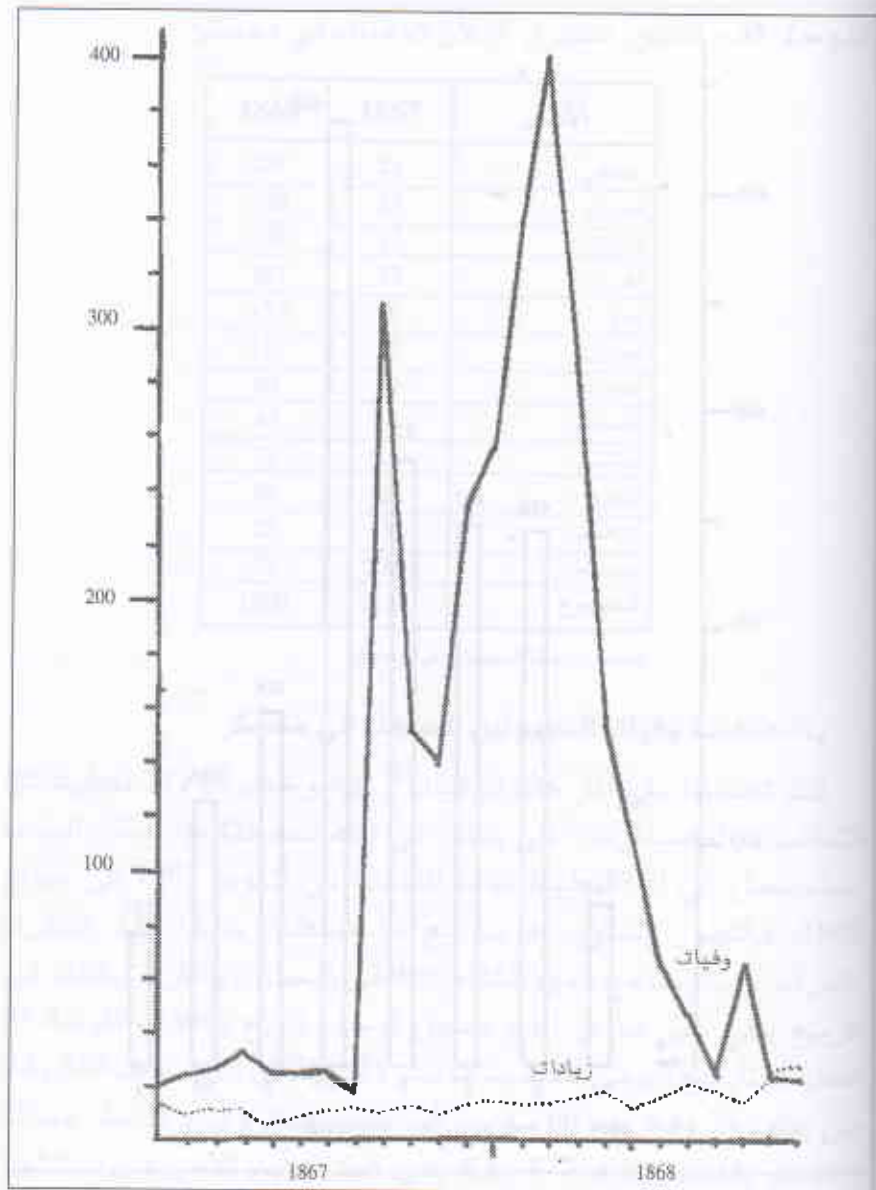
الكارثة الديمغرافية

لكن هذه البيانات المختلفة لا تظهر كل الوفيات المسجلة في معسكر هكذا فطيلة الفترة الممتدة من شهر أكتوبر 1867 حتى شهر ماي 1868. وهنا يشير بورزي⁽²⁾ إلى 2540 وفاة بينما نلاحظ في اللوحة 35 إلى 1970 وفاة فقط وهو فارق بم 570 أو 22٪. في الواقع فإننا نسجل ضخامة وفيات أخرى ما عدا وفيات المجهولين.



الصورة 21- الحركات الديمغرافية

الحصيلة في مقاطعة وهران



جلة في معسكر.
شهر ماي 1868.
حقة 35 إلى 1970
ضخامة وفيات

الصورة 21- الحركات الديمغرافية الطبيعية المسجلة في معسكر

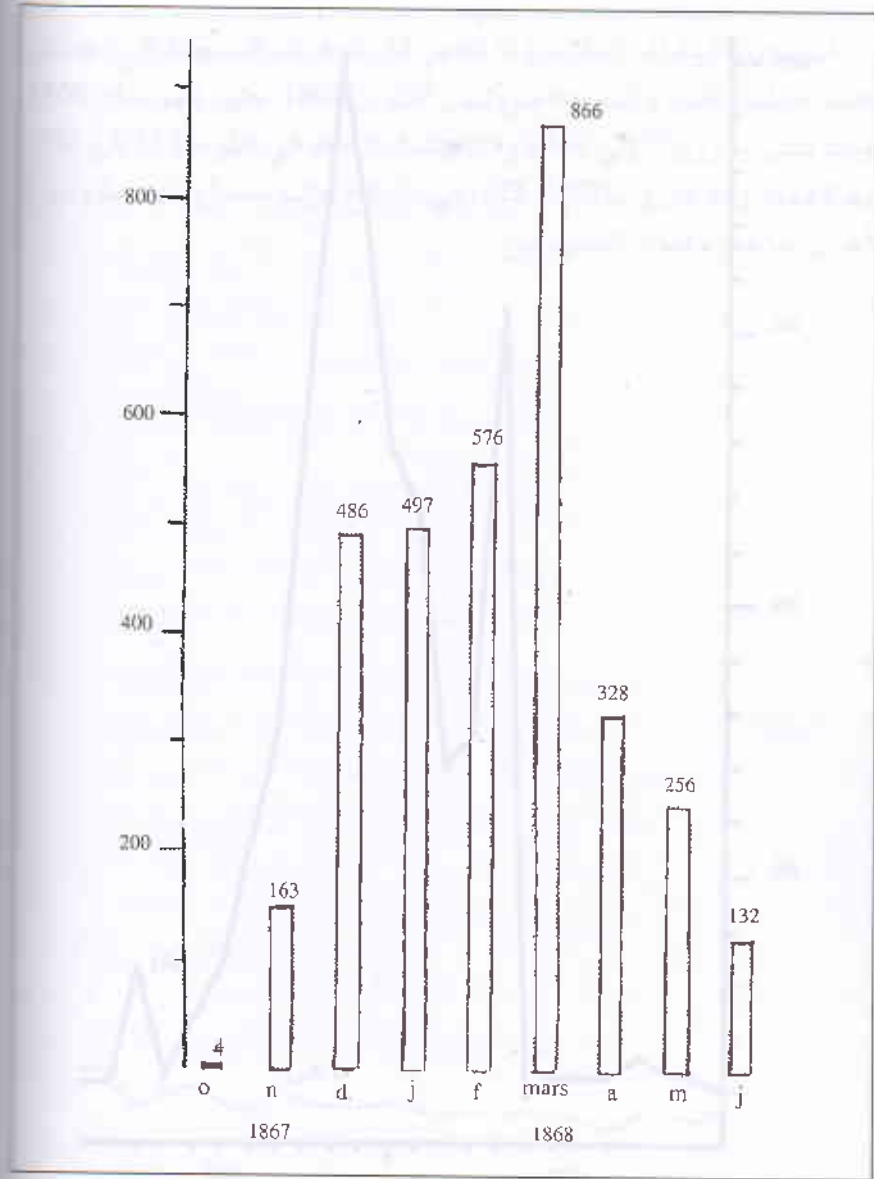
الصوره 35 - التطور الشهري

الأشهر
جانفي
فبراير
مارس
أفريل
ماي
جوان
جويليا
أغسطس
سبتمبر
أكتوبر
نوفمبر
ديسمبر
المجموع

المصدر: الخواص

ب- ضخامة وفيات المجهد

قد تحصلنا علي آثار هذا
تدليل. الحصيلة إذن أعز
حيث يصل إلي 3310 ضيعة
1867. فالتطور يتساوي تقا
حركة وتسارعت مع قدوم
ربيع وفي شهر مارس الق
تصينا التراجع اليومي فممن
من بينها 74 وفاة يوم 06
حفاظ طفيف يساوي 177
سجنا ارتفاعا ملحوظا.



الصوره 22 - تعداد الجثث في بلدية معسكر

الحصيلة في مقاطعة وهران

اللوحة 35 - التطور الشهري لإعلان الوفيات في معسكر.

1868	1867	الأشهر
257	21	جانفي
349	25	فبراير
398	27	مارس
287	33	أفريل
153	26	ماي
110	25	جوان
65	26	جويليا
47	18	أغسطس
26	307	سبتمبر
66	151	أكتوبر
23	139	نوفمبر
22	236	ديسمبر
1803	1134	المجموع

المصدر : الحالة المدنية لبلدية معسكر

ب- ضخامة وفيات المجهولين المسجلة في معسكر

لقد تحصلنا علي آثار هذه الوفيات⁽²²⁾. فاللوحات 36 و37 تعطينا كل التفاصيل. الحصيلة إذن أعلى بكثير من تلك المسجلة عند سكان البلدية حيث يصل إلي 3310 طيلة المدة الممتدة من أكتوبر 1867 إلى جوان 1868. فالتطور يتساوى تقريبا مع ما لاحظناه سابقا. لقد تكاثرت الحركة وتسارعت مع قدوم الشتاء (496 في ديسمبر) وأكثر من ذلك في الربيع وفي شهر مارس الذي يسجل لوحده الربع (866) واللوحات 37 تعطينا التآرجح اليومي فيمنذ بداية عشرة أيام الأولى التي سجلت 240 وفاة عن بينها 74 وفاة يوم 06 مارس. أما طيلة العشرة أيام الثانية فهناك إنخفاض طفيف يساوي 177 وفاة وفي العشرة أيام الأخيرة لهذا الشهر سجلنا ارتفاعا ملحوظا.

اللوحة 36 - الوفيات الكثيرة للمجهولين المسجلة.

العدد	السنة	الأشهر
4	1867	أكتوبر (31)
163	«	نوفمبر
486	«	ديسمبر
497	1868	جانفي
577	«	فبراير
866	«	مارس
328	«	أفريل
256	«	ماي
132	«	جوان
3310	المجموع	

المصدر : جدول القعد لولاية وهران

اللوحة 37 - تطور وفيات المجهولين المسجلة في بلدية معسكر في شهر مارس 1868.

اليوم	العدد	اليوم	العدد	اليوم	العدد
1 ^{er}	20	12	11	21	40
2	26	13	22	22	25
3	38	14	27	23	26
6	74	15	22	24	26
7	15	16	26	25	25
9	67	17	21	26	26
	240	18	24	29	70
		19	24	30	211
			177		449
					866

المصدر : جدول القعد لولاية وهران

الحصيلة في مقاطعة وهران

مفاجئاً بـ 449 وفاة وهي نصف المجموع الشهري الملاحظ في 08 أيام فقط كما سجلنا أيضاً 211 وفاة يوم 30 مارس... تستحق هذه الأرقام إيضاحات مطولة. فلنكتف على الأقل بشهادة أحد المعاصرين :

كان كل هؤلاء الأموات موجودين في الحفر والأودية وعلى الطرقات وحتى في الجداول ومكان يسمى سيدي بوران وهو ضريح يتوافد إليه كل من أحس بقرب وفاته⁽²³⁾.

هكذا ولمدة أشهر طويلة صارت معسكر الدائرة الإدارية للناحية تشهد كل يوم مشاهد مأساوية. فالشهادات المتحصل عليها طيلة بحث اللجنة البرلمانية المسيرة من طرف الكونت لوهون ترجع لنا بعض الأمل. لم يعلم المعمرون من هذه الوفيات المرعبة وكان يتساءل عن العواقب المباشرة التي تترتب بالخصوص على اليد العاملة :

بداية من هذا اليوم صرنا لا نعد الضحايا : كانوا يموتون بالآلاف. لقد ضاقت المقابر ولم نجد الحفارين الكافين لحفر القبور : حضرنا مشاهد مرعبة لا يمكننا وصفها...⁽²⁴⁾

ج- ضخامة الوفيات خارج مركز الدائرة الإدارية :

لم تسلم النواحي الأخرى من المشاهد الممثلة والحصيلة إذن أثقل. إذا كانت تنقصنا المعطيات الإحصائية فإنه باستطاعتنا دراستها عبر مواد تقييم الآتية : هكذا فيما يخص الدوار الصغير واد الحمام. يذكر النائب عن الأهالي أنه من بين 150 نسمة توفيت 115 ضحية وهو ما يعادل 76.6% ومن بين إعلانات الأوربيين نسجل هذا التصريح المتعلق بالحصيلة التريبية لجميع الضياعات :

تعدد الموتى في دائرة معسكر يبلغ خمسين ألفاً من الأشخاص المعروفين ولكن لا أحد يعرف عدد الموتى المجهولين... في الحقول وعلى حافة الطرقات وحتى المسافر كان يعثر على الجثث... يمكن دون خوف أن نقع في الخطأ أن عدد المجهولين يساوي ثلث عدد المعروفين⁽²⁵⁾.

معسكر في

العدد
40
25
26
26
25
26
70
211
449
866

الحصيلة في مقاطعة وهران

نصف المجموع الشهري الملاحظ في 08 أيام
وقدة يوم 30 مارس... تستحق هذه الأرقام
الأقل بشهادة أحد المعاصرين :

جودين في الحفر والأودية وعلى الطرقات
يسمى سيدي بوران وهو ضريح يتوافد إليه كل

صارت معسكر الدائرة الإدارية للناحية
فإنشادات المتحصل عليها طيلة بحث
و ضرف تكونت لوهون ترجع لنا بعض الأمل.
لوقيات المرعبة وكان يتساءل عن العواقب
عني اليد العاملة :

ولا تعد الضحايا ، كانوا يموتون بالآلاف ، لقد
رئيس تكافين لحفر القبور ، حضرنا مشاهد

مركز الدائرة الإدارية :

من تمشاهد المماثلة والحصيلة إذن أثقل.
ثية فإنه باستطاعتنا دراستها عبر مواد
صندوق الصغير واد الحمام، يذكر النائب
ة توقيت 115 ضحية وهو ما يعادل 776.6
و سجل هذا التصريح المتعلق بالحصيلة

معسكر يبلغ خمسين ألفا من الأشخاص
ف عدد الموتى المجهولين... في الحقول
لمأخر كان يعثر على الجثث... يمكن دون
عدد المجهولين يساوي ثلث عدد

الكارثة الديمغرافية

Noms et surnoms des Décedés		Date des Déces	
Benjamin	vingt six	2	mars 1868
Benjamin	vingt sept	3	mars 1868
Benjamin	vingt quatre	6	mars 1868
Benjamin	vingt	7	mars 1868
Benjamin	vingt un	9	mars 1868
Benjamin	vingt six	11	mars 1868
Benjamin	vingt	12	mars 1868
Benjamin	vingt deux	13	mars 1868
Benjamin	vingt sept	14	mars 1868
Benjamin	vingt deux	15	mars 1868
Benjamin	vingt six	16	mars 1868
Benjamin	vingt un	17	mars 1868
Benjamin	vingt quatre	18	mars 1868
Benjamin	vingt quatre	19	mars 1868
Benjamin	quarante	20	mars 1868
Benjamin	vingt cinq	21	mars 1868
Benjamin	vingt un	23	mars 1868
Benjamin	vingt six	24	mars 1868
Benjamin	vingt cinq	25	mars 1868
Benjamin	vingt six	26	mars 1868
Benjamin	vingt un	27	mars 1868
Benjamin	vingt quatre	28	mars 1868
Benjamin	vingt sept	29	mars 1868
Benjamin	vingt sept	30	mars 1868
Benjamin	vingt sept	31	mars 1868

الوثيقة 8- في حالة معسكر، التعداد اليومي وحده يكفي

الحصيلة في مقاطعة وهران

في ظروف مثل هذه الظروف تصبح التقييمات بطبيعة الحال غامضة. إننا نشاهد الكوارث المعقدة في كل مكان ولم يحاول أحد إحصاء الضحايا ولو بالتقريب، ونلاحظ أيضا أحداثا متفرقة مثل هذه الملاحظة التي وقعت بعيدا عن حقول الموتى ولكن داخل محكمة وهران. ومن داخل البناية سمعنا كلمة "ميت" تدوي عدة مرات بينما كان الشاوش المكلف بإيصال... الشهود، وهو ينطق بهذه الكلمة وسط هذا الصمت المبهم. فمن بين الشهود الستة (1) المبهم كلمة "ميت" من بين الشهود الذين كانوا سيدلون بشهادتهم، ولم يصل منهم أحد، مات ثلاثة قبل القدوم أما الثلاثة الآخرون قد وصلوا البارحة ولم يتمكنوا من المثول أمام المحكمة من شدة التأثر.

وختم المحامي: "...قد لا يصدق الجميع مصائب كهذه المصائب إن لم يشاهدوا هذا الواقع الرهيب".⁽²⁶⁾

كان في استطاعتنا معرفة الحقيقة في سعادة أو أبعد منها في ناحية الجنوب ولكن الحالة المدنية بقيت صامتة. إن ارتفاع ضخامة الوفيات باعتبار خط العرض لا يلغى من الفرضية...

لقد انقرضت تقريبا الدائرة الإدارية لمعسكر، وكان التقييم وإحصاء الخسائر عاليا جدا ويتراوح ما بين الثلاثين والثلاثة أرباع من تعداد الحاضرين وهذا كذلك مع ناحية مستغانم والمقصود هنا النواحي التي أيدت أكثر من غيرها، أما مقاطعة وهران والتي أصيبت أكثر وهذا باستثناء تلمسان فإن القيم تتراوح ما بين 40 و75% على الأقل. إن أقل نسبة متوسطة تتجاوز 400.000 وفاة بكثير عبر المقاطعة⁽²⁷⁾ وهي حصيلة تقارب 50% وإذا احتفظنا بهذه النسبة فستكون الحصيلة الدنيا 400.000 وفاة عبر مجموع المقاطعة⁽²⁷⁾ وهي حصيلة ثقيلة جدا مقارنة مع باقي مقاطعات الوطن.

حده يكفي

ملاحظات

1. نشر الرسالة "لو بروقري رليجيو" (Le progres religieux) حسب "ليكو دوران" الذي أعاد نشرها في 31 مارس 1868.
2. لم نجد عند بحثنا إلا سجلات الوفيات لسنوات 1867 و68 و69.
3. نشره "ليكو دوران" ويرجع "للبروقري رولييجيو".
4. لاكزتال دراسة حول مقاطعة وهران "مرسيليا 1865" إن هذه الأراضي المعنية بالأمر... ما يقارب 30000 هكتار تقريبا كانت ملكا لأولاد إبراهيم. شاهد التفاصيل في الوثيقة الملحقة رقم 12.
5. "لو كوريي" (Le courrier) لتلمسان، مع الأسف أن الأعداد الخاصة بهذه الفترة غير موجودة. لقد تطلعنا على هذه الأحداث من خلال ما نشرته جريدة "أخبار في 17 أبريل 1868".
6. حسب "أخبار الصادر في 17 أبريل 1868".
7. هذه ملاحظة من "ماك ماهون" بنفسه بعد دورة استكشاف في مقاطعة وهران في مارس 1868. ف. 80. رسالة من "ماك ماهون" إلى "المارشال نيال" (وزير الحربية) 3 مارس 1868.
8. رأي "غولد زيغار" (33) ص 465.
9. من بينها 181 من 22 إلى 30 وهو ما يعادل 54,3% في تسعة أيام أي ما يقارب العشرين في اليوم.
10. رسالة في 4 جانفي 1868. كنيسة "سان جان باتيست". أرشيف أسقفية وهران.
11. أعيد نشره في "أخبار في 17 أبريل 1868".
12. "أخبار في 17 أبريل 1868".

الكارثة الديمغرافية

13. أخبار في 5 ماي 1868.
14. أخبار في 5 ماي 1868.
15. نلاحظ جيدا أن 1198 وفاة لبدويين وقعت في المدينة ولم تسجل في سجلات الحالة المدنية تشير المصادر إلى 499 مجهولا سنة 1868، 91 سنة 1867.
16. نلاحظ أن الفترة الممتدة من 8 إلى 31 ديسمبر 1867 لم تؤخذ بعين الاعتبار نظرا لعدم وجود العقود.
17. بورزي (18) ص 87.
18. البحث كثيرة في "القربي" المسمى بالملجأ في مغارات واد مينا ...
19. حسب "راي غولد زيغار" (33) ص 465.
20. "لاكرتال" (25) ص 49.
21. "بورزي" (18) ص 87.
22. أرشيف ولاية وهران لوحات العشرينات معسكر.
23. "بورزي" (18) ص 87.
24. "لوهون" (20) ص 266.
25. "لوهون" (20) ص 268.
26. "ليكو دوران" في 31 مارس 1868. بكل أبحاثنا في الجزائر وفي باريس بقيت دون جدوى للحصول على "لافنير ألبيريان" (l'Avenir Algerien) لـ 26 أفريين 1868 المتعلقة بالوفاة بسبب الجوع في معسكر.
27. "لوكوري" (Le Courrier d'Algerie) في 13 سبتمبر 1867
أعيد نشر النسبة من طرف "ج. فاير" في المناظرات البرلمانية لآخر شهر مارس
"أخبار" في 31 مارس 1868 (ملحق).
- لقد كتب رئيس الشركة الجنيقية ص: "لقد ضيع سكان الأهالي الخمس أو الثلث من
تعدادها. ذكرته "راي غولد زيغار" (33) ص 459.

س في سجلات
1.

بمعين الاعتبار

بموجب النصوص المنصوص عليها في المادة 10 من القانون رقم 111 لسنة 1978
الذي يتعلق بالتركيبة الوزارية، وذلك إضافة إلى ما نصت إليه المادة 11
من القانون رقم 111 لسنة 1978.

الفصل الرابع

الجمعية العامة

المادة 10 - يترأس الجمعية العامة وزير الاقتصاد والمالية
ويكون له في ذلك الصدد صلاحيات واسعة. ويجوز له أن يدعو
إلى اجتماع الجمعية العامة في أي وقت من الأوقات. ويجوز له
أن يدعو إلى اجتماع الجمعية العامة في أي وقت من الأوقات
في أي مكان من أقاليم الجمهورية. ويجوز له أن يدعو إلى
اجتماع الجمعية العامة في أي وقت من الأوقات في أي
مكان من أقاليم الجمهورية. ويجوز له أن يدعو إلى
اجتماع الجمعية العامة في أي وقت من الأوقات في أي
مكان من أقاليم الجمهورية. ويجوز له أن يدعو إلى
اجتماع الجمعية العامة في أي وقت من الأوقات في أي
مكان من أقاليم الجمهورية.

باريس بقت
26 أبريل

شهر مارس

س أو الثلث من

بفضل المعطيات العديدة التي سندرستها والتي تمكنا من وضع خارطة تركيبية، وإعلان حصيلة عامة تقريبية لنواجه التقييمات المختلفة التي سجلناها حتى الآن.

I - الحصيلة الخرائطية

توضح الصورة 23 النتائج المدروسة سابقا وتؤكد على المظاهر التالية التي سجلت الفوارق الجهوية والفوارق ما بين المدن والأرياف.

1) الوفيات عند سكان المدن

مثلما رأينا سابقا فإن المدن تتأثر على العموم مثلما تأثرت الأرياف لأن سكان الأرياف مضطرون في غالب الأحيان على مواجهة المخاطر (البرد والجليد) و المشي لمسافات طويلة. على كل حال فإن الخسائر عندهم تتغير من 20٪ إلى أكثر من 50٪ (اللوحة 23) لكننا لم نتمكن من دراسة ذلك في كل مكان وبالأحرى في المقاطعة الشرقية لقد وضعنا الإحصائيات في مقاطعة الوسط بفضل الجرد المنظم للعقود وهنا فإن القيم تتأرجح ما بين 20 إلى أكثر بقليل من 50٪ (تبسة وبسكرة...) كما سجلت مدن الغرب الجزائري ومدن النواحي السهبية والصحراوية (تبسة وبسكرة...) نسبة عالية جدا أما معسكر فإنها سجلت الرقم القياسي التعيس مع تنس على الخصوص. يجب علينا أن نلاحظ أنه في وسط كل مركز سكاني توجد فوارق ملموسة بين مختلف الطبقات الاجتماعية مثلما تبرز ذلك الدراسات المتعلقة بالقلعة والبليدة والمدية...

(2) الوفيات في الأرياف :

إن سكان الأرياف هم الأكثر إنقراضا نظرا لظروفهم المعيشية القاسية جدا وبقائهم المرهون بتحركات القبائل في بداية الخريف لسنة 1367. فالنواحي القليلة التأثر محدودة جدا. فهي ممثلة ببعض جبال الوادي (بعض المجموعات السكانية في الونشريس وبالخصوص في جرحرة بلاد القبائل) قسنطينة (الشاطئية الشمالية) وتأثرت أيضا بقوة كل السهول على العموم بما فيها السهول التلية والجنوبية وحتى الشواطي مثل ناحية تنس وشرشال.

يجب أيضا التأكيد أكثر على الوفيات العالية جدا في الوحدات التالية وادي الشلف وأغلب نواحي المقاطعة الوهرانية وبالأخص المجمع الجبلي غليزان، عمي موسى والسهو الجنوبية والزبان. وخلاصة القول هو أن الكوارث تعممت عبر كل النواحي باستثناء بعض الجبال ...

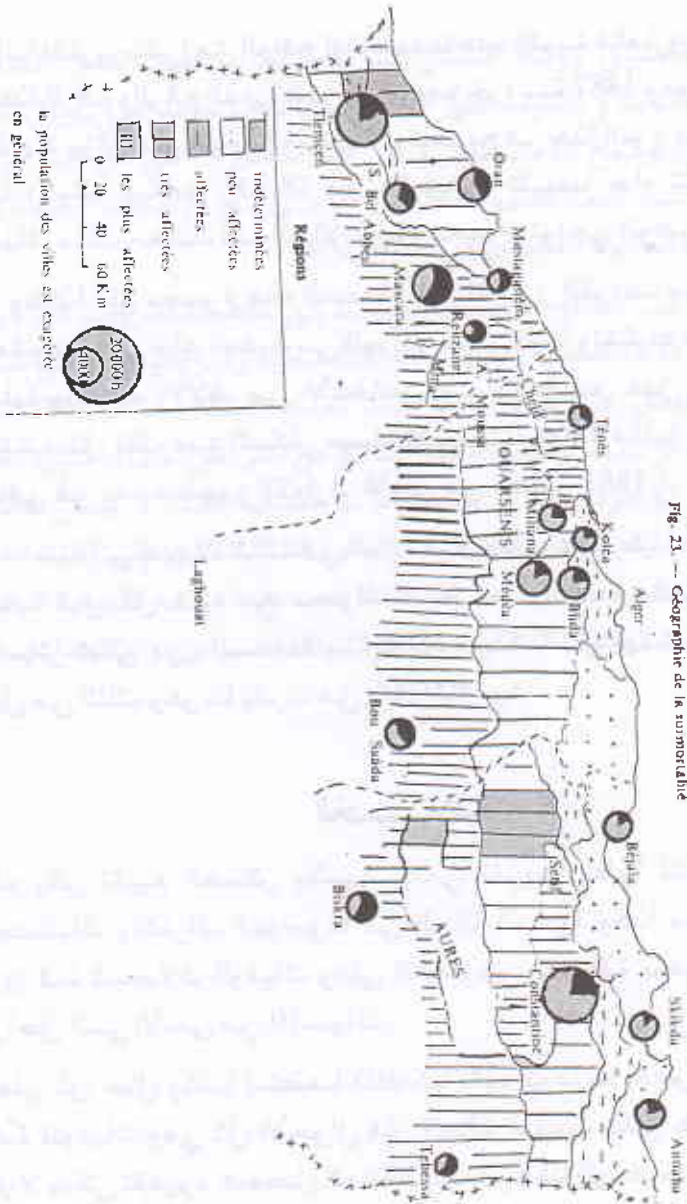
II - مجموع الحصيلة

المجموع الكلي للمقاطعات الثلاثة (اللوحة 38) يصل إلى 20.000 ضحية وهو ما يعادل 32.3٪ وكما وضعنا عدة مرات فالأمر يتعلق بالمعدل الأدنى والحوصلة المتوسطة لا تبتعد كثيرا عن المليون ضحية اللوحة 38 - الحصيلة الإجمالية للكوارث.

النسب المئوية %	المجموع	المقاطعات
26,9	200.000	الوسط
20	220.000	الشرق
50	400.000	الغرب
32,3%	820.000	المجموع



الخصيلة العامة



23 - الصورة الخرائطية

المعيشية القاسية
خريف لسنة 1867.
بعض جبال الوسط
وخصوص في جرجرة
تأثرت أيضا بقوة كل
التي وحتى الشواطئ

الوحدات التالية
ص المجمع الجبلي

حي باستثناء بعض

صل إلى 820.000
فالأمر يتعلق هنا
ن المليون ضحية .

7

إننا نقرب كثيرا من الواقع إذا إعتدنا هذه القيمة فالفارق الموجود بين هذا الرقم والرقم الذي كشف عفويا ومؤخرا سنة 1887 وهو 500.000 ، والذي لا يؤثر على نتيجتنا ويبقى كل تصريح من هذا النوع في ظروف معينة (الملف الملحق رقم 8) غير دقيق، لأن تقييمنا جاء نتيجة لعدم معطيات مثلت مختلف الدوائر الإدارية ومجموع نواحي الوطن .

وهكذا فإن مجموع هذه الحصيلة الثقيلة تبرز إنقراضا من منازع شاسعة وأدى إلى خلق العديد من المراكز من سكانها وتفكيك مجموعات بأكملها وتشريد الآلاف من الأشخاص من مواطنهم، فهل كان ذلك حقيقة يمثل ثلث عدد السكان حسب تقييم سنة 1866 مثلما تنبأ بذلك صحافي في بداية ظهور الكوارث الأولى في سبتمبر 1867 ؟

سندرس هذه المشكلة في الجزء الثالث لأنه لابد علينا من معرفة الأسباب قبل كل شيء مع محاولة تقييم نسب الخسائر لسنة 1867 فالخسائر تبقى دون المسجلة سنة 1868 ويمكننا تقييمها تقريبا بأقل بقليل من الثلث وهو ما يقرب من 400.000 ميت.

الخلاصة

لم يكن تقييم الخسائر بالسهل وبقي تقريبا نظرا للنقص العدم للإحصائيات والثغرات الموجودة في الحالة المدنية وهذا ما ندنا به بإبراز قلة تسجيلات الوفيات وعلى الخصوص المتعلقة بوفيات الإناث ومراحل السن الأدنى من 10 سنوات.

على كل حال وكلما استطعنا ذلك كنا نقيم نوعا ما نقص الإعلانات العامة للوفيات وفي كل الأحوال فإن الحالة المدنية تبقى هي المصدر الذي لا يمكن تقديره. فبفضل الحالة المدنية وصلنا إلى ضبط العديد من النتائج بالنسبة للعديد من النواحي المماثلة. وهنا تظهر دراسة العقود مفيدة وتسمح بتمييز نوعين من الوفيات على الأقل : وفاة سكان

الحصيلة العامة .

المدن الأصليين ووفاة السكان غير المستقرين في المدن المدروسة (البلدية المدنية و القليعة على الخصوص) وهذا ساعد في تأويل العديد من العقود وسمح لنا باستنكار ونفي تهم خطيرة ، في كل المراكز التي درسناها ، كما تابعنا بسهولة التطور الزمني مع الإحاطة الجيدة بفترة الكوارث والحدود القصوى في هذه المراكز .

وصلنا عبر النتائج المحلية والجهوية إلى حصيلة تقريبية دنيا . وبهذا قد يكون عدد الضحايا يقارب 800.000 ضحية وغير بعيد إذن عن المليون شخصا ويمثل في هذه الحالة ثلث تعداد السكان لسنة 1866 حسب التقييمات الرسمية ، وأسفرت هذه النتائج عن انقراض جهات كثيرة اختفت فيها من الوجود عائلات ومجموعات بأكملها ، لهذا لا يمكن لخارطة الكوارث أن تشرح هذه الظاهرة بأكملها إلا إنها تشير إلى الارتباط بين كثرة الوفيات والعوامل الجغرافية ، لذا يجب علينا دراسة الأسباب المختلفة الطبيعية منها والإنسانية لوضعها في سياقها السياسي والاقتصادي .

بيد الكوارث

بارق الموجود وهو 500.000 وع في ظروف اء نتيجة لعدة وطن .

سا مس مناطق ليك مجموعات فهل كان ذلك ثلما تنبأ بذلك ؟ I

لينا من معرفة لسنة 1867 ، ها تقريبا بأقل

النقص العام هذا ما ندونا به بوفيات الإناث

نقص الإعلانات في هي المصدر ضبط العديد من لنا تظهر دراسة قل : وفاة سكان

والله اعلم بالصواب الذي كتبه وأمره بحسب ما يريد بالعباد حتى
لا يظن الظاهر الرأفة بالظالمين ولكن الظاهر لله في القضاة
على وجه مستحق في الدنيا والآخرة كما يشاء بما يرى من
الظلمة التي تظلم بها هؤلاء من الظلمة والظلمة بالله سبحانه
والله اعلم بالصواب الذي كتبه وأمره بحسب ما يريد بالعباد حتى
لا يظن الظاهر الرأفة بالظالمين ولكن الظاهر لله في القضاة
على وجه مستحق في الدنيا والآخرة كما يشاء بما يرى من
الظلمة التي تظلم بها هؤلاء من الظلمة والظلمة بالله سبحانه

الجزء الثاني

أسباب الكوارث

قد سلك في كتابي هذا سبيلاً في بيان أسباب الكوارث
التي تفتك بالبشر والبلاد من أسبابها التي هي مستحقون
بها العقاب والجزاء في الدنيا والآخرة والله اعلم
بالصواب الذي كتبه وأمره بحسب ما يريد بالعباد حتى
لا يظن الظاهر الرأفة بالظالمين ولكن الظاهر لله في القضاة
على وجه مستحق في الدنيا والآخرة كما يشاء بما يرى من
الظلمة التي تظلم بها هؤلاء من الظلمة والظلمة بالله سبحانه

والله اعلم بالصواب الذي كتبه وأمره بحسب ما يريد بالعباد حتى
لا يظن الظاهر الرأفة بالظالمين ولكن الظاهر لله في القضاة
على وجه مستحق في الدنيا والآخرة كما يشاء بما يرى من
الظلمة التي تظلم بها هؤلاء من الظلمة والظلمة بالله سبحانه
والله اعلم بالصواب الذي كتبه وأمره بحسب ما يريد بالعباد حتى
لا يظن الظاهر الرأفة بالظالمين ولكن الظاهر لله في القضاة
على وجه مستحق في الدنيا والآخرة كما يشاء بما يرى من
الظلمة التي تظلم بها هؤلاء من الظلمة والظلمة بالله سبحانه

بعض المظاهر الطبيعية

التغيرات المناخية في مختلف المناطق

التغيرات المناخية في مختلف المناطق

التغيرات المناخية في مختلف المناطق

التغيرات المناخية في مختلف المناطق

إذا درسنا بالتفاصيل كل النتائج وأظهرنا بعض الأوبئة وأكدنا كثيرا على بعض المظاهر الرئيسية كالمجاعة ونقص الغذاء. لقد لعبت المجاعة دورا هاما وحاسما في انطلاق الكوارث المتبوعة بآثارها الطبيعية ويعني ذلك أثار الفصل الطويل من الجفاف والمتبوع بشتاء وريبع قارسين وشديدين وكانت هذه هي الأسباب الرئيسية لتلك المجاعة التي كان يذكرها دائما مؤلفو الفترة الإستعمارية والتي كانت حسب رأيهم هي مصدر الكارثة الديمغرافية إضافة إلى أنها كانت مسبقة بهجوم مكثف للجراد سنة 1866.

لقد سجلت هذه الظواهر الطبيعية وهي حقيقية. ولكن هذا لا يشرح كل شيء وبالأخص النسبة الهائلة من الضحايا التي تسببت في انقراض جهات عديدة بأكملها، ويمكننا أن نربط بين هذه الظواهر والأحوال الجوية مثلما يبرز ذلك تزايد الوفيات في السهول. مثلا يجب استثناء الشاطئ الغربي للوسط وكذا الكتلة الجبلية بمقاطعة وهران والممثلة في آن واحد بالسهول والجبال.

يجب البحث عن أسباب أخرى عدا الأسباب الطبيعية فلا بد من وضع المجاعة في كل سياقها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. إن الإبادة لبعض النواحي المذكورة تتطابق في غالب الأحيان مع ميادين عمليات سنة 1864 التي تشد الانتباه الخاص بآثار انتفاضة 1864. ولأن بعض الملاحظين المعاصرين نبهوا إلى هذا التطابق وتوجد في هذا الصدق تهاديات واضحة.

الكارثة الديمغرافية

إن الأسباب متعددة لذا سندرس الوضع هكذا

- الأسباب الحينية : الأوبئة،

- الكوارث الطبيعية،

- تطور الإنتاج الفلاحي،

- آثار انتفاضة 1864،

- انعدام النظام المذكور سابقا للإقتصاد التقليدي.

الأسباب

يبقى سكان كل بلد معرضين بصفة دورية للأوبئة وبالخصوص بعد القحط والحروب⁽¹⁾ التي تجعل الأرضية خصبة لإنتشار الأمراض المعدية مثلما أبرزت ذلك كارثة 1867-68 وبالرجوع إلى الوباءين المعينين الكوليرا والتيفوس يتضح جليا الدور الصحيح لانطلاق وتأزم الكوارث حيث أن وباء الكوليرا قد ظهر عشر مرات (في السنوات التالية 1834، 1835، 1837، 1849، 1850، 1851، 1855، 1859، 1860، 1865 و1866).

I - أوبئة الكوليرا

لا بد من ذكر الظروف التي ظهرت فيها الهجمات المتنوعة ولو باختصار والمصحوبة بالآثار المختلفة والمتغيرة في الزمان والمكان ولو أن الأخبار التي وصلتنا ناقصة⁽²⁾.

(1) نظرة حول الأوبئة السابقة لسنة 1867

نلاحظ أن جل الاجتياحات⁽³⁾ وقعت بداية من الشواطئ بعد نزول الأشخاص (الجنود على العموم) المصابين والقادمين من الموانئ الفرنسية⁽⁴⁾. فالمستشفيات والتكنات والسجون هي التي تكون مصدر انتشار الوباء، وكان أهم مستشفى وهو مستشفى الداى الذي سجل نسبة وفيات تتراوح من 50 الى 73% من الأشخاص الموجودين فيه، والمعطيات الرسمية تبقى قليلة وغامضة خارج هذه المراكز على كل يجب الأخذ بهذه الملاحظة التالية: تكون الاجتياحات الأولى هي أكثر فتكا على العموم وبالأخص في مدينة الجزائر والبليدة سنة 1835 وكذا في جزء

الكارثة الديمغرافية

كبير من مقاطعة وهران وبالأخص في معسكر حيث وصلت الوفيات في 1475 وفاة من مجموع 10.000 ساكن⁽⁵⁾

تأثرت كثيرا أيضا مقاطعة قسنطينة بـ14000 ضحية من مجموع 50.000 شخص وهو ما يعادل 7.28.

عكس ذلك فإن موجة 1837 كانت أقل شدة :

"ففي هذه المرة يظهر أن جرثومة الكوليرا قد فقدت قوتها... وفي المدن التي اجتاحتها كانت تخلف عددا أقل من الضحايا"⁽⁶⁾.

إن حصيلة سنة 1849 ثقيلة جدا وتخص على العموم مدنا وجهات جديدة. خربت وهران هكذا ونعد فيها حتى 209 ميتا يوميا (الأصم وتنس وشرشال.. وقد ضرب كالصاعقة⁽⁷⁾. من هنا دخل الضربة والونشريس.

لقد أتلّف جزءا كبيرا من مقاطعة الشرق في نفس الظروف في سكيكدة وسطيف وقسنطينة وبالأخص في بوسعادة والزيبان حيث قاوم السكان بكل شجاعة القوات الاستعمارية الحاملة لجراثيم الكوليرا، مما يوضح ذلك "الممرن الرسمي" للجزائر :

"انتهى كل شيء في بوسعادة يوم 15 نوفمبر وفتح سكان الحي المتمرد الأبواب للعقيد دوماس، حطموا الحواجز التي كانت تغلق الطرقات وسلموا الرهائن. لكن الفرنسيين والأهالي يقاومون الآن عدوا لدودا، ألا وهو الكوليرا..."⁽⁸⁾

فيما يخص الزيبان فهناك شهادات الطبيب التي لها دلالتها عند مختلف اجتياحات الكوليرا في إفريقيا نجت الزيبان. لم يكن الأمر كذلك في هذه المرة. وصلت الكوليرا مع جيوشنا ثم انتشرت بسرعة في كل الواحات وفتكت بالسكان وبالخصوص في بسكرة..."⁽⁹⁾

الأسباب الآتية : الأوبئة

كان الوباء الرابع إذا شديدا وفتاكا. يجب تقريب هذه الحالة الصعبة للسكان والمقاومة المسلحة الطويلة التي قاموا بها مثلما تظهر ذلك أمثلة بوسعادة والزعاطشة شرق البلاد وفي الضهرة والونشريس في الغرب على الخصوص. هذا ما يفسر كوارث الوباء الخامس سنة 1850 وهو بضعة أشهر بعد الوباء السابق. وبالمقابل فإن الهجمة السادسة للوباء تعتبر بسيطة (1855). ونجد نفس الحالة بالنسبة للسابعة (1859) وذلك خاصة نظرا لقدم الشتاء.

إذا بقي الوباء الثامن محليا فإن التاسع (1866) قد إنتشر غرب الشاطئ الجزائري في تنس والأصنام لآبد من الإشارة إلى هذه المساحة الانتشارية في هذا التاريخ بالذات. لقد أصيبت المدينتان سنتي 1866 و1867. فانتشار ومقاومة الجراثيم في المركزين يرجع إلى فترة الجفاف الطويل التي تشرح إنقراض السكان مثلما رأينا سابقا.

(2) حصيلة وباء سنة 1867

إننا لا نملك إلا بعض المعطيات حول هذا الوباء⁽¹¹⁾. حسب بيربي⁽¹¹⁾ فإن وباء 1866 لم يخف تماما حتى ظهر من جديد بعد بضعة أشهر. ونشاهد على الخصوص في المقاطعة الشرقية حول سطيف وفي محلات أخرى مختلفة في بداية الصيف⁽¹²⁾ لآبد من التأكيد على هذه العودة للوباء لأنها تترجم الظروف المعيشية الصعبة للسكان مثلما يظهر ذلك الهجوم المعمم لآخر الصيف وبداية الخريف (سبتمبر وأكتوبر) لم تتأثر حتما النواحي المعوزة أكثر من النواحي الأخرى مثلما توضح ذلك حالة الساحل ومتيجة (ص 12) بقطع النظر عن مقاطعة وهران. كما حدث الأمر سنة 1849 فإن هذه النواحي التي تظهر أقل مقاومة لانتشار جرثومة الكوليرا خاصة وأن هذا الوباء ظهر في سنتي 1865 و1866. فكل النواحي التي سلمت من وباء الستين المذكورتين (1865 و1866)⁽¹³⁾ أصبحت الحصيلة فيها ثقيلة جدا سنة 1867. إن المقاومة النفسية

الكارثة الديمغرافية

للأشخاص ضعفت بصفة هائلة. وهكذا كانت الأرضية عاملا فعلا للإنتشار. ففي هذه الظروف فإن كوارث سبتمبر/أكتوبر قد تكون نتيجة للحالة الفيزيولوجية المنحطة والأمر لا يعود للأثر المباشر للكوليرا⁽¹⁴⁾. فلا بد إذا من معرفة عوامل هذا الوضع العام.

في البداية فلنحاول تقييم حوصلة هذين الشهرين بمقارنة المعطيات الرسمية ونتائج بيانات الوفيات طيلة هذه الفترة. في هذا الإقليم المدني وهنا لا نستطيع إلا أخذ مجموع الوفيات التي حدثت في المستشفيات وهو 553 حالة (اللوحة 39) لكن هذا الرقم لا يدل على شيء نظرا لقلّة وسائل الاستقبال فالعدد أدنى من عدد الأوروبيين (796 وفاة) أما الوفيات المسجلة محليا والتي بلغت 4968 فهي أقل من الواقع بكثير.

وهذا المجموع 5.521 لا يعطينا إلا فكرة عن الوفيات نظرا للفارق الموجود بين البيانات والعدد الحقيقي للضحايا.

أما الحوصلة العامة التي أعلنت ببضعة أشهر بعد ذلك في الصحافة الرسمية⁽¹⁵⁾ فإنها تصل إلى 89.000 ضحية. وهذا الرقم تقريبي جدا ويجب أن يتجاوز 100.000. يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار بيانات الوفاة طيلة فترة الوباء (سبتمبر-أكتوبر). نلاحظ أن الحصيلة لهذه الفترة تتغير ما بين 25 إلى 40% في العديد من الدوائر الإدارية. لذا لا بد من اعتماد معدل 30% حيث أن المجموع السنوي قيم بـ 400.000 نسمة يصل فيها عدد الوفيات إلى 120.000 ضحية بالتقريب. تمثل إذا نسبة الخسائر الخاصة من وباء الكوليرا 12% من مجموع حصيلة الكوارث وهذه نسبة ضخمة ولو أن السلطات الرسمية حاولت أن تظهر نسبة أعلى بكثير من التي أعطيناها... وصرحت بنسبة 40% من المجموع العام في جوان 1868.

اللوحة 39 - توزيع الوفيات

المقاطعات	في
وهران	
قسنطينة	
الجزائر	

صدرت الجريدة الطبية للجزائر (سنة 1868)

تظهر الدراسة الملخصة تسع عشر حدثين بالغي ويرجع هذا إلى تحركات تاريخ 1867-1868.

(3) وباء التيفوس

مثل كل الأمراض المعدية مرضية الخصبة وهو ما يعكس كل الملاحظات القديرة فترة المناسبة : الشتاء وتهيئة المقدمة من طرف تعديروعية التي أوصلتنا متخفة الوسط. لقد حدثت من جراء التيفوس حتى وتعتبر على ذلك جليبا تمت هنا التيفوس إلا نسبة نوفايات (فبراير-أفريل-أغسطس) فصل انشاء. يمكننا إذا

الأسباب الأنيسة : الأوبئة

اللوحة 39 - توزيع الوفيات الناجمة عن الكوليرا في الإقليم المدني.

المقاطعات	في المنزل	في المستشفى	المجموع
وهران	435	83	518
قسنطينة	368	135	503
الجزائر	4165	335	4500
	4968	553	5521

المصدر : الجريدة الطبية للجزائر (سنة 1868، ص 12).

تظهر الدراسة الملخصة للهجمات المختلفة لوباء الكوليرا طيلة القرن التاسع عشر حدثين بالغين الأهمية : العدوى التي تأتي من خارج الحدود ويرجع هذا إلى تحركات الجيوش عامة⁽¹⁶⁾ والجزء الضعيف لأثار الوباء في كوارث 1867-1868.

(3) وباء التيفوس

مثل كل الأمراض المعدية فإن التيفوس ينتشر بسهولة إذا وجد الأرضية الخصبة وهو ما يعني حالة المجاعة وقلة التغذية مثلما تظهر ذلك كل الملاحظات القديمة والجديدة⁽¹⁷⁾ لاسيما وان الوباء يتزامن مع الفترة المناسبة : الشتاء والربيع⁽¹⁸⁾ بفضل هذه المعطيات الإحصائية الثمينة المقدمة من طرف بيربي وملاحظاته الدقيقة وتحليلاته الموضوعية التي أوصلتنا لتقييم حجم هذا الوباء في كوارث 1868 عبر مقاطعة الوسط. لقد حث هكذا الإطار السامي على ضعف الوفيات التي وقعت من جراء التيفوس حتى في الناحية التي أبعدت مثلما هو الحال في تنس⁽¹⁹⁾ وتعتبر على ذلك جليا بيانات الوفاة في مخيم وادي الداموس. لا يمثل هنا التيفوس إلا نسبة 11.3 % فقط (87 حالة على 784) وفترة الوفيات (فبراير-أفريل- انظر على اللوحة 21) تتطابق جيدا مع نهاية فصل الشتاء. يمكننا إذا أخذ بنسبة تتراوح ما بين 12 إلى 15% من

الكارثة الديمغرافية

ضحايا سنة 1868 وهو ما بين 72.000 إلى 90.000 فالمجموع العام لهذين الوباءين يقارب 200.000 ضحية وهو تقريبا الخمس.

لقد ظهر هذان الوباءان في ظروف معينة وبالخصوص بعد فترة المجاعة. وتتكون على العموم هذه الأوبئة نتيجة حالة خاصة تعود لسوء التغذية ولكن هذه الحالة ليست هي السبب المباشر وهذا يستدعي دراسة مطولة للأسباب المباشرة لهذه الكوارث.

1. ب. جورج ص: سكان
2. أتت الدراسات الأساسية
3. شاهد أيضا مقالة بييري (31)
4. نذكر أن وباء الكوليرا ونواحي أخرى من الهند انتقدت
5. تشير إلى أن الهجوم تم
6. فانسان و'سوليبي' (40)
7. سوليبي (40) ص 7
8. فانسان (39) ص 54
9. ذكره فانسان (39).
10. شهادة الطبيب كينو و
11. لم يحفظ أي أثر من
12. الجوية كما أوضح ذلك 'سوليبي'
13. بييري (31).
14. بييري (31).
15. لقد انتشر الوباء بعسر
16. لسنتي 1865 و1866 بقوة كبير
17. حسب ما ذكره من قبل
18. قادمين من مكة مثلما تضمنت
19. استطاعتنا تحديد التاريخ الصحاح

الملاحظات

1. ب. جورج -ص: سكان وتعمير. باريس 1972.
2. أتت الدراسات الأساسية من الدكتورة سولبي (40) و فانسان و كولدو (39) شاهد أيضا مقالة بيري (31) فيما يخص وباء 1868.
3. نذكر أن وباء الكوليرا مزمن في بعض نواحي آسيا خصوصا في البنغال ونواحي أخرى من الهند. انتقلت العدوى إلى أوروبا من خلال حرب القز وين.
4. نشير إلى أن الهجوم تم عن طريق البواخر من إسبانيا سنة 1834.
5. فانسان و سولبي (40).
6. سولبي (40) ص 7
7. فانسان (39) ص 54.
8. ذكره فانسان (39).
9. شهادة الطبيب كينو وذكره فانسان (40).
10. لم يحفظ أي أثر من الأطروحة التي قدمها الدكتور زيليو لجمعية الأحوال الجوية كما أوضح ذلك سولبي (40).
11. بيري (31).
12. بيري (31).
13. لقد انتشر الوباء بسرعة كبيرة. لقد أصيبت المراكز التي نجت من الوبائين لسنتي 1865 و 1866 بقوة كبيرة. سولبي (40) ص 21.
14. حسب ما ذكره من قبل لم يكن وباء 1867 نتيجة عدوى من طرف حجاج قادمين من مكة مثلما تضمن رأي غولد زيغار (33) ص 452. إن لم يكن في استطاعتنا تجديد التاريخ الصحيح لعودة الحجاج نشير إلى تاريخ 15 أفريل 1867.

الكارثة الديمغرافية

15. "منتور" الجزائر في 11 جوان 1868 و"أخبار" في نفس التاريخ.
16. ما عدا وباء 1850. إن العدوى انتقلت عن طريق قافلة لسكان وادي سوف في واحة سيدي عقبة، كان عدد الضحايا 1385 من بين 1300 ساكنا تقريبا. "فانسان" (39).
17. "بيري" (31): عياش غسان: مساهمة في دراسة التيفوس في الجزائر. الجزائر (97).
18. إن هذين الفصلين هما الأكثر ذكرا من طرف المؤلفين: "قو" و"بويو": "وباء التيفوس التاريخي" و"الجزائر الطبية، ماي 1973 ص 319-231: كنستنسكو" و"فراش" و"زافكو"، دراسات مقارنة لاحتمال عودة وباء التيفوس والبلاء الأولي "الصحافة الطبية". 20 مارس 1965.
19. مرتكزا أيضا على التقارير الأكية من مختلف المستشفيات للمقاطعة.

لقد كتب نوشي سنة 1960 وينبغي أن نباشر هذا التحليل حتى لو أنه ينقصنا الكثير من المعطيات الإحصائية الخاصة بتساقط الأمطار. لقد تأثرت الجزائر قبل هذا من نكبة مروعة استمرت لأربع سنوات من 1866 إلى 1870... تأثرت الجزائر إذن قبل كل شيء من الجفاف. كانت أمطار الربيع معدومة في سنوات 1867 و1868 و1869. كانت فصول الشتاء لسنتي 1867-68 و1868-69 قاسية جدا وضاعفت من آلام هؤلاء المساكين. نقص الأمطار في فصول الخريف وخاصة خريف 1867-68 أخرت موسم الحرث وقللت من المساحات المزروعة: باختصار فإن هذه السنوات الأربعة تضافرت فيها العوامل لعدة كوارث طبيعية أفستت جني المحاصيل الفلاحية وقللت من المساحات الرعوية. كما أضيفت لهذه الكوارث كارثة الجراد لقد وصف ألفونس دودي ضجيج هذه الحشرات التي تغطي السماء وتتلغ كل النباتات التي توجد في طريقها رغم الجهود المحدودة للفلاحين الجوعى. لقد أتلغ الجراد المحاصيل القليلة التي لم تحصد بعد و أتلغ الحداثق والبساتين...

أما فيما يخص غولد ريفر فلها الفضل في دراسة صحيحة للاحتمالات الطبيعية وتأثيراتها في كارثة 1867-68. وفسرت التأويلات الخادعة لمؤيدي ومعارض نظام ذلك الوقت وهو ما يعني الطوفان الحاضران والندان تسميهما محببي العرب وأكلة العرب⁽²⁾.

لكن لا بد من الاعتراف أنه لحد الآن لم يصل أي كاتب لتحليل أهم المعطيات المتعلقة بالطقس والبيانات الحرارية والمطرية ليشرح هذه الفصول الخريفية القليلة الأمطار "لم يكن الجفاف موجودا إلا منذ سنة

1864... ولا يبرر إلا "بريح جنوبية" تحرق الحقول سنتي 1866 و 1867 و محولة هكذا أراضي وادي الشلف إلى أراضي مصدعة وصعبة العمل...⁽³⁾

كان لابد على دراسة مثل هذه أن تعتمد على تحليل معمق للمعطيات الإحصائية لا على تقارير إدارية رسمية حيث أن كل شيء وضع لتزوير المراسلات وحذف عدد كبير من الوثائق من الأرشيف...

- قضية الأرشيف

كان من الممكن أن يعطينا فحص الأرشيف المتعلق بالأحوال الجوية التي تحمل دلالات ثمينة عن الفترة التي تهمننا وعبر أهم المناطق الممتلة حيث أننا نعد منذ سنة 1860 ما يقارب من ثلاثين محطة أرصاد لقد كنا دائما نستغل بفائدة هذه الملفات ذات الأهمية القصوى. لكن منذ آخر تحويل لها لم تتمكن أي مصلحة من العثور على هذا الأرشيف...⁽⁵⁾

توجد بعض المعطيات المتعلقة بتساقط الأمطار السنوية وحتى الشهرية في مديرية دراسة الوسط والأبحاث العلمية، المصلحة السابقة للدراسات العلمية ولكن ما هي إلا صور طبق الأصل غير موثوقة (مصححة ولا تقرأ في بعض الأحيان). لكننا ضاعفنا التحريات لنجد النشرات القديمة فلاحظنا في "نشرة جمعية الأحوال المناخية وفي "الجريدة الطبية للجزائر" نتائج عشرين محطة. فيما يخص الأمطار (الأمطار ودرجات الحرارة) لكننا لم نجد إلا المجلد رقم واحد (1864-68). أما فيما يخص مقياس درجات الحرارة فإنه لا يتضمن إلا البيانات الشهرية من جانفي 1865 إلى جوان 1868.

قبل وبعد هذا التاريخ فإن الموازين تتلخص في محطة مرسى الجزائر (بيانات يومية فقط).

لا يمكننا هكذا متابعة التطور الشهري إلا طيلة هذه المدة القصيرة : أقل من ثلاث سنوات فلاحية متتالية 1865-66 و 1866-67 و 1867-68 المعطيات الكاملة لا تخص إلا أقل من عشر محطات. هذا غير كاف ولكن

النتائج تسمح لنا بفهم بعض الأحداث ونفي بعض الخلاصات... الغامضة وهي غير صحيحة.

I - النقص المحدود لساقط الأمطار

مثلما تظهر ذلك الصورة من 24 إلى 41 وعكس التصريحات السابقة فإن الأمطار محدودة في الزمان والمكان إذا ما قارناها بفترات الجفاف المعروفة والمعاصرة. إذا لاحظنا فارقا واضحا بالنسبة للمعدل سنة 1865-66 وسنة 1866-67 فالمجموع السنوي والتقسيم الفصلي لسنة 1867-68. سنة الكارثة. كان بإمكانه ضمان محاصيل فلاحية جيدة في العديد من النواحي على العموم. هذه هي الملاحظات الأولية الهامة التي يجب اتخاذها والتي تنقص شيئا ما من آثار الكوارث الطبيعية.

(1) التآرجحات ما بين السنوات

دراسة القوائم الطويلة للقياسات تظهر التآرجحات ما بين السنوات مثلما يظهر ذلك في قسنطينة (الصورة رقم 24). والتغيرات هي من إحدى التوابت للمناخ في بلدان البحر الأبيض المتوسط. هذا الأمر عادي. فالسنوات الكثيرة المطر تكون دائما متبوعة بسنة أو سنتين أو ثلاث سنوات متتالية من النقص⁽⁸⁾. إن ترددات وشدة هذا النقص ترتبط بالمحطة أو بالفترة المعينة. نلاحظ في مثل قسنطينة انه ماعدا السنوات الفلاحية 1855-56 و1910-11 و1930-31 فإن النقص قليل عكس ما نلاحظه في معسكر وسطيف (الصورة 25 و26).

ينبغي إذن تحديد هذا الجفاف أو ذاك الجفاف في الفترة المعينة للإحاطة علما بآثاره المباشرة. فطيلة العقد (1860-1870) يجب ذكر جفافين. وقع الجفاف الأول في بداية السنة الفلاحية 1860-61 وحتى 1861-62 حسب بعض المحطات، ووقع الجفاف الثاني تقريبا في كل التراب الوطني في السنتين الفلاحيتين 1865-66 و1866-67 (لوحة 40).

1864-65

رغم نقص الإحصائيات الربيعية كانت عالية تقريبا جوان (95مليمترا في سوا) تؤثر على المردود محليا إذا فإنها سنة جيدة على

1865-66

الشرط الأول لم يتحقق وأكثر من ذلك في بوغاز في كل الأطراف الجنوبية أما فيما يخص الشرط والبذر، وأمطار الأشهر (19 في ماي) والأصنام (5مليمترا) أما تساقطات الكثير المعدل الشهري، والأمطار في شهر أفريل حتى شهر مارس عدا شهر معدل ماي متساوي تقريبا الظروف أن تتأثر المحاصيل الاستثنائية للأغواط. فالمعدل السنوي وهذا ما يؤيد تنقلات المواشي في الموسم

إن مثل هذا التردد قد يظهر عاديا لأن الفاصل في المدة يوافق ثلاثة إلى أربعة سنوات متوالية (62-1963 إلى 64-1865 وحتى إلى 65-1866، حسب المناطق).

أما فيما يخص القوة فإنها أيضا تتغير كثيرا في المكان و طيلة السنتين المتتاليتين (1865-66 و 1866-67)، وللإحاطة علما بكل هذا يجب علينا الأخذ بالملاحظة التالية: يجب اعتبار فارق المحطات التي يكون فيها المعدل السنوي أدنى من 600مليمترا. وليست ذات أهمية كبيرة في مناطق كبيرة وفي المناطق الكثيرة الرطوبة والممطرة. فعلا 400 مليمترا كمية كافية للاحتياجات الفلاحية الأساسية إذا كانت هذه الكمية مقسمة جيدا طيلة السنة الفلاحية الأساسية، مثلما سنرى. ففي هذه الحالة يكون النقص الذي وقع سنة 1865-66 لا يتعلق إلا ببعض النواحي القليلة مثل سطيف وتونس ومعسكر. وكان إنتشار الجفاف أكبر سنة 1866-67 وكانت قوته أكثر ونستثنى من هذا بعض النواحي مثل بلاد القبائل وبعض الجبال، ومحليا شمال الحدود الجزائرية التونسية.

وكانت سنة 1866-67 سنة جفاف لكن الأمر لم يكن كذلك في السنة التالية: 1867-68 وهي سنة الكوارث فسقوط الأمطار تجاوز في غالب الأحيان المعدلات، ولو أننا لم نتعرف على بعض الأشهر (التفاصيل في اللوحة 40) التي تكمل هذه الملاحظات العامة وتدقق بدراسة التفاصيل للبيانات الشهرية التي تتعلق بزراعة الحبوب، أساس الاقتصاد التقليدي لجزء سكان الوطن.

(2) التآرجحات الشهرية

تحتاج الفلاحة الجافة إلى شرطين لتكون مفيدة: معدل سنوي يعادل 300 إلى 330مليمترا وبالأخص تقسيم شهري موزع توزيعا حسنا طيلة السنة الفلاحية وبالأحرى في الخريف والربيع فتساقط الأمطار في مارس و أفريل ومحليا في ماي تكون بالغة الأهمية. يجب إذا دراسة التوزيع الفصلي حسب المعطيات التي بحوزتنا.

1864-65

رغم نقص الإحصائيات نلاحظ أن المعدل السنوي كاف وأن الأمطار الربيعية كانت عالية تقريبا في كل الأمكنة. لكن كثرة الأمطار لشهر جوان (95مليمتر في سور الغزلان و 73 في قالمة والأصنام) يمكن أن تؤثر على المردود محليا إذا تأخر موسم الحصاد. إذا فإنها سنة جيدة على العموم إذا توبعت الأعمال بكيفية منتظمة.

1865-66

الشرط الأول لم يتحقق (النسبة السنوية) في معسكر (296مليمتر) وأكثر من ذلك في بوعاز (73.1مليمتر). لكن الأرقام مشكوك فيها ربما في كل الأطراف الجنوبية للمناطق التلية.

أما فيما يخص الشرط الثاني فإن الأمطار الخريفية تسمح بالحرف والبذر، وأمطار الأشهر الحاسمة ناقصة في تنس (5مليمترات في أفريل و19 في ماي) والأصنام (على التوالي 2 و9 مليمتر) ويكون الأمر كذلك ممكنا في ناحية وهران بسبب النقص في أفريل و فقط في هذا الشهر (53مليمتر و ماي 163مليمتر) فإنها تفوق بكثير المعدل الشهري، وحالة سطيف تقترب من حالة وهران بانعدام الأمطار في شهر أفريل. أما في بسكرة فالمعدلات الشهرية عالية جدا حتى شهر مارس عدا شهر أفريل : 4.02مليمتر مقابل 10مليمتر ولكن معدل ماي متساوي تقريبا 14.06مليمتر مقابل 15. لا يمكن في هذه الظروف أن تتأثر المحاصيل الزراعية. لكن يجب الإشارة إلى الحالة الاستثنائية للأغواط. فالمعدل السنوي يتجاوز بكثير المعدل العادي وهو 222.6مليمتر مقابل 187 وأمطار جانفي فبراير ومارس أعلى من المعدل السنوي وهذا ما يؤثر ايجابيا على الزراعة والمراعي ويسهل هكذا تنقلات المواشي في الموسم الشتوي...

أفق ثلاثة إلى
1866-65.

مكان و طيلة
بكل هذا يجب
ت التي يكون
مية كبيرة في
400
ت هذه الكمية
في هذه
بعض النواحي
سنة 1866-
بلاد القبائل

ذلك في السنة
جاوز في غالب
التفاصيل في
راسة التفاصيل
صاد التقليدي

ل سنوي يعادل
عا حسنا طيلة
الأمطار في
يجب إذا دراسة

الكارثة الديمغرافية

اللوحة 40 - بيانات تساقط الأمطار في بعض المحطات.

المحطات	المعدل السنوي	1863 - 1964	1864 - 1965	1865 - 1966	1866 - 1967	1867 - 1968	1868 - 1969
ميناء الجزائر	647 م.م	529	858	556	364	815	671
البلدية	954			461	438		
القليعة	706			478	311(1)	544(5)	
شرشال	633			405(a)		647(6)	
تنس	545			357		436(5)	
بجاية	972			504	494		
القائمة	910		1104	596	620	1156(7)	
عنابة	689			511	409	1069(7)	
الأصنام	400			400	180		
المدينة	800			556	563	653(5)	
تيزي وزو	893			603	430	777(7)	
لربعاء ن. إرائن	1035			763(2)	506(3)	1256(5)	
سور الغزلان	521			511	409	744(5)	
معسكر	511	514	870	296	230	619	538
سطيف	496	427	477	368	235	519	437
قسطنطينة	511	671	748	483	498	1012	611
فالمته	677			533	502(4)	945(2)	
وهران	405			607		535(5)	
الأغواط	187			222	181		
البيض	326					289(7)	

المصدر : مديرية دراسة الوسط والبحث العلمي لقسطنطينة و سطيف ومعسكر .

- (1) - ناقص : جويلية وأكتوبر
- (2) - ناقص : مارس
- (3) - ناقص : جويلية وأغسطس
- (4) - ناقص : جويلية
- (5) - ناقص : جويلية وأغسطس
- (6) - ناقص : جويلية وأغسطس وسبتمبر
- (7) - ناقص : جويلية وأغسطس وأكتوبر
- (8) - ناقص : أبريل

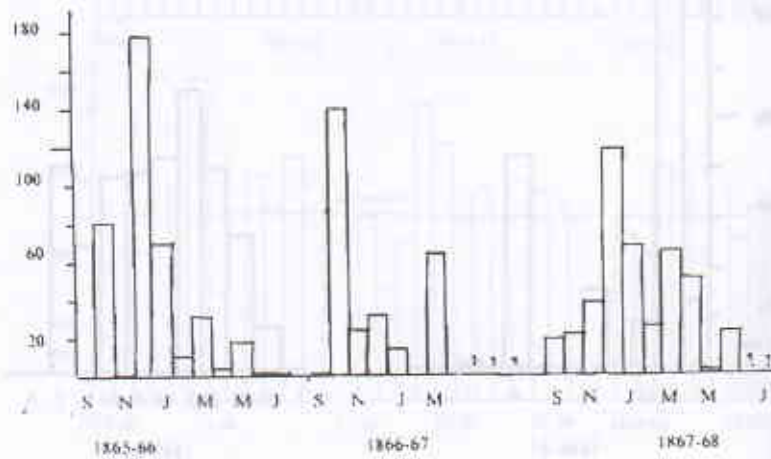
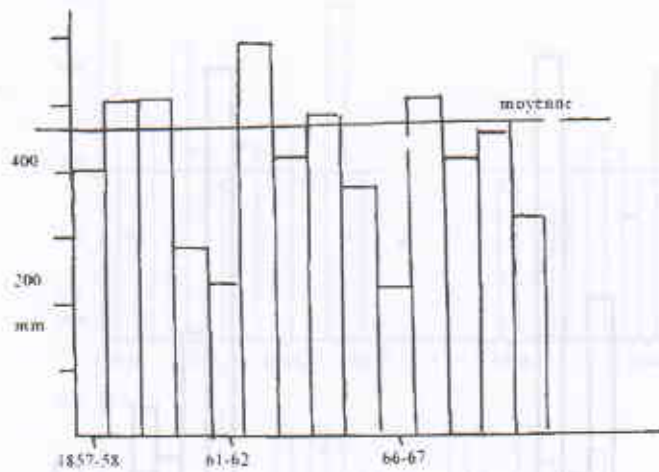
الصورة 24 - تساقط



الصورة 25 - تساقط

الكوارث الطبيعية

الصورة 24 - تساقطات فيما بين السنوات لمحطة قسنطينة

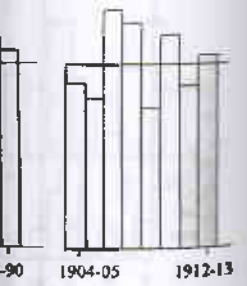
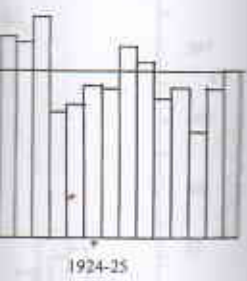


الصورة 25 - تساقطات سنوية مسجلة في معسكر

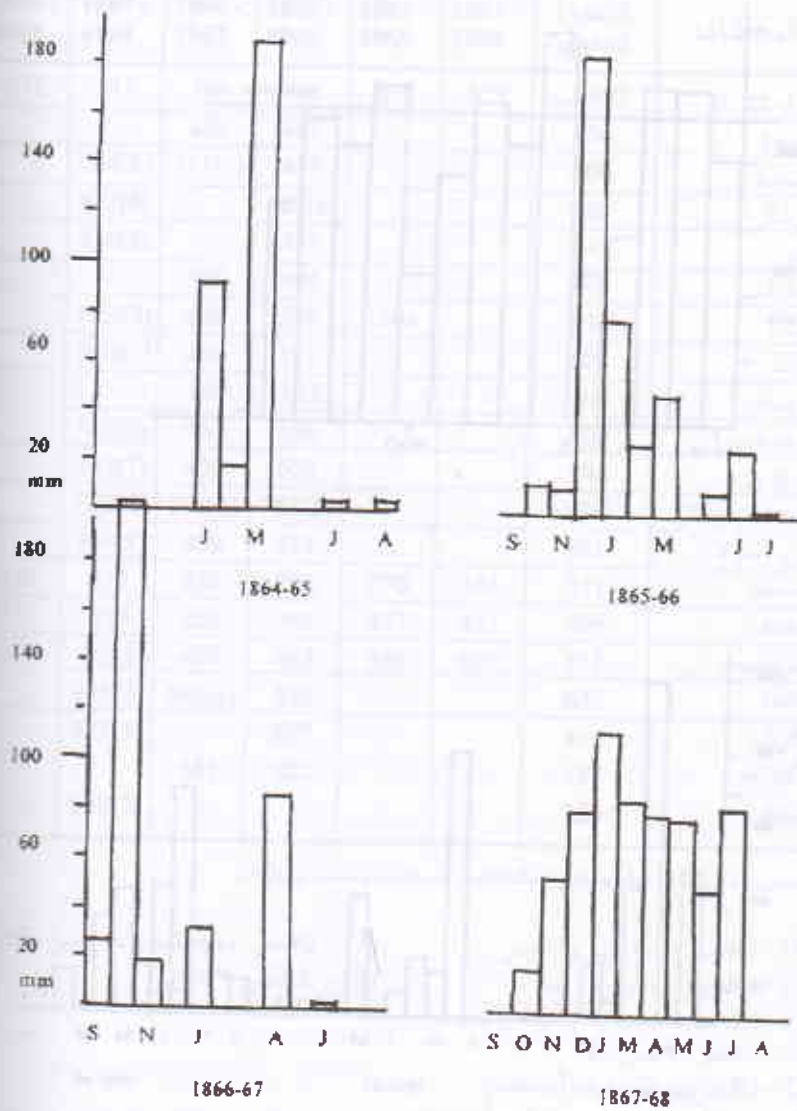
1868 - 1969	1867 - 1968	1866 - 1967
671	815	1012
	544(5)	311
	647(6)	436
	436(5)	436
	1156(7)	619
	1069(7)	437
		1
	653(5)	538
	777(7)	437
	1256(5)	611
	744(5)	945(2)
		535(5)
		289(7)

يوليو وأغسطس وأكتوبر
نوفمبر

الصورة 26 - تساقطات سنوية مسجلة في معسكر

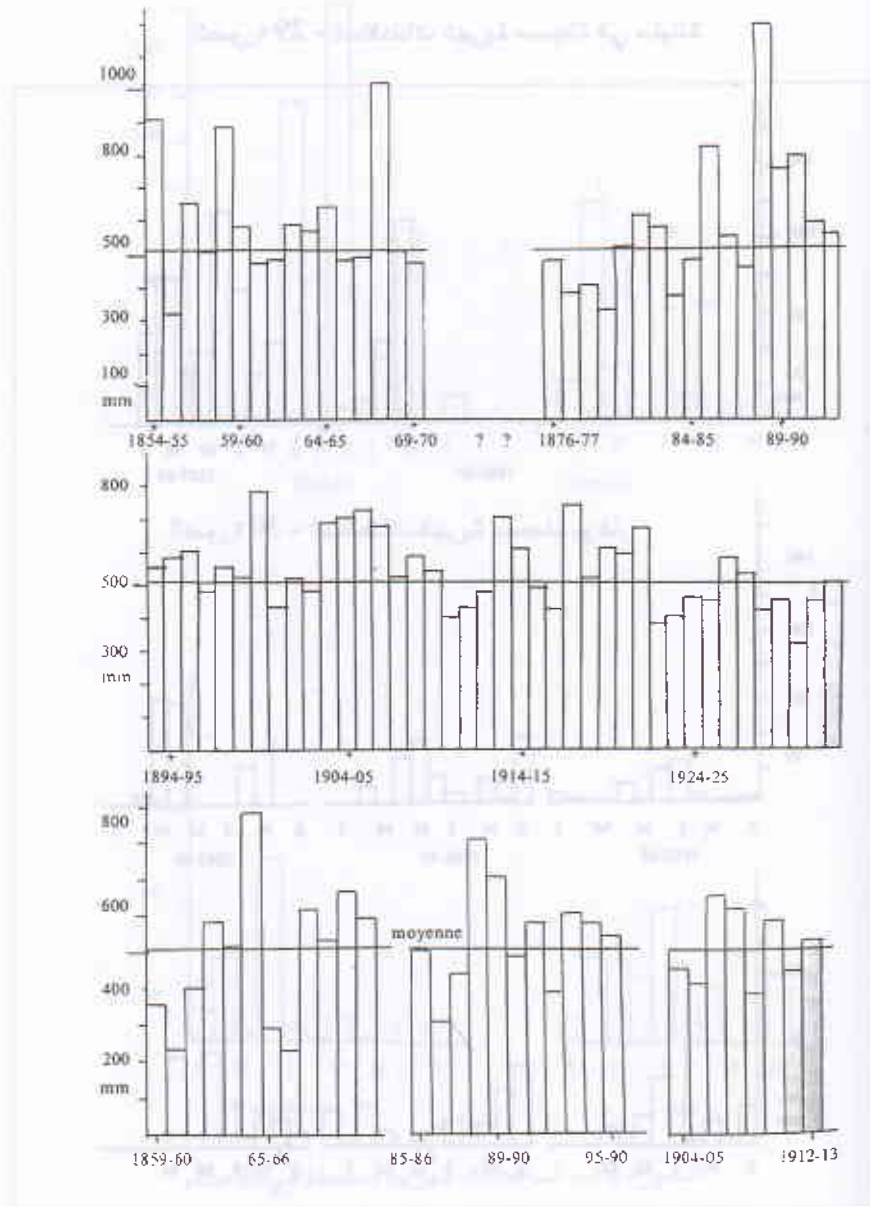


الصورة 28



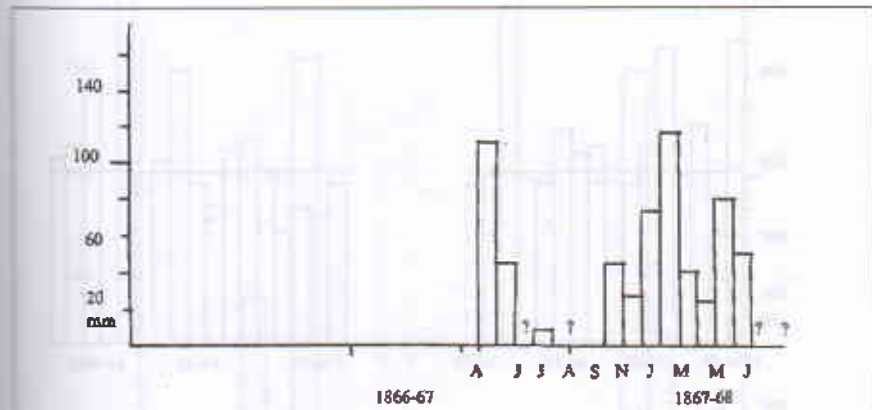
الصورة 27 - تساقطات مسجلة في تنس

البيانات الطبيعية

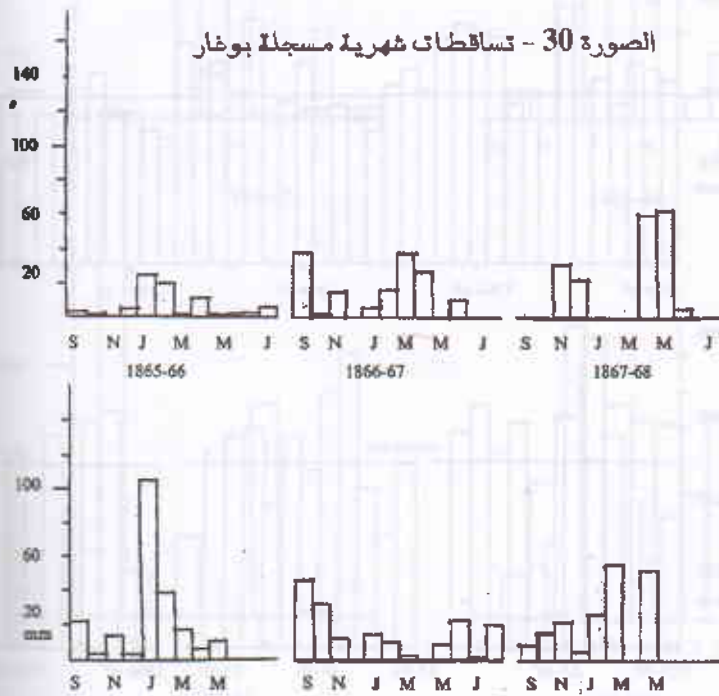


الصورة 28 - تساقطات شهرية مسجلة في شرشال

الصورة 29 - تساقطات شهرية مسجلة في مليانة

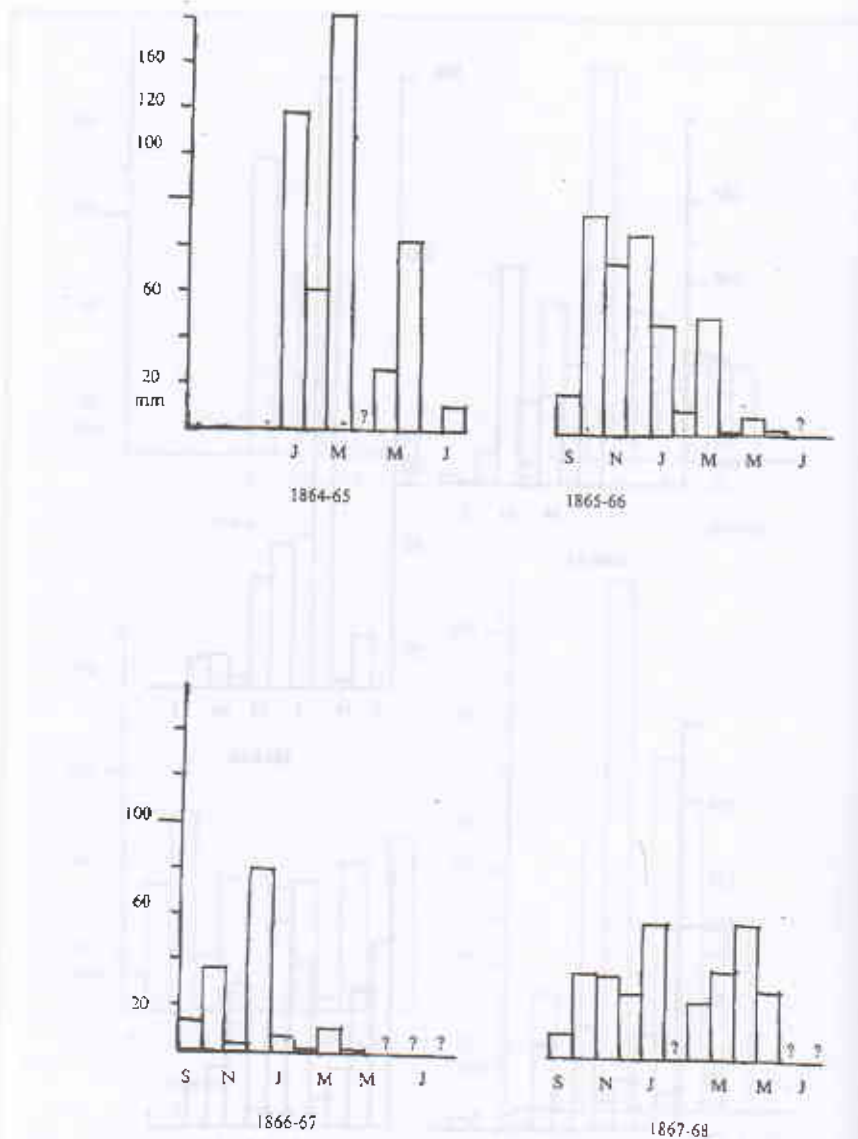


الصورة 30 - تساقطات شهرية مسجلة بوغاز



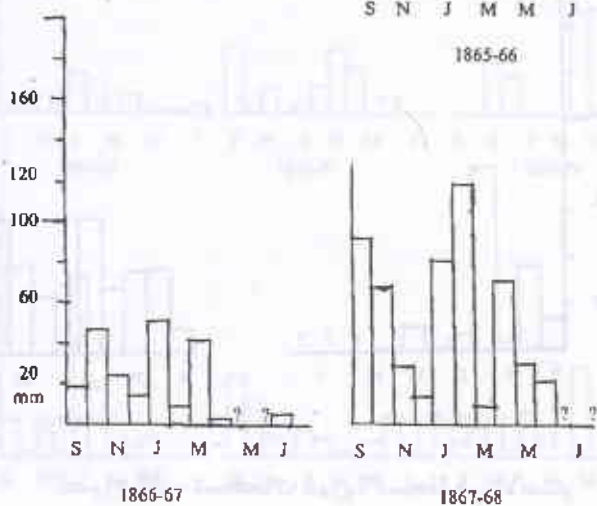
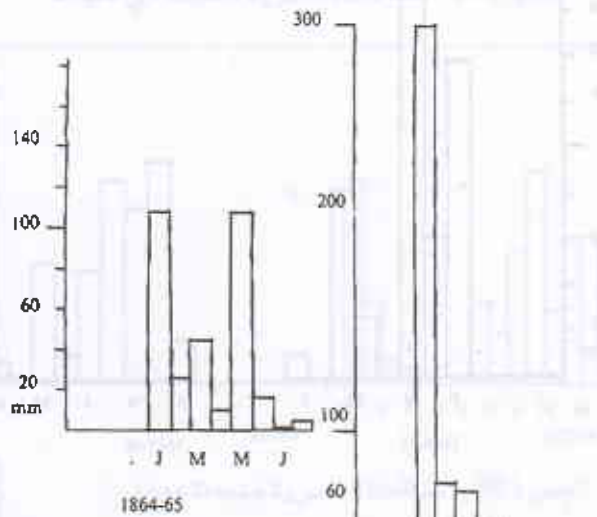
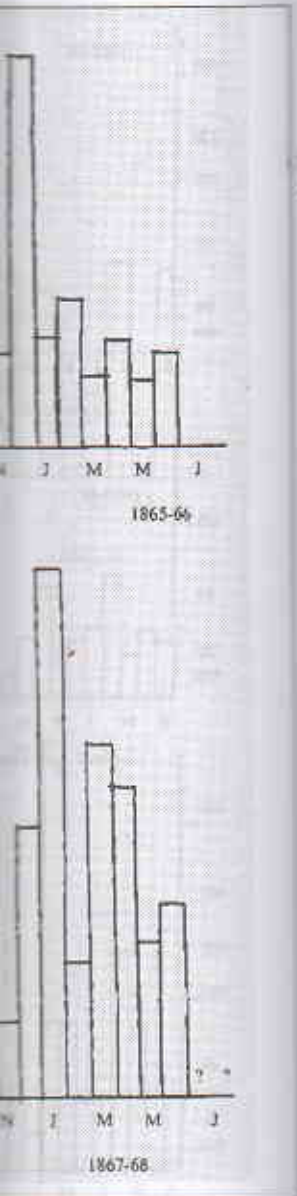
الصورة 31 - تساقطات شهرية مسجلة في الأفواظ

الكوارث الطبيعية



الصورة 32 - تساقطات شهرية مسجلة في الأضنام

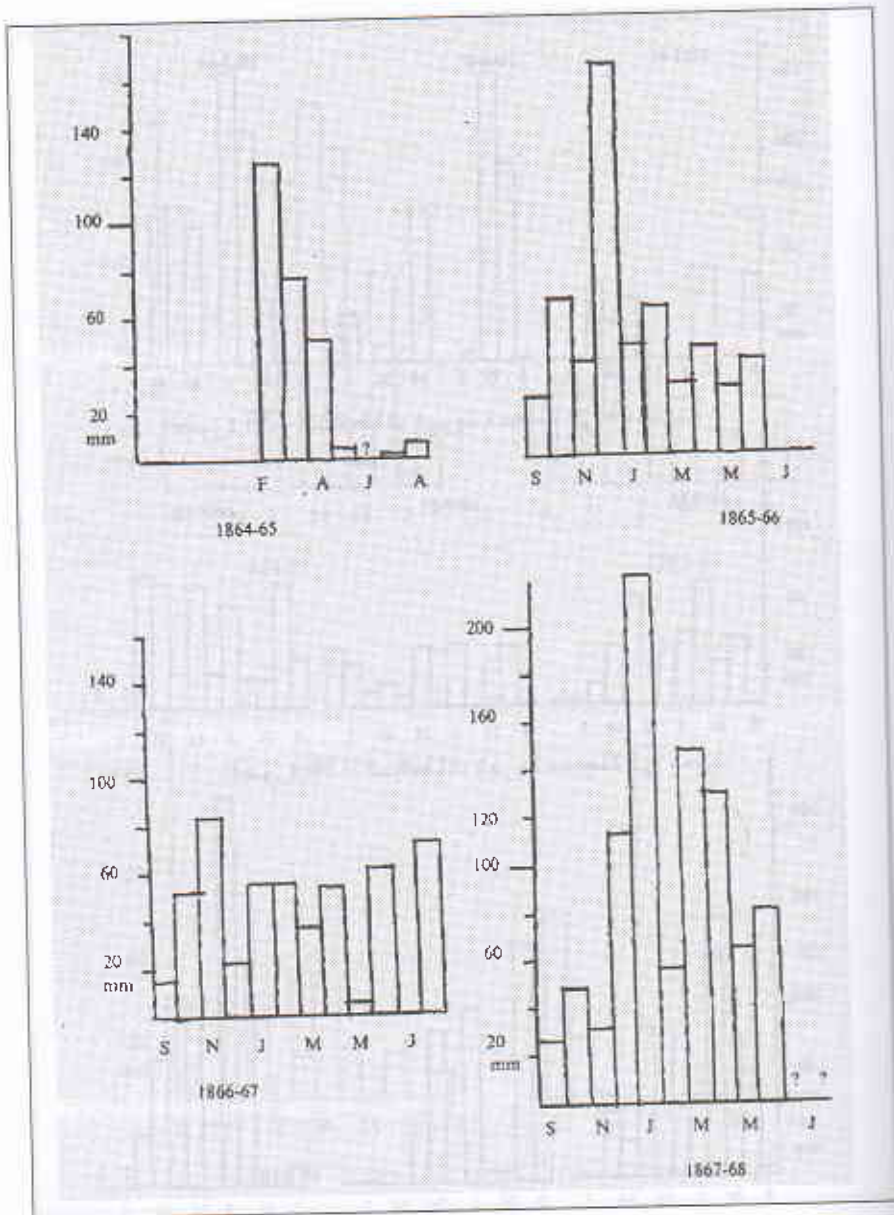
الكارثة الديمغرافية



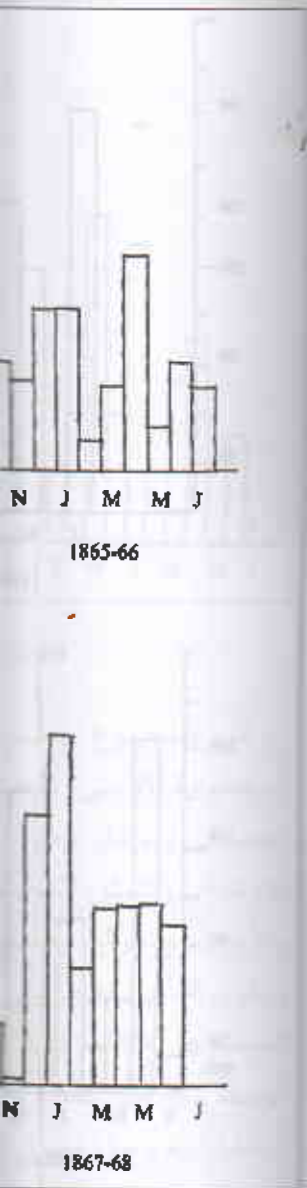
الصورة 34

الصورة 33 - تساقطات شهرية مسجلة في وهران

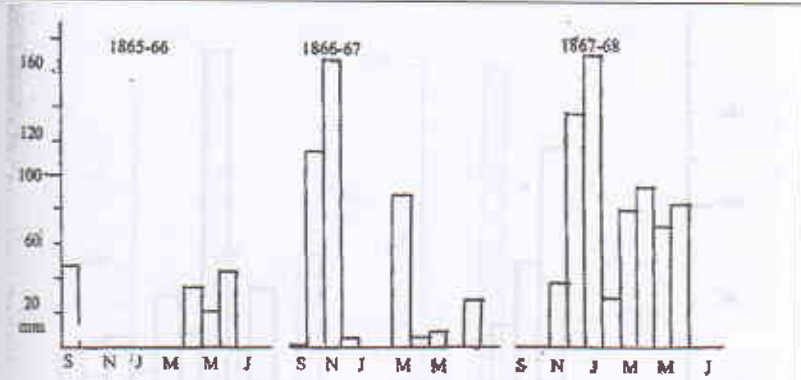
الكوارث الطبيعية



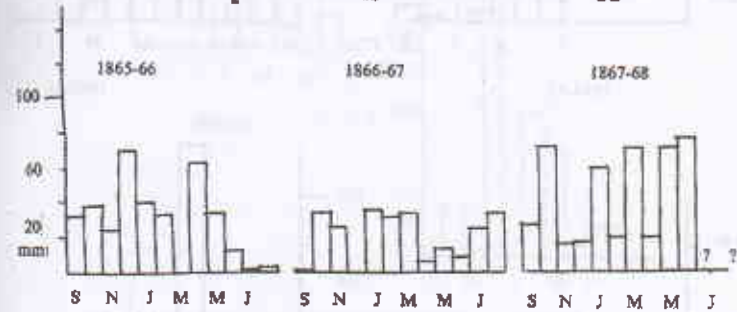
الصورة 34 - تساقطات شهرية مسجلة في فالمة



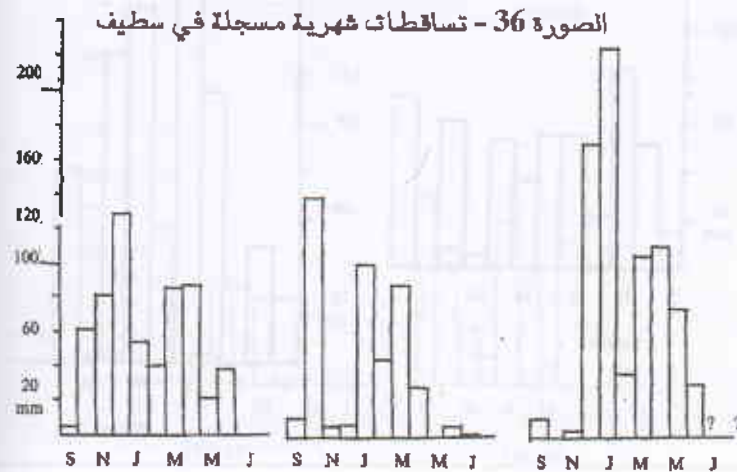
الصورة 38 - تم



الصورة 35 - تساقطات شهرية مسجلة في قسنطينة

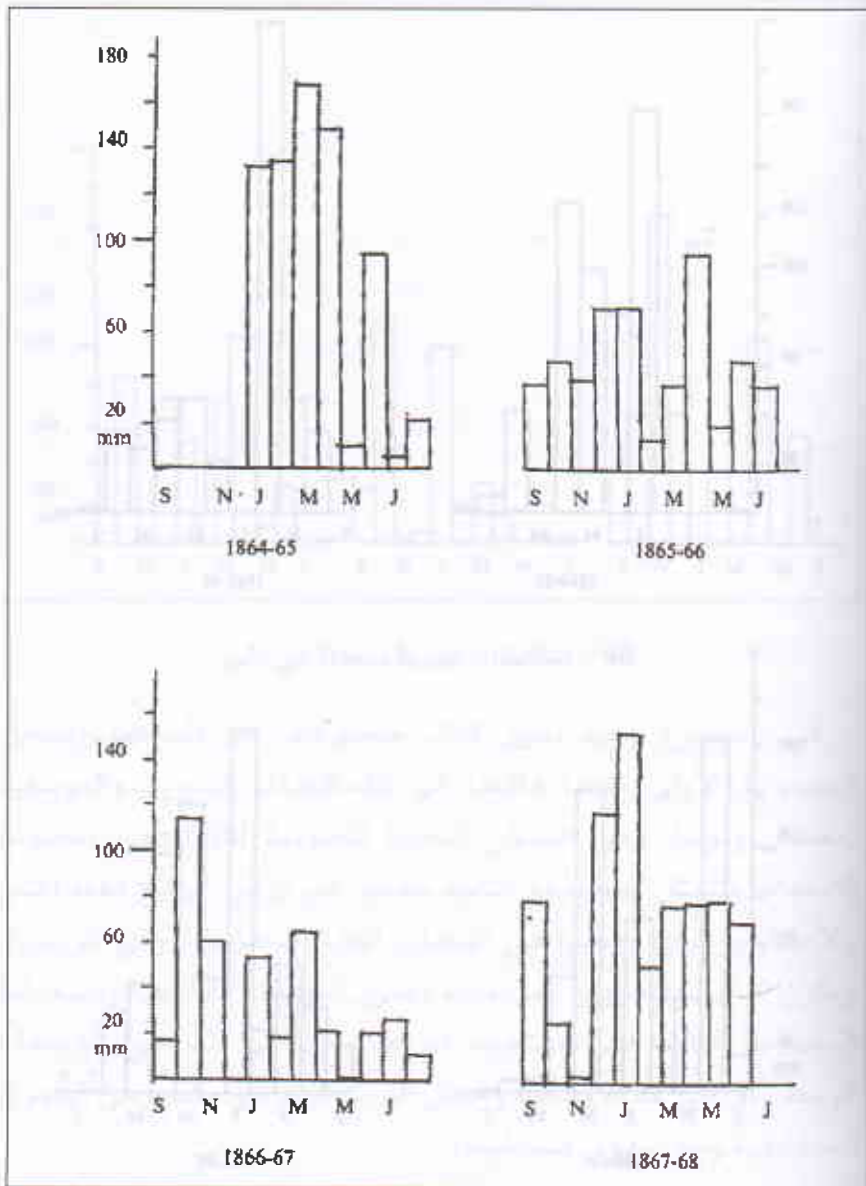


الصورة 36 - تساقطات شهرية مسجلة في سطيف

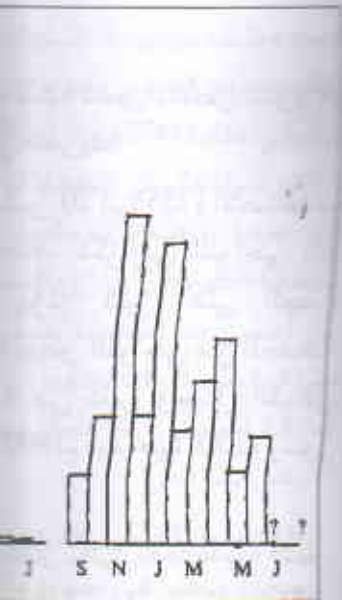


الصورة 37 - تساقطات شهرية مسجلة في تيزي وزو

الكوارث الطبيعية

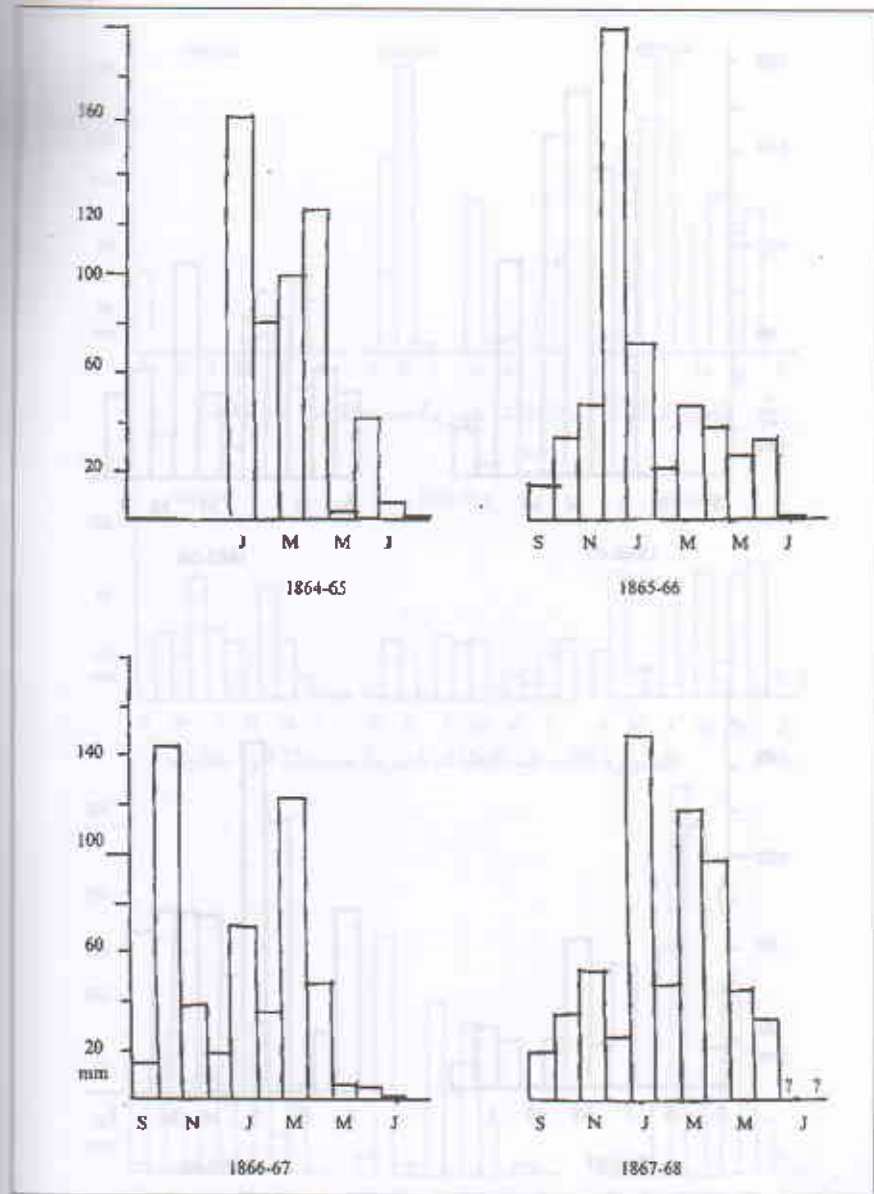


الصورة 38 - تساقطات شهرية مسجلة في سور الغزلان

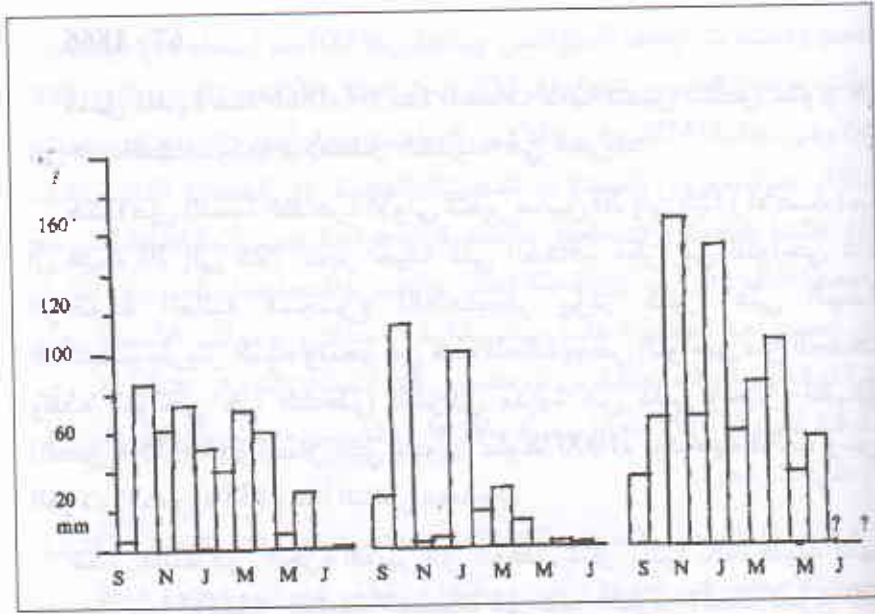


40 - تما

في المجموع يجب تم
المجموعة الأولى نقص
(معسكر وبوغار ومن
الامتداد. وتمثل المجموع
والأصنام ووهران ومحلي
ويكون التأثير فقط على
المجموعة الثالثة فهي
الوسط ونواحي عنابة وقت
السطايفية وجل سهل
هكذا فإن الحصيلة العام
ما بين "رديء" إلى "مقبول"



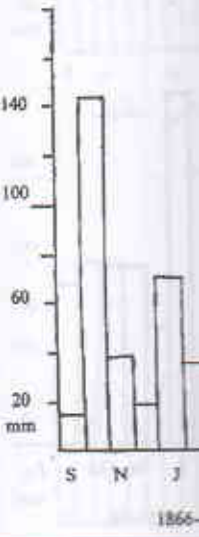
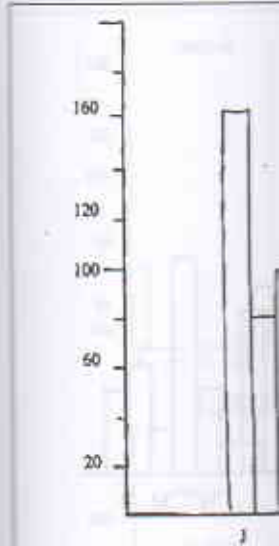
الصورة 39 - تساقطات شهرية مسجلة في المدينة



40 - تساقطات شهرية مسجلة في دلس

في المجموع يجب تمييز ثلاث مجموعات من المناطق. تسجل المجموعة الأولى نقصا فادحا في التساقطات السنوية والموسمية (معسكر وبوغار ومن الممكن الناحية الجنوبية للتل) فهي محدودة الامتداد. وتتمثل المجموعة الثانية بنقص شهري في الربيع فقط (تنس والأصنام ووهران ومحليا في الهضاب العليا السطايفية وفي الزيبان). ويكون التأثير فقط على المردودية وتكون الحصيصة الفلاحية رديئة. أما المجموعة الثالثة فهي تستجيب لشرطين وتغطي النواحي الشائعة: الوسط ونواحي عنابة وقالمة وجبال الغرب الوهراني وقسم من السهول السطايفية وجل سهول قسنطينة.

هكذا فإن الحصيصة العامة تكون ايجابية مع محاصيل متغيرة تتأرجح ما بين رديئة إلى "مقبول" إلى "جيد" (تابع الفصل الثالث).



1866 - 67

تمثل للغاية سنة 1866-67 سنة الجفاف لأنها تتميز بنقص سنوي هائل في التساقطات وكذا بالأمطار الشديدة في الخريف.

هكذا فإن النسبة الظاهرة الأولى تتغير ما بين 20 إلى 55% (الأصنام) مع أن قيمة 20 إلى 25% تعبر جيدا على الجفاف. لكن في النواحي ذات الرطوبة العالية فمجموع 500مليمتر يؤثر كثيرا على الغطاء النباتي وجريان المياه وتنجو في هذه الحالة بعض النواحي من الجفاف. وهذه النواحي هي الشاطئ الشرقي بداية من دلس وجبال القبائل (الصورة 35-36) والجبال التي يفوق علوها 1000م وناحية قالمة وسور الغزلان (الصورة 38) وهذا انتشار محدود.

عكس ذلك فإن الجزء الكبير من الوطن تأثر تأثرا بالغا طيلة أشهر عديدة، عدا الأمطار الكثيفة المسجلة في شهر أكتوبر (نسب تفوق 100 ملم مع 121 و177 و202 ملم على التوالي في التنس والقليلة وشرشال) وحد أقصى في جانفي إن المعدلات الشتوية ضعيفة جدا في كل مكان منذ بداية الربيع. صارت الأمطار شحيحة جدا وتكاد تنعدم في غالب الأحيان، وفي أفريل إستمر الجفاف حتى نهاية سبتمبر وحتى أكتوبر محليا.

إذا وباستثناء المجموعة الجغرافية المذكورة فإن المحاصيل تأثرت كثيرا وصارت منعدمة تقريبا واختفت المراعي في بداية الربيع، فصارت الحصيلة الفلاحية سلبية كما سنرى.

1967 - 68

إن وضعية التساقطات خلال هذه السنة مختلفة جدا. مع مقاييس مرتفعة (لوحة 40)، عموما تفوق 10 إلى 82% المعدل العادي. فالتساقطات عزيرة جدا وهي خاصة موزعة جيدا على المساحات وخلال السنة الفلاحية بعد جفاف طويل. وهكذا وابتداء من أكتوبر، فإن التساقطات

الكوارث الطبيعية

تتعمم وتثبت بتزايدها المتواصل ويتجاوزها 100 مم ابتداء من ديسمبر، وبلغت حدود قصوى وتجاوزت 200 محليا مثل الأربعة ناث إيراثن (239 مم) وفي عنابة (274 مم). إن الأشهر الحاسمة وهي أشهر الربيع قد سجلت عدلات مرتفعة عن المعدلات الفصلية العادية. إن الشهادة التالية تثبت ذلك جيدا خاصة وأنه يتعلق بالناحية الوهرانية يعني المقاطعة التي لم تنصفها الظروف⁽⁹⁾... إن السنة تبشر بالخير والمحاصيل تعد بأن تكون من أحسن ما تحصلنا عليه منذ بداية الاحتلال، وتوات الأمتار في فترات قصيرة وقد نعتقد أن المحصول قد أنقذ إن لم يكن هناك ظروف خارقة للعادة. إن الأشجار معبأة بالأزهار وكل شيء يشير أن كل خيرات الأرض ستزدهر.

فالتحفظ الوحيد الذي يمكن التعبير عنه يتعلق بالتساقطات الكثيفة المسجلة محليا في جوان والتي يمكنها أن تؤثر في المردودية فقط.

وهكذا فإن سنة 1867-68 كانت رطبة جدا وكان عليها أن تضمن محاصيل جيدة عبر الجزء الأكبر من الأراضي القابلة للفلاحة... إذا تم القيام بالأعمال حسب العادة، وفي كل الحالات فإن الأمطار ليست متهمة.

1868 - 69

إن المعطيات الجزئية للتساقطات (اللوحة 40) والحصيلة الفلاحية (اللوحة 41) تنبئ بتوزيع حسن للأمطار على العموم وتتعلق هذه الملاحظات أيضا بالسنة الفلاحية التي تلتها (1869-70).

على العموم فإن الفترة الخماسية التي درسناها (1864-68:69) تمثل جليا طور التساقطات مثلما تبين ذلك كل الدراسات الإحصائية التي تمتد على فترات طويلة⁽¹⁰⁾. هكذا فإننا نلاحظ عبر خمس سنوات متتالية سنة جفاف مطلقة (1866-67) وسنة جفاف نسبية (1865-66) وستين رطبتين نوعا ما (1864-65 و 1868-69) وسنة واحدة كثيرة الرطوبة (1867-68). وهذه السنة بهذا الشكل التناقضي هي السنة الأساسية ذات

منقص سنوي هام

75% (الأصنام) مع
في النواحي ذات
على الغطاء
حي من الجفاف.
وجبال القبائل
حية قائمة وسور

بالغا طيلة أشهر
نسب تفوق 100
لقليعة وشرشال)
دا في كل مكان
تندعم في غالب
ر وحتى أكتوبر

محاصيل تأثرت
الربيع، فصارت

دا، مع مقاييس
دي، فالتساقطات
ت وخلال السنة
فإن التساقطات

التأثير الخطير في كل التاريخ المعاصر للجزائر... لا يمكن أن ترجع هذه الكارثة الديمغرافية للجفاف بصفة كاملة. كان من الممكن أن تظهر هذه الكارثة في بعض النواحي (مقاطعة وهران جزئيا وجنوب مقاطعة الجزائر مع شاطئ تنس ومع وادي الشلف ومحليا في السهول العليا السطيفية) ولكن من غير الممكن أن تصل إلى هذا الحد العالي... يجب إذا البحث عن أسباب أخرى غير الجفاف. أما التقلبات الحرارية فلا يمكنها أن تثبت هذا الأمر.

II - التقلبات الحرارية

لا يمكننا أن نصل إلى الإحاطة بهذه الظاهرة وآثارها المباشرة على السكان نظرا لإعدام البيانات اليومية. إن المعدلات الشهرية (الصورة 40-43) تعطينا فكرة ولكن القيم لا تعبر عن الواقع اليومي، هذا الواقع الذي ينعكس مباشرة على الأشخاص المتأثرين على العموم من سوء التغذية والجوع والعراء.

إذا إبتعدت شيئا ما المعدلات الشهرية عن الحالة الطبيعية فهذا أمر غير مدهش. علي العكس في بيان الحدود الدنيا بالنسبة للمعدل الشهري في المحطات الأربعة التي درسناها (الأصنام ومليانة والبليدة وسطيف) وبالخصوص في سطيف بالنظر للخط العرضي وفي مليانة بالنظر لعلوها. سجلنا في المركزين حدودا دنيا مطلقة أقل من الصفر درجة مئوية من ديسمبر إلى فبراير - مارس⁽¹²⁾.

فنظرا للحالة الغذائية والفيزيولوجية التي يوجد فيها أغلب هؤلاء الجوعى فإن هذه المقاييس قد تكون من دون شك فتاكة. أضف إلى ذلك أن الحدود القصوى المتوسطة لم تتجاوز 15 درجة علي العموم لكن التآرجحات والقيم الدنيا المطلقة لا تكون بأي حال سببا مباشرا للكوارث عبر السهول العليا أو في ناحية أخرى، إذا كان هذا الأمر قد يلزم الوفيات

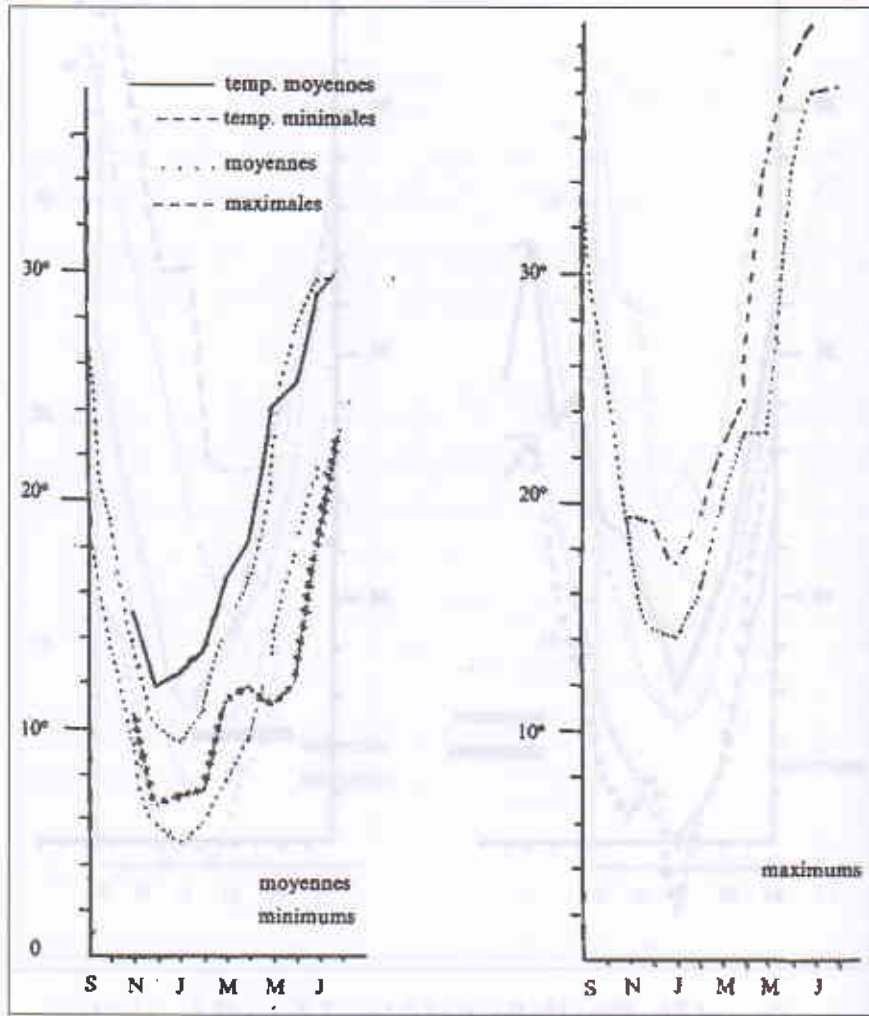
وهذا شيء طبيعي حيث كانت متواجدة قبل فترة بداية خريف 1867 وشتاء



41 - التغيرات

الكوارث الطبيعية

وهذا شيء طبيعي حيث أن هذه الظاهرة (كثرة الوفيات) وأسبابها المباشرة كانت متواجدة قبل فترة الحدود الدنيا للحرارة، كما أن فترة الكوارث - بداية خريف 1867 وشتاء 1868 ناتجة عن أسباب عديدة مباشرة.



41 - التغيرات الحرارية الشهرية المسجلة في الأضنام

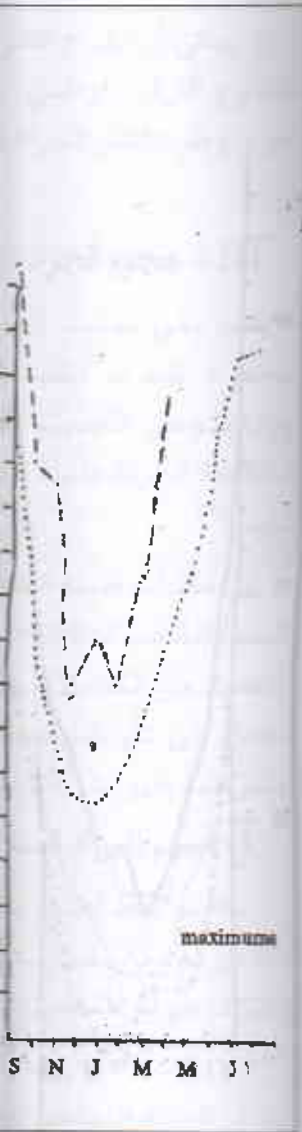
كن أن ترجع هذه
كن أن تظهر هذه
جنوب مقاطعة

في السهول العليا
العالي... يجب إذا
ية فلا يمكنها أن

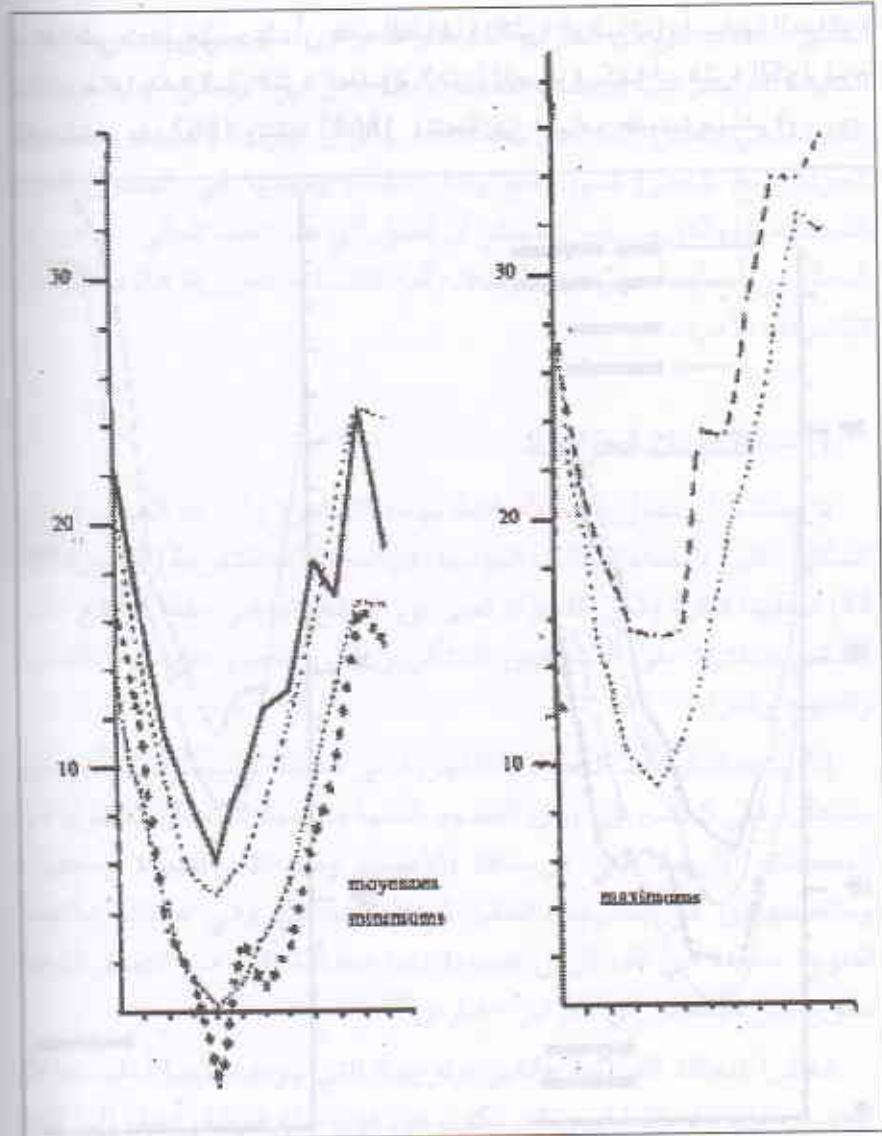
ها المباشرة على
رية (الصورة 40-
هذا الواقع الذي
من سوء التغذية

عة فهذا أمر غير
بدل الشهري في
لبليدة و سطيف)
مليانة بالنظر
من الصفر درجة

نيها أغلب هؤلاء
أضف إلي ذلك
لي العموم لكن
مباشرا للكوارث
قد يلزم الوفيات

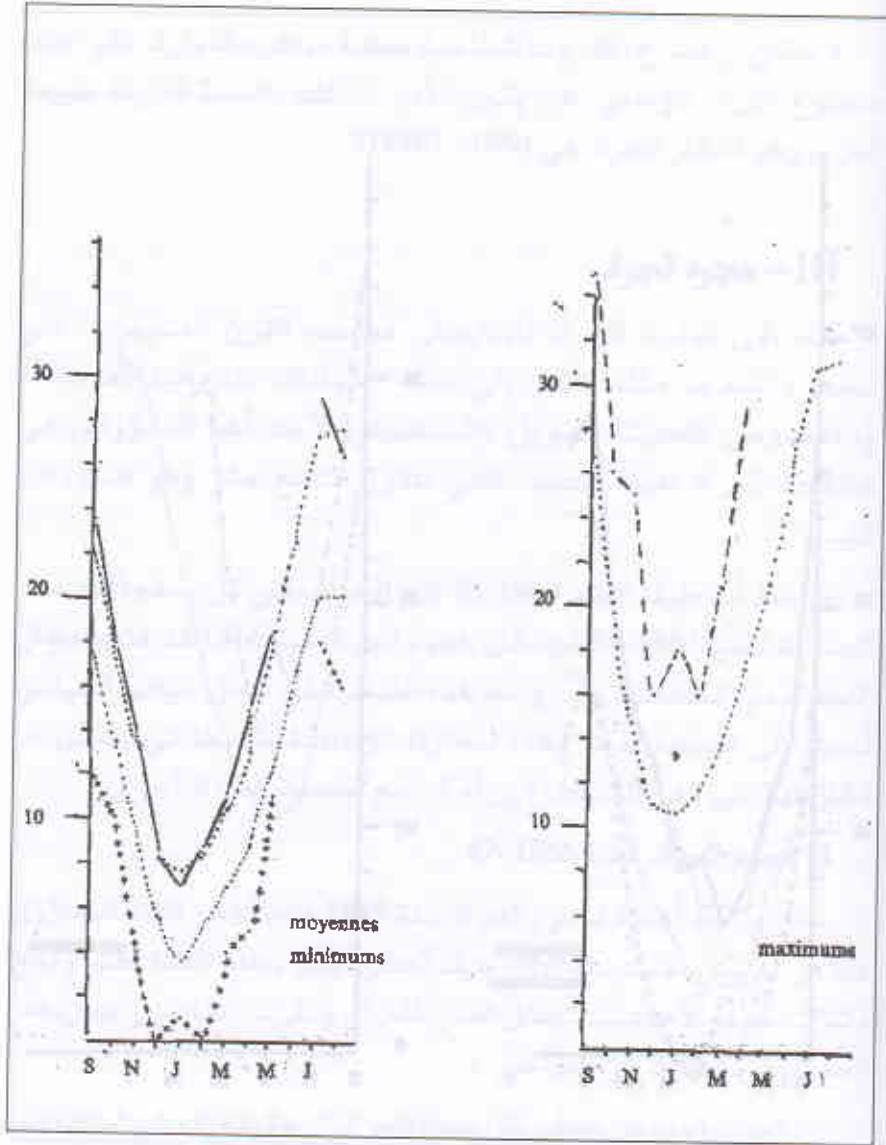


الصورة 43- التغير



الصورة 42- التغيرات الحرارية الشهرية المسجلة في سطيف.

البيانات الطبيعية



الصورة 43- التغيرات الحرارية الشهرية المسجلة في بليدة.



في سطيف.

لا يمكن أن تشرح الظروف
مجموع التراب الوطني. هل
أخرى وهو انتشار الجراد في

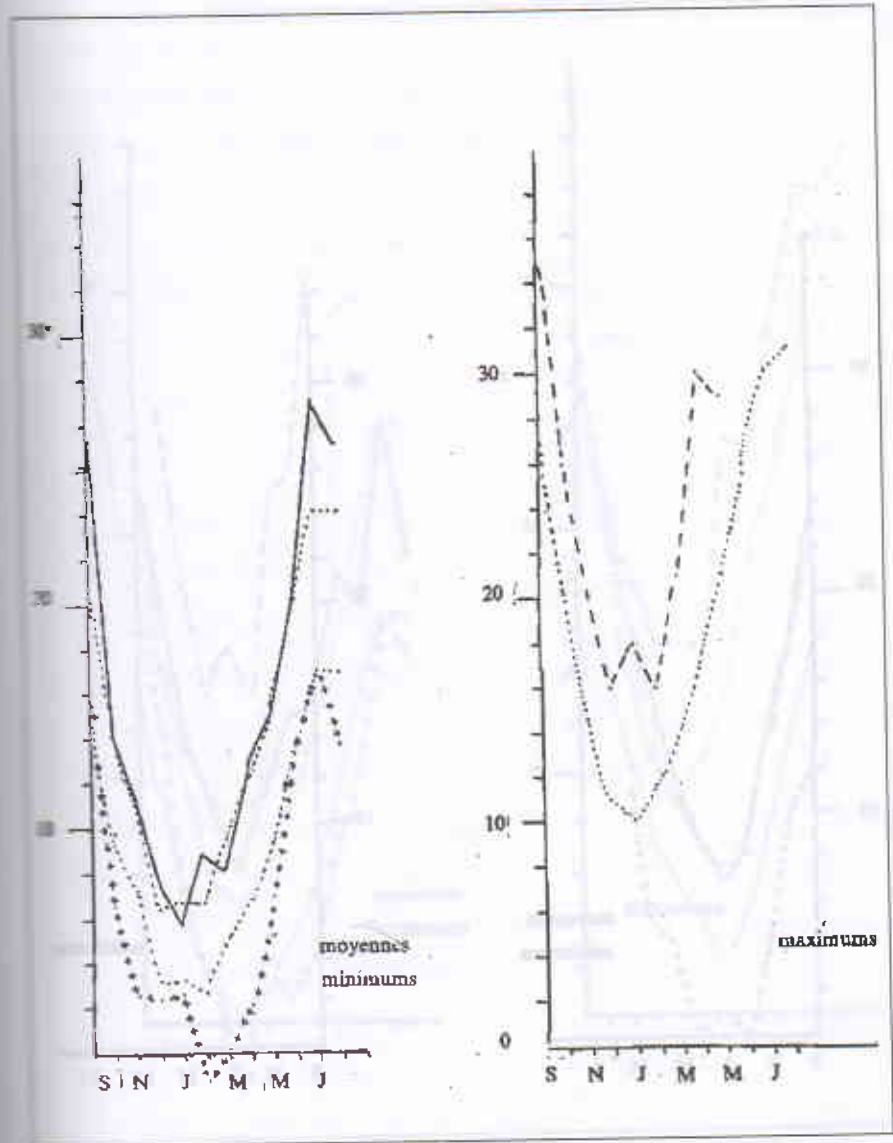
III - هجوم الجراد

لقد بقي تهديد الجراد في
مجموع المغرب مثلما تشرح
وبالخصوص الحديث الطويل
مكافحة الجراد طيلة النصف
كليس⁽¹⁰⁾.

فلاحظ أنه طيلة العقد
السنة الفلاحية 1863-1864، فإلا
العديد من الكتابات، يجب
تصل إلى تأويلها جيدا وهذا
مقارنتها على قدر المستطاع

1) هجوم الجراد لسنة 1866
إذا لم تعط أهمية لهجوم
والأمر لم يكن نفسه سنة 1866
وكثرت حوله الأحاديث لتطرق
الحديث عبر العديد من التواريخ

إن الجراد المهاجر يغطي
عادة المراحل الهامة ومتابعة
جنوب مقاطعة الجزائر بين
الغضنة بالخصوص في بوس



الصورة 44- التغيرات الحرارية الشهرية المسجلة في مليانة.

الكوارث الطبيعية

لا يمكن أن تشرح الظروف المناخية بصفة مباشرة الكوارث التي عمّت مجموع التراب الوطني. هل يكون الأمر كذلك بالنسبة لكارثة طبيعة أخرى وهو انتشار الجراد في 1866-1886؟

III - هجوم الجراد

لقد بقي تهديد الجراد ثابتا حتى منتصف القرن العشرين... علي مجموع المغرب مثلما تشير إلي ذلك الشهادات التاريخية العديدة⁽¹³⁾ وبالخصوص الحديث الطويل والمستفيض لأحد أهم المسؤولين في مكافحة الجراد طيلة النصف الثاني للقرن التاسع عشر وهو هنكل دار كلييس⁽¹⁴⁾.

نلاحظ أنه طيلة العقد 1860-70 كان الجراد يأتي كل سنة وذلك منذ السنة الفلاحية 1863-64 فإذا كان هجوم الجراد سنة 1866 قد فتح المجال للعديد من الكتابات، يجب وضع هذه الظاهرة في كامل سياقها السياسي لنصل إلى تأويلها جيدا وهذا لمحاولة الإحاطة بأفكارها كي يتسنى لنا مقارنتها على قدر المستطاع إن أمكن مع حصيلة فترات أخرى.

1) هجوم الجراد لسنة 1866-67

إذا لم تعط أهمية لهجوم الجراد سنة 1865 مثلما ذكر ذلك المسؤول فالأمر لم يكن نفسه سنة 1866 حيث أعطى لهجوم هذه السنة اهتمام بالغ وكثرت حوله الأحاديث لتطلق العنان للخيال وكثرت التفاصيل حول هذا الحدث عبر العديد من النواحي :

إن الجراد المهاجر يغطي كل سماء الجزائر، حقيقة إنه في استطاعتنا إعادة المراحل الهامة ومتابعة التطور لنلاحظ هكذا في الشتاء أول هجوم جنوب مقاطعة الجزائر بين متليلي وغرداية وفي جانفي وفبراير في الحضنة بالخصوص في بوسعادة ثم في جنوب مقاطعة وهران. عبر



مئة في مليانة.

الكارثة الديمغرافية

مقاطعة وهران التي أصيب فيها ما يقارب 138 قبيلة في شهر أفريل، وهو ما يناسب نصف تعداد السكان تقريبا، و أصيبت في نفس الفترة مقاطعة الوسط ووصل الجراد حتى الشاطئ. لقد بدأ إنتشار الجراد في الشرق في بوادي نهر ساهل و الحضنة والأودية التي تحد الأوراس.

إنه إذا هجوم ضخم الحجم عكس سنة 1867 حيث نلاحظ هجوم جراد الجيل الثاني طيلة بعض الأيام.

2- الحصيلة

ودسل ذلك المسؤول إلي إقامة حصيلة عامة ودقيقة تحوى كل الإشارات المفيدة جدا محليا وجهويا وكان ذلك عند جرد واسع جدا للأرشيف.

عدا المعطيات الإحصائية التي يجب جمعها بكل تحفظ، فإن الأوصاف تمثل دائما نفس الفائدة وبالخصوص عندما يتعلق الأمر بالجمل الغامضة مثل "أكل كل القمح والشعير (بوغار) أو إختفى كل القمح والشعير" (دائرة الجلفة).

فيما يخص الجنوب يجب ملاحظة النتائج الحينية وكذا الفترة مثلما يظهر ذلك سور الغزلان حيث "أكل الجراد كل المراعي وأفسد القمح والشعير..." ولكن بعد سقوط بعض الأمطار لاحظنا نموا سريعا في الأراضي التي أتلقت من قبل ولاحظنا نفس هذه الأحداث في نواحي أخرى وفي نفس الظروف أي قبل أن تثمر المحاصيل وبعد تساقط الأمطار.

أما فيما يخص الحدائق والبساتين فالمحاصيل تتأثر كثيرا وبالخصوص الأشجار التي أكلت حتى قشرتها وقد تقيم الخسائر في بعض الأحيان ببعض الدقة : ذكرت نسب في بلاد القبائل (من الثلث إلى النصف).

الكوارث الطبيعية

أما فيما يخص النواحي التي تهمنا وهي التي تضررت من جفاف الربيع فإننا نميزها هكذا، لقد تأثرت كثيرا ناحية تنس. أما ناحية الأصنام التي أتلقت فيها البساتين لان مرور الجراد كان قد سبق فصل الحصاد وكانت الخسائر هامة جدا في مقاطعة وهران وفي العديد من النواحي وبالخصوص في الزمورة حيث أتلقت القمح عن آخره. في مجموع هذه المقاطعة لقد أتلقت 34.061 هكتار من بينها 30.783 هكتارا من الحبوب و1406 هكتارا من النباتات البقلية والباقي يتكون من الزراعات العلفية والنباتات الصناعية. لكنه لا يمكننا توزيع هذه المساحات بين المجموعتين (الأهالي والأوروبيين) ولو أن المساحات التي ترجع للأهالي قد أعطيت أهمية أقل ونلاحظ أن المساحات التي أتلقت قليلة نوعا ما. قيمت خسائر المقاطعة بمبلغ 3.3 مليون فرنك.

عكس ذلك فالخسائر في المقاطعة الشرقية اقل أهمية وبلغت 2.4 مليون فرنك. تتأرجح خسائر الحبوب في دائرة بجاية ما بين 5 إلى 740 لكن محاصيل التين والزيتون قد أصيبت بإتلاف هام إذا كانت الميلية قد تأثرت كثيرا فإن قبائل فسنطينة لم تتأثر على العموم. ففي دائرة سوق أهراس لا نلاحظ إلا خسائر قليلة والأمر كذلك في دوائر قالمة وعنابة إذا استثنينا حدائق الخضار.

الخسائر فادحة في مقاطعة الجزائر : وقد قدرت نهائيا ب 13.9 مليون فرنك. إن وسط الوطن هو الذي تأثر أكثر حسب العامل⁽¹⁵⁾. وبما أن المسؤولين لا يهتمون إلا بمصالح المعمرين فمن الواجب علينا إعادة التقييم ومع أننا لم نتمكن من الإحاطة بالخسائر المستغلة من الأوروبيين. لكن العديد من المجموعات قد تأثرت كثيرا وبالخصوص في غرب المقاطعة (تنس ووادي الشلف) والجنوب بداية من المدية بوغاز وحتى الجنوب الشرقي (بوسعادة باستثناء الصنوبر الحلبي والطرفاء التي تخلت عنها الجراد).

هذه هي الحالات الهامة لهجوم الجراد لسنة 1866 حيث أن حصيلة الخسائر وصلت إلى ما يقرب من 20 مليون فرنك (19.6م.ف). يجب إذا أن نتساءل عن العواقب في النواحي التي تضررت كثيرا ونقارن هذه الحوصلة بالنسبة للكوارث الأخرى.

(3) أهمية حصيلة سنة 1866

تستدعي هذه الحصيلة التعاليق التالية :

- تترجم هذه الحصيلة التي أعدتها الإدارة مصالح الإستعمار قبل كل شيء كما يبين ذلك التقييم المضخم لفائدة الناحية الكثيرة الاستيطان الأجنبي (الجزائر). هكذا فإن الفوارق كبيرة جدا بين أرقام الإدارة العسكرية 7.6 مليون فرنك من بينها 1.6 لملحقة الجزائر وهو ما يناسب 23٪ من خسائر المقاطعة ولجنة الإغاثة : 13.9 مليون فرنك من بينها 7.4م.ف لنفس الملحقة (الجزائر) وهو ما يناسب أكثر من نصف الخسائر (153.2)...

- تضخيم الخسائر لفائدة الأوروبيين وحدهم يظهر جليا أن خسائر الفلاحين لم تؤخذ بعين الاعتبار في كل مكان عدا القبائل القريبة من الإقليم العسكري مثلما يوضح ذلك الأرشيف في بعض الأحيان⁽¹⁶⁾.

- لا بد من الأخذ بعين الاعتبار النواحي التي تضررت كثيرا، في القطاع الأوسط الذي تأثرا تأثرا بالغا نجد ناحية تنس ووادي الشلف وفي الجنوب بداية تقريبا من بوعاز. أما في مقاطعة الشرق نذكر على الخصوص الجنوب مع واحات بسكرة وتقورت وفي مقاطعة وهران ناحية زمورة ومستغانم محليا والسهول التي تضررت بكثرة.

فهناك تطابق بين هذه الخارطة وخارطة الوفيات فهل يمكننا وضع الارتباط نهائيا بين السبب والأثر؟

إذا كان الأمر كذلك فإن الكوارث قد ظهرت منذ بداية صائفة 1866 عبر مجموع هذه المناطق. وهذا عندما نأخذ بعين الاعتبار بعض

الكوارث الطبيعية

الأحداث التي وقعت والتي لم تتضرر منها إلا شواطئ تنس والنواحي نصف الجافة محليا، حيث ظهر وباء الكوليرا في نواحي تنس منذ بداية 1866 وفي سنتين تسبب في وفاة شخص من بين أربعة حسب بيريني⁽¹⁷⁾ وفي النواحي الأخرى قد كانت الوفيات أكثر من الوقت العادي منذ سنة 1866 ولكن لأسباب أخرى مثلما ستره فيما يلي (الفصل III).

وكنتيجة لهذا فإن اجتياح الجراد لا يشرح لوحده بداية الكوارث ولو انه محليا ساهم نوعا ما في تحضير الأرضية الخصبة لانتشار الأمراض المعدية وبالخصوص في تنس. في الواقع فإن هجوم الجراد مع بعض الخسائر كان يلاحظ دائما عبر التراب الوطني ولم تعد هذه الظاهرة كارثية إلا في سنوات الجفاف الكبير ولم يكن الأمر كذلك سنة 1865-66. بالنسبة لفترات أخرى فإن هذه العشرية (1860-70) يمكن أن نصفها "بالعادية" لأنه منذ سنة 1830 إلى 1864 لم يكن هذا يحدث بسبب خسائر الجراد وكان من مصلحتنا التزام الصمت في هذا الموضوع مثلما يذكر ذلك كانكل داركلييس طول هذه الفترة التي واجه فيها السكان خارج الجفاف واجتياح الجراد ضربات القوات الاستعمارية في بلاد القبائل (1851 و1852 و1854 و1856 و1857 و1860) وعبر الهضاب العليا (1859 و1860) وفي الجنوب (1853 و1854 و1860-61). ففي نفس هذه الظروف تابع الأهالي المقاومة الشعبية طويلة نصف العقد الثاني من الاحتلال الاستعماري وبالأحرى في بداية سنة 1844. ذكر اجتياح الجراد سنة 1844-45 في عدة مناطق من الجزائر... بعد ذلك اضطرت القبائل للخضوع⁽¹⁸⁾ بعد انعدام وسائل المقاومة وبعد ضياع محاصيلهم. ولكن هذا الأمر لم تسجل فيه كوارث.

أخيرا إن اجتياح عام 1866 يظهر محدودا بالنسبة لاجتياح سنة 1887-88 وبالأحرى في مقاطعة قسنطينة التي بقي فيها راسخا في الذاكرة. لقد تضرر فلاحوا هذه الناحية كثيرا في السنة الماضية (1887) ونتج عن هذا الجفاف المزمن محاصيل رديئة لسنوات متتالية فمنذ سنتين تسببت

1 حيث أن حصيلة 19م ف). يجب إذا أن كثيرا ونقارن هذه

الإستعمار قبل كل الكثيرة الاستيطان بين أرقام الإدارة زائر وهو ما يناسب ون فرنك من بينها من نصف الخسائر

بهر جليا أن خسائر القبائل القريبة من الأحيان⁽¹⁶⁾.

تضررت كثيرا. في وادي الشلف وفي الشرق نذكر على في مقاطعة وهران ت بكثرة.

ت فهل يمكننا وضع

بداية صائفة 1866 بعين الاعتبار بعض

هجمات الجراد في إتلاف ما تبقى من المحاصيل التي قاومت نقص الماء في الكثير من النواحي⁽¹⁹⁾.

بفضل الإجراءات التي اتخذت لم تقع وفيات كثيرة. ولم تكن الماءة على العموم باستثناء تنس وزمورة ومحليا في بعض النواحي النصف جافة ففي هذه الأخيرة قدوم الجراد عاد والتهديدات تبقى دائما ثابتة والأضرار عالية. ولكن بفضل التأقلم الاستثنائي لسكان تلك المناطق فإن الآثار تبقى عادة محدودة حيث أن هذه المجموعات ترحل نحو الشمال عند حصول الكوارث كما فعلت ذلك قبائل جنوب بوغار سنة 1845-46. هكذا وبعد جفاف حارق وعواقب وخيمة توجهت هذه القبائل نحو سهل حمزة (البويرة) تبعا لهجوم الجراد لسنة 1845-46⁽²⁰⁾...

إن الكوارث الطبيعية - الجفاف والجراد - لا يمكنها أن تشرح مدى وتعميم كوارث 1867-68 وفي الحقيقة ومع التطابق والوصول إلى شدة كبيرة، فإن هاتين الظاهرتين⁽²¹⁾ كانتا تحدثان عادة بعض الانقراضات في المكان والزمان. غير أن هذا لم يلاحظ خلال الفترة الاستثنائية للمقاومة المسجلة ضد القوات الاستعمارية ولا حتى في سنة 1866. وبالتالي فلا بد من البحث عن الأسباب التي تفسر عوز الجماهير الذي يكاد يكون كاملا محليا أو جهويا وابتداء من سنة 1867 عبر الجزء الأكبر من التراب الوطني.

1. لاكوست "ونوشي" وبيرو.
2. تاري غولد زيغار (33) وثائق مواقفها. فيما يخص الميكروب وللحكومة الوسائل المتخذة وتنتظر نهاية الامتحان. أما من جانب جنون السياسة المتبعة والتي تحمي الحماية؟ ص 44.
3. تاري غولد زيغار (33) لمرضة لوجود المثال المتأثر.
4. شاهد التفاصيل عند تسيير.
5. سفران إلى وهران دون تقييد.
6. تنقص الوثائق في المكتبة.
7. يتعلق الأمر بمعدلات التكاثر.
8. شاهد على الخصوص كور.
9. رسالة موجهة من معمر.
10. رسالة موجهة من معمر.
11. "كوت" و"لوقرا" (8) لصوص "الرجل والانجراف في الجزائر".
12. نلاحظ بعض الحدود في 28 ديسمبر 1917 في سطيف لجمعية في 1 فبراير 1924 في الجزائر. لاحظ الرقم القياسي في 1912 تختص إذا الهضاب العليا.

الملاحظات

1. لاكوت و"نوشي" وبروفانت (23) ص 372-373.
2. رأي غولد زيفار (33) ص 441. تظهر الأهواء العزبية أمام الكوارث وتريد إثبات مواقفها، فيما يخص المحيين للعرب الذين خرجوا منتصرين فلا بد من ذكر المكتوب وللحكومة الوسائل الكافية للقيام بالمساعدات الإستعمارية وحملات التصديق وانتظار نهاية الامتحان، أما الذين لا يحبون العرب فإنهم يدعون أن الكوارث تأتي من جنون السياسة المتبعة والتي تشيد حدا حقيقيا بين المعمرين والمستعمرين تحت شطاء الحماية؟ ص 441.
3. رأي غولد زيفار (33) ص 442. لابد من الرجوع إلى ما قبل القرون الثلاثة الفارطة لوجود المثال المشابهة.
4. شاهد التفاصيل عند سليزان (8) ص 7-23.
5. سفران إلى وهران دون نتيجة (سبتمبر 1977 وجانفي 1978).
6. تنقص الوثائق في المكتبة الوطنية لمدينة الجزائر لستي 1869 و1870. ولم نتمكن من دراسة وثائق المكتبة الوطنية بباريس (جويلية 1978).
7. يتعلق الأمر بمعدلات الفترة ما بين 1913-1938 (سليزان).
8. شاهد على الخصوص كوت و"لوقرا".
9. رسالة موجهة من معمر إلى "لاكرتال" (25) ص 54.
10. رسالة موجهة من معمر إلى "لاكرتال" (25) ص 54.
11. "كوت و"لوقرا" (8) تؤكد دراستنا السابقة هذه الأحداث. شاهد على الخصوص "الرجل والانجراف في الوثنيين" الجزائر 1972. ص 110-113.
12. نلاحظ بعض الحدود الديني ولو أن الأمر يتعلق بتلك الفترة بعينها، 9,3 في 28 ديسمبر 1917 في سطيف و- 9,6 في المشرية في 1 فبراير 1955 و- 12 في المنبعة في 1 فبراير 1924 في الأطلس الصحراوي الأوسط على ارتفاع 1350م. لكننا نلاحظ الرقم القياسي في السرسو في تسميلت ب - 14 في 20 ديسمبر 1912. تختص إذا الهضاب العليا بالدرجات الدنيا جدا. قفيا يخص المعطيات على

الكارثة الديمغرافية

- الثلج فإنها قليلة جدا، نشرت ذلك الجرائد حتى منتصف أفريل في الأطلس اليبليبي أخبار - في 19 أفريل 1868 لأنه أمر لم يقع منذ زمن طويل - حتى ولو أخذنا بعين الاعتبار هذه الظاهرة يجب ملاحظة نقص الوفيات منذ بداية هذا الشهر بعينه.
13. ماعدا الإسناد المشار إليه (ملاحظات من 10 إلى 15). شاهد الكتب المقدمة من طرف كينكل "دار كليوس" (10).
14. كل الإيضاحات و الإحصائيات مأخوذة عن هذا المؤلف.
15. ذكره كينكل دار كليوس (10) المجلد I ص 211، شاهد أيضا الكتاب 3 (الملحق).
16. لم يوضع الأهالي في نفس الموازنة عبر كل التراب الجزائري لاحظ - كينكل دار كليوس (10) الكتاب I ص 212.
17. بييري (31) 1868 ص 484.
18. يعتبر الجراد كحليف هام - من طرف ضباط المكاتب العربية - كينكل دار كليوس (10) الكتاب I ص 53.
19. رسالة من الحاكم العام إلى رئيس الوزراء في 11 ماي 1888. الأرشيف الوطني: أكس أن بروفنسي: 80-1790.
20. أخبار - في 20 جوان 1846: كينكل دار كليوس (10).
21. تكلم أيضا بعض المؤلفين عن زلزال 2 جانفي 1867 والذي وقع في متيجة على الخصوص حيث لوحظت بعض الخسائر عبر مراكز الاستعمار عن بورزي (18) x. أما فيما يخص الجريدة الطبية الجزائرية فإنها تذكر هذه في سور الغزلان يوم 24 جوان 1867 وخمسة أيام بعد ذلك وقعت هزة أخرى بقوة أكبر في مزايا حوالي الثامنة مساء في تلك الحالتين لم نلاحظ أي ضحايا أو خسائر (ص 122).

في الأطلس البيدي
حتى ولو أخذنا بعين
هذا الشهر بعينه
أهد الكتب المقدمة

21 . شاهد أيضا

زائري لاحظ كنكل

العربية. كنكل دار

الأرشيف الوطني

ذي وقع في متيجة
من الاستعمار. عن
تذكر هذه في سور
خرى بقوة أكبر في
أيا أو خسائر (سنة)

الفصل الثالث

تطور الإنتاج الفلاحي

مثلما تنبأ بها التوزيع الفصلي للتساقطات المطرية للسنة الفلاحية 1867-68 - سنة الكارثة الديمغرافية- فإننا لم نسجل نقصا في الإنتاج الفلاحي عكس تصريحات الكتاب المذكورين⁽¹⁾. كانت المحاصيل جيدة وتميزت بالوفرة ومثلت تقريبا القيم القصوى طيلة الفترة المدروسة (1862-72) عكس ذلك فإن الحملة السابقة حملة 1866-67 تترجم جليا عواقب نقص التساقطات وكان من نتائجها النقص الملحوظ كما كان متوقعا.

أما تطور التصدير فإنه مدهش وعكس ما نتوقع فمن سنة 1863 إلى سنة 1867 سجل قيمة تعادل خمس سنوات متتالية وهي قيمة لم تسجل منذ بداية الاحتلال وحطمت السنتان الأخيرتان (1866 و 1867) كل الأرقام القياسية : فنسبة التزايد بالنسبة للحد الأدنى لسنة 1862 بلغت 263 و 255...

لابد إذا من توضيح هذه النتائج والإحاطة علما بدلالاتها الحقيقية وبالأحرى التصدير المكثف مع انه في كل مكان يخضع الأهالي للجوع وسوء التغذية الخطيرة. لذا سندرس بعد التحليل النقدي للإحصائيات الإنتاج والتجارة.

I - قيمة الإحصائيات

تبرز كل الإحصائيات المختلفة والمستعملة نفس القيمة بل يجب تمييز إحصائيات التاج على الخصوص وإحصائيات التجارة. باستثناء المواشي.

(1) إحصائيات الإنتاج

يجب إبراز الفرق المعسوس ما بين أرقام زراعة الحبوب وأرقام المواشي على العموم فإن أرقام الحبوب تقرب من الواقع وتقترب في بعض الأحيان من الدقة جهويا في مقاطعة الشرق وهي أهم مقاطعة منتجة للحبوب (اللوحة 43). هنا المساحات المخصصة للحبوب معروفة وثابتة نظرا لطبيعة عقار الأراضي (الثلاثان من أصل البايك) أضف إلى ذلك انه في كل مكان وبعد كل حملة يحضر حساب الضرائب حسب المساحة المزروعة حيث أن كل العمليات المختلفة (التقييم والحساب ودفع الضرائب...) متابعَة مباشرة من طرف أعوان الإدارة العسكرية وهذه أعلم بالواقع اليومي كما يهتم هؤلاء الأعوان على وجه الخصوص بالضرائب لأن أجورهم متعلقة بأهمية المبالغ المدفوعة... (انظر أسفله الفصل الخامس). ففي هذه الحالة يبقى نقص التقييم أمرا استثنائيا ولا يخص مبدئيا إلا المعنوظين وعائلات القيادة وعلينا ألا نستهمين بهذه الظاهرة لأن المساحات المزروعة قد تكون هامة ولا تخضع نسبة منها للتفتيش ولا تغطي إذا بالإحصائيات. كما أنه يجدر بنا أيضا ذكر وحدات المقياس أو "الزويجة" لأن المساحات المزروعة ليست نفسها في كل مكان...

عكس ذلك فإن المعطيات المتعلقة بالمواشي احتمالية وتخضع لنظام ضرائبي صارم جدا وحسب عدد ونوع القطيع. وبالفعل فإن الفلاحين مرغمون على دفع الضريبة العربية وهو ما يعني الزكاة التي تحسب حسب عدد رؤوس المواشي التي يكسبها كل رب عائلة. حيث أن تمرکز القطعان مرتفع جدا ولفائدة نفس المعنوظين المذكورين سابقا، وهذا يؤدي إلى عدم حساب بعض النسب. سواء تعلق الأمر بهذه الفترة أو بالفترات المعاصرة فإننا نلاحظ دائما نقص التقييم الواضح⁽³⁾. وبالتالي فإننا لا نعطي إلا أهمية محدودة لإحصائيات المواشي أما الإحصائيات الأوتى التي ترجع إلى سنوات 1868 فإنها بطبيعة الحال تبقى تقريبية جدا...

(2) إحصائيات الصادرات

تعطينا الإحصائيات يخص الوزن وعدد المواشي ينبغي الإشارة إليه. إن الأرقام دائما القيمة الحقيقية. وفق القيمة الرسمية المعلن عنها. حالة لا يمكننا تقييم سنوات التي سبقت أو تمزج متعلقة بالسوق بقيت تسجل اضطرابات ملحوظة لتحقيق للحبوب والمواشي نكوارث...

وبالتالي فإن قيمة بمتابعة التطور العام فإن نتعرف على التطور الخاص

II - معدل كافي لإنتاج

المزروعة بعد سنوات

توضح لنا اللوحات 1 و 2 (مواشي) الموارد الحيوانية ذلك فإن التآرجحات كبيرة معدلات الهامة، لكنه يجب أن نحسوس في المساحة تضرر حالة المواشي قبل

(2) إحصائيات الصادرات :

تعطينا الإحصائيات المتعلقة بالتجارة الخارجية أكثر ضمانا فيما يخص الوزن وعدد المواشي المصدرة لكن هناك بعض التحفظ الذي ينبغي الإشارة إليه. إن الأرقام المتعلقة بقيمة الصادرات المختلفة لا تناسب دائما القيمة الحقيقية. يرجع الأمر في غالب الأحيان إلى قيمة محسوبة وفق القيمة الرسمية المصرفية مثلما توضح ذلك السلطات⁽⁴⁾. ففي هذه الحالة لا يمكننا تقييم التطور الحقيقي طيلة هذه السنوات الحاسمة أي السنوات التي سبقت أو تزامنت مع الكارثة الديمغرافية. نلاحظ أن الأسعار المتعلقة بالسوق بقيت ثابتة (اللوحة 46) بالرغم من أن الأسواق ظلت تسجل اضطرابات ملحوظة كما أحببنا أن نلم بظاهرة أخرى وهي القيمة الحقيقية للحبوب والمواد الغذائية الأخرى وبالخصوص في الفترة القصيرة للكوارث...

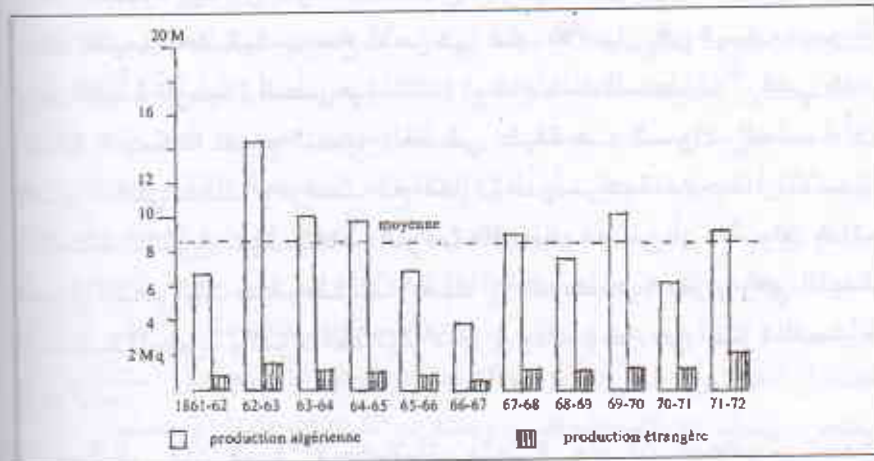
وبالتالي فإن قيمة الإحصائيات متغيرة. ولو أن المعطيات تسمح بمتابعة التطور العام فإنها لا تسمح دائما ببعض التوضيحات الأساسية للتعرف على التطور الخاص بالفترة المدروسة.

II - معدل كافي لإنتاج الحبوب منبوع بنقص محسوس في المساحات المزروعة بعد سنة 1867 وانخفاض في عدد المواشي

توضح لنا اللوحات 41 و 43 و 44 تطور المنتجات الرئيسية (الحبوب والمواشي) الموارد الحيوية للأغلبية الساحقة للسكان. مثلما كنا ننتظر ذلك فإن التآرجحات كبيرة جدا لكن الحصيلة العامة تصل وتتجاوز المعدلات الهامة. لكنه يجب علينا ملاحظة الظاهرتين التاليتين : النقص المحسوس في المساحات المزروعة إثر جفاف سنة 1867 وبالأخص تطور حالة المواشي قبل هذا التاريخ .

(1) إنتاج غير منتظم ولكنها مرضي

سجل إنتاج الحبوب طيلة هذه الفترة المعينة (اللوحة 41) باستثناء الحد الأدنى المطابق لنقص التساقطات لسنة 1867 ثلاث محاصيل جيدة متتالية من السنة الفلاحية 1867-68 إلى 1869-70.



45 - تطور إنتاج الحبوب (قمح لين وقمح صلب وشعير)

(أ) حصيلة كافية

لم نسجل طيلة هذه الفترة إلا حدا واحدا أدنى وهو المتعلق بجفاف سنة 1867 وهو سنة واحدة فقط من بين إحدى عشر سنة مع أن المعدل العادي هو سنة جفاف من بين خمس سنوات * بـ 3.9 مليون قنطار (اللوحة 41 والصورة 46) وهو المحصول الأسوأ لأنه لا يمثل إلا أكثر بقليل من ثلث المعدل لسنوات 1862 إلى 1872 (8.6 م ق) لم يتمكن أغلب الفلاحين الصغار والمتوسطين من اقتناء كامل لبذورهم وبخاصة في الأراضي المعرضة أكثر للجفاف (المقاطعة الوهرانية والحواشي الجنوبية للسهول العليا). هكذا فإن معدل مردودية المحاصيل رديء : 1.5 قنطار للهكتار للشعير و 2.1 للقمح الصلب و 2.9 للقمح اللين. إذا نزعنا من الحساب البذور والمقابل من الضرائب فإن الحصيلة تصبح هكذا سلبية عبر مجموع المساحات المزروعة تقريبا...

تطور الإنتاج الفلاحي

لقد جاء هذا المردود الكارثي بعد سنة رديئة وهي سنة 1865-66 وبعد ثلاث سنوات كاملة باستثناء سنة جيدة للغاية أي سنة 1862-63 (14.5 م.ق) في ظروف مثل هذه فالحد الأدنى لسنة 1866-67 شيء عادي وغير مفاجئ. في الظروف العادية للاقتصاد التقليدي تبقى الآثار سلبية على الحالة الاجتماعية ويمكننا أن نقول إنها معدومة حيث أن المحاصيل التي تبتعت مباشرة ذلك الحد الأدنى لسنة 1866-67 كانت محاصيل قياسية فيما يخص الشعير (8.5 قنطار للهكتار) وهي الزراعة ذات الفائدة بالنسبة للمواطن الفقيرة. ومحاصيل القمح الصلب كانت أيضا جيدة وبلغت 5.3 ق للهكتار. وبقيت المحاصيل جيدة بعد هذه الحملة الفلاحية مثل سنوات 1868-69 و 1871-72 وأما سنة 1869-70 فكانت بالغة الجودة فيما يخص هذه السنوات الثلاثة وكذلك سنة 1867-68 فلا يمكننا أن نصف نتائجها بالمتوسطة وهذا إذا أخذنا بعين الاعتبار. قبل كل شيء، المردود وإن كان تقريبا وعلى العموم أدنى من الحقيقة. ونستثنى من ذلك حصيلة 1870-71 التي تأثرت بانتفاضة 1871 والتي كانت رديئة وسجلت انخفاضا يقدر بـ (6.2 مليون قنطار).

على العموم وفي إحدى عشر سنة متوالية لم نسجل إلا سنة ذات محصول رديء وثلاث سنوات تحت المتوسط وخمس سنوات جيدة وستين جيدتين للغاية مع أن المعدل العام لدورة خمس سنوات يسجل سنة جيدة وسنة رديئة وثلاث سنوات متوسطة أو دون المتوسط⁽⁶⁾. إذا فإن الفترة المعينة تعتبر فترة مفضلة نوعا ما وهذا ما يعني أن الكوارث الطبيعية والإنتاج الفلاحي ليست بالمصدر المباشر "للمجاعة"... إن الأزمة المرعبة التي تكلمنا عنها طيلة الفترة الفارطة لم ترتبط أبدا بهذه العوامل. والتحفظ الوحيد الذي يمكن أن نعبر عنه بموضوعية يتعلق بالحالة المعينة للنواحي الأكثر تضررا من الجفاف والذي يعود لنقص الإنتاج طيلة السنتين المتتاليتين في 1865-66 و 1866-67 عوض أن نلقت الانتباه إلى مدى إنهيار الحبوب سنة 1867 كان من الواجب علينا أن نضع كل انتباهنا لما يترتب على هذه الظاهرة في الحين ودراسة بداية حملة الحرث والبذور لسنة فلاحية جديدة (في الخريف)...

حصة (41) باستثناء
محاصيل جيدة



شعير وشعير

تتعلق بجفاف سنة
أن المعدل العادي
نظار (اللوحة 41
تقليل من ثلث
الفلاحين الصغار
الأراضي المعرضة
هول العليا). هكذا
لشعير و 2.1 للقمح
تقابل من الضرائب
زرروعة تقريبا...

اللوحة 41 - إنتاج الحبوب عند الفلاحين

السنة	القمح اللين 1000 هـ	القمح الصلب 1000 هـ	المرمود هكتار	المرمود مليون قنطار	المرمود	الشعير 1000 هـ	المرمود	مليون قنطار	المجموع 1000 هـ	مليون قنطار
1862-61		761		2,281	3,5	1088	3,6	3,896	1850	6,720
1863-62	2,97	936	4,3	5,664	6,5	1219	7,2	8,873	2158	14,550
1864-63	13,80	999	7,7	4,214	4,2	1195	4,8	5,798	2209	10,119
1865-64	10,27	982	5	4,234	4,3	1071	5,1	5,55,5	2064	9,841
1866-65	7,31	910	2,3	4,948	3,2	1070	3,6	3,867	1988	6,833
1867-66	7,93	842	2,9	1,821	2,1	1195	1,5	1,869	2060	3,913
1868-67	6,03	505	4,1	3,188	6,3	679	8,5	5,809	1209	9,023
1869-68	14,71	571	5,3	3,514	6,1	823	6,1	5,061	1408	8,653
1870-69	8,85	612	6,1	4,036	6,5	845	7,4	6,282	1468	10,373
1871-70	12,92	653	3,9	2,767	4,2	914	3,7	3,404	1594	6,225
1872-71	20,64	673	6,4	3,277	4,3	776	7,3	5,594	1500	9,005

المصدر: الإحصائيات العامة 1867-1872.

اللوحة 42 - الإنتاج العام

السنوات	الأور
1861-62	0,8
1862-63	1,8
1863-64	9,1
1864-65	6,5
1865-66	4,9
1866-67	2,1
1867-68	7,1
1868-69	9,4
1869-70	4,3
1870-71	5,8
1871-72	3,6

المصدر: الإحصائيات العامة 1867-1872.

(ب) الإنهيار الخطير و

هذه الظاهرة هي التي
بملاحظة المسؤولين الإداريين
أسئلة كثيرة حول استمرار
لنفس السنة... كان لزاما على
بالأفعال عند انطلاق أول
(المملوءة بالتهديدات والمخاطر)
الكوارث في المناطق المهددة
من الأشخاص".

بعد نقص المردود الفلاحين
الملحة ولم يقدروا على

اللوحة 42 - الإنتاج العام للحبوب.

السنوات	الأوروبيون	الفلاحون	مجموع
1861-62	0,8 م ق	6,720	7,520
1862-63	1,518	14,550	16,068
1863-64	1,291	10,119	11,410
1864-65	1,065	9,841	10,906
1865-66	0,849	6,833	7,682
1866-67	0,521	3,913	4,434
1867-68	1,271	9,023	10,294
1868-69	1,194	8,653	9,847
1869-70	1,243	10,373	11,616
1870-71	1,358	6,225	7,583
1871-72	2,036	9,005	11,041

المصدر: الإحصائيات العامة 1867-1872.

(ب) الإنهيار الخطير والمفاجئ للمساحات المزروعة:

هذه الظاهرة هي التي تبرز الحالة آنذاك وهي ظاهرة كانت جديدة بملاحظة المسؤولين الإداريين والسياسيين حيث أنها تحث على إلقاء أسئلة كثيرة حول استمرار الجفاف الربيعي (1867) وطيلة فصل الجفاف لنفس السنة... كان لزاما عليها أن تأخذ الأمور بأكثر جدية وان تترجم بالأفعال عند انطلاق أول الأعمال الفلاحية. ففي الفترة الحاسمة بالذات (المملوءة بالتهديدات والمخاطر بعد بداية وباء الكوليرا وظهور أول الكوارث في المناطق المهمشة والتي ستقضي على مصير مئات الآلاف من الأشخاص).

بعد نقص المردود الفلاحي لسنة 1867 واجه أغلبية الفلاحين الحاجة الملحة ولم يقدرُوا على اقتناء الحاجيات اللازمة للسنة الفلاحية على

اللوحة 41 - إنتاج الحبوب عند الفلاحين.

السنة	المردود	المجموع
1861-62	0,8 م ق	7,520
1862-63	1,518	16,068
1863-64	1,291	11,410
1864-65	1,065	10,906
1865-66	0,849	7,682
1866-67	0,521	4,434
1867-68	1,271	10,294
1868-69	1,194	9,847
1869-70	1,243	11,616
1870-71	1,358	7,583
1871-72	2,036	11,041

8574	1304	6,1	5061	823	6,1	970	173	1869-70
2575	400	7	1605	274	5,6	432	765	الجزائر وهران
5956	768	6,3	1353	212	5,7	2633	362	قسنطينة
10316	1458	7,4	6282	845	6,5	4036	612	

المصدر: الإحصائيات العامة 1867-1872.

اللوحة 43 - إنتاج الحبوب والمساحات المزروعة في المقاطعات الثلاثة.

السنة	المقاطعة	القمح الصلب		المردود قنطار/ هكتار	الشعير		المردود	الشعير	
		ق 1000	هـ 1000		ق 1000	هـ 1000		ق 1000	هـ 1000
1864-65	الجزائر	585	209	2,7	1135	295	3,9	504	1720
	وهران	507	122	4,1	1166	264	6,3	386	1673
	قسنطينة	3141	651	4,8	2753	512	5,3	1163	5894
		4234	982	4,3	5555	1071	5,1	2054	9287
1865-66	الجزائر	346	218	1,5	543	259	2,9	477	799
	وهران	371	129	2,8	829	276	3,1	405	1200
	قسنطينة	2230	562	3,9	2494	543	4,1	1105	4724
		2948	910	3,2	3877	1070	3,6	1989	6723
1866-67	الجزائر	341	203	1,6	655	316	2	520	996
	وهران	112	96	1,1	307	276	1,1	373	419
	قسنطينة	1367	542	2,5	897	613	1,4	1144	2264
		1821	842	2,1	1869	1195	1,5	2037	3679

...

اللوحة 43 - (تابع)

الشعير		المردود	الشعير		المردود قنطار/ هكتار	القمح الصلب		المقاطعة	السنة
ق 1000	هـ 1000		ق 1000	هـ 1000		ق 1000	هـ 1000		
2283	336	7	1403	189	6	880	146	الجزائر	1867-68
1832	147	14(?)	1636	105	4,7	196	42	وهران	
4480	699	7,2	2770	384	6,7	2110	315	قسنطينة	
8995	1181	8,5	5809	679	6,3	3188	505		
2156	407	5,5	1272	230	5	884	176	الجزائر	1868-69
1439	259	6,1	1169	190	3,9	270	69	وهران	
4979	727	6,5	2620	401	7,2	2359	325	قسنطينة	
8574	1394	6,1	5061	823	6,1	3514	571		
2575	400	7	1605	274	5,6	970	173	الجزائر	1869-70
	289	6,3	1353	212	5,7	432	765	وهران	
5956	768	8,2	3323	405	7,2	2633	362	قسنطينة	
10316	1458	7,4	6282	845	6,5	4036	612		

المصدر: الإحصائيات العامة 1867-1872.

اللوحة 43 - إنتاج الحبوب والمساحات المزروعة في المقاطعات الثلاثة.

الشعير		المردود	الشعير		المردود قنطار/ هكتار	القمح الصلب		المقاطعة	السنة
ق 1000	هـ 1000		ق 1000	هـ 1000		ق 1000	هـ 1000		

المدى المتوسط والإحصائيات توضح ذلك جليا : من خريف سنة 1866 إلى خريف سنة 1867 حيث تراجعت المساحات المزروعة 2.06 مليون هكتار إلى 1.40 مليون هكتار (اللوحة 41) وهو ما يناسب نقصا بـ 41% (815000) لذا لابد من إبراز هذا الانهيار بعد هذه الحصيلة مع أنها لا تمثل الواقع الجهوي و المحلي ، فالوضعية بعد ذلك تشير بزيادة 200 هكتار في خريف سنة 1868 متبوعة بركود نسبي حتى بعد انتفاضة 1871... التي أقصت فعليا عددا كبيرا من الفلاحين الصغار. حيث أن الإحصائيات لا تسمح لنا بالإحاطة بتفاصيل التطور الجهوي ومن خلاله سنحدد دراستنا على ثلاث مقاطعات فقط (اللوحة 43).

(ج) تقليص الزراعات والضعف العام للمردودات في مقاطعة وهران :

إن مقاطعة وهران ونظرا لموقعها الجغرافي لايسعفها الحظ وتبقى حصتها من الإنتاج الفلاحي ضعيفة جدا (من التسع إلى العشر). فهي المقاطعة التي سجلت أكبر انخفاض ، تقهقرت المساحات الفلاحية بـ 63% (258000 هـ) مقابل 29% لمقاطعة الوسط و 25% لمقاطعة الشرق. بدأنا نلاحظ تزايدا ملحوظا منذ خريف 1869. توازيا مع هذا التقليص للمساحات كان أيضا هناك انهيار للإنتاج هام جدا حيث أن الإنتاج تقهقر بين سنوات 1865 إلى 1867 من 1.673 مليون قنطارا إلى 0.419م ق وهو ما يعادل 75% مقابل 42% للوسط و 61% للشرق. في الواقع إن انهيار الحجم المطلق للمقاطعة الشرقية والأهم وهو ما يعادل 3.530م ق وكان تأثيره هذا قد انعكس أكثر على باقي الوطن. أضف إلى ذلك ضعف الإنتاج العام للمردود في الغرب بالنسبة للمقاطعتين الأخيرتين وبالخصوص في سنوات المعاصيل الناقصة ...

لقد تضررت هكذا مقاطعة وهران وهي التي أصيبت أكثر من آثار الجفاف نظرا لموقعها الجغرافي ويكون الأمر كذلك بالنسبة للمناطق المهمشة. المناطق التي يقترب معدل التساقطات فيها بـ 400 مليمتر. وفي كل النواحي حيث يكون الرعي هو الذي له تأثير هام في الختام على كل اقتصاد البلاد.

(2) تطور المواشي
يختلف تطور المواشي
فالأرقام تظهر انزياحا
متبوع بانهيار بليغ و
(أ) الانهيار غير المتكافئ
لا شيء كان ينبغي
من المواشي، 11%
فقط نلاحظ نقص
فياب معطيات 1866

اللوحة 44 - تطور المواشي

السنة	خيل	بقر
1863	205	2
1864	166	6
1865	190	4
1866		
1867	187	0
1868	94	9
1869	98	2
1870	111	7
1871	103	1
1872	112	9

المصدر : المؤسسات الفرنسية

تطور الإنتاج الفلاحي

(2) تطور المواشي :

يختلف تطور المواشي عن الحبوب حسب إحصائيات اللوحة 44. هكذا فالأرقام تظهر انهيار محسوسا منذ سنة 1864 ثم تزايدا... سنة 1867 متبوع بانهيار بليغ وطائل حتى سنة 1872.

(1) الانهيار غير المنتظر لسنة 1864

لا شيء كان ينبئ بهذا النقص سنة 1864 الذي مس كل الأنواع المختلفة من المواشي، 11% (عند الغنم) و 34% (عند المعز) أما بالنسبة لسنة 1863 فقط نلاحظ نقص طفيفا حسب ما تظهره معطيات 1867 وذلك في غياب معطيات 1866.

اللوحة 44 - تطور المواشي (1000 رأسا).

السنة	خيل	بغال	حمير	حمير	إبل	غنم	معز
1863	205	32	1	?	1066	7392	3393
1864	166	166	102	-	777	6543	2221
1865	190	174	188	182	921	6675	3309
1866							
1867	187	150	220	183	1004	8333	3381
1868	94	109	94	152	666	4064	2448
1869	98	122	92	154	623	4146	2204
1870	111	127	104	126	637	4754	2406
1871	103	111	110	162	639	4869	2347
1872	112	119	115	178	727	5772	2748

المصدر : المؤشرات الفرنسية بالجزائر - الإحصائيات العامة لسنوات 1867-72.

خريف سنة 1866
روعة 2.06 مليون
ب نقصا بـ 41%
صيلة مع أنها لا
تلك تشير بزيادة
حتى بعد انتفاضة
الصغار؛ حيث أن
جهوي ومن خلاله
مقاطعة وهران :

عنها الحظ وتبقى
إلى العشر). فهي
حالات الفلاحية
المقاطعة الشرق.
مع هذا التقليل
أن الإنتاج تقهقر
إلى 0.419م.ق وهو
مع إن انهيار الحجم
3م.ق وكان تأثيره
ضعف الإنتاج العام
وبالخصوص في

بت أكثر من آثار
بالنسبة للمناطق
بها بـ 400 مليون
فام في الختام على

الإحصائيات العامة لسنوات 1867-72.

هاتان الملاحظتان، انهيار سنة 1864 وتزايد 1867، مدهشتان لأنها عكس تطور تساقط الأمطار ففي مثل هذه الظروف يجب الأخذ بعين الاعتبار عاملاً آخر وبالأحرى فيما يخص الظاهرة الأولى. إن هذا الانهيار لم يتمكن من متابعته قبل سنة 1864، ويرجع عهده إلى ما قبل سنة 1860-61 يذكر هكذا الملاحظ (6) 10 ملايين من الغنم. مثلما سنلاحظ ذلك فإن هذه الفترة تميزت بتصديرات مكثفة للموارد الجزائرية وتأثر تطور المواشي حتى سنة 1867 من جراء هذا العامل أكثر مما تأثر من نقص التساقطات خاصة وأن عاملاً آخر قد ساهم في صرف مكثف لموارد الوطن (الضرائب الثقيلة ضد القبائل المتمردة مثلما سنرى)...

أما أرقام سنة 1867 فإنها لا يمكن تأويلها أو إعطاؤها أهمية لأن الحد الأدنى ظهر في هذه السنة وبقي ثابتاً وبعد سنة 1868.

(ب) الانهيار القاسي والمطول بعد سنة 1867 :

انه النتيجة المباشرة لاتعود فقط للعاملين المذكورين (جفاف 1867 وضرائب الحرب) ولكنها تعود كذلك للكوارث وآثارها المستديمة. لقد كان الأثر بالفاعل كل أنواع المواشي. في بداية العشرية كانت الأغنام تشكل المورد الرئيسي للسكان وصارت الآن لا تمثل إلا اقل بقليل من نصف التعداد يعني 4 ملايين رأس. وكان ضياع الماعز عالياً جداً مع انه الوسيلة المعيشية الحيوية للمعوزين كما يجب أيضاً ذكر ضياع الخيل. وقياساً على الشهادات فإن الإحصائيات تعبر عن وضع أفضل لاسيما عندما تتابع من قبل ملاحظين متبهين :

"إن العرب يموتون يومياً من الجوع. لقد نفذت كل احتياطاتهم من الحبوب. ونقصت القطعان إلى اقل من النصف وفي بعض النواحي انقرضت عن آخرها. أما الحصان الأصيل مفخرة وثروة الجزائر قد غاب تقريباً عن الوجود. لقد علمنا أن تلك القبيلة التي كانت تعد مائة فارس

تطور الإنتاج الزراعي

ولم يبق لهم اليوم إلا خمسة فرسان وان أغلب القياد يقضون حوائجهم مشيا⁽⁷⁾ "هذا الشعب مولع بالخيل". هذا التوضيح لحمدان بن عثمان خوجة⁽⁸⁾ الذي أصبح الآن ماضيا أكل عليه الدهر وشرب.

كل هذا يشرح ذلك الانهيار القاسي والمستديم لتعداد المواشي وبطبيعة الحال صعوبة إعادة تكوينه من جديد حتى سنة 1872... إن دراسة التجارة الخارجية وبالخصوص أهم المنتوجات الفلاحية تعبر جيدا عن هذه الحالة الخاصة قبل وبعد الكارثة الديمغرافية.

(3) التزايد الخارق للموارد الحيوية للفلاحين

تنطبق السنوات التي سبقت مباشرة الكوارث مع أخصب فترة للصادرات الممثلة في غالبها بالموارد الحيوية للفلاحين : الحبوب والمواشي أضف إلى ذلك أن سنة 1867 هي أبعد ما يكون أن تعبر عن الحد الأدنى مثل السنوات ذات المحاصيل الرديئة، ولكنها بلغت قيمة مرتفعة جدا، يعني أربعة أضعاف ما يعادل سنة جفاف مثل 1862 (اللوحة 45) .. هاتان الملاحظتان يجدر ذكرهما وتستحقان دراسة معمقة.

السنة	القيمة	السنة	القيمة
1862	2.5	1867	10.0
1863	3.0	1868	12.0
1864	4.0	1869	15.0
1865	5.0	1870	18.0
1866	6.0	1871	20.0

... هاتان الملاحظتان يجدر ذكرهما وتستحقان دراسة معمقة.

مد هشتان لأنها
ب الأخذ بعين
إن هذا الانهيار
ي ما قبل سنة
مثلما سلاحظ
جزائرية وتأثر
ر مما تأثر من
ي صرف مكثف
ما سري)...

أهمية لان الحد
جفاف 1867
مستديمة. لقد
كانت الأغنام
أقل بقليل من
ليا جدا مع انه
ر ضياع الخيل
أفضل لاسيما

حتياطاتهم من
بعض النواحي
جزائر قد غاب
تعد مائة فارس

اللوحة 45 - الصادرات لأهم المواد الفلاحية
(مليون فرنكا).

السنة	الحبوب	المواشي	المجموع	النسبة بالمقارنة مع الصادرات	مجموع الصادرات
1854	20,63	4,25	24,88	69%	35,500
1855	23,63	4,19	27,82	72	38,700
1856	8,89	5,59	14,48	40	35,800
1857	6,09	9,18	15,27	44	34,100
1858	8,87	5,85	14,72	41	34,800
1859	4,29	13,08	17,37	37	45,800
1860	6,5	11,81	18,31	37	49,000
1861	9,5	11,61	21,11	44	47,800
1862	3,5	8,44	11,94	29	40,200
1863	11,5	31,94	43,44	64	66,900
1864	31,4	37,44	48,48	45	108,000
1865	18,5	38,94	57,44	57	100,500
1866	6,9	36,48	43,38	46	92,700
1867	1,7	40,80	42,50	40	97,161
1868	15,1	26,10	41,20	41	103,069
1869	19,2	21,55	40,75	39	110,951
1870	10,7	17,58	28,28	21	124,456
1871	25,8	16,25	42,05	36	111,500
1872	37,2	33,69	70,89	40	164,603

المصدر: الإحصائيات العامة من 1867 إلى 1872.

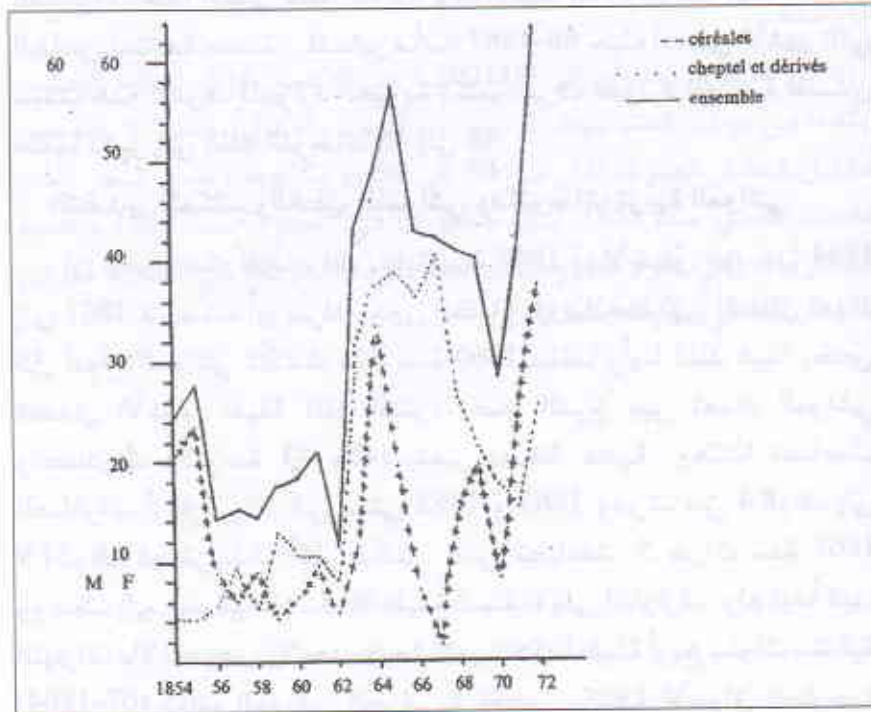
أ) التزايد الخارق للعادة وغير المنتظر للصادرات

لابد من تمييز مرحلتين مثلما تظهر الصورة 47: من 1857 إلى 1862 ومن 1863 إلى 1872 طيلة المرحلة الأولى بلغت معدلات القيم السنوية حدا من 15 إلى 17 مليون فرنك باستثناء حدين قياسين سنة 1864 (24م.ف.) و 1855 (27م.ف.) وهو النتيجة المباشرة لمحصول رديء (اللوحة 41).

تطور الإنتاج الفلاحي

نلاحظ أيضا طيلة هذه المرحلة أن المحاصيل والصادرات تتلاقى والتطور العادي كما شاهد ووضح ذلك ملاحظ معاصر : يمثل إنتاج الحبوب والمواشي إلى حد الآن أهم ثروات الجزائر وهي ثروة ممتلئة وسهلة التطور وكافية لتحقيق إزدهار عال جدا للبلاد⁽¹⁾.

"طيلة السنوات الإثني عشر الأخيرة تزايدت صادرات الحبوب بصفة تستحق التنويه. فقبل 1850 كان لا يتجاوز حدها المائتين ألف فرنك سنويا. وهذا بصدور قانون 1851 الذي يسمح بموجبه دخول الحبوب الجزائرية إلى فرنسا لأنها كانت تخضع في ذلك الوقت إلى قانون السلم المتحرك الخاص بالحبوب الأجنبية والذي سمح للصادرات أن تحقق 5 ملايين فرنك لترتفع بعد ذلك إلى 10 ملايين سنة 1861"



الصورة 46 - تصدير الحبوب والمواشي وشمثقات تربية المواشي

مجموع الصادرات

35,500
38,700
35,800
34,100
34,800
45,800
49,000
47,800
40,200
66,900
108,000
100,500
92,700
97,161
103,069
110,951
124,456
111,500
164,603

من 1857 إلى 1862
البيانات القيم السنوية
قياسين سنة 1864
سول رديء (اللوحة

وعكس ذلك وفي المرحلة الثانية فإننا نلاحظ تباعدا صارخا بين الصادرات والحبوب بغض النظر عن المستوى العالي للصادرات ...

(ب) الصرف المكثف لآخر موارد الفلاحين :

تزايدت الصادرات دون هوادة من سنة 1863 إلى 1867 وحتى بعد هذا التاريخ ، مع أن المؤلفين ما فتئوا يتكلمون عن المجاعة والأزمات... إذا سجلت الحبوب انهيار سنة 1866 ب(6.9م.ف) وصارت شبه منعدمة سنة 1867 (1.7م.ف) فإن الاقتصاد الرعوي يساهم بقدر كبير في تيار التبادلات الذي بلغ ... سنة 1867 حده الأقصى بـ40.8 م.ف.

وكان الأمر نفسه سنة 1872، يعني بعد انتفاضة 1871 حيث سجلت الصادرات حدا أقصى ثانيا بـ62.7 م.ف. يجب إذا الإحاطة بهذا التطور الخاص لمتابعة حسنة... لتساير مأساة 1867-68 حيث انه في الأشهر التي سبقت هذا الصرف للموارد الحيوية تكثف صرف الموارد الحيوية للسكان مثلما تشير إلى ذلك اللوحات 45 إلى 48.

التصدير المكثف والخطير للمواشي ومنتجات تربية المواشي

إن تطور هذه الصادرات بداية سنة 1863 وبالأخص من سنة 1864 إلى 1867 لا يمكنه أن يترك بدون انطباع أي ملاحظ لان نقصان تعداد كل أنواع المواشي تأكدت منذ سنة 1860 مثلما رأينا ذلك فيما يخص قطعان الأغنام. طيلة تلك الفترة، صار الفرق بين تعداد المواشي والصادرات (اللوحة 44 و46) يتغير بصفة عادية. وهكذا تضاعفت الصادرات أربع مرات في سنتي 1862 و 1863 ومرت من 8.4م.ف إلى 31.9م.ف ثم تزايدت أكثر فأكثر حتى تضاعفت 5 مرات سنة 1867 ووصلت إلى حد قياسي بـ40.8 طيلة السنة الأولى للكوارث. ولم تبدأ في التيارات بالانخفاض إلا بعد بضعة أشهر. هكذا طيلة أربع سنوات متتالية (1864-67) كانت المواشي الجزائرية تغطي بكثافة الأسواق الخارجية والأسواق الفرنسية على الخصوص مباشرة على حساب الموارد الحيوية

تطور الإنتاج الفلاحي

للاقتصاد المعيشي للسكان ، تمثل هذه الموارد القسم الأهم لمجموع الصادرات (اللوحة 46) وقد تضاعفت قيمتها خمس مرات من 1862 إلى 1863 حتى وصلت حد 29م.ف طيلة ثلاث سنوات متتالية. مثلما يظهر ذلك في اللوحة 47 ويتعلق الأمر بمنتوجين الجلود والصوف، وهما مادتان أوليتان... تفوق قيمة الصوف بـ 90%¹¹¹ ويصل وزنها السنوي إلى أكثر من 600 طن طيلة خمس سنوات متتالية من 1866 إلى 1867 ومن 1867 انخفضت بـ (5816 طن). ألم تكن لهذه المادة عواقب مباشرة على الجانب الاجتماعي ؟ إذا ضاعفنا تحرياتنا لم يبق أي مجال للشك خاصة عندما نضع على الواجهة هذه الملاحظة التالية والتي صدرت مباشرة من أحد السماسرة الكثيرين الذين يجوبون البوادي طيلة هذه الفترة الحاسمة.

في التسوق بمليون إلى 1.200.000 من الأعمال كانت تجارة الجنوب ابتداءً من بوغاز تحت سيطرة المزاب واليهود والأهالي. كانوا لا يدفعون مقابل قنطار الصوف أكثر من 50 إلى 58 فرنكا وهذا نفس السعر الذي دفعته بنفسه سنة 1857. كان حضوري في الجنوب سنة 1858 وأهمية المشتريات التي أقوم بها أوصلت السعر إلى 80 فرنكا في البداية ثم إلى 110 فرنكا في نهاية الحملة¹¹².

صارخا بين
شرات ...

وحتى بعد هذا
والأزمات... إذا
منعدمة سنة
نيار التبادلات

18 حيث سجلت
بهذا التطور
في الأشهر التي
لحيوية للسكان

المواشي

من سنة 1864
نقصان تعداد
لك فيما يخص
تعداد المواشي
هكذا تضاعفت
من 8.4م.ف إلى
وات سنة 1867
ولم تبدأ فيها
مع سنوات متتالية
سواق الخارجية
الموارد الحيوية

الكارثة الديمغرافية

اللوحة 46 - تطور صادرات المواشي ومشتقاتها (بالمليون فرنكا).

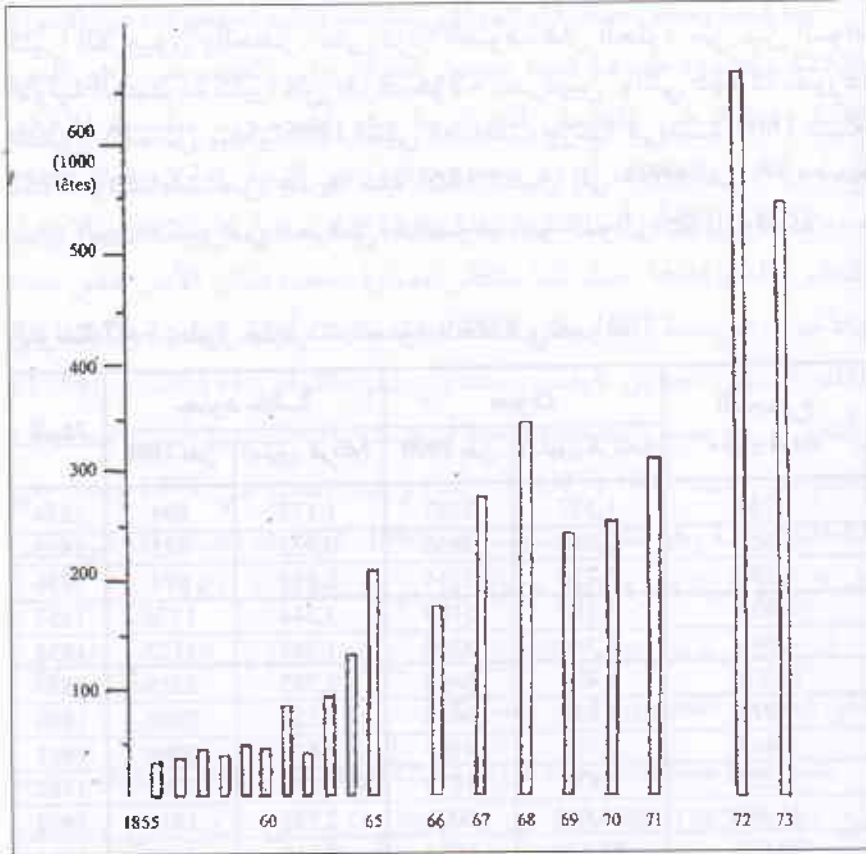
السنة	الدواب رؤوس	1000 بقرة	رؤوس غنم	المواشي (مليون فرنكا)	صوف وجلود (م.ف)	المجموع (م.ف)
1855	507	153	25865	0.631	3,561	4,241
1856	51	1767	28453	0.711	4,590	5,501
1857	114	1357	41814	0.747	8,432	9,179
1858	244	3365	32231	1.162	4,691	5,853
1859	315	5435	48457	1.806	11,279	13,086
1860	289	5662	48124	1.843	9,975	11,818
1861	821	13289	92398	4.174	7,442	11,616
1862	1266	9286	44710	2.910	5,533	8,443
1863	1369	14812	103312	5.058	26,886	31,944
1864	1702	24408	142007	7.747	29,695	37,442
1865	1444	25333	215126	9.286	29,660	38,946
1866	1126	22667	178259	7.628	29,864	37,492
1867	1619	30309	285164	11.372	29,437	40,809
1868	410	23443	351541	10.742	15,360	26,102
1869	414	22094	236425	8.602	12,948	21,550
1870	263	2476	242096	4.727	12,858	17,585
1871	350	3610	310915	5.963	10,288	16,251
1872	214	18935	665642	14.950	18,717	33,667
1873	190	10312	55264	13,252	12,252	25,507

المصدر : المؤسسات الفرنسية في الجزائر الإحصائيات العامة من 1867 إلى 1873.

نفس الملاحظة توضح نفس الأحداث في المقاطعتين الأخيرتين. كما هو الحال بالنسبة لتلمسان :

كانت تلمسان لا تدفع للتصدير سنة 1850 إلا 60.000 إلى 70.000 كغ من الصوف بقيمة 28 إلى 30 فرنك للقنطار. ففي سنتي 1860 و 1861 بلغت الأسعار وتجاوزت 100 فرنك وتضاعفت الصادرات إلى 150.000 كغ سنويا.

تطور الإنتاج الفلاحي



الصورة 47 - تطور تصدير المواشي

وهذه التصريحات تستدعي تعاليق عديدة. الغلاء لا يفيد المنتجين أكثر مما يفيد السماسرة والوسطاء. إذ يمكن لبعض الأشخاص فقط وبالخصوص التجار اليهود ويحرم بطبيعة الحال المستعملين التقليديين والحرفيين البدويين منهم والحضر... نفهم هكذا العواقب على مدينة مثل تلمسان أو المدينة حيث تركز الأعمال قبل كل شيء على الحرف. إنه إذا إدخال الفوضى على الإقتصاد الحضري، ويتأثر من جراء ذلك

مليون فرنكا).

المجموع (م.ف)	صوف (م.ف)
4,241	3,561
5,501	4,590
9,179	8,432
5,853	4,691
13,086	11,279
11,818	9,975
11,616	7,442
8,443	5,533
31,944	26,886
37,442	29,695
38,946	29,660
37,492	29,864
40,809	29,437
26,102	15,360
21,550	12,948
17,585	12,858
16,251	10,288
33,667	18,717
25,507	12,252

1873.

عشرين الآخرين، كما

60.0 إلى 70.0 كلغ

سنتي 1860 و 1861

إلى 150.000 كلغ

الكارثة الديمغرافية

كثيرا القرويون والحضر. على غرار الصوف فان الجلود من بين المواد الأولية المطلوبة كثيرا من طرف هؤلاء الحرفيين، والتي شهدت بدورها التطور المماثل ببداية 1866 حين تضاعفت وزنها في سنة 1867 ليبلغ 2782. وتضاعفت من جديد سنة 1868 لتصل إلى 5694 طن⁽¹³⁾... مع غياب العدد الكبير من الحرفيين. فالصوف نحو الموائى تكاثر وتعمم.

اللوحة 47 - تطور صادرات الجلود الخامة والصوف.

السنة	جلود خامة		صوف		المجموع مليون فرنك
	1000 طن	(مليون فرنك)	1000 طن	(مليون فرنك)	
1854	894	1,177	1557	1,557	2,734
1855	625	0,725	2836	2,836	3,561
1856	673	0,834	3756	3,756	4,590
1857	1776	3,244	5189	5,189	8,432
1858	1125	1,347	3344	3,344	4,691
1859	2219	2,785	8494	8,494	11,279
1860	2936	3,359	6616	6,616	9,975
1861	2098	2,675	4767	4,767	7,442
1862	1391	1,858	3674	3,674	5,532
1863	1813	2,791	6023	24,095	26,886
1864	1360	2,119	6894	27,576	29,695
1865	1304	2,252	6852	27,408	29,660
1866	1384	2,482	6595	26,381	28,864
1867	2782	4,319	6279	25,118	29,437
1868	5694	9,384	5816	5,976	15,360
1869	1476	2,539	2602	10,409	12,948
1870	808	1,812	2761	11,046	12,858
1871	995	2,384	4517	7,904	10,288
1872	1790	4,192	8300	14,525	18,717
1873	1099	2,583	5525	9,670	12,553

المصدر : المؤسسات الفرنسية والإحصائيات العامة من 1867 إلى 1872.

تطور الإنتاج الفلاحي

أما فيما يخص صادرات المواشي نشاهد تزايدا ملحوظا في الأنواع الثلاثة وتطورا خارقا فيما يخص الضأن على الخصوص وهو النوع الأكثر تمثيلا في القطعان الجزائرية وهو أهم مورد بالنسبة للأهالي المتموقعين بالهضاب أو عبر مجموع النواحي التلية. إذا لاحظنا انهيارا سنة 1862 (44710 رأسا) نظرا لسنة رديئة "فلا بد من الأخذ بعين الاعتبار التطور الذي تلاها" حيث كنا ننتظر انهيارا ضخما فكان الأمر عكس ذلك بالأحرى في سنة 1867 وفي 1868 حيث سجلت أرقام قياسية وسجلنا في تلك السنتين حدين قياسين متتاليين على التوالي 285114 و 351541 رأسا... ورغم بعض الضعف نلاحظ أن مستويات التصدير بقيت محكومة باسترجاع منذ 1871 (310915 رأسا) وحد أقصى في 1872 وصل إلى 665642 رأسا وهو تقريبا ضعف رقم 1868. تكاثرت الصادرات في كلتي الحالتين وطيلة فترة الكوارث ثم بعد نهاية انتفاضة 1871.

أما فيما يخص تطور النوعين الآخرين فالحالة مماثلة على التقريب لكن الحدود القصوى وقعت سنة 1867.

هذه الملاحظات المختلفة والمدهشة نوعا ما تنجبه كلها وتعبر جليا عن مأساة 1867-68: لقد جرد الأهالي في كل مكان من وسائلهم المعيشية الأساسية، من القطيع الذي تملكه كل عائلة. الذي فتكت به جزئيا الأوبئة (اللوحة 44) وحتى الزوجية أي الثورين للحرف. هذا التجريد يسبق ويعلن ويرافق الكوارث (الفقرة الملحقة رقم 5). حيث أنه في هذه الفترة بالذات تزايد التصدير طيلة وبعد الإنتفاضة المسلحة الكبيرة (1871) الأخيرة منذ 1830 وهي تعبر من دون شك على التطور الخطير مثلما أكد على ذلك المؤرخ المعاصر أجرون حين كتب أن "الجزائر الأهلية صدرت بكثافة سنة 1872-73 لكنها كانت تصدر رأس مالهها وبمعنى آخر أساس معيشتها"⁽¹⁴⁾.

ن بين المواد
هدت بدورها
1867 ليبلغ
ن... مع
وتعمم.

المجموع مليون فرنك
2,734
3,561
4,590
8,432
4,691
11,279
9,975
7,442
5,532
26,886
29,695
29,660
28,864
29,437
15,360
12,948
12,858
10,288
18,717
12,553

الكارثة الديمغرافية

ألم يكن الأمر كذلك فيما يخص الحبوب ؟

التصدير اللامنتظم للحبوب

باستثناء السنة الوحيدة وهي سنة 1867 التي حصلت على نقص هين بأقل من 8.000 طن فإنه يلاحظ فائض كبير في موازنة الحبوب (اللوحة 48). وتواصلت صادرات الحبوب (قمح وشعير) والدقيق

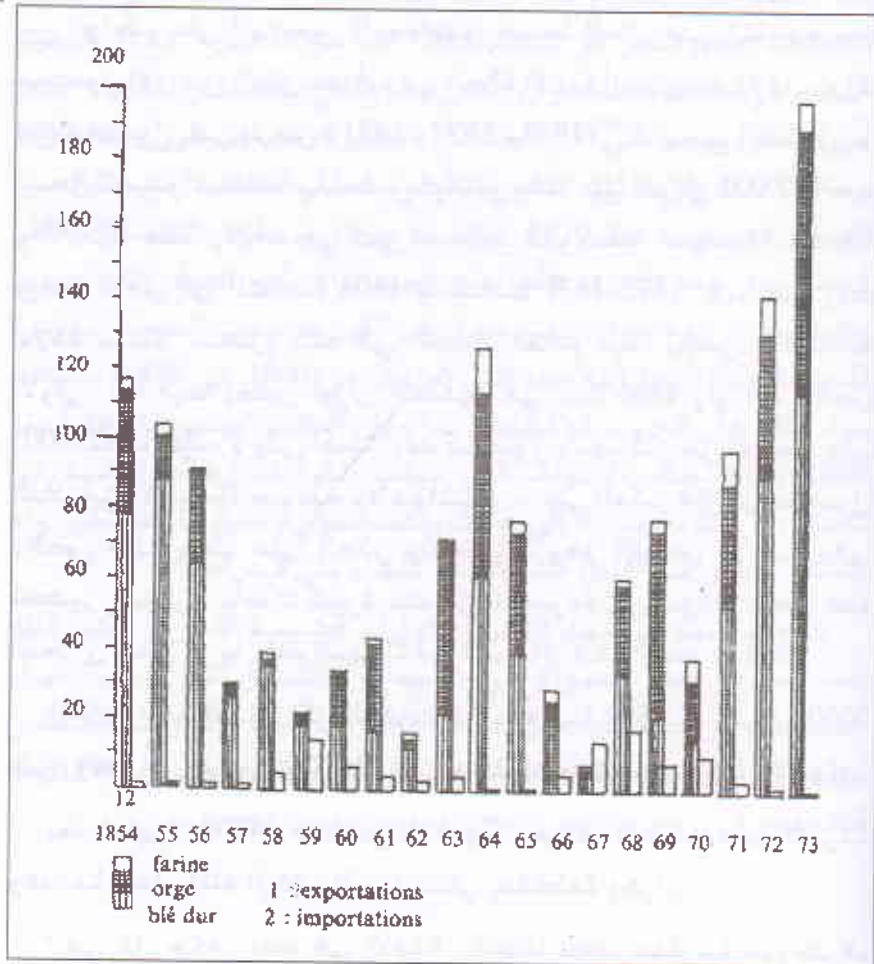
اللوحة 48 - تطور تجارة الحبوب (القمح الصلب، الشعير والسميد)

السنة	الصادرات			الرصيد
	القمح	الشعير	السميد	
1854	78633	33062	3727	113974
1855	87774	17010	4158	104105
1856	64271	27629	800	91307
1857	26377	3538	207	25902
1858	35453	1847	2575	35500
1859	18246	3585	706	8466
1860	28127	5497	1078	27967
1861	17967	23194	1954	41950
1862	12738	3079	714	13804
1863	22935	23656	24495	67306
1864	61422	59753	5316	126372
1865	39482	31595	6039	77026
1866	19622	5095	2281	22663
1867	4992	581	1289	7872
1868	33540	24091	4234	48735
1869	21711	49866	7395	71812
1870	15044	17474	5706	27764
1871	53467	34324	10592	95008
1872	91511	40646	10108	140652
1873	114578	74931	8580	198170

المصدر: الإحصائيات العامة من 1867 إلى 1872.

تطور الإنتاج الفلاحي

بالتحديد لكن بتأرجح مع أوزان أثقل من ذي قبل وخلال سنة (1868) وبعد الكارثة الديمغرافية...



48 - تطور تجارة الحبوب

تت على نقص هين
في موازنة الحبوب
ح وشعير) والدقيق

شعير والسميد)

الرصيد	ترادات (سميد)
113974	1448
104105	679
91307	159
25902	4220
35500	4380
8466	1407
27967	6735
41950	3885
13804	2727
67306	3780
126372	119
77026	203
22663	4335
7872	14734
48735	13133
71812	7160
27764	10461
95008	3257
140652	1613
198170	919

إذا نظرنا إلى العقد 1860-70 لوحده نلاحظ أنه على العموم هناك توازي بين الإنتاج والمبيعات للخارج : الحدود القصوى تطابق المحاصيل الجيدة (1863 و 1864 و 1868) والحدود الدنيا تتناسب مع السنوات الرديئة في سنة 1865 و في 1872-73. في الحالة الأولى وبعد صادرات مكثفة كان من الواجب على الفلاحين المحافظة بطبيعة الحال على إنتاجهم بعد محصول أقل من المتوسط. أما في الحالة الثانية أيضا وبعد ثلاث سنوات من محصول غير مرض (1871 و 1872 و 1873)⁽⁵⁾ كان من المعقول أن تسجل الصادرات انخفاضا لحدين قياسين وهما على التوالي 142.000 طنًا و 198.000 طنًا. إلا أنه في كلي الحالتين فالوضعية السياسية متطابقة ويعود الأمر إلى انتفاضة 1864 وانتفاضة 1871-1872. لا بد من ربط علاقة سببية. سنحلل ذلك في الفصل القادم فيما يخص الانتفاضة الأولى. أما فيما يخص أوزان التصدير في سنة 1866 ولو أنه ناقص (27000 طنًا) فإنه لا يقل أهمية. بعد محصول رديء كان من الواجب على الفلاحين إلا يبيعوا حبوبهم ولا مواشيهم... "على العكس فإن أي محصول ناقص فإنه يبعث على الحذر والاحتياط وهو الغرض الأساسي في تحضير المخازن بأعداد كبيرة عند كل مجموعة وان موقع بعض هذه المخازن يبقى سريًا. هذه السهولة في المبيعات تبقى وسط المأساة".

إذا كان الحد الأدنى لكل العشرية قد وقع سنة 1867 بما يقارب 7000 طن، وهذا أمر طبيعي ولكن لم تكن هناك صعوبات في تموين الأسواق بعد استيراد 14700 طنًا من الدقيق⁽⁶⁾. عرفت المخازن نفس الحركة وهذا ما أدهش ذلك الراهب البروتستنتي بمقاطعة وهران :

" في كل مكان نجد في الأدغال ..جثثنا نصف مفترسة من طرف الذئاب والضباع. «والأمر الذي يشد القلب أن المأكولات غير ناقصة والمخازن عامرة والمساكين يموتون جوعا لأنهم لا يأكلون»⁽⁷⁾

تطور الإنتاج الفلاحي

فيما يخص أول مسؤول للجزائر المستعمرة ماك ماهون "هذا يدل على أن الفقر في الجزائر غير موجود في كل مكان"⁽¹⁷⁾ في هذه الحالة... صادرات سنة 1868 توضح ذلك تماما : 62000 طنا من بينها 33540 طنا من القمح و24091 طنا من الشعير قد حملت في الموانئ المختلفة بغض النظر عن استلام 13000 طنا من الدقيق... مع أن التصيب المقدم في مخيمات المتسولين أدنى مما يكفي للتغذية وإن الجزء الكبير من السكان مرغم على أكل الحشائش الخطيرة. تضاعف الوزن سنة 1869 وبلغ 70.000 طن وكان ذلك بالإقصاء العملي للعديد من الفلاحين الصغار فالحبوب سنة 1870 كانت موجودة وتسمح بالتصدير والأمر كذلك بعد هذه الفترة. هكذا فإن إحصائيات أهم الصادرات للحبوب والمنتجات الفلاحية تظهر جليا، إن الكوارث ليست النتيجة المباشرة للمجاعة ولا للأزمة الفلاحية التي امتدت من 1866 إلى 1870 باستثناء سنة 1867 فإن الحبوب لم تنقص أبدا وكان الفائض ملحوظا وهما سنة 1868 وقد سجلت السنوات التي سبقت الكوارث أرقاما قياسية في الصادرات. إننا نحضر إذا إلى صرف مكلف للموارد الحيوية للفلاحين ولم يتمكن السكان من اقتناء الحد الأدنى للبقاء على قيد الحياة...

إذا فلا فائدة في اتهام القدر والكوارث الطبيعية الأخرى. عكس ذلك يجب معرفة هذه السهولة في المبيعات والتساؤل عن أسباب انهيار المساحات الزراعية منذ خريف سنة 1867 كما يجب إذا دراسة مشكلتين هامتين : آثار انتفاضة 1864-65 والخلل القوي الذي أصيب به الاقتصاد التقليدي.

على العموم هناك تطابق المحاصيل مع السنوات الرديئة صادرات مكثفة كان على إنتاجهم بعد وبعد ثلاث سنوات من المعقول أن حوالي 142.000 طنا السياسية متطابقة 18... لابد من ربط يخص الانتفاضة 18... ولو أنه ناقص أن من الواجب على فان أي محصول رخص الأساسي في موقع بعض هذه وسط المأساة. 7000 بما يقارب 7000 في تموين الأسواق. خارج نفس الحركة أن ، شترسة من طرف دولات غير ناقصة بلون⁽¹⁷⁾

الملاحظات

1. شاهد بداية الفصل الفارظ ص 135.
2. شاهد التفاصيل في المكتبة (المصادر الإحصائية).
3. "بوخبزة" ص 1 "شروط تطوير إنتاج المواشي في الوسط السهبي" المجلة الجزائرية. الجزائر 1972 رقم 1 ص 111 إلى 134.
4. الشركات الفرنسية في الجزائر (اللوحة حول حالة المؤسسات) 1868.
5. "دراش" و"بيرو" البحر المتوسط والشرق الأوسط، 1956 ك 1، ص 434 x فيما يخص المحطة الممثلة، الأصنام إن المعدل لفترة الخمسين سنة فلاحية هي كالاتي محصولان جيدان على خمس، اثنان كافيان شيئا ما ومحصول رديء. x شاهد الرجل والانجراف في الونشريس ص 111.
6. الشركات الفرنسية في الجزائر 1862 ص 243.
7. "لاكرتال" (25) ص 49.
8. "حمدان بن خوجه" (63) ص 30.
9. الشركات الفرنسية في الجزائر 1862 ص 242.
10. إننا نلاحظ فارقا ضئيلا بين هذا الرقم ورقم اللوحة 45. نجد في بعض الأحيان فوارق رغم أن نفس الإحصائيات توجد في نفس النشرة.
11. فيما يخص القيمة الحقيقية شاهد بداية الفصل الثالث.
12. يتعلق الأمر بتاجر يسافر بين بغاز و الأغواط. (روماني). شاهد الشركات الفرنسية في الجزائر 1862 ص 244.
13. الشركات الفرنسية في الجزائر 1862 ص 244.
14. "أجرون" (17) ص 376-77.
15. شاهد "أجرون" (17) ص 378.

الكارثة الديمغرافية

16. إن الأرقام التي يقدمها 'لمنتور' (7 جوان) مشبوه فيها لأننا لا نجد فيها أي منشور رسمي مثل الشركات الفرنسية في الجزائر. إن المنتور يذكر أنه طيلة الفترة ما بين بداية سنة 1867 و الأشهر الأربعة لسنة 1868، كان استهلاك السكان مغطى باستيراد الحبوب وهو يتألف من 623974 قنطارا من القمح و882856 قنطارا من الشعير و275 قنطارا من السلت و114363 قنطارا من الذرة و197428 قنطارا من السميد و19603 قنطارا من الخراطام وقيم المبلغ ب 53,8 مليون فرنك ماعدا ميزان السميد الذي كان صحيحا....

17. ليكو دوران في 31 مارس 1868. لقد حافظنا على النص ولذلك السبب كتبناه بحروف كبيرة.

18. عند عرضه أمام النواب بعد الإقتراع على الميزانية وبعد أن رسم لوحة متفائلة ولكنه ارتكز على نتائج التجارة الخارجية ولا على تعاسة السكان كما طلب منه ذلك.

لا نجد فيها أي
يذكر أنه طيلة
متهلاك السكان
882850 فنظارا
197 فنظارا من
فرنك ماعدا

لك السبب كتيناه
أن رسم لوحة
كما طلب منه

الفصل الرابع

آثار انفاضة 1864 - 65

بعد انفاضة سنة 1864 من طرف الموحدين في الجنوب الغربي من المغرب
الذي يقطنه نحو 100000 نسمة في سنة 1864 بعد يوم من اعلانهم الثورة
متممات في القرون الثلاثة السابقة في المغرب العربي والجزيرة
التي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية

والتي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية
والتي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية
والتي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية
والتي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية

والتي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية
والتي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية
والتي هي من ممتلكات الدولة العثمانية في الجزائر وفرنسا والاندلس
والجزيرة العربية

النتائج

فيما يخص انتفاضة 1864-65 وكوارث 1867-68 مع أن الإشارات لم تكن معدومة في القرن بذاته¹¹، حديثا¹² أشار أجرون إلى هذه الأحداث ولو أنه لم يدرس مباشرة ما وقع لكن بفضل رأي فولد زيغار¹³ وصلنا إلى خلاصة معمقة.

وتستحق هذه الانتفاضة شروحات مطولة. لم تكن انعكاساتها محدودة بالتخريبات بسبب انتشار المعارك عبر النواحي الناقصة الموارد كالمناطق شبه الجافة وحتى الجافة. يجب ذكر عواقب أخرى وعلى الخصوص احتجار الخيل والبغال مع المكلفين بمواكبة المؤن طيلة تلك الفترة الطويلة والقاسية أضف إلى ذلك الضرائب الحربية الثقيلة التي سلطت على القبائل ودفع هذه الضرائب يكلف تضحيات جسام تلقى على عاتق القبائل المتمردة فقط بل حتى التي بقيت بوعا ما محايدة يجب أيضا ملاحظة نتيجة أخرى بقيت غامضة ألا وهي سلب بعض الأراضي في السنوات التي سبقت الكوارث...

لكن قبل محاولة معرفة العواقب المباشرة وغير المباشرة لهذه الانتفاضة يجب علينا أن نحدد العلاقة ما بين النواحي التي عرفت وفيات كثيرة والنواحي التي كانت مصرحة للعمليات في السنوات 1864-65 وحتى سنة 1866...

وبهذا يجب علينا دراسة مايلي:

- أهم مظاهر الانتفاضة

- الإنعكاسات المباشرة للانتفاضة

- العواقب العامة

I - أهم مظاهر الانتفاضة

تمثل انتفاضة 1864-65 مرحلة من أهم مراحل المقاومة الشعبية ضد القوات الاستعمارية. لم تكن فقط متابعة المعارك القائمة ضية العقدين السابقين ضد القوات العدوانية. مقابل هذا التحكم نحو والاندماج التدريجي للاستيطان داخل المجموعات القروية على الخصوص في المقاطعة الوهرانية وكذا التجاوزات غير القانونية لاجل من طوف العملاء حيث صار التجنيد سريعا وحرك بقوة الرجال المجندين والمورطين من طرف أتباع الزوايا والمجاهدين القدامى. ففاضت هكذا الانتفاضة بسرعة وانتشرت إلى المقاطعات الثلاثة وعطى على الخصوص الجزء الأكبر للسهوب حتى وصلت الصحراء ووجدت أيضا بعض الصدى في المغرب العربي. لكن كل هذا كان متبوعا ببرد عنيف وتبع ذلك قمع قاس بعد وصول المساعدات القادمة من فرنسا.

(1) إنطلاق وتوسيع الانتفاضة

ظهرت الانتفاضة بعد إبادة الكتيبة التي كانت تحت قيادة بوبراتر في عين أبو بكر "قرب البيض وتقوت هكذا الانتفاضة وانتشرت إلى جبل العمور ووادي مينا وانضمت إلى الانتفاضة بعد ذلك بوغار وعلى الخصوص المجموعات التي تحيط "بطاقين" (زمالة عبد القادر حاليا) مثل أولاد شعيب الذين تربطهم قرابة بأولاد سيدي الشيخ وكان هذا الانضمام حاسما حيث أنه سمح للحكومة أن تنتشر نحو الشرق حتى وصلت إلى مناطق جديدة. ونذكر هكذا في بلاد القبائل الهجوم الذي وقع على مركو الزايعة بعد انتفاضة الزواغة كما نذكر أيضا في الأوراس الهجومات الكثيرة الموجهة ضد الأوروبيين قبل بداية

1864⁴⁴ وعدم خضوع بعض المجموعات مثل البراشطة 65 قرب باتنة، وعلى الحدود الغربية للبلاد صار أولاد نهار وبنو إسماعيل تحت المراقبة المشددة كما هاجم جيرانهم أولاد ميمون المركز الأوروبي المتواجد مباشرة وسط أراضيهم الغنية.

فيما يخص المقاطعة الوهرانية على الخصوص يجب ذكر المناوشات الهامة الخاصة بوادي مينا وامتداداته نحو الشمال والغرب، ومناوشات وادي مكرة. في مثلث الرحوية وعدي موسى والزمورة (مركز وادي مينا ووادي رهيو) حركت الانتفاضة حركة صوفية مسيرة من طرف سيدي لزرق "مقدم الدرقاوة". ساهمت بكثافة قبائل فليته وبنو وراغ ووجهوا هجوماتهم على المؤسسات الفرنسية وحرقت الضيع والمحاصيل (شهر ماي). وتراجعت كتيبة لابسيت ومككت بغلزان في 13 ماي. هكذا وقع الهجوم على مركز الزمورة يومي 15 و 16 ماي ثم على مخيم الرحوية في 21 و 22 ثم على مركز عمي موسى يومي 27 و 28 ماي.

ولو أن هذه العملية لم تفلح إلا أن المواجهات انتشرت نحو الغرب باتجاه غلزان حيث خربت صيع عديدة، وكان هدف المكافحين الوصول إلى مستغانم والظهرة بعد التهديد المباشر لمراكز الاستيطان ليبل وبقراط بعد قطع الاسلاك الهاتفية بين وادي رهيو ومستغانم⁴⁵.

تقوت المقاومة في الجنوب الغربي بعد إرسال المساعدات من طرف المجموعات المختلفة وعلى الخصوص من أولاد بوعلي وبني شقران وهاشم الشراقة والدواير... لكن موازين القوى انقلبت بعد نزول المساعدات القادمة من الأصنام وحتى من منيانة وفرندة. وقع هكذا المجاهدون تحت المنجنة في الشمال والشرق. حيث أن المواجهة كان لا مفر منها. وهاجم سي لزرق جيوش الجنرال روز المتمركز في دوار دار بن عبد الله جنوب الزمورة. وكانت المواجهة عنيدة وسقط العديد من الشهداء في ميدان الشرف ومن بينهم سي لزرق واستمر الكفاح تحت قيادة

المقاومة الشعبية
بارك القائمة طيلة
هذا التحكم نلعدو
بات القروية على
القانونية للنجابية
رك بقوة الرجال
بأهدين القدامى :
عانت الثلاثة وغطت
لصحراء و وجدت
أن متبوعا مرد فعل
نمة من فرنسا.

تحت قيادة العقيد
لانتفاضة وانتشرت
بعد ذلك قبائل
بين (زمالة الأمير
راية بأولاد سيدي
مة أن تنتشر نحو
في بلاد القبائل
فة كما نذكر أيضا
ونيين قبل بداية

الكارثة الديمغرافية

سي عبد العزيز رغم تأزم الوضع والقمع الشديد الذي إنتشر إلى جميع المجموعات المتواجدة في الحوض المتوسط بوادي مينا.

بدأ من جديد العدوان في باقي مقاطعة وهران في أكتوبر مع الهجوم على المركز الأوروبي في سيدي علي بن أيوب وأضطر الأوروبيين إلى مغادرة التسالة ولجؤوا إلى سيدي بلعباس في نوفمبر وهنا بدأ التهديد يخيم على معمرى أولاد ميمون في الغرب بينما قطعت الطريق بين تلمسان وزلبون.

إشتعل من جديد جنوب مقاطعة مدينة الجزائر في بداية الصيف وإنتفض ضد القوات الإستعمارية وكانت أهم التجمعات تجمعات قبائل الارباع والأحرار وقبائل دائرة بوغار. قطعت المواصلات بين التل والأغواط. وانتفضت أيضا الحضنة ولكنها تأثرت بفشل عين ملكوف (وسط أكتوبر) وسجلنا أيضا انتصارات عين البيضاء والكريدر في الجنوب الوهراني.

تقدمت الانتفاضة في آخر السنة نحو الشرق والجنوب. حاول قائدان وهما سي لعلی والناصر بن شهرة تجنيد ناحية ورقلة وناحية متليلي. واستيقظت بلاد القبائل الشرقية ووصل الإنضمام إلى نواحي بجاية وجيجل وأدى التمركز القوي للقوات الاستعمارية والقمع الشنيع إلى هزم المقاومة عدا هذه المناطق في ربيع 1865. واضطر المكافحون إلى التقهقر في الجنوب حيث تتوافد جيوش العدو.

(2) أسباب الفشل

مثلما يظهر هذا العرض فقد توسعت انتفاضة 1864-65 وشملت مساحة كبيرة من التراب الوطني وعلى الخصوص في مقاطعة وهران وجنوب مقاطعة الجزائر وبلاد القبائل الشرقية وشهدت السهول أكبر انتشار مع بعض الواحات.

مثلما كان الأمر في العقدين السابقين وفي بعض الأحيان أكثر من ذلك فإن المقاومة كانت عنيفة جدا وشرسة وهذا الانضمام الشعبي المكثف والعام بالأحرى بعد الانتصارات الأولى، وعلينا أيضا أن نؤكد على خصوصيات هذه الانتفاضة التي سجلت من دون شك منعرجا حاسما.

إن انتفاضة 1864-65 هي متابعة الكفاح ضد المحتل وهجماته الثابتة والمعقدة والتي طالت فيها الحروب مجموع مناطق السهوب والصحراء وهي التي يتحتم عليها أن تضحي أكثر. إذا كانت هذه المناطق لم تساوم على تضحياتها فوسائلها محدودة لان طبيعتها صعبة ومواردها محلية وتشخص بسهولة من طرف العدو. قبل بداية معركة عين بوبكر، كان أولاد سيدي الشيخ وهم روح الإنتفاضة قد إتخذوا كل الإجراءات اللازمة لوضع المؤونة في مكان آمن (بريزنة على الخصوص) لقد استفادوا من دروس الكفاح السابق فطنبوا من السكان الابتعاد عن أمكنة المعارك وحتى عن أراضيهم الفلاحية وأخذ مواشيهم، وكان هذا التحرك مفيدا دائما ولكن المناطق الأخرى في التل... وفي الجبال.

إلا أن المعطيات كانت متغيرة تماما في تلك الفترة 1864-65. فالمكان خطير جدا على المكافحين الأهالي وبالخصوص وأن السكان كانوا مجبرين على التنقلات الدائمة. هكذا فإن مسرح العمليات يقع في غالب الأحيان عبر السهول الشاسعة جدا. وكان العدو يشدد قبضته على التل وهو الإقليم الحساس ومن خلاله يراقب التقاط الإستراتيجية الحيوية وبعض الأمكنة التي تتحكم في الممرات الرابطة بين التل والسهوب، التي مكنت العدو من تعلم الحروب في إفريقيا فالعديد من الضباط السامين أصحاب تجربة تفوق العشرين سنة ويتكلمون جيدا لغة القرآن (يوسف ولاباسي). وهم يعتمدون على "القومي" وجنود متخصصين كما أن المساعدة التي يأتي بها العملاء ثمينة...

شر إلى جميع

في أكتوبر مع

طر الأوربيين

مبر وهنا بدأ

طعت الطريق

بداية الصيف

جمعيات قبائل

لات بين التل

عين ملكوف

ر في الجنوب

حاول قائدان

أحية متليلي.

نواحي بجاية

شنيع إلى هزم

مكافحون إلى

65-1864 وشملت

قاطعة وهران

السهول أكبر

يجند العملاء أكثر فأكثر خارج العائلات التقليدية ذات القيادة والتي بقيت معارضة. فهؤلاء العملاء يخدمون فعليا وفي كل مكان النظام الاستعماري. فازدواجية العدو واقع ملموس إذن.

أما المقاومة الشعبية فعليها أن تتطور في ظروف شديدة الصعوبة بعد تقليص الأراضي الفلاحية وحجز نقاط الماء وإدخال اقتصاد السوق (أعلاه) الذي تأثر من جرائه الاقتصاد التقليدي وإرتخت هكذا البنيات الاجتماعية لكن الروابط الدينية قاومت على قدر المستطاع بفضل العمل المميز لجميع الزوايا. لقد وصل هذا النظام إلى تامين صفوفه هنا وتجنيدها هناك ويرجع الفضل إلى الالتزام ودور بعض القادة التاريخيين الذين ألحقوا بالعدو هزائم مؤقتة مثلما تبرز ذلك إنهزامات عين بوبكر والعين البيضاء وثأر طاقين⁽⁷⁾ فلنبرز جدارة وقيمة الخبير الاستراتيجي سي لعلا، ذلك الرجل النادر الشجاعة... الذي وجدناه أمامنا في المعارك التي قمنا بها في الجنوب الجزائري مدة هذه الثلاث عشر سنة الأخيرة. لقد قام بمبادرات في إقليمنا وحتى في التل وقام بعمليات شجاعة كانت تكفي لتكريم أي جنرال أوروبي "كما كتب أحد أعدائه العقيد تروملي"⁽⁸⁾. لم تكن مساهمة أشخاص آخرين دون أهمية... مثلما تبين ذلك قائمة السجناء⁽⁹⁾.

لم يكن هناك أي مجال للشك فيما يخص خلاصة المعارك وذلك في بداية العداء لأن ضباط الإحتلال القدامى وعلى رأسهم أكلي العرب صمموا على المعاملة القاسية و الإبادية وحضروا لأجل ذلك كل الإمكانيات : التخريب المنظم للموارد الحيوية للسكان وتعميم الفساد لجميع الأنواع طيلة الأشهر التي سبقت وباء الكوليرا والجفاف. كل هذه العوامل هي مصدر إنهاء المقاومة منذ ربيع 1865 لكن هذا لا يعني التخلي النهائي على الكفاح فبعد تضييد الجراح البالغة أعيدت الكرة من جديد عبر منطقة التماس : السهوب والصحراء في 1869 و 1870 و 1871... وحتى نهاية القرن⁽¹⁰⁾.

لتوضيح الانعكاسات والعواقب العامة للانتفاضة

II - الانعكاسات المباشرة

لا نجد انعكاسات مباشرة على التخريب المكثف أو الخسائر البشرية الهامة فقط بل يمكننا الإحاطة بالآثار المباشرة عبر المصادرات التعسفية للنخيل والبغال والمكثفين بالموابكة وكذا بالعلاقة مع تكاثر الوفيات لسنتي 1867-68 عبر النواحي الشديدة التأثر من جراء الكوارث.

(I) التخريبات المكثفة للموارد الحيوية

لنتمكن من وضع حصيلة كاملة قدر الإمكان يجب علينا أن نتوصل إلى جرد وافٍ للأرشيف وبالأحرى ووثائق التقارير اليومية ووضوابط، ولو أن الأرقام المذكورة المقدمة من طرفهم تكون في غالب الأحيان تقريبية ولكنها معتبرة على العموم، إن النتائج التي نقدمها متواضعة جدا وحاصلة عن سير قمنا به مؤخرا في أرشيف إكس أن بروفانس وعن إشارات مقدمة من طرف راي غولد زيغر (اللوحة 49).

تلخص اللوحة 49 الشيء الأساسي وتوضح الهدف المنشود من طرف ضباط "المملكة العربية" إن التخريب أفسد كل أنواع الاقتصاد المعيشي : الزراعة والأشجار بما فيها النخيل وكذا المواشي. لقد تكالب جنود العدو على كل الأنواع المستقلة في المتحدرات كالأشجار المثمرة. وأتلفت هكذا البساتين عبر الأراضي الوعرة لوادي مينا وبلاد القبائل الشرقية حيث يخيم أكثر من 20.000 جندي. وتعمت الحرائق وسيبقى ذلك الأمر راسخا في ذاكرة نابليون الثالث عند زيارته لبيجاية سنة 1865⁽¹⁾. كما شاع إستلاب المواشي وكونت أهم غنائم الحرب لتضرب هكذا العديد من المجموعات... ولكن مهما كان الخراب لا بد من الإشارة إلى الفرق الكبير بين الماضي والحاضر وهذا يعني العواقب التي ترتبت على النواحي الجافة ونصف

ذات القيادة والتي كل مكان النظام

شديدة الصعوبة

فان اقتصاد السوق

نغت هكذا البنيات

نطاق بفضل العمل

باعتين صفوفه هنا

القادة التاريخيين

مزامات عين بوبكر

تغيير الاستراتيجي

أمامنا في المعارك

عشر سنة الأخيرة

بنيات شجاعة كانت

العقيد تروملي⁽¹⁾.

ما تبين ذلك قائمة

المعارك وذلك في

أسهم آكلي العرب

لأجل ذلك كل

كان وتعميم الفساد

والجفاف. كل هذه

لكن هذا لا يعني

أعيدت الكرة من

186 و 1870 و 1871

الكارثة الديمغرافية

الجافة، فهنا وهناك لا تحسب العواقب ولا يمكن معالجتها عل العموم وبالأحرى عندما يعود الأمر إلى موارد الماء التي سدت والمصادر المباشرة لمخازن الحبوب وإتلاف حقول الحبوب لأولاد شعيب (جنوب بوغار).

فلنأخذ على سبيل المثال واحدة متليلي التي أدى فيها عدم دفع الغرامة المالية الثقيلة المقدرة بـ 100.000 فرنكا في الحين إلى إتلاف ونهب وقتل العديد من الرجال، وكل هذا تترجم بقلع 1.170 نخلة. هذه هي الكيفية التي عوقب بها الشعانبة الذين يساعدون سي لعلی. إنها حرب الفناء وبادرة حرب إيكولوجية!

فالحصيلة ثقيلة وثقيلة جدا وتبقى عواقبها دون حساب لمختلف المجموعات المعينة، فلنكتف ببعض الأمثلة مثل نهب الأبيض سيدي الشيخ و الحميان. يكتب الجنرال دلني على الأبيض سيدي الشيخ: "عند الرجوع مشيا على جثث قطعان الأحرار: الهواء لا يشم أكثر من 100.000 رأس تغطي الأرض لقد قدم كل من تبقى من تلك القبيلة العظيمة التي كانت تفتخر بخيلها الأربعة آلاف ومواردها الهائلة من الشعير والإبل و900.000 رأس من الغنم أقبلو بالقرب من جيريفيل (البیض حاليا) ليطلبوا الشفاعة" أما فيما يخص الحميان فهو فعلة كتيبة لاكرتال في الأيام الأولى لشهر نوفمبر 1864. وهاهي المشاهد المؤلمة في وطن يقاسي من الشمس والعطش:

"كانت قد وضعت الخيام فوق الإبل لكن القطعان بقيت. حاول فرسان حميان الدفاع عن قطعانهم ولكنهم لم يصمدوا طويلا ففروا متبوعين بالقوم بمساندة الخيالة.

لا تحسب هذه خسائر العدو في هذه المناسبة ولا تخضع لأي حساب، كان عدد الغنم الذي ترك لا يحصى وبلغ أرقاما هائلة ولكننا لم نستفد من هذه الغنائم. لقد تعب الجنود وكانت المؤن تنقصنا.

وكان علينا أن نمشي مدة خمس أيام لإيصال المواشي التي يصعب على الجنود جمعها. كانت القطعان تتدفق في كل الاتجاهات وكان "القوم" المنتشرون يسهلون تلك الكارثة وبنية مبيتة. لقد أنقذنا ما يقارب من 20.000 رأس غنم⁽¹⁴⁾.

هذه هي الحالات الأساسية للمصادر المكثفة والأمر لا علاقة له بالخضوع لأن كل معركة كانت تنتهي بخسائر كبيرة من البشر والمقصود هنا هو كل القدرة البشرية والمادية.

(2) خسائر عالية في صفوف البشر

تخبر البعض من الجيش الفرنسي "الذي يحب العرب" من تكاثر وتعداد المراكز الانتفاضية. فعمم القمع، التمشيط منظم في الجبال التلية لغلطة وعند مجموعات بلاد القبائل الشرقية. ففي الحالة الأولى (غلطة) يوضح الجنرال لا باسيت أنه منذ 23 جوان 1864 بدأت أربع كتائب التمشيط العام لإنهاء الأمر مع القبائل التي بقيت تقاوم حتى 23 جويلية⁽¹⁵⁾. ثم فرض تقديم 4000 رهينة مع أن العديد من المكافحين قد سقطوا في ميدان الشرف.

في المناطق السهبية وفي الجنوب مثلما تلاحظ ذلك جيداً راي غولد زيغار فان الإحساس بالفرح ناتج عن المجازر الفادحة والهروب الخطير والمفروض على القبائل إن الوفيات في مثل هذه الظروف عند الصغار والكبار تكون عالية جداً. لقد استهدفت مجزرة قصر بن حمودة الرجال. أما النساء والأطفال قد وضعوا في حظائر الحيوانات. وؤان العقاب الذي يستحقه هؤلاء السكان المصابين لا يمكن أن يؤخره⁽¹⁶⁾. لقد إختار الخليفة السابق للأمير عبد القادر سي الشريف بن لعرش أن يضحي بنفسه في ناحية الجلفة لينقذ قبيلته من العقاب الجماعي...⁽¹⁷⁾

اللوحة 49- نظرة عامة على الاتلافات ومصادرة المواشي.

الأمكن	المجموعات	التفاصيل
وادي مينا	أولاد صبار، أولاد عيش قبائل عمي موسى، مكناسة وعمامرة	حرائق وإتلاف المحاصيل، ضرائب باهضة وقرى محروقة. تصدير 15000 رأساً من الماشية.
السهول الوسطى	مجموعات دائرة بوغار	إتلاف عام للمحاصيل مؤن المواشي بنسبة عالية. إصدارات عامة للدواب.
	أولاد شعيب أولاد صحاري ابراهيم	تحويل ملكية طابن (واد طويل) إلى لربعاء هجمات عديدة ورسوم ثقيلة دفعت بصعوبة.
بلاد القبائل الشرقية	قيادة بابور زواغة أربعون	سلب المواشي وقرى محروقة إتلاف أشجار مثمر وزيتون.
	ريشية	سلب 5000 بقرة و4000 غنم و9200 معز و300 حصان ثم سلب باقي المواشي.
	بني تيزي وآيت مبارك	إحراق القرى
	بني سليمان ريشية وبني فعال	ضياعات بشرية هامة
الحضنى		300 إبل و30000 غنم و15000 بقرة.
الجنوب الوهراني	حمايان، طرفي وأولاد سيدي الشيخ	إتلاف كل البلاد وغلغ نقاط الماء وغزو الأبيض سيدي الشيخ

الأمكن

الجنوب الوهراني

جنوب الجزائر

3) مصادرة الدواب

ذلك، وبعد نهاية
القبائل المتمردة والم
على تقديم الضرائب
الشامل للخيرات البش

III - العواقب الع

...كونوا أشداء و
فاكرتهم لسنوات عديدة
منهم رهائن حتى إتم
هذه هي الأوامر ال
الثالث الذي تأثر من
التعسفية (عدم تخريب
إذا تواصلت الحمم
الاستعماري والقمع ال
جزءاً كبيراً من هذه

الأساكن	المجموعات	التفاصيل
الجنوب الوهراني	أولاد نهار	إصدار أغلبية المواشي
جنوب الجزائر	الشعانية	مصادرة 350 نعجة و 260 إبل و 58 إبل و 58 حمار و 147 قنطارا شعيرا و إغلاف و 1170 نخلة تهديم بيت سيدي لعلا

(3) مصادرة الدواب والرجال

ذلك. وبعد نهاية العمليات وفي الأشهر التي تلتها أرغمت مختلف القبائل المتمردة والمحايدة و حتى التي بقيت وفية للنظام الاستعماري على تقديم الضرائب الحربية الثقيلة وفي اقصر الآجال بعد التدمير الشامل للخيرات البشرية والمادية ...

III - العواقب العامة

..كونوا أشداء وسلطوا عليهم الضرائب الثقيلة التي سيحفظونها في ذاكرتهم لسنوات عديدة. إن لم يتمكنوا من دفع الضرائب على التو، يأخذ منهم رهائن حتى إتمام الدفع⁽²¹⁾. هذه هي الأوامر التي أصدرها مالك ماشون إلى جنرالاته مع نابليون الثالث الذي تأثر من التجاوزات القمعية وطالب بإلغاء بعض الأعمال التعسفية (عدم تخريب القرى و قلع الأشجار على الخصوص). إذا تواصلت الحملات على حساب دواب الأهالي فإن تكاليف الجيش الاستعماري والقمع المسلط لابد أن تغطى بالضرائب الحربية الثقيلة. إن جزءا كبيرا من هذه الضرائب يؤخذ مباشرة من طرف الضباط بصفة

إغلاف المحاصيل هضبة وقرى تصدير 15000 مباشرة.
للمحاصيل مؤن نسبة عالية. عامّة للدواب.
لكية طابن (واد لربعاء عديدة ورسوم ت بصعوبة.
شي وقرى إغلاف أشجار مؤن.
5 بقرة و 4000 9 معز و 300 م سلب باقي
قرى
طرية هامة
3000 غنم قرى
البلاد وطلق وغزو الأبيض بيح

قانونية أو غير قانونية مثلما تظهر ذلك التسربات والتناقضات في الأرقام⁽²²⁾ وخلاصة ذلك أن القبائل أرغمت على دفع هذه الضرائب في الوقت الذي تحتاج فيه إلى تضييد الجراح". نلاحظ هنا نوعين من الضرائب : الغرامات الثقيلة التي تجبر التجمعات على وضع السلاح والنقطة النهائية وهي الضريبة الحربية .

(1) الغرامات

تكون الغرامات مباشرة أو غير مباشرة وهي تسلط بدون استثناء على القبائل المتمردة منها والمحايدة وحتى الوفية والأمثلة لا تنقص. ونلاحظ هكذا أن قبائل الضهرة التي أرسلت فقط بعض المكافحين لمساندة فليته أرغمت على استقبال كتيبة جاءت لتجمع الضرائب لمدة فاقت الثلاثة أسابيع... لم يتحدد بقاؤها وسط الضهرة لهذه المهمة فقط. لقد مشط جبل الناظور (تيارت) حيث كان يلجأ بعض الرجال من أولاد إبراهيم. وفي ربيع 1865 توجه أكثر من 20.000 جندي إلى بلاد القبائل الشرقية حيث تفننوا في التخريب والإتلاف... وكان كذلك بالنسبة لجبل العمور الذي رضخ مرتين لهجومات الجنرال يوسف ولو أن أولاد نايل لم يكن جلهم متصلبا وخانوا عدة مرات المقاومة .

في الأخير وكما توضح ذلك راي غولد زيغر⁽²³⁾ لم تسلم من تلك الضرائب سوى القبائل المتمركزة في المناطق المحتلة و المؤطرة بقوة بالتكنات الكثيفة

(2) ضرائب حرب باهظة

يستدعي دفع ضرائب الحرب الباهظة في أقصر الآجال ملاحظات لاسيما فيما يخص المبلغ الكامل ولكن كذلك التقسيم الجهوي والمحلي. "لابد من التأكيد على الفترة المعينة لدفع هذه المبالغ .

لقد طبقت هذه الضرائب قياسيا على ضرائب 1863 وهي السنة التي سجلت أرقام قياسية في المحاصيل (اللوحة 45) مع أن القبائل التي

شاركت في المقاومة، مع جارتها قد تأثرت كثيرا من جراء المعارك، كما أن محاصيل سنة 1866 كانت أقل من المتوسط... ومهما يكن الأمر فإن المبلغ الإجمالي يصل إلى أكثر من ستة ملايين فرنكا (6214866,45) (24) مع الثلث على كاهل مقاطعة الوسط (1.840.908,85) والنصف لمقاطعة وهران (3.155.706,33 ف) وعلينا ملاحظة ثقل هذه الضرائب على مقاطعة الغرب إذا علمنا أن ثلاثة أرباع (4:3) من المبالغ (2.362.968,95 ف) قد دفعت في الواقع وسط سنة 1866 .

هناك ملاحظتان : لم تدفع الضرائب إلا بعدما بيعت آخر الموارد الحيوية للسكان، هذه هي الظاهرة التي تشرح "سهولة المبيعات" التي أبرزناها جليا سنة 1865 وسنة 1866 (اللوحات 45-47). إنه مصدر التزايد الملحوظ لصادرات الحبوب والماشية وموارد التربة، ووَإِنْ جزءا كبيرا من دافعي الضرائب هم على حافة الكارثة قبل ظهور الجفاف وتأثيراته الم يطلبوا بالإحاح الإعفاء من الضرائب⁽²⁵⁾، فأخرون مثل مجموعات الدائرة الإدارية لمستغانم (دائرة الرمورة وعمي موسى) تخلصوا من الضرائب الثقيلة ولكن لا يمكننا شرح ذلك بالنظر للمخالفات في الحسابات والغش⁽²⁶⁾، نفس الأحداث تهم أيضا جنوب مقاطعة الجزائر وبالخصوص القبائل المتواجدة على الضفة اليمنى من نهر الطويل حول طاقين، وهنا يتعلق الأمر بأكبر قساوة حلت بأولاد سيدي عيسى السواقي وأولادي سيدي عيسى العرق. فالغرامة المفروضة على هذه القبيلة (أولاد سيدي العرق) تصل إلى 38422.68 فرنكا مع أن ثروات هذه القبيلة لا تتجاوز 35.000 فرنكا⁽²⁷⁾، والفارق أكبر بكثير فيما يخص قبيلة أولاد سيدي عيسى السواقي.

لقد لا حظنا في هذه الفترة بالذات مقتل تاجر كبير قرب عين وسارة...⁽²⁸⁾ جاء من دون شك مع سماسة آخرين ليشتري المواشي

والتناقضات في هذه الضرائب في ظل هنا نوعين من على وضع السلاح

بدون استثناء على أمثلة لا تنقص، بعض المكافحين مع الضرائب لمدة لهذه المهمة فقط الرجال من أولاد إلى بلاد القبائل تلك بالنسبة لجيل أن أولاد نايل لم

م تسلم من تلك والمؤطرة بقوة

آجال ملاحظات لجهوي والمحلي.

وهي السنة التي أن القبائل التي

خلاصة كل هذا هو أن الأمر يتعلق بضرائب حرب باهظة، وبالأحرى حين يطلب من الأهالي دفع هذه الضرائب في الحين بعد التخريب المكثف والمعمم. إن تقرير 13 أكتوبر يشير إلى أن جل الضرائب قد دفعت، ووصل المبلغ المدفوع إلى 5.214.700 وهو ما يعادل 83% من الضرائب المفروضة وعلى هذا يبدأ إذا كافة الفلاحين السنة الفلاحية الجيدة (1866-67) في أسوء الظروف. لقد خلت المخازن وتقلصت القطعان بعد محاصيل دون المتوسط ومبيعات مكثفة ومفروضة " تعرف السلطات الرسمية بهذا الأمر وتشير إلى ضياع أكثر من نصف القطعان منذ سنة 1865⁽²⁶⁾.

وتعترف أيضا هذه السلطات. بنقص الأراضي المزروعة وتوضح بأن القبائل أرغمت على إعطاء وسائل النقل لعساكر الاحتلال، هذا ما يؤكد شهادة وادي الحمام وهي تشرح لنا المأساة التي عاشتها بعض النواحي التي وقعت فيها الوفيات العديدة سنتي 1867-68 وهي على الخصوص دائرة معسكر والمجمع الجبلي المتواجد في وادي مينا ووادي رهيو وجنوب بوغار وو لقد وصلنا إلى إعادة تسلسل الظواهر التي ساهمت في كوارث 1867-68 عبر كل هذه النواحي»

أما التعويضات التي قدمها نابليون الثالث فإنها لا تتعلق إلا بالشركات الأوروبية والمعمرين وبعض الأهالي حسب ما جاءت به رأي غولد زيغار⁽²⁷⁾ ويساوي هذا المبلغ الإجمالي 2.168.266 فرنكا. أما المليون فرنك الذي تبرع به الإمبراطور عند زيارته للجزائر سنة 1865 فإنه مخصص لبعض الأعيان والأشراف والباشغوات والقياد والجنود. ولا تخص الاستثناءات إلا بعض الأعيان الذين وصلوا إلى حالة البؤس كما وجهت تعويضات شاذة إلى بعض القبائل كمساهمة في مصاريف نقل العناد العسكري بين 1864-

اتار انتفاضة 65 - 1864

يجب أيضا ملاحظة عاقبة وخيمة أخرى وهي حجز الأراضي التي يملكها بعض الخواص والمجموعات المتمردة.

(3) مصادر الأراضي

لقد وجدنا آثار هذه الإجراءات طويلة بحوثنا السابقة⁽¹⁾. يخص الأمر جل قبائل وادي رهيو، ربما يتعلق الأمر بإلغاء قرارات الحجز بعد زيارة نابليون الثالث إلى غليزان لكن بعض المساحات كانت قد استعملت لأغراض أخرى مثل الأراضي القريبة من الزمورة (1864) مع أن بعض القبائل صودرت أراضيها سنة 1859 بعد تكون محيط عمي موسى (1859). يجب أيضا الإشارة إلى أن نهاية العداوة تمت بتقديم 4000 رهينة والإقامة الجبرية للعديد من السكان وكل هذا يعني أن قرارات الإمبراطور لا يمكنها أن تغير الأشياء في الحين...

عرفت أراضي أخرى نفس المصير في مناطق مختلفة : حجز أراضي بسبب الحرب ، يتعلق الأمر في غالب الأحيان بإجراءات قديمة ترتبط بالهجرة المفروضة لبعض القبائل كالحميان على سبيل المثال أما الإجراءات الجديدة أي مراسيم 1866-67⁽²⁾ فهي تتعلق بأراض مبعثرة حول سيدي بلعباس ومعسكر وخاصة أولاد سيدي الشيخ .

إذن فعواقب انتفاضة 1864-65 لا تحصى. في كل مكان وعبر كل النواحي المتمردة نشهد التفكيك المذكور للاقتصاد والمجتمع التقليدي، الأمثلة (دائرة معسكر والمجمع الجبلي لغليزان، عمي موسى وجنوب مقاطعة الجزائر وبعض الواحات) : الآثار المباشرة وغير المباشرة التي أتت بكوارث 1867-68 ، مما لا ريب فيه أن سابقة الأعمال الإنسانية كانت لها تأثيرات على الكوارث الطبيعية ، بدأت المأساة تتراعى منذ بداية السنة الفلاحية 1865-66 وذلك بعد التخريب المكثف والإتلاف لأموال القبائل المتمردة قبل كل شيء. نلاحظ خلال هذه السنة بالذات أول اجتياح للكوليرا وأول الضحايا⁽³⁾. كانت بداية السنة الفلاحية الجديدة (خريف

بأهظة، وبالأحرى
د التخريب المكثف
ضرائب قد دفعت
783 من الضرائب
الفلاحية الجيدة
صت القطعان بعد
تعرف السلطات
القطعان منذ سنة

روعة وتوضح بأن
دل . هذا ما يؤكد
عض النواحي التي
الخصوص دائرة
دي رهيو وجنوب
ساهمت في كوارث

تعلق إلا بالشركات
راي غولد زيغار⁽⁴⁾
ليون فرنك الذي
مخصص لبعض
الاستثناءات إلا
تعويزات شاذة
سكري بين 1864-

الكارثة الديمغرافية

(1866) تمر بصعوبة كبيرة بعد المحاصيل الرديئة والجفاف المبكر والطويل منذ بداية مارس-أفريل 1867 وقد وضع هذا الأمر المجموعات في أخطار محدقة. ساهم سوء التغذية المزمّن طيلة الصيف في إنتشار الكوليرا : عواقب شهري أغسطس وسبتمبر كانت ثقيلة جدا كما رأينا في القسم الأول .

هل كان الأمر نفسه فيما يخص المناطق التي لم تتأثر بتوسيع معارك 1864-65؟ كيف نشرح في هذه الحالة كثرة الوفيات لسنتي 1867-68؟ الم تكن سابقة الأعمال الإنسانية قد أزمّت الكوارث الطبيعية؟

هذه هي المشاكل التي سندرسها وسنحلل التدهور السريع للاقتصاد التقليدي وغياب الإدارة أمام الخطر المحدق للحالة العامة سنة 1867 .

1. نذكر الأهم - لا كرت
2. "أجرون" (17) ك 1 ص
3. راي غولد زيغار (33)
4. تقرير "ماك مهون" في
5. إذا لم نذكر عملياً في
صحيحة مثلما يظهر ذلك
نواحي الظهر .
6. تقرير "ماك ماهون"
7. بالقرب من المكان
- 16 ماي 1843 ابتعد فيلق
الخسائر. ففي هذه العمية
مباشرة مثلما تذكر ذلك
رويبة. لقد مات ابن
اختطف وهو في سن الثانية
قد احتضن من طرف القري
8.
9. يخص الأمر تلك التي
تحت رقابة خاصة. ف. 80-9
10. "راي غولد زيغار" (33)

الملاحظات

1. نذكر الأهم - لاكرتال (25) و "بيري" و "بري" (61) x لقد استطاع "الوهون" (20) أن يجمع شهادات عديدة سنذكر أهمها في الفقرة التالية . شاهد أيضا وعلى الخصوص تقرير "ويمبفن" (36).
2. أجرون (17) ك 1 ص 313.
3. "راي غولد زيغار" (33) ص 275-313.
4. تقرير "ماك مهون" في 13 أكتوبر 1868 ف.س. و 1780.
5. إذا لم نذكر عمليات في هذه النواحي فإن المشاركة الفعالة للقبائل صحيحة مثلما يظهر ذلك في إيقاف الأعيان في تلك النواحي وحتى نواحي الظهرة .
6. تقرير "ماك ماهون" المذكور أعلاه.
7. بالقرب من المكان الذي خدعت فيه زمالة الأمير عبد القادر في 16 ماي 1843 ابتعد فيلق من الأعداء من المعركة وتراجع بعد بعض الخسائر. ففي هذه العمليات كان رمز المشاركة هو الذي توصلوا إليه مباشرة مثلما تذكر ذلك "راي غولد زيغار". لقد قتل الملازم أحمد بن روية. لقد مات ابن مساعد قريب للأمير عبد القادر و الذي كان قد اختطف وهو في سن الثانية عشر سنة 1843 بعد الإستلاء على الزمالة وكان قد احتضن من طرف القوات الاستعمارية .
- 8.
9. يخص الأمر تلك القائمة من المساجين في فرنسا والذين كانوا تحت رقابة خاصة ف. 80-1819.
10. "راي غولد زيغار" (33).

حفاف المبكر
المجموعات
في إنتشار
كما رأينا في

توسيع معارك
1867-68؟ الم

ربيع للاقتصاد
سنة 1867.

الكارثة الديمغرافية

11. "راي غولد زيغار" (33) ص 305.
12. أرشيف قصر "فانسان" ح. 217. تاريخ الفيلق الأول للفرسان .
13. تقرير "دليني" حول غزو الأبيض سيدي الشيخ . 26 جوان 1864 ح. 133.
14. أرشيف قصر "فانسان" ح 215. هذا نوكد عليه.
15. أرشيف "أكس آن بروفانس" .
16. "راي غولد زيغار" .
17. الجريدة الرسمية 1922. ص 2343.
18. أرشيف "فانسان" ح. 218. مراسلة من الحاكم العام إلى وزارة الحربية (في 2 جوان 1869).
19. أرشيف "أكس آن بروفانس" ف 80 . 1680. تقرير في 3 ماي 1867.
20. شهادة أتى بها الكونت "لوهون" (20 ص 265). × نلاحظ أيضا الشهادة التالية التي قدمها أوروبي، "من ذا الذي لا يعرف تاريخ تصدير الدواب لحمل الأمتعة اللازمة لجنودنا الذين يوجدون في أقصى الجنوب، المصادرات التي كانت تقع مقابل الدراهم؟" ص 269 × لقد صادر في بداية الحرب الاستعمارية الجنرال ح... بغلين من حمدان بن عثمان خوجه من أجل حملة المدينة. لقد تساءل صاحبهما عن أسباب موتهما : التعب أم الجوع ؟ .. (63) ص 235. ماذا نقول عن أحداث 1864-66؟
21. أرشيف "فانسان" ح. 185. 27 مارس 1865.
22. "راي غولد زيغار" (33) ص 306-307.
23. "راي غولد زيغار" (33) ص 300. × "لقد تضررت القبائل التي تشارك في الانتفاضة أقل ولكنها تأثرت أيضا من أحداث تحركات الجنوب" كما أشارت إلى ذلك أرشيف قصر "فانسان" (ح 230).
24. ف 80. 1680. تقرير 1866.
25. ف 80. 1680. تقرير 1866.
26. ف 80. 1680. تقرير 1866.
27. "تروملي" (46)
28. ف 80. 1680. حالة مارس 1865.

29. "راي غولد زيغار" (33) ص 307. فلاحظ الفقرة التالية ص 1 "x" إنني لا أرى ضررا في تخفيض 50.000 فرنكا من 100.000 لمساعدة عائلات المواكبين الأهالي المتوفين خلال مشي جيوشناص. تكون هكذا المساعدات أقل أما تخفيضات 100.000 من 200.000 للاعتناء بالأهالي المساجين فلا أهمية لهذا الأمر. لما قيل هذا الأمر للأشخاص الأوروبيين أو الآخرين أن نصف ضرائب الحرب ستخصص لهذه المساعدات... وان ننقص هذا العدد اللازم من القرض اللازم، إنها غلظة و أطلب من سيادتكم التراجع عليها... إن هذا الإجراء سيكون مؤسفا" (رسالة من "ماك ماهون" إلى وزير الحرب ف. 80. 1679 في 30 مارس 1865).
30. المؤسسات الفرنسية في الجزائر. 1865-66. ص 2.
31. الدكتور الجيلالي صاري الرجل والانجراف في الونشريس.
32. الجريدة الرسمية ص 81 و 245 و 468 و 534 و 590. الجريدة الرسمية 1867.
33. الكوليرا في مختلف القبائل حسب التقرير الشهري للمكتب السياسي، ذكرته "راي غولد زيغار" (33) ص 404.

الفصل الخامس

الفوضى السريعة للاقتصاد التقليدي

أ. العوامل المؤثرة في اقتصادنا

يؤثر على اقتصادنا عدة عوامل منها: الموارد الطبيعية، التكنولوجيا، القوى العاملة، رأس المال، والبيئة الخارجية.

إن فقر قبائلنا مرتبط مباشرة بالتقرب من مؤسساتنا وأسواقنا
وطرقنا⁽¹⁾.

هذه شهادة من الشهادات العديدة التي جمعتها لجنة لي هون والصادرة
مباشرة عن الأوساط الأوروبية نفسها⁽²⁾ غداة الكارثة وتعتبر جليا هذه
الملاحظة عن التقلبات الناتجة عن الاحتكاك الخشن بين الفلاحين
ومجتمع المستعمرين. وهي ظاهرة خلقت بسرعة ظواهر أخرى أكثر
خطورة مثلما تظهر ذلك الضرائب المصحوبة في آن واحد بتعميم الريا.
هكذا وتبعاً لقرار سنة 1845 المتعلق بدفع الضرائب نقدا اجبر
الفلاحون على بيع جزء كبير من المحصول في الأوقات الحرجة والنجوى
إلى القروض المفلسة... أما على الصعيد الاجتماعي فإن قرار 1858 الذي
يرمي إلى تحرير الخماسين كانت له عواقب وخيمة على هؤلاء الخماسين
حين بدأت المساحات الزراعية تتقلص بصفة ملحوظة منذ بداية عقد
1860.

وعلى هذا الأساس يجب تعميق الدراسة لهذه المشاكل على النحو التالي :

- العوامل الهامة التي أخلت بالنظام

- النتائج العامة

1 - العوامل الهامة التي أفسدت النظام

يجب أن يؤخذ في الاعتبار ثلاثة عوامل على الأقل هي الإدماج بقوة
في اقتصاد السوق وتشييد نظام الضرائب وتعميم الريا.

1) الدخول بغتة في اقتصاد السوق

لاحظ الملاحظون والمعاصرون دور هذه الظاهرة في تفكيك الاقتصاد التقليدي وأكدت على ذلك الشهادات التي قدمت للجنة المذكورة والأمر كذلك بالنسبة لقرارات ضباط المكاتب العربية . إن اقتصاد السوق يصاحب الاحتلال وهكذا يزداد صرف الموارد الوطنية و الفلاحية مع التقدم التدريجي للاحتلال الواقعي للوطن وتزايد الاستيطان الأجنبي مع فتح الطرقات كما تضاف إلى هذا الأمر عوامل أخرى مثلما يظهر ذلك التقرير التالي .

«لقد وقعت هذه الصادرات في وقت حساس وزادتها قوة إجراءات "جيش المشرق" وبالأسعار العالية التي تقدمها التجارة الأوروبية وبنداءات الإدارة الفرنسية»⁽³⁾ كان إدماج الجزائر داخل الإمبراطورية الفرنسية وحتى في الدوائر الخارجة عن القارة سريعاً وحقيقياً . والتجارة القارية السريعة . وكل هذا يتوضح في بداية الإمبراطورية الفرنسية الثانية ويؤكد شيئاً فشيئاً كما رأيناه سابقاً بل يشرح ذلك جيداً تطوّر الصادرات : فقد تضاعف مبلغ الصادرات من 1852 إلى 1860 حتى وصل إلى 49م. ف ثم زاد ووصل إلى 108م. ف سنة 1864 ورغم انهيار الإنتاج وضياع الماشية بقيت نسبة الصادرات عالية جداً على العموم (الصورة 48).

كانت العواقب وخيمة جداً على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي وبدأ هكذا التفاعل التسلسلي مع التزايد الكثيف للصادرات . إن صرف الموارد الحيوية للفلاحين يظهر في فراغ مخازن الحبوب والاحتياط لضمان المعيشة في سنوات الجفاف " لقد إختفت المطامر في مقاطعة مدينة الجزائر في تلك الفترة الحاسمة ما بين 1860-65⁽⁴⁾ . وساعدت الأسعار العالية للحبوب في حث الفلاحين على بيع محاصيلهم واحتياطهم . إضافة إلى ذلك فإن رؤوس الأموال المحصل عليها لم تستثمر وبقيت في غالب الأحيان دون استعمال⁽⁵⁾ . كانت المضاربات تفقر الأهالي حيث أن

المبيعات تنعم وقت الحصاد
التجار لأن الفلاحين مجبورين
ولا يمكنهم تأجيل موعد
غير المناسب عندما تكون
"كان الفلاحون في
فيملؤون هكذا المخازن
الموارد لتغطية الحاجة
متوفرة لكنهم باعوها

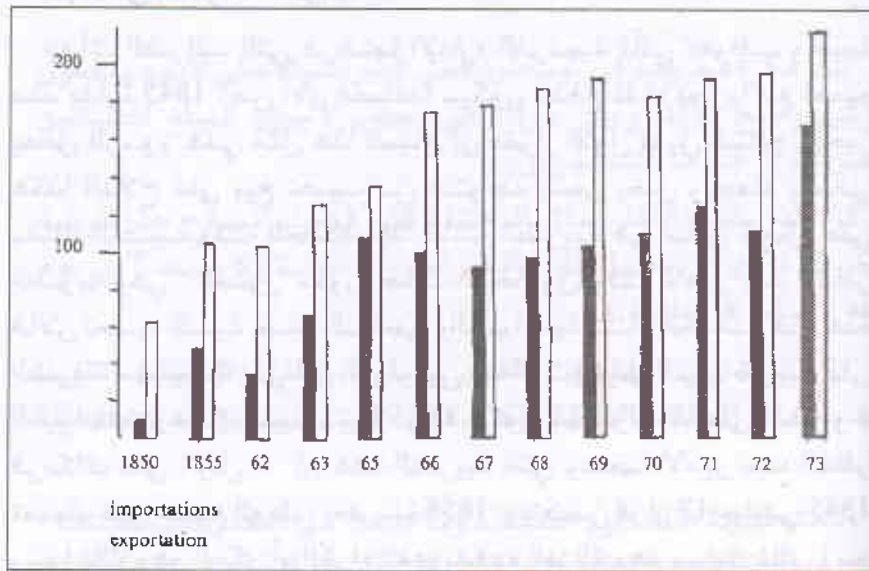


الصورة

الفوضى السريعة للاقتصاد التقليدي

المبيعات تتعمم وقت الحصاد وبعده بقليل .. وهذا هو الوقت الذي ينتهزه التجار لأن الفلاحين مجبورون على دفع الضرائب في هذا الوقت بالذات ولا يمكنهم تأجيل موعد الدفع بينما يتحتم عليهم شراء البذور في الوقت غير المناسب عندما تكون الأسعار مرتفعة جدا ..

كان الفلاحون في الوقت الفارط يتمكنون من بيع محاصيلهم فيملؤون هكذا المخازن والمطامر في السنوات الجيدة وتبقى هكذا هذه الموارد لتغطية الحاجة في السنوات السيئة أما اليوم فان المحاصيل متوفرة لكنهم باعوها بأكملها وصرفوا المال في أيام الحاجة⁽⁶⁾.



الصورة 49 - تطور التجارة الخارجية

في تفكيك
قدمت للجنة
العربية . إن
إرد الوطنية و
وطن وتزايد
هذا الأمر عوامل

قوة إجراءات
روبية وبنديات
أوربية الفرنسية
التجارة القارية
فرنسية الثانية
تور الصادرات
صل إلى 49م. ف
وضياع الماشية

الاقتصادي وبدأ
ن صرف الموارد
لاحتياط لضمان
مقاطعة مدينة
ساعدت الأسعار
هم واحتياطهم.
تتشر وبقيت في
الأهالي حيث أن

الكارثة الديمغرافية

وتؤكد شهادات أخرى هذه الملاحظات : "خلال هذه السنوات بدأت الحبوب تستخرج من المطامر الموصدة منذ زمن طويل" كما أوضح ذلك تقرير عسكري. بدأت المخازن تفرغ وتفرغ بسرعة مع انه في السنوات الفارطة التي سبقت هذه المبيعات المكتفة لسنوات 1852-55 كانت الحبوب تبقى مخزنة إلى حد عشر سنوات...⁽⁷⁾، لقد كان دخول الاقتصاد المالي قاتلا وبدأ ينتج عنه شيئا فشيئا تفكك الاقتصاد التقليدي وذلك بوجود عوامل أخرى تعمل في نفس الاتجاه وعلى الخصوص شروط وكيفية دفع الضرائب.

(2) الثقل المفرط للضرائب

بدأت الضرائب التي فرضتها الإدارة الفرنسية تأتي بعواقب وخيمة منذ بداية 1845 ، من الآن فصاعدا سيكون الدفع نقدا توازيا مع تعميم بعض الرسوم. ففي مثل هذا السياق إن القرار الأول ثقيل النتائج ، يجبر هكذا الفلاح على بيع نصيب من منتوجه بسعر بخس ويجعله يضحي بذلك النصيب وقت الحصاد. إذا كانت الضريبة في سابق الحال على الحبوب وهي " العشور" تكون حسب المحصول وقت الأمير عبد القادر فالآن تحسب النسبة حسب النواحي والسنوات باستثناء "الخماسة" فان هذه الضريبة مفروضة على كل المزارعين أما الزكاة فإنها تمثل ضريبة على الحيوانات توحدت نسبتها سنة 1863 لتكون بـ3 فرنكات على البقر و 4 فرنكات على الإبل ... إن هذه الضريبة التي وضعها الأمير عبد القادر تعممت على جميع الوطن بعد سنة 1858. ويتضمن قرار 17 جانفي 1845 رسما ثالثا وهو الحكر أو الكراء الذي يدفعه العزالة وهو يساوي ثلثي رسم بايلك الشرق ومثل الضريبة السابقة عممت الرسوم على كل الأراضي العرشية للوطن من طرف الإدارة الفرنسية. فصار هذا الرسم هكنا هو الضريبة العقارية الثانية مع العشور في مقاطعة قسنطينة. عندما تصير هذه "العزيلة" ملكا بعد الهبة أو البيع من طرف الدولة فان الحكر يبقى دائما مفروضا. وأخيرا وضع القرار الوزاري الصادر في 30 جويلية 1855 الستيمات الإضافية.

يجب أيضا التساؤل عن -
الإحاطة علما بثقل وتجاوزات
العربية والقياد والأغوات
المواشي وتقييم المحاصيل
الموظفون مهتمون مباشرة
كأجرة لعملهم ويتمتعون بـ
التجاوزات وكل أعمال العنق
ضد دافع الضرائب تقع غيب
الملا.

-إنها فكرة معروفة في أو
مرتين وأربع مرات وعشر
العمومية⁽⁸⁾ هذا ما كتبه أجب
كل هذا يشرح الاقتراح
ولكن لم نر أي شيء طيلة
ذلك لأسباب اقتصادية :
- إن المفتشين المدنيين
بمهام ضباط المكاتب العربية
والبلاد -

وكانت نتيجة ذلك تأزم
حيث أن الضرائب مفروضة
بأسعار بخسة وتفتح الأبواب
وتشرح مع أسباب أخرى تق
الفترة الحاسمة

(3) تعميم الربا

إن الربا وهو لا يتجزأ عن
النظام الذي فرضه الاحت

يجب أيضا التساؤل عن " ظروف الدفع و المبالغ المدفوعة حقيقة للإحاطة علما بثقل وتجاوزات هذه الضرائب " إن أعوان ضباط المكاتب العربية والقياد والأغوات هم الذين يتابعون مختلف عمليات إحصاء المواشي وتقييم المحاصيل حتى الدفع النهائي لمختلف الضرائب ، وهؤلاء الموظفون مهتمون مباشرة لأنهم يأخذون نسبة من المنتوج الإجمالي كأجرة لعملمهم ويتمتعون بكل الصلاحيات ... فإننا نتخيل بسهولة كل التجاوزات وكل أعمال العنف التي تقع . إن الإهانات والعقوبات الجسدية ضد دافع الضرائب تقع غالبا يوم السوق الأسبوعي على الخصوص وأمام الملأ .

"إنها فكرة معروفة في أوساط دافعي الضرائب الأهالي لأنهم يدفعون مرتين وأربع مرات وعشر مرات في بعض الأحيان المبلغ للصناديق العمومية"⁽⁸⁾ هذا ما كتبه أجرون .

كل هذا يشرح الاقتراحات المختلفة التي قدمت لإصلاح هذا الوضع ولكن لم نر أي شيء طيلة فترة الإمبراطورية الثانية ولا بعدها⁽⁹⁾ ويرجع ذلك لأسباب اقتصادية :

" إن المفتشين المدنيين يكلفون مصاريف بالغة ولا يمكنهم القيام بمهام ضباط المكاتب العربية ولكن بدون شهرتهم وبدون معرفتهم للغة والبلاد "

وكانت نتيجة ذلك تأزم الضرائب وما يتبعها من اضطرابات مختلفة ، حيث أن الضرائب مفروضة نقدا وتفرض على الفلاحين بيع محاصيلهم بأسعار بخسة وتفتح الأبواب على عدة أشكال من الإقطاع والتجاوزات وتشرح مع أسباب أخرى تطور الربا وأخطاره على الخصوص في تلك الفترة الحاسمة

(3) تعميم الربا ،

إن الربا وهو لا يتجزأ عن الاقتصاد المالي هو أعمق داء وأخطره لكل النظام الذي فرضه الاحتلال . إنه سبب إفلاس العائلات والمجموعات

سنوات بدأت
ما أوضح ذلك
في السنوات
18-55 كانت
بول الاقتصاد
تقليدي وذلك
بشروط

بواقب وخيمة
أزيا مع تعميم
النتائج . يجبر
يجعله يضحى
الحال على
ير عبد القادر
ماسة" فان هذه
لضريبة على
على البقر و 4
ير عبد القادر
1 جانفي 1845
باوي ثلثي رسم
كل الأراضي
لرسم هكذا هو
عندما تصير
أن الحكر يبقى
3 جويلية 1855

الكارثة الديمغرافية

بأكملها. انه من البديهي ذكر كل الشهادات في هذا الصدد ولكن يجب الإشارة إلى قول الجنرال مارتانبري إنه "من المؤسف جدا وأكثر من الواقع بأن تطور الربا في الجزائر هو نتيجة الاحتلال الفرنسي"⁽¹¹⁾.

يجب علينا أن نشير إلى النسب المستعملة ونشرح بعض الإجراءات والكيفيات الغريبة ونضع الربا وتأثيره على الحياة اليومية للفلاحين لتكون لنا فكرة عن التخريب الذي تسببه هذه الظاهرة. إن النسب السنوية المستعملة غير مذكورة ولكنها باهظة ولا يعرف عنها مستعملوها أي فكرة، على العموم هكذا: ففي ما يتعلق بالمبالغ الصغيرة يكتفى بتحديد المبلغ المقترض والمبلغ الذي يجب إرجاعه عشر قطع نقدية مقابل خمسة أو ستة أو سبعة أو ثمانية دورو مقترضة. إن الكيفية الأكثر استعمالا هي "الدورو بخوه" وهو ما يعادل 100% وفي بعض الأحيان تدفع عشر قطع نقدية مقابل قطعة شهريا وهو ما يعادل 120% سنويا وفي الأوقات العسرة تكون القيمة... أعلى كما تشهد على ذلك مراسلة راهب تليلات بتاريخ 29 مارس 1869 (نص الملحقة رقم 5) والمتعلقة بفترة الكوارث. تقدم المبالغ مقابل فائدة بـ 200% نقدا أو 300% إذا كان الأمر يتعلق بالمحاصيل... ويذكر من جهته لاكرتال أمران يتعلقان بمقاطعة وهران وهي المقاطعة التي اكتسبت العادات الأوروبية وحيث الاحتكاك بين المجموعتين يزيد أكثر فأكثر في انتشار الربا".

"إن قرضا أوليا بـ 6000 فرنك قد ارجع 25 مرة ويعود على المقترض دينا بـ 57285 فرنكا"

" يظهر هذا الأمر غير معقول ولكنه مثال من بين الأمثلة التي تشهد والذي نشهد عليه بصفة أخلاقية ومادية "

ويضف فيما يخص الدائرة الإدارية لسيدي بلعباس :

" إن عدد سكان الدائرة الإدارية لسيدي بلعباس يبلغ 30.000 نسمة. ونعرف لهم 600.000 فرنكا من الديون بهذه الكيفية : كم مبلغ الديون التي نجهلها؟ " ⁽¹²⁾

الفوضى السريعة للاقتصاد التقليدي

نذكر نفس الحالات في النواحي الأخرى ولكنها لم تصل إلى نسب مقاطعة الغرب، لنسجل في دائرتي المدينة وبوفاريك حالة ديون 28 قبيلة والتي تصل رؤوس الأموال المقترضة لها بـ 534.590 فرنك والتي تمثل ديننا معلنا بـ 815.106 فرنك ولكن هذا المبلغ قد يكون أقل من الواقع⁽¹³⁾.

ويشرح غورجو الأنواع المختلفة من هذا الداء الخطير ألا وهو الربا (النص الملحق رقم 10) ويختم بما يلي :

لا تمثل نسبة الربا لوحدها الداء الخطير في الموطن العربي ولكن الأخطر من ذلك هي مناورات الغش المستعملة من طرف المقرضين للاستحواذ على أموال الغير⁽¹⁴⁾.

ظهر الربا للوجود و صارت له قاعدة شرعية في الجزائر منذ صدور قرار 2 نوفمبر 1849. لا يمكن هكذا متابعة المقرضين شرعا ولا يمكن إزعاجهم. ففي مثل هذه الظروف يمكننا أن نفكر في إعزاز الفلاحين الصغار والمتوسطين وعلى الخصوص بعد المبيعات المكثفة الأولى في السنوات الأولى للإمبراطورية الفرنسية الثانية. لقد وصلت المجموعات إلى حالة خطيرة يرثى لها عند النفاذ السريع للمخزونات والمبيعات المفروضة بأسعار بخسة لدفع الضرائب والديون بالإضافة إلى المحاصيل الرديئة لتلك السنوات صارت هكذا الديون نقدا أو بالمحصول أمرا مفروضا وتعممت في كل النواحي وصارت نسب الربا لا تطاق وتقترب أو تزيد في غالب الأحيان عن 100٪ فتزعزت عائلات بأكملها، و تهاطلت هكذا المصادر والرسوم على سكان مدينة محظوظة نوعا ما مثل تلمسان، ستين رسما على الأهالي مقابل لاشيء على الأوربيين وهذه الأوضاع أفلست الأهالي وكانت سببا في كثرة الوفيات في هذه السنة⁽¹⁵⁾.

كتب من جهته الملاحظ المتنبه لا كرتال فيما يخص الاقتصاد الرأسمالي⁽¹⁶⁾ :

الصدد ولكن يجب
سف جدا وأكثر من
الفرنسي⁽¹¹⁾.

ح بعض الإجراءات
اليومية للفلاحين
إن النسب السنوية
عنها مستعملوها أي

مغيرة يكتفى بتحديد
قطع نقدية مقابل
كيفية الأكثر استعمالا

الأحيان تدفع عشر
/ سنويا وفي الأوقات
مراسلة راهب تليبات

تعلقة بفترة الكوارث
إذا كان الأمر يتعلق
بمقاطعة وهران

وحيث الاحتكاك بين
ويعود على المقرض

بين الأمثلة التي تشبهه

س :

س يبلغ 30.000 نسمة
يفية : كم مبلغ الديون

الكارثة الديمغرافية

" هناك داء آخر نكره التكلم عنه ولكن يجب علينا ذكره لأنه هو الأبعد والأشد من بينهم ويكون لوحده حتى في السنوات الخصبة الداء الذي يهدم أي نتيجة لإدارة حكيمة "

" هذا الداء الذميم هو الربا "

ويضيف بإحراج :

" يجب أن يموت الربا أو يموت العرب . إختاروا "

إنها نفس النتيجة التي إستخلصها لاباسيت منذ 1861 في نفس الناحية :

" ينقص هؤلاء المساكين الحذر والتجربة في المعاملات حتى يربطهم المدينون ويستحوذوا على أملاكهم أو جلها بعد سنتين أو ثلاث سنوات ، تذكروا الشيء ، سيكون الأمر كذلك دون أن أكون عرافا " (66)

يشرح كل هذا التفجير السريع المحسوس منذ نهاية الجزء الأول من الإمبراطورية الثانية ، وفي هذا الصدد فإن رسالة نابليون الثالث 1863 واضحة . إنها نتيجة لهذا التطور ولو أنها لم تتبع بنتائج ملموسة . يبقى الربا دون قيود . فالنظام الجبائي لم يتبعه أي إصلاح بل لم يأت أي إصلاح في هذا المجال كما أن حرية التجارة لم تتراجع وبقيت على قيد الوجود كل أسباب تفكيك النظام وتضاعفت وتعممت خطورة الوضع العام وزادته آثار انتفاضة 1864-65... وأكمل الباقي جفاف سنتي 1866 و 1867 وصاحبتهما قوافل الأوبئة .

II - النتائج العامة

أصاب هذا الخلل بالنظام مباشرة البنيات الاجتماعية و تسارع التهديم مع بعض الإجراءات التي اتخذتها الإدارة لاسيما بالنسبة لقاعدة المجتمع أو لِقِمَّتِهِ .

في الحالة الأولى يرجع الأمر إلى قرار 4 ديسمبر 1858 والمتعلق بحرية تنقل الخماسة. إن هذا القرار ومع أنه يسهل تحرك الخماسة إلا أنه مضر لمجموع الفلاحين دون أراضٍ في هذا الوضع الخاص بسنوات الستينات والخاص بتحديد المساحات المزروعة من جهة ومن جهة أخرى إلى التفجير المتسارع للسكان. إن آثار هذا القرار ثقيلة جدا أما الهدف الرئيسي المرغوب فيه فهو أمر آخر وهو تزايد وجود اليد العاملة لفائدة الاحتلال " هذا ما يشرح مثل العشور " لفائدة الأهالي الموجودين عند الأوربيين بأية صفة كانت. إذا لم يفارق إلا العدد القليل من الخماسة الأملاك فإن الحركة صارت هامة في سنوات 1863-1865⁽¹⁷⁾. إنهم أحرار الآن ولم يتمكنوا من أخذ بعض التسيقات بعد المحاصيل السيئة لستي 1866 و1867 على الخصوص. عكس الماضي فإن معيشتهم غير مضمونة ومهددة بعد أن وصلت أسعار الحبوب إلى مستويات عالية جدا.

تقلص هكذا التضامن التقليدي وانحلت الروابط الوثيقة الموجودة بين الملاك و الخماسة.

" قضى الربا ماديا على الناجين من المجاعة " ⁽¹⁸⁾. فكانت النتيجة المباشرة لذلك التنقل الكبير للجوعى سنة 1867 وعلى الخصوص سنة 1868. ويتم تغذية ذلك التنقل من عامة الخماسة الذين تم تحريرهم والفلاحين الصغار. وتواجد هؤلاء السكان الهائمين على مستوى المدن الرئيسية كما ذكرناه سالفًا ينتج لاسيما من تسارع التفجير للسنوات التي سبقت وكذا قرار 04 ديسمبر 1858. لقد دفع الخماسة الثمن الغالي للكوارث وكانوا هم الضحايا. من ناحية أخرى يجب الإلحاح على الآثار التي أدت إلى التغيرات في هرم البنية الاجتماعية. لقد انهارت العائلات التقليدية الرائدة. وصارت الإطارات التي تمثل حقيقة القيم النبيلة للمجتمع الجزائري وبطبيعة الحال التي تكون الرباط الوثيق الذي تفكك بسبب طول المقاومة المسلحة على وجه الخصوص. بل أكثر من ذلك فإن ضباط المكاتب العربية كانوا يفتشون على أعوان لينين مختارين من

هو الأبعض
بما الذي

18 في نفس

حتى يربطهم
ثلاث سنوات.

جزء الأول من

الثالث 1863

لموسة. يبقى

أت أي إصلاح

قيد الوجود

عام وزادته

1867 و 186

سارع التهديم

أعددة المجتمع

الكارثة الديمغرافية

العائلات الدنيا والخارجين عن المجموعات فكانت نتيجة كل ذلك تدهور الروابط التقليدية المتبوعة بكثرة التجاوزات.

كان القياد والأغوات والباشاوات يقصدون القبائل ويرغمونهم على سد مصاريف الخسائر الباهظة التي يقيمونها على شرف الضباط وحتى على الجنود ويفرضون عليهم تقديم كل شيء من حبوب وأغنام ... وحتى الدواب لأن هؤلاء الموظفين حكام وأطراف ... يجمعون كل السلطات. ولهذا فإن التجاوزات متعددة ورائجة والشكاوى القليلة التي وصلتنا مثيرة مثلما يشير إلى ذلك المثال التالي: " المشاق المشتريات والضيافات المأمورة والنقود ودائما النقود! لقد باع الفلاح المسكين كل شيء بسعر بخس حبوبه ومواشيه وذهب زوجاته وحتى بندقيته لإشباع الطلبات غير المحدودة للسيد والقائد والأغا والقاضي والعاذل والباشا عادل وحتى الشاوش نفسه الذي يتم التسامح معه في اقتطاع نصيبه⁽¹⁹⁾

لقد وقعت في ناحية معسكر أحداث خطيرة جدا ولكن جلية للأعين ويتعلق الأمر هنا بمصادرة المباني "لقد اشتكى هكذا ممثلو قبيلة سي سعيد من تجاوزات الأغا الذي نهب أملاكهم وطلبوا الاندماج داخل الإقليم المدني للسهب من تجاوزاته إن بطش هذا السيد غير محدود. كان الأهالي يخشونه كثيرا ولم يقدرُوا على المثول أمام لجنة البحث لسنة 1868 (بوهرا) لتقديم شكوى مما اضطر بعضهم إلى كراء منازلهم أو أراضيهم إلى مصالح الأملاك العمومية لتفادي شغب هذا الأغا⁽²⁰⁾ وكان الأهالي يتلقون مشاكل عويصة يوميا " فتعميم الاستبداد في كل مكان يشرح الظهور المفاجئ للثروات الفادحة لبعض المستبدين مثل خليفة حجوط وآباء باشاغا فرندة على سبيل المثال مثلما صرحت بذلك بعض التقارير الإدارية⁽²¹⁾.

لكن هذا الوضع تآزم فجأة نتيجة انتفاضة 1864-65 فبقي السكن المعوزون دون أي رعاية. لم يكن هناك مساعدات وامتيازات مثلما كان

الأمر في السابق. ونفذت الموارد المخصصة للصدقات بعدما ارتفعت الضرائب والرسوم. وكثرت الاعتقالات والنفي إلى جزيرة كورسيكا وكانت تمن على الخصوص الأثرياء في غالب الأحيان كالتجار ورجال الدين وإطارات الزوايا كما تظهر ذلك قوائم السجناء. وبهذا نعرف مصير سكان النواحي المتمردة والتي قمعت بشدة ولكن الرعب يخيم أيضا على الناس في النواحي الأخرى حيث توجد هناك بعض الاستثناءات ولكنها تبقى محدودة. إن المثل الذي يجري على الألسنة يعود إلى باشا أغا "مجانة" المقراني، فبعد كل الجود الذي أظهره طيلة الأشهر المأساوية هاهو الآن لا يتردد في قرض مبلغ بقيمة 1.013.760 فرنك وبفائدة 10% ليفيئ الأهالي⁽²²⁾ لكنه لم يرجع الديون التي كانت عليه رغم تهديد السلطات. وهذه إحدى الأسباب التي جعلته ينضم إلى متمردي 1871 وهنا يمكننا ذكر أمثلة أخرى كممثل قائد بني إيدر لقسنطينة الذي حاول بكل الوسائل مساعدة الجوعى دون مساعدة من طرف الرسميين⁽²³⁾.

باستثناء عملاء الإدارة فإن أوجه التضامن موجودة لكنها قلت بسبب التفقير المعمم. رغم صمتها وحملاتها اللاذعة ضد الأعيان، لقد أكدت الصحافة دور أحد الأثرياء من سكان قصر البخاري. كان هذا الشخص يقسم 250 خبزه مجانا ويأوي المشرفين على الموت في السكنات التي كان يملكها⁽²⁴⁾ وقد كان من المفروض أن تساعد الصدقات وأماكن العبادة العديد من الأشخاص⁽²⁵⁾...

لقد كان الاقتصاد النقدي والإجراءات الإدارية فتاكة وكونت بسرعة إختلالات خطيرة وأفقرت المجموعات وفككت الروابط التقليدية للتضامن القبلي⁽²⁶⁾ والتماسك الاجتماعي. ففي هذا السياق العام تجسدت واحدة تلو الأخرى عواقب وانعكاسات انتفاضة 1864-65 والكوارث الطبيعية كما أن الكارثة الديمغرافية لا تقبل الفصل في الأخير عن التطور ورد الفعل المتسلسل بصفة مترامنة مع انتفاضة 1864 والكوارث الطبيعية "

نتيجة كل ذلك تدحرج

س ويرغمونهم على...
ف الضباط وحتى على
جوب وأغنام... وحتى
يجمعون كل السلطات
لينة التي وصلتنا مثيرة
المشترات والضيافات
مسكين كل شيء بسفر
ت لإشباع الطلبات غير
ل والباشا عادل وحتى
تصيبه⁽¹⁹⁾

جدا ولكن جليلة للأعين
هكذا ممثلو قبيلة سي
طلبوا الاندماج داخل
هذا السيد غير محدود
ل أمام لجنة البحث لسنة
هم إلى كراء منازلهم أو
شعب هذا الأغا⁽²⁰⁾ وكان
الاستبداد في كل مكان
ل المستبدين مثل خليفة
لما صرحت بذلك بعض

1864-65 فبقي السكان
بات وامتيازات مثلما كان

الخلاصة

إن دراسة الأسباب المختلفة تسمح لنا بتوضيح دور كل العوامل المدروسة ونفي كل الادعاءات التي طرحت في الفترة الماضية .

فمن غير الممكن أن نرجع مدى وتعميم كوارث سنتي 1867-68 إلى المصائب الطبيعية لوحدها عبر التراب الوطني بأكمله . لان الجفاف النسبي والمحلي لسنة 1865-66 ثم المطلق والمعمم لسنة 1866-67 وكذا إحتياجات الجراد سنة 1866 لم تكن هي الأسباب المباشرة لضخامة الوفيات عند الأهالي . إن هذه الظواهر الملاحظة دوريا في الزمان والمكان قد ضخمت الوضع المتأزم . إن تأزم الخطر ينجم عن آثار إدماج الاقتصاد النقدي أما الكوارث الطبيعية فإنها تعطينا نظرة عامة على إبادة بعض النواحي المعينة مثل شاطئ تنس ووادي الشلف والسهول السطايفية محليا والجنوب الشرقي لمقاطعة قسنطينة (تبسة) وبعض الواحات ومن بينها واحات الزيبان وفي كل مكان وجدت فيه الأوبئة الأرضية الخصب للانتشار السريع . أما في الأماكن الأخرى فان الكوارث الطبيعية كانت تسبق ترافق المبيعات المكثفة للموارد الحيوية للسكان مثلما يبرز ذلك التزايد الواضح لمبيعات الحبوب والمواشي ومواد التربية قبل وبعد الفترة المعينة للكوارث .

إن هذه الصادرات المكثفة والمباشرة وعلى حساب حق البقاء للمجموعات هي النتيجة المباشرة لانتفاضة 1864-65 أكثر من أي وقت مضى فان هذه الانتفاضة تجسدت بالتخريب المنظم للمحاصيل مدة العمليات التي شردت السكان شبه الرحالة نحو الصحراء وفي كل مكان كما أثقلت الأهالي بالضرائب وهكذا جردت المجموعات من آخر مواردها ولم تتمكن من مواجهة آثار الجفاف في بداية ربيع 1867... نظرا للخلل المتواجد في البنية الاجتماعية الاقتصادية التي تفاقمت لعدم أو قلة الإمدادات والمساعدات وصار الأهالي يتخبطون لوحدهم في الأزمة ولم

الفوضى السريعة للاقتصاد التقليدي

يتمكنوا من مواجهة السنة الفلاحية الجديدة ولو أن تساقط الأمطار كان وافرا طيلة الأشهر الحاسمة لربيع 1868 وهي الفترة التي سجلت الأرقام القياسية في الكوارث.

" نتيجة لكل هذا فان العوامل البشرية المباشرة هي الحاسمة في التأثير إن الإبادة لجزء كبير من الشعب الجزائري مرتبط لاسيما بتفاعل الظواهر التي وقعت ما بين 1864 إلى 1867 ولكن في قسط كبير يرجع الأمر إلى التطور السابق ومهما يكن الأمر يجب في الأخير دراسة وتحليل ما بعد الانعكاسات.

كل العوامل
ناضية .

1867-68 إلى

لان الجفاف

1866-67 وكذا

باشرة لضخامة

يا في الزمان

عن أنار إدماج

طرة عامة على

شلف والسهول

(تيسة) وبعض

ت فيه الأوبئة

فان الكوارث

لحيوية للسكان

ومواد التريبة

حق البقاء

من أي وقت

لمحاصيل مدة

وفي كل مكان

آخر مواردها

نظرا للخلل

لعدم أو قلة

في الأزمة ولم

الملاحظات

1. 'لوهون' (20) ص 269-70. كتب من جهته 'لاباسي' ، إنكم تعرفون الفقر من داخل قبائلنا ، وهي بالطبع الأكثر فقرا لتواجدها بالقرب من مراكزنا السكانية (80) ك. 1. ص 444.
2. من أجل إنشاء هذه اللجنة ، موضوعها ونتائجها شاهد 'زاي غولد زيفار' (33) ص 654-659.
3. أرشيف 'فانسان' ح. 230.
4. 'أجرون' (17) ك. 1. ص 369. شاهد أيضا الوثيقة الملحقة رقم 9. القسم الثاني
5. بدأ تخزين الدراهم بداية 1852 وتتابع أكثر فأكثر بعد الأسعار العالية للقمح . إن رؤوس الأموال الموجودة تقيم إلى مئات الملايين من الفرنكات حوالي سنة 1860 حسب 'فارنبي'. لكن هذه الأموال ذات قيمة ميتة ولا توجد دائما: 'فارنبي' 'الجزائر أمام الرأي العام' - مدينة الجزائر 1864. ص 151.
6. 'أوجان فروماتنان' ، ذكره 'أجرون' (17) ك. 1. ص 369. في الفترة التي سبقت الاستعمار فإن التفاصيل التي أتى بها شاهد الأعيان 'حمدان خوجة' (63) لها دلالاتها . يتعلق الأمر بالمحافظة على الحبوب في المخازن لمدة طويلة ، بعيدا عن الهواء والرطوبة وكذا أهمية الكميات وخرزنها في أماكن سرية تحسبا لأي حرب ...
7. 'أجرون' (17) ك. 1. ص 369. إن التقرير العسكري المذكور سابقا (ح 230) يؤكد على هذه الملاحظة وهو يذكر الأمثلة التالية ص ، لتكون لنا فكرة عن أهمية المخزون الموجود في تلك الفترة يمكننا ذكر سنة 1855 حيث أن عاصفة هوجاء غمرت فجأة جزءا من المخازن التي كان يكسيها سيد مبارك ، خليفة حجوط ، لم

الكارثة الديمغرافية

يعطي أي اهتمامات للخسائر التي وقعت للحبوب إلا بعد بضعة أشهر واعترف بخسارة بلغت 40.000 فرنكا بعد الملاحظات التي وجهت له أجاب الخليفة أنه يكسب كميات أخرى أكثر مما يحتاج في المليونية فإن والد باش آغا فرندة بقي دون حرث الأرض لأن الألف مخزن ملآنة بالحبوب وذلك يرجع إلى عدم الثقة في الشك في المكتوب إننا أراد أن يزيد على ذلك المخزون.

8. أجرون (17) ك. 1. ص 252.

9. أجرون ك. 1. ص 252 شاهد أيضا ص 253-256.

10. ذكره أجرون (17) ص 25 شاهد أيضا "راي غولد زيغار" (33) ص 506-507.

الشهادات التي قدمها لوهون كثيرة أيضا :

"إن الضرائب التي يجب عليهم دفعها ثقيلة جدا وكثيرة... وهي مرتفعة بأكثر مما كانت عليه تحت حكم الأتراك كما أشار إلى ذلك ممثلو السكان الأهالي لتلمسان (20) ص 239.

نلاحظ أيضا شهادة الضابط "فيلي" (75) ص :

يجب أن نعيش وسط القبائل و الحضور إلى هذه الجمعيات للجماعة عندما تجب الضرائب وعندما يأتي كل واحد بدراهمه لنكون على اطلاع بمدى التضحيات الثقيلة التي نواجهها.

11. أرشيف "أكس آن بروفانس" ف. 80. 1762.

12. لاكرتال (25) ص 39.

13. "فوجو" (79) ص 135.

14. "لوهون" (20) ص 235.

15. لاكرتال (25) ص 39.

16. "لمونتور" في 6 فبراير 1863.

17. "أجرون" (17) ك. 1. ص 373 حسب الشركات الفرنسية في الجزائر إن أول

عمال في الفلاحة في الضياع الاستعمارية يرجع إلى 1846 في 1860 كان عددهم الرسمي يقارب 10.000.

18. "راي غولد زيغار" (33) ص 434.

19. "لوهون" (20) ص 269.

20. "لوهون" (20) ص 276.

21. أرشيف "فانسان" ج. 230.

22. شاهد التفاصيل عند "راي غولد زيغار" (33) ص 503 و 504.

الفوضى السريعة للاقتصاد التقليدي

23. لقد عملت. أنا قائد بني إدير لقسنطينة، منذ ثمان سنوات بوفاء. في فترة الضرائب كنت أدفع من رزقي الخاص لمساعدة الأهالي المحتاجين الذين كنت أسيرهم عند المجاعة وضعت كل ما أملكه في متناولهم وتخلت عن مسؤولية القائد ما لم أسترجع التسيقات التي قدمتها. أرشيف "أكس آن بروفانس" ف80-1861، نداء الحاج بن عز الدين في 20 أغسطس 1869.

24. أخبار، 20 فبراير، ص2.

25. مثلما رأينا فإن الضرائب ضيقت الزكاة وهي الركن الثالث في الإسلام. أضف إلى ذلك أنه منذ بداية الاحتلال كانت الأملاك "حبوس" .. والتي تعتبر مصدر التمويل للمؤسسات الدينية والصدقات التي قد صودرت وأعطيت إلى إدارة أملاك الدولة. أن هذه الأموال الكثيرة كانت تلعب دورا اجتماعيا هاما وعلى الخصوص عند المحن والكوارث. شاهد الوثيقة رقم 13 "لحمدان خوجة".

26. للحصول على التفاصيل شاهد خلاصة "راي غولك زيغار" ص: كيف تموت القبائل (33) ص693.

في ظل هذه الظروف وما كان لها من آثار جسيمة، انبهت دراسة هذه
الفترة دراسة من دراسة الديمغرافيا الطبيعية والبيئية، بعد 1945
وكانت من أهمها دراسة الديمغرافيا الجغرافية في الفترة 1871-1868
التي كانت دراسة ديمغرافية عامة في تلك الفترة، وذلك في إطار
الديمقراطية الجغرافية.

إن الضياع المفاجئ لما يقارب مليون نسمة في فترة قصيرة جدا له
عواقب وخيمة وعديدة على عدة مستويات لكن في إطار هذه الدراسة
سنركز على العواقب الديمغرافية على الخصوص .

سننطلق إلى التحولات في التقسيم الجغرافي للسكان والتطور الفوري
للتزايد الديمغرافي وترابطه استذكاريًا مع السكان.

مثلما تشير إلى ذلك خارطة الوفيات (الصورة 23) تغير التقسيم
الجغرافي للسكان بصفة ملحوظة. وأخلبت الكثير من النواحي من
سكانها وتأثرت بعد ذلك بالانتشار الاستيطاني الاستعماري، وكان الأمر
نفسه بالنسبة للمدن التي سجلت ضياعا ملحوظا ولم تتحصل على إحصاء
لتعداد سكانها بداية الاحتلال إلا في آخر القرن التاسع عشر وحتى بعد
ذلك في بعض الأحيان .

أما النتائج المباشرة والفورية للتحركات الديمغرافية الطبيعية فإنها
ذات أهمية. إذا كانت الوفيات قد سجلت تناقضا ابتداء من ربيع 1868 فإن
التأرجحات الشهرية منها و السنوية بقيت كما هي حتى سبتمبر 1871-
وهي الفترة التي فتحت فيها التحريات، التي سمحت لنا بملاحظة حد
أقصى في كل مكان سنة 1871 والذي لم يكن له ارتباط مع تأثيرات
الانتفاضة في تلك السنة بالذات.

أما الولادات التي لا يمكن حصرها بالضبط نظرا لفرغات الحالة
المدنية فإنها سجلت من دون شك انخفاضا لسنوات عديدة، هكذا فإن
التزايد الديمغرافي يتجه نحو الصفر وقد يكون سلبيا...

لقد لاحظنا هذا التناقص قبل بداية الكوارث. ألم يرجع ذلك إلى سنة 1830 بعد الحصيلة الثقيلة للمقاومة المسلحة ؟ ففي هذه الحالة فإن حصيلة 1867-68 والتطور الديمغرافي السابق يعيد النظر مرة أخرى في التقييمات الرسمية التي كانت تقدم عادة في تعداد السكان في بداية الاحتلال ؟

للإحاطة بهذه المشاكل المختلفة سندرس ماييلي :

- التغيرات الدائمة للتقسيم الجغرافي للسكان .

- التأثيرات حول التحركات الديمغرافية .

- النظر إلى الماضي الديمغرافي .

انص

التغيرات الدائمة

إن الكوارث تؤثر بصفة مباشرة ومستديمة على التقسيم الجغرافي للسكان وتخل بالتوازنات الجهوية وتكون سببا في إخلاء بعض النواحي وتنقص تعداد السكان للكثير من المدن .

1) تزايد الخلل في التوازنات الجهوية

إذا كانت الخارطة السكانية قد حافظت على خطوطها العريضة فإن الخلل في التوازنات الجهوية تأكدت بعد 1868 مع تزايد آثار التوسع الاستيطاني الاستعماري الذي يسير في نفس الاتجاه.

للإحاطة بهذه الظواهر ذات الأهمية والتي يواجهها لا محالة المنظم المعاصر نشير إلى نقص المعطيات الإحصائية وعلى الخصوص تلك التي تسمح لنا بتوضيح الكثافة السكانية قبل وبعد الكارثة الديمغرافية عبر أهم النواحي الطبيعية الممثلة⁽¹⁾. أهم حالة على العموم هي تزايد التناقص بين الجبل والسهل والأمر نفسه بين الغرب والشرق والإخلاء المستديم لبعض المناطق. إن الظاهرة الأولى (تناقص بين الجبل والسهل) قديمة جدا ولا تنجم عن عوامل خارجية يعني وظيفة اللجوء إلى الجبال. لقد حاولنا دحض هذه الأطروحة التي تم التوسع فيها في العهد الماضي لأن تعمير جبالنا يستجيب لضوابط طبيعية قبل كل شيء، وهو نتيجة لاستغلال الأراضي الإضافية من المنحدرات بفضل تحضير المسطحات المشجرة وهي نوع من الاستغلال النوعي للمحيط.

مهما يكن فإن إبادة السهول على العموم مستديمة⁽²⁾ لذا بقيت السهول خالية وناقصة من السكان لمدة طويلة بعد الجرح العميق الديمغرافي.

الكارثة الديمغرافية

كما أن إخلاء المناطق الزراعية يعود إلى سنة 1868 وتؤكد بعد ذلك بالاستيطان الاستعماري طيلة القرن التاسع عشر. وكانت تأثيرات الكوارث مصحوبة بتشريد الفلاحين الذين سلبت منهم أراضيهم ولم يبدأ النزول من الجبال إلا في بداية العقود الأولى للقرن العشرين أي بعد التزايد الملحوظ لسكان الجبال والخلل في النظام الاقتصادي الحيوي.

من ناحية أخرى يجب الإشارة إلى حالة الجبال القبائلية و الشمال القسنطيني. مثلما ذكرناه (القسم الأول) فإن كل الوحدات العضوية للسهول قد تم تجنبها نسبيا وظهرت هكذا منذ تلك الفترة أهلة نسبيا بالنظر للسهول المجاورة التي أخليت فجأة. لقد تزايد الفارق في هذه الحالة بين الجبال والسهول بصفة واضحة. وكان الأمر كذلك بالنسبة للفارق بين الجزائر الغربية والجزائر الشرقية.

إن مقاطعة وهران هي التي أبيدت أكثر وسجلت أعلى نسب الضياعات. لقد بقيت الدائرة الإدارية لمعسكر ناقصة السكان لمدة طويلة والأمر نفسه بالنسبة لمستغانم. إن هذا التناقص غير ناجم عن الاستصلاح غير العادل للأراضي من طرف الاحتلال⁽³⁾ نظرا لكثافة الأوربيين بالنسبة لمقاطعة وهران ...

لقد زادت كوارث 1867-68 الخلل في التوازنات الجهوية وهي تشرح هذا التناقص المزدوج وتؤثر لوقت طويل على سكان المدن.

(2) تناقص سكان المدن :

إن تقلص المدن شديد التأثير والملاحظة. تأزم النزيف الديمغرافي لسنتي 1867-68 بالتأثيرات المباشرة وغير المباشرة للاحتلال الاستعماري لقد أصيبت مختلف المراكز بتخريب مادي جسيم طيلة السنوات الفارطة كما حطمت مدينة سعيدة عن آخرها وأحرق جزء كبير من مدن المدينة و مليانة ومعسكر⁽⁴⁾. أما في مدينة الجزائر على الخصوص إنتشر التخريب ليشمل الأحياء، وكان متبوعا بهجرة (أكثر من الثلث في تلمسان

التغيرات الدائمة للتقسيم الجغرافي

والجزائر و قسنطينة) وكان سببا في اختلال النظام الاقتصادي الحضري وانتشار الأوبئة وعلى الخصوص الكوليرا وفي هذا الصدد لابد من ذكر مثل معسكر التي فقدت عقب وباء 1834. 1457 ضحية على الأقل من تعداد 10.000 نسمة¹⁵

وهكذا أثرت الكوارث بصفة دائمة على المراكز السكانية وتضررت القواعد الاقتصادية بسبب تعميم إقتصاد السوق بعد الخلل في النظام الذي كان يربط العلاقات التقليدية ما بين المدن والوادي وكل هذا يظهر في الركود الديمغرافي الطويل وبهذا نتحصل العديد من المدن على تعداد سكانها الموجود قبل 1830. فالجزائر بعد 1906 وتلمسان بعد 1891 ومعسكر في 1901 وقسنطينة حتى 1911... أما مركز مليانة فانه بقي منقوص السكان حتى نهاية العهد الاستعماري¹⁶ مثلما سناه (أسفله) فإن التطور يقع بين المسلمين واليهود، إن الوفاة عند اليهود لا تتغير كثيرا عن العادة بينما كانت عالية جدا طيلة وباء الكوليرا لسنة 1834 وبالخصوص في مدينة الجزائر¹⁷ إن مقاومة هذه المجموعة مرتبطة مباشرة مع تقلبات إقتصاد السوق إن اليهود هم المستفيدون الأوائل من الربا مثلما تظهر ذلك الشهادات العديدة وبالخصوص طيلة الجزء الثاني من الإمبراطورية الفرنسية الثانية...

هكذا فان كوارث 1867-68 قوت لمدة طويلة فوارق الجبل-السهل والجزائر الغربية والجزائر الشرقية وأثرت أيضا على المدن وزعزعت بنايتها مباشرة، إن البقاء على قيد الحياة لبعض الأصناف من الحضري يبقى مرهونا في العديد من المراكز مثل معسكر والمدينة على الخصوص، لذا لابد من تقييم هذا التقهقر الديمغرافي المعمم بدراسة تطور التحركات الديمغرافية.

18 وتأكد بعد ذلك
تت تأثيرات الكوارث
يهم ولم يبدأ النزول
سرين أي بعد التزايد
ي الحيوي.

القبائلية و الشمال
الوحدات العضوية
لك الفترة أهلة نسبا
زايد الفارق في هذه
الأمر كذلك بالنسبة

أعلى نسب الضياعات
لمدة طويلة والأمر
م عن الاستصلاح غير
فة الأوربيين بالنسبة

الجهوية وهي تشرح
كان المدن.

زم النزيف الديمغرافي
للاحتلال الاستعماري
طيلة السنوات الفارطة
كبير من مدن المدينة
على الخصوص إنتشر
من التلث في تلمسان

الملاحظات

- 1- إن المعطيات المتحصل عليها قليلة جدا. شاهد "ياكونو" (33) و"نوشي" (29) و"الجيلالي صاري" نص: التوازن الاقتصادي التقليدي عند سكان الونشريس الأوسط و"راي الغرب الإسلامي و البحر الأبيض المتوسط: أكس آن بروفانس" رقم 9 نصف السنة الأولى لسنة 1871 ص 83. ص: "ديبو" الزراعة على السطوح في شمال إفريقيا حوليات باريس 1956. ص 42-50. "الجيلالي صاري": "المدن ما قبل استعمار الجزائر الغربية الجزائر 1970. ص 38.
2. حسب "لوبياسي" إن أولاد قصير (الأصنام) قد ضيعوا نصف تعدادهم من 1851 إلى 1861 فقط 80 ك. 1. ص 456.
3. لقد أشار إلى هذه الظاهرة مؤلفو الفترة الاستعمارية. شاهد على الخصوص "ديبون" ص: "جغرافية شمال إفريقيا باريس 1964. النشرة الرابعة
4. إن الحرق والتهديم المفروض الذي تبع الاحتلال قد أفسد أنابيب صرف المياه في الكثير من النقاط. الشركات الفرنسية في الجزائر 1840 لتفاصيل أكثر شاهد "لاكوست" و "نوشي" و "برونانت" (23) ص 315. الفصل: "تقهقر الاقتصاد الحضري"
5. "راينو" (39) و"سولبي" (40).
6. "لاكوست" و"نوشي" و"برونانت" (23) ص 315-319.
7. "راينو" (39) و"سولبي" (40).

إن الكوارث تؤثر بقوة وبصفة مستديمة على الديمغرافية مثلما تعبر على ذلك التخوفات والقلق عند الكثير من الملاحظين طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي الواقع وخارج الإحصائيات الموضوعة فالمعطيات والإشارات توضح أن البقاء على قيد الحياة للعديد من الناجين يظل مرهونا حتى بعد السداسي الأول لسنة 1868. هكذا فإن كل منحنيات الوفيات المدروسة تظهر تأرجحات واضحة مع حد أقصى عال جدا سجل سنة 1871 .

حتى في ظروف صحّية وغذائية مرضية كملجأ اليتامى للقبة على سبيل المثال قد تواصل موت اليتامى طيلة عشرية كاملة فكيف يكون الحال في النواحي الأخرى حيث تكون هذه الظروف رديئة مدّة طويلة. أضف إلى ذلك أنه في مثل هذه الظروف لا يمكن للولادات إن تتحسن على العموم كما أنه ينتج على ذلك تفهقر عام طيلة هذه الفترة وعبر القسم الأكبر من التراب الوطني.

وبالتالي ينبغي دراسة هذه الأحداث للإحاطة بالتطور وإعادة النظر مرة أخرى في الإحصائيات الرسمية.

(1) دوام كثرة الوفيات

إن سجلات الحالة المدنية ورغم الفراغات التي تتميز بها إلا أنها تشير جيدا إلى كثرة الوفيات بعد تسجيل الحد الأقصى الاستثنائي لسنتي 1867-68 وللفترة القصيرة المدروسة لوحدها (حتى 1871-72) حيث نلاحظ تزايدا طفيفا في بداية 1870 مع تسجيل حدود قصوى شهرية

اللوحة 50 - تزايد الوفيات من 1866 إلى 1871.

الأماكن	1866	1870	1871	التزايد 66-71
المدية	157	153	224	42%
البلدية	162	182	265	63%
مليانة	96	123	178	85%
بجاية	55	70	102	85%
قسنطينة	952	1125	1412	48%
وهران	157	160	280	75%
تلمسان	517	594	951	84%

المصدر: الحالة المدنية

ففي هذه الحالة الأخيرة تغيرت النسب من 42% في المدية إلى 85% في مليانة و بجاية وهذا حتى لو افترضنا تحسنا في التسجيلات فإن هذه القيم تترجم من دون شك التطور الصعب مثلما سنراه عبر معطيات أخرى. هكذا فإن مصدرا رسميا⁽⁹⁾ يسجل بدون أي تعليق التيفوس والجذري من 1869 إلى 1872. ففي مثل هذه الظروف تبقى التسجيلات تقريبية من دون شك وبعيدة كل البعد عن الحقيقة فالوفيات كثيرة جدا إذن طيلة هذه السنوات.

إنها تقترب من 50% في مكان وتزيد⁽⁹⁾ على ذلك في النواحي المعوزة وفي الجزء الكبير الذي يغطي كثرة الوفيات لسنوات 1867-68...

فتوضيح هذا التطور لا يتسنى إلا بالرجوع إلى وفيات يتامى ملجأ القبة وهذا بفضل فحص أرشيف هذه البلدية، الذي أطلعنا بصفة منتظمة على سجلات الوفيات للسنوات العديدة، وإنطلاقا من هنا نلاحظ جليا آثار وفيات يتامى من كل شرائح السن. ويرجع عقد الوفاة الأخير لسنة 1881. في الواقع فإن هذه العقود تشد الانتباه طيلة العقد الذي يتبع سنة 1868 مع تكرار متزايد حتى سنة 1874 مع أن ظروف الإقامة متغيرة عن

الانعكاسات على التحركات الديمغرافية

الخارج ويبقى إذا النزيف الديمغرافي يؤثر بالخصوص على الأطفال والناجين من كارثة 1867-68 . وعلى سبيل المثال في القبة حاولنا أن نحيط بالوفاة المتأخرة " ولكن ظلت تنقصنا المعطيات حول التعداد والسن وتعذر علينا أن نحسب أي نسبة ، ومهما يكن فإن آثار الكوارث تبقى مستديمة وصعبة الشرح في المكان وطيلة السنوات التالية...

(2) ولادات قليلة

يصعب علينا الإحاطة بالولادات طيلة نفس الفترة مثل تسجيلات الوفيات فإن تسجيلات الولادات تبقى ناقصة لكن الأرقام المختلفة تشير إلى تناقص بعد كوارث 1867-68 وبالنسبة لسنة 1866 (اللوحة 51) هكذا فإن نسب التناقص طيلة الفترة الخماسية 1866-1871 تتغير من 18٪ بقسنطينة إلى 40٪ بتلمسان و 44٪ بوهران ، ويسجل الحد الأقصى في الوسط الأكثر تضررا من الوفيات أي بتنس حيث يصل إلى 63٪ لكنه في الحقيقة قد يكون أعلى من ذلك نظرا للإبادة التي لحقت بالشاطئ . الأمر كذلك فيما يخص معسكر فالنسبة كانت 30٪ وهي لا تعني شيئا .

ومهما يكن فإن هذه الإحصائيات ورغم نقصها إلا أنها مفيدة وتعبّر نوعا ما عن الآثار المباشرة لكل تطور سابق ... " ومع انه يصعب توضيح هذا الأمر إلا أن الولادات قد تكون أقل طيلة القرن التاسع عشر و على مستوى كل الوطن وكذا في نواحي أخرى عديدة، وسيبقى هذا الحد الأدنى مدة

طويلة . وترجع الأسباب الرئيسية لهذا الوضع إلى قلة الغذاء ، وتدهور الحالة الفيزيولوجية العامة بعد كوارث 1867-68 وعلى الخصوص الانهيار المحسوس سنتي 1870 و 1871 حيث تذكر المصادر الرسمية ظهور وباء التيفوس والجذري طيلة تلك السنتين المتتاليتين⁽¹⁰⁾ .

التزايد 66-71	
42%	
63%	
85%	
85%	
48%	
75%	
84%	

المدينة إلى 85٪ في التسجيلات فإن هذه سنراه عبر معطيات أي تعليق التيفوس وف تبقى التسجيلات فالوفيات كثيرة جدا

في النواحي المعوزة 1867-68...

وفيات يتامى ملجأ طلعنا بصفة منتظمة من هنا نلاحظ جلينا بد الوفاة الأخير لسنة العقد الذي يتبع سنة الإقامة متغيرة عن

اللوحة 51 - انهيار الولادات.

الاماكن	1866	1870	1871	التزايد 66-71
القليعة	11	53	99	%40
تنس	293	158	108	%63
مستغانم	233	189	178	%23
معسكر	312	252	216	%30
وهران	119	77	64	%44
تلمسان	559	397	376	%40
قسنطينة	673	542	551	%18

المصدر: الحالة المدنية.

تسجل الولادات انهيارا نظرا لهذه الظواهر فنسبة التناقص المتوسط علينا أن نأخذها بعين الاعتبار وهي قيمة متوسطة غير متغيرة تقدر بـ 20% حيث أن مراحل عمر السكان الذكور منهم القابلين للتناسل قليلة نظرا للضياح الذي وقع سابقا عبر الميادين المختلفة للمقاومة.

(3) هرم الأعمار المتأثر بشدة

إن العاقبة المباشرة لا تعود للكوارث وحدها ولكن ساهمت فيها أيضا الفترة الماضية التي تقترب من أربعة عقود من الحروب والأوبئة والفقر والالام المتعددة. وتكون هكذا القاعدة ناقصة على العادة بسبب هذا النزيف الذي مس المراحل الدنيا للعمر مع وفيات إستثنائية للأطفال والتي إنتشرت في الزمان و المكان. إن مراحل السن للكبار وعلى الخصوص عند الذكور ناقصة أيضا (أعلاه) نذكر أيضا الأخطار التي تتلقاها الزوجات الصغيرات عند أول ولادة نظرا للزواج المبكر... أما قمة الهرم فإنها لا تتضمن إلا نسباً محدودة مكونة من مراحل السن التي لا تتغير إلا قليلا وتكون ما بين 40 و 50 سنة...

(4) تقهقر ديمغرافي مستديم

إذا كنا لا نستطيع حساب قيمة متوسطة دقيقة للتزايد الطبيعي طيلة هذه السنوات الحاسمة فإن الأحداث العديدة والملاحظات تظهر جليا تقهقر الديمغرافي المستديم. إن صورة التحركات الديمغرافية الطبيعية تظهر ذلك بوضوح. فقد استمرت الحصيلة السلبية طيلة عقد، باستثناء الظواهر التي ذكرناها يجب أيضا إضافة آثار انتفاضة 1871-72 كالعواقب الفورية المتمثلة في الخسائر البشرية وعلى الخصوص الرجال وكذا العواقب المتوسطة المدى مثل ضرائب الحرب ومصادرة نصف مليون هكتار في بلاد القبائل وفي مقاطعة الشرق ...

من ناحية أخرى فإن الإدارة العليا عندما قدمت نتائج إحصاء سنة 1872 ذكرت نقصا خطيرا يعود حسب الإحصائيات إلى 527.020 ساكنا مع أن إحصاء الكوارث قيمته بـ 217.000 شخصا فقط مثلما رأيناه⁽¹¹⁾.

دون أي تعليق آخر ولحجب الفارق ذكرت خارج وباء الكوليرا (1867) والمجاعة (1868) والتيفوس والجدري (1869-72) وانتفاضة 1871. لقد تجاوز النزيف الديمغرافي الذي حدث بعد 1868 وذلك الذي وقع في 1867-68 فتقييم مثل هذا التعميم يشرح لنا مفهوم الإحصائيات الرسمية. ولذا هذا ليس بالفراغ الوحيد، بل هناك أشياء أخرى أوضح (أعلاه).

ومهما يكن فإن الأمر تازم أكثر، فقد ذكرت الإدارة إن الولادات اقل من الوفيات سنتي 1865 و 1866⁽¹²⁾ "هكذا طيلة الفترة القصيرة مابين 1866 إلى 1872 كانت الكوارث مسبوقه ومصحوبة بنزيف ديمغرافي فالحصيلة إذا ثقيلة جدا"⁽¹³⁾. هل نتجراً على تقييمها؟ كل تقييم أدنى يعادل المليون شخصا يبقى أقل من الواقع، لنعتبر أن هذا هو الحد الأدنى لنظهر نقائص المعطيات الرسمية.

إن التقهقر الديمغرافي أمر واقعي ولقد اخذ حدودا خطيرة. يجب تحديد شعور وهيئات الملاحظين في هذا السياق بالذات. أكان الأمر

التزايد 66-71	
40%	
63%	
23%	
30%	
44%	
40%	
18%	

التناقص المتوسط
غير متغيرة تقدر
بالبنين للتنازل قليلة
للمقاومة.

سأهملت فيها أيضا
روب والأوبئة والفقير
بأية سبب هذا النزيف
بأية للأطفال والتي
على الخصوص
خطار التي تتلقاها
بكر... أما قمة الهرم
السن التي لا تتغير

الكارثة الديمغرافية

يتعلق بالمحبين أو الأعداء وبالمنددين أو المحبين للعرب فإن الآراء لا تتغير كثيرا ، ففي كل مكان تكثر التساؤلات والتخوفات. يزداد القلق عند البعض إذا هناك حقيقة تفرض نفسها مثلما يصرح بذلك ريكو " إنه أمر لا ريب فيه فالشعب العربي يمضي إلى الإختفاء بصفة عادية وسريعة"⁽¹⁵⁾ بعدما شرح عدة أسباب يلخص لا كرتال بما يلي :

" إن الشعب العربي يموت ..."⁽¹⁵⁾

أصر نابليون الثالث إلى مراسلة الحاكم العام عندما أحس بالإشارات التي سبقت الكارثة في أبريل 1867.

"إن فرنسا لا تريد أن يقال عنها يوما أنها تركت شعبا يخضع لسيطرتها يموت من الفقر"⁽¹⁶⁾.

بصفة عامة إن القلق الكبير الذي يعلن نفسه منذ بداية الفترة الثانية للإمبراطورية الفرنسية الثانية والتي تسارعت بحدوث أول الكوارث منذ صائفة 1867 والتي لم تترك المعاصرين بدون إنطباع حيث أن السلطات العليا لم تترك التأكيد على الضعف العددي للسكان الذي تسيطر عليه وهكذا إذا لا يمكن تكذيب الإيدولوجيا الرسمية للدعاية الاستعمارية والتي بدأت تتزايد شيئا فشيئا. أكثر من ذلك فإن الفارق الذي يميز بين حالة المجموعات لدليل حاسم : إن السكان اليهود والأوروبيين لم يتأثروا بكثرة الوفيات، هكذا فإن المجموعة الأولى (اليهود) سجلت زيادة في التعداد بـ 28.252 طيلة نفس الفترة. الزيادة الكبيرة عند الأوروبيين وترجع جل أسبابها إلى الهجرة من أوروبا إلى الجزائر على العموم⁽¹⁷⁾. أما التقهقر عند السكان المسلمين فهو أمر واقعي... ولا رجعة فيه، وماعدا كل هذه الملاحظات علينا إن نتعرف على مصدر هذه الحالة المعنوية ولذلك نجد سببان : الفارق الواضح بين الإحصائيات الرسمية وتجاهل الحقائق الاجتماعية الديمغرافية للوطن الذي يستعمر وبالخصوص في بعض الثوابت الديمغرافية. مثلما سنرى (أسفله) فإن هذه الأخيرة هي التي ستحافظ على كل الطاقة الديمغرافية.

لقد نتجت عن الكوارث عواقب وخيمة وعلى الخصوص التزايد في الوفيات في سنتي 1870-1871 وبطبيعة الحال التأثير في النقص بين الولادات والوفيات بالإضافة إلى أن هذه الظاهرة قد تبادت دون رجعة بعد الآثار المباشرة لانتفاضة 1871-72 إن هذا التطور يطرح مشكلتين أساسيتين للتوضيح مرة أخرى بـ"حقيقة" الإحصائيات الرسمية، في الواقع إن الإحصائيات التي أتت بعد 1872 كانت تترجم بصفة أو بأخرى التقهقر الديمغرافي في حده الأدنى للنزيف الديمغرافي الملاحظ ما بين 1866 إلى 1872. فإن نسبة هذا الأخير حتى في التقييم الأدنى يصعب قبوله حيث أن قبول إحصاء 1872 لا يمثل إلا نصف التعداد ويجب علينا إذا أن ندرس هذه المشاكل بتحليل نقص التقييم العام للإحصائيات الأولى.

للعرب فإن الآراء لا
تزداد القلق عند
بذلك ريكو " إنه أمر
سريعة وسريعة"⁽¹⁴⁾

دما أحس بالإشارات
عبا يخضع لسيطرتها

بداية الفترة الثانية
ووث أول الكوارث منذ
ما حيث أن السلطات
الذي تسيطر عليهم
للدعاية الاستعمارية
لفارق الذي يميز بين
والأوروبيين لم يتأثروا
ود) سجلت زيادة في
بيرة عند الأوروبيين
أثر على العموم⁽¹⁷⁾. أما
لا رجعة فيه، وماعدا
هذه الحالة المعنوية
يات الرسمية وتجاهل
عمر وبالخصوص في
فإن هذه الأخيرة هي

الملاحظات

8. الإحصائية العامة 1867-72. ص 86.
9. هكذا في دائرة برج بوعربريج يقيم "نوشي" الخسائر إلى أكثر من 46% مع أن نسبة الخسائر لم تصل إلى 14,3% فقط (30) ص 122.
10. الإحصائية العامة 1867-72. ص 86.
11. شاهد الصفحات 12 و 91.
12. الشركات الفرنسية في الجزائر. 1865-1866. ص 55.
13. قد تكون أثقل حصيلة في الفترة العصرية و المعاصرة. إن مقالة المؤلف طويلة أكثر من وثائق "كلوزال" حول المجاعة. يطيل الكلام حول هذه القضية في الكثير من البلدان الأوروبية وكذا في الجزائر. إنه يركز على الأبحاث التي قام بها مسئول الأرشيف "برهوقر" بعد مشاهدة العقود و المراسلات العربية المخزنة في مكتبة مدينة الجزائر. يذكر المؤلف أربع مجاعات مشهورة منذ 1578. إنه يؤكد في الخلاصة على الإجراءات التي اتخذت للحماية من أي احتمال ص : تكوين مخزون من الحبوب من طرف "المخزن" و وضع القمح في المخازن للاستهلاك لثلاث سنوات لكل القبائل.
14. "ريكو" الديمغرافية المصورة في الجزائر ص 261-262.
15. "لاكرتال" (25) 91.
16. ذكره "لاكرتال" (25) لقد وضعت الجملة لتظهر جليا على الغلاف.
17. الإحصائية العامة 1867. ص 86. فيما يخص اليهود فإن الإحصاءات في الحالة المدنية تظهر أنه حتى في 1867-68 أن الحوصلة إيجابية على العموم.

إن التقييم الأدنى للخسائر التي وقعت في الفترة الضرائبية الممتدة من 1872 تجبر الباحث على النفي القطعي لتعداد السكان الجزائريين المسلمين في تلك الفترة وقبلها وبعدها ، هكذا فبالنسبة لنتائج 1872، بلغت نسبة الكوارث نصف تعداد السكان. ففي هذه الظروف لا بد أن يكون التقهقر الديمغرافي هاما جدا وممتدا زمنيا وبإمكانه أن يحدث خلا خطيرا في هذه الطاقة الديمغرافية. على العكس فإن المعطيات الرسمية تظهر زيادات لاسيما عالية جدا انطلاقا من 1876 ولكن كذلك مع نسب نمو متوسطة سنوية غير مقبولة ولا يثق فيها أي ديمغرافي.

من جهة أخرى وبعد هذه الملاحظات فإنه لا بد من مراجعة المعطيات السابقة ونقدها وحصرها من قريب الم تكن كذلك نسبة التقرير المقدم من طرف ياكوتو سنة 1945 والذي يتعلق بتقييم تعداد السكان منذ 1830 ؟ وللمرة الثانية يجب إعادة تحليل هذه المشاكل الهامة بدراسة :

- الآثار الفورية للتنزيف الديمغرافي
- آثار التناقص الديمغرافي العام للفترة الماضية
- إعادة تقييم تعداد السكان في فترة 1830

I - الآثار الفورية للتنزيف الديمغرافي :

تشهد انتباهنا ظاهرتان عند دراسة اللوحة 50 : النسبة العالية لنسب التزايد وما ينجر عنها من نقص في تقييم تعداد السكان.

1) نسب تزايد غير مقبولة في القرن التاسع عشر

إن اللوحة 52 تشير إلى قيم غير مقبولة في القرن التاسع عشر. إننا نلاحظ هكذا في السنوات 1876 و 1881 و 1886 على التوالي نسبة سنوية

الكارثة الديمغرافية

تقدر بـ 4% و 2.9% و 3.1% فمهما كان السياق الاجتماعي الاقتصادي فإن هذه القيم لا تتناسب والحقيقة فحاليا نسجل حدود قصوى لا تتغير كثيرا عن 3% عبر العالم الثالث. أضف إلى ذلك وحتى آخر إحصاء للفترة الفارطة لا نجد أيا من هذه القيم... (اللوحة 6 العمود 6). كيف يمكن قبول هذا الفائض لـ 345.000 شخصا من 1872 إلى 1876 فبعد كل تلك المحن المأساوية علينا أن نستثني تحسينا مفاجئا وحقيقيا مع إننا لاحظنا ثلاث سنوات متتالية كانت ذات محاصيل جيدة من 1874 إلى 1876⁽²⁾. فالآثار لا يمكنها أن تكون فورية ولو كانت بعد ذلك سنوات رديئة المحاصيل⁽³⁾ وبالخصوص من 1878 إلى 1881. حيث بدأ يخيم شبح "المجاعة" من جديد سنة 1887 على مقاطعة الشرق ولو أن عشرية 1880-1890 يعتبر من أحسن العشريات مقارنة بالعشرية الماضية إلا أن الوضعية بدأت تتأزم من جديد وفي نهاية القرن التاسع عشر ذكرت شهادات بعض الوفيات من جراء قلة التغذية وبالخصوص في مقاطعة الوسط⁽⁴⁾... إن التقهقر في الزيادات للإشارة لاسيما التطور الصعب طيلة هذه العقود الأخيرة للقرن التاسع عشر وأكثر منه استنكار نسب الزيادات السابقة.

ونتيجة هذا إننا نستنكر هذه النسب بصفة قطعية بما في ذلك الحد الأدنى لسنة 1896 (1.1/اللوحة 52) وعكس ذلك فالزيادات تعبر قبل كل شيء على تحسين الإحصاءات المتتالية لان هذه الفرضية التي تقدم بها علماء الديمغرافية فيما يخص الجزائر في تلك الفترة⁽⁵⁾ وكذا في بلدان العالم الثالث حاليا⁽⁶⁾ تشير بدورها مرة أخرى إلى نقص التقييم الصارخ للسكان نظرا للصعوبات العديدة والموضوعية التي تتعرض للمعرفة الواقعية للوسط البشري...

(2) نقص التقييم الصارخ في إحصائيات السكان :

لا يمكن أن نستنتج الزيادات من التزايد الطبيعي للسكان على الأقل طيلة كل نهاية القرن التاسع عشر إذا كان الأمر كذلك وإذا لم تأخذ بعين الاعتبار إلا الثلاثين سنة الأخيرة لنهاية القرن فإن الحصيلة تصل إلى ما يقرب من مليونين (1.964.000) شخصا وذلك ما يمثل نسبة سنوية

متوسطة لـ 3.08% وهذا
القيمة فيما يخص الترس
الأولى تناقصا عاما حتى
تزييدا ضعفيا نسبيا. تن
في الفرضية الثانية في
أي زيادة حتى آخر
الفرضية فذلك لأننا

اللوحة 52 - التطور

السنة	العدد
1866	2652
1872	2125
1876	2479
1881	2842
1886	3287
1891	3577
1896	3781
1901	4089
1906	4478
1911	4741
1921	4923
1926	5151
1931	5588
1936	6201
1948	7460
1954	8745
1966	12018

المصدر : الدليل السنوي للإحصاء
صفحات 30 و 38 و 39
التعداد : 1000

الاستدكارات الديمغرافية

متوسطة لـ 3.08% وهذا الأمر مستحيل. وبالتالي لابد من إبعاد هذه القيمة فيما يخص القرن التاسع عشر والاطلاع على فرضيتين نفرض في الأولى تناقصا عاما حتى سنة 1876 على الأقل ثم ركودا لمدة عقد ثم تزايدا ضعيفا نسبيا. ستبقى هكذا الحصيلة سلبية تقريبا حتى سنة 1886 في الفرضية الثانية فإن التطور سيكون صعبا ولم يكن هناك في الواقع أي زيادة حتى آخر سنة في القرن التاسع عشر. إذا كنا لم نأخذ هذه الفرضية فذلك لأننا أخذنا أساسا التقييم الأدنى.

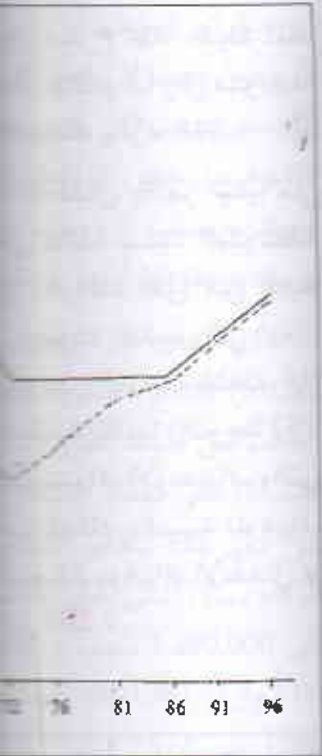
اللوحة 52 - التطور السكاني في الجزائر.

السنة	العدد	التزايد			نسبة التزايد	
		المدة	(أ)	(ب)	المجموع	المعدل السنوي
			(أ)	(ب)	(أ)	(ب)
1866	2652					
1872	2125	1866-72	-81		19,5	
1876	2479	1872-76	-525		16,2	4
1881	2842	1876-81	345		14,6	2,9
1886	3287	1881-86	445		15,6	3,1
1891	3577	1886-91	290		8,5	1,5
1896	3781	1891-96	204		5,7	1,1
1901	4089	1896-01	308		8,5	1,6
1906	4478	1901-06	379	179	9,2	1,8
1911	4741	1906-11	263	169	5,8	1,1
1921	4923	1911-21	182	177	3,8	0,3
1926	5151	1921-26	228	188	4,6	0,9
1931	5588	1926-31	437	343	8,4	1,6
1936	6201	1931-36	613	629	10,9	2,1
1948	7460	1936-48	1259	1436	20,3	1,6
1954	8745	1948-54	1285	1267	17,2	2,8
1966	12018	1954-66	3273	2943	37,4	3,1

المصدر : الدليل السنوي للإحصائيات في الجزائر . الجزائر العاصمة 1875 . كتابة الدولة للتخطيط ، صفحات 30 و 38 و 39 .
التعداد 1000 نسمة . أ - حسب الإحصاءات ، ب - حسب التحركات الديمغرافية الطبيعية .

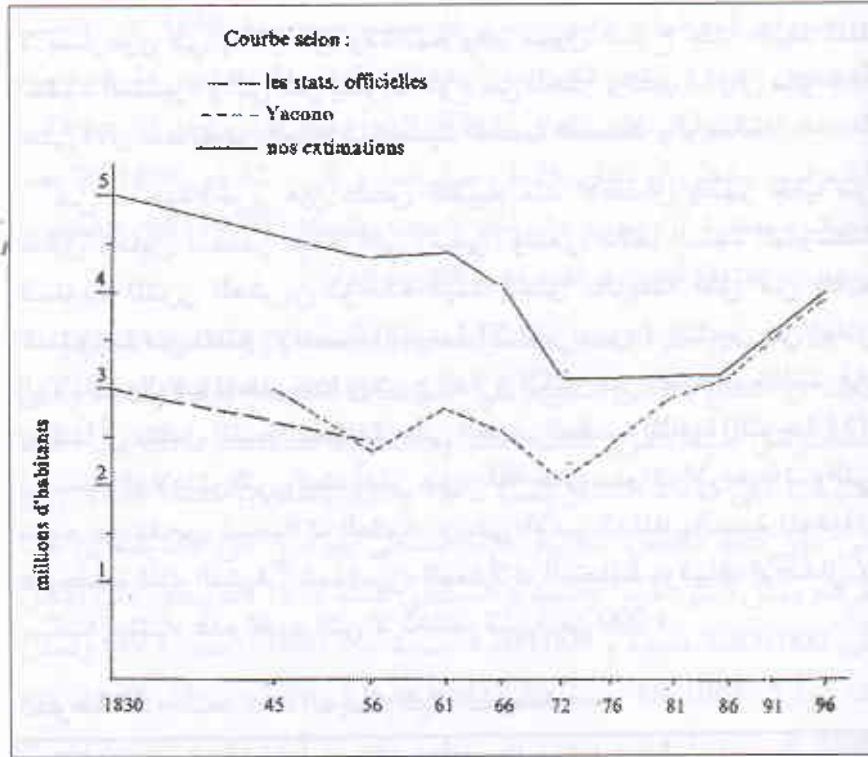
ماعي الاقتصادي فإن
قصوى لا تتغير كثيرا
حصاء للفترة الفارطة
كيف يمكن قبول هذا
بعد كل تلك المعن
مع إننا لاحظنا ثلاث
إلى 1876⁽²⁾ . فالآثار لا
ت رديئة المحاصيل⁽³⁾
يم شبح المجاعة من
ية 1880-1890 يعتبر
إلا أن الوضعية بدأت
ذكرت شهادات بعض
قناطعة الوسط⁽⁴⁾ ... إن
عب طيلة هذه العقود
الزيادات السابقة .
عية بما في ذلك الحد
الزيادات تعبر قبل كل
فرضية التي تقدم بها
فترة⁽⁵⁾ وكذا في بلدان
نقص التقييم الصارخ
التي تتعرض للمعرفة
ن
يعي للسكان على الأقل
ذلك وإذا لم نأخذ بعين
الحصيلة تصل إلى ما
ما يمثل نسبة سنوية

وكنتيجة لهذا فإن عدد السكان لسنة 1872 يعادل تقريبا عدد سنة 1886 وكل فارق قد ينفي ذلك، إلا أن إحصاء سنة 1886 هو نفسه ناقص التقييم وبالتالي ننفي تلقائيا كل ذاتية وسبقى بصفة واضحة أدنى من الواقع. ومهما يكن الأمر فإن تعداد السكان في كلا التاريخين يقارب 3.287.000 نسمة وهذا نقص صارخ في التقييم يمكن التحقق منه بسهولة. فالزيادات التي تنجم عن إحصائيات 1866 و1901 وهي 802.000 شخصا تصل إلى نسبة تزايد سنوي متوسط بـ 1.62% لذا لا بد من إقصاء هذه القيمة طيلة الفترة⁽¹⁾ لأن الإحصائيات مازالت لا تحيط بالحقيقة تماما وبالتالي يجب أن تتحسن أكثر فأكثر. وهذا التحسن مرتبط إذا بتطور الإدارة الاستعمارية نفسها لان معرفة البيئة المادية والبشرية تتقدم ولا مراء في ذلك. في آخر المقاومة المسلحة وعلى الخصوص عند متابعة مسح الأراضي وتحديد الملكية العقارية في إطار القوانين العقارية (قانون فارنبي لسنة 1873 وقانون 1887 أو السيناتوس كونسلت الصغير) الذي سمح باقتراب ضباط المكاتب العربية أكثر من الوقائع الاجتماعية الاقتصادية. أضف إلى ذلك أنه عند جمع ضرائب الحرب (التي تلت انتفاضة 1871-72) من طرف أعضاء الجماعة (المجموعة الموجودة على مستوى الدواوير⁽²⁾) مباشرة يفسر هذا التقارب الزيادة الاستثنائية بـ 345.000 شخصا سنة 1876. هذا هو مصدر تحسين عمليات الإحصاء الذي صاحبه مصادرة نصف مليون هكتار أما الفرضية الأخرى التي تعتمد على زيادة في تعداد السكان فإنها تفتح الباب للنقد وتعاكس تماما نسب النزيف الديمغرافي الذي درسهنا. وهنا يجب إبعاد هذه الزيادة في التقييم الذي ينجم عن إعتبارات ضرائبية لأن وزن الرسوم ثقيل جدا ولا يطاق وقد أفلس دافعوا الضرائب مثلما يشير إلى ذلك المعاصرون، فكيف يمكننا قبول نسبة الخسائر التي أصابت نصف تعداد السكان حسب إحصاء 1872؟ لا يمكن لشعب أن يضيع نصف سكانه في فترة قصيرة ويجتاز محنا فتاكة (التيفوس والجدرى) ثم يواجه في الحين انتفاضة عارمة دون أن يضع في خطر طاقته الديمغرافية.



إن الأعداد المحسوبة
السن غائبة جزئيا أو
وأعوانهم. والأمر يتعلق
وتبقى هكذا معرفته
البنات والنساء لأسباب
يتعلق بتعدد الزوجات
من الشبان والكبار لأغراض
الموسعة دون أن ينتبه لها

الاستدكارات الديمغرافية



الصورة 50 - تطور عدد السكان

إن الأعداد المحسوبة سنة 1872 تبين نقصا واضحا. فبعض مراحل السن غائبة جزئيا أو بقسط كبير عن التعداد الذي قام به الضباط وأعاونهم. والأمر يتعلق بالأطفال خصوصا لأنهم يخضعون للضرائب وتبقى هكذا معرفتهم العددية صعبة الحصر. كما يخص الأمر أيضا البنات والنساء لأسباب نفسية إجتماعية واضحة، وعلى الخصوص فيما يتعلق بتعدد الزوجات كما أننا لا نستثني أيضا بعض النسب ورغم ضآلتها من الشبان والكبار لأغراض مختلفة والتي كانت تمر في إطار العائلة الموسعة دون أن ينتبه لها أعوان الإدارة وبصفة عامة فإن أرباب العائلات

قريبا عدد سنة 1886 هو نفسه ناقص
18... فة واضحة أدنى من
كلا التاريخين يقارب
يمكن التحقق منه
1901 وهي 802.000
لذا لا بد من إقصاء
لا تحيط بالحقيقة
التحسين مرتبط إذا
ثمة المادية والبشرية
حة وعلى الخصوص
ة في إطار القوانين
السيناتوس كونسلت
ية أكثر من الوقائع
ضرائب الحرب (التي
المجموعة الموجودة
الزيادة الاستثنائية
ين عمليات الإحصاء
فرضية الأخرى التي
للنقد وتعاكس تماما
بعاد هذه الزيادة في
لرسوم ثقيل جدا ولا
لك المعاصرون، فكيف
السكان حسب إحصاء
فترة قصيرة ويجتاز
انتفاضة عارمة دون

الكارثة الديمغرافية

لا يسارعون في إعلان كل ولاداتهم وهو ميول صارخ جدا طيلة تلك العقود المتميزة والتي كان يشوبها نوع من الحذر والذي ما زال متواجداً حتى الآن عند بعض العائلات الجبلية الصعبة المسلك والرحالة...

من ناحية أخرى فإن نقص التقييم عند الأطفال يظهر جليا من خلال تحليل لمصدر ديمغرافي رسمي. وتبقى دائما النسبة المتوسطة السنوية للقرن العشرين لوحده فيما يتعلق بالزيادة أقل من القيم المنقوصة من نتائج الإحصاء (اللوحة 53 آخر عمود). النقص في إعلان الولادات والوفيات هام جدا ويشرح الفارق الكبير بين القيم المختلفة. فيمكننا أن نتقبل القيم المختلفة حتى الحرب العالمية الثانية (اللوحة 53). إن نسب الولادات التي بقيت أدنى من - 40 حتى سنوات الأربعينات والتي تنجم عن نقص تسجيلات العقود. ويبقى الأمر كذلك بالنسبة للوفيات هام طيلة تلك الفترة⁽⁹⁾ كما تبرزه المعدلات المتعلقة بوفيات الأطفال لا يمكننا إستثناء هذه القيم التي لا تختلف كثيرا عن 200%.

اللوحة 53 - التحركات الديمغرافية الطبيعية.

السنة	الولادة	الوفاة	وفاة الأطفال
1901	27,1%	24,3%	111%
1906	27,3	20,9	107
1911	27,4	19,4	90
1921	20,8	23,9	?
1926	30	17,6	82
1931	34,3	18	94
1936	36,4	15,7	75
1948	44,3	20	90
1954	41,4	13,1	85
1966	46,6	10,2	79

المصدر: الدليل السنوي للإحصائيات لسنة 1974 صفحات 22 و 23 (كون الحساب من المعطيات).

الاستذكارات الديمغرافية

صارت المعطيات تقترب من الحقيقة منذ سنة 1848 لان النسب المحصل عليها لا تبتعد كثيرا عن المعدلات المقبولة عادة من طرف علماء الديمغرافية، ولكن لا يستهان بالفارق الذي يدوم حتى لحد الآن، وهكذا فإنه فيما يخص الولادات فقط وصل الفارق إلى - 42 في 1869-70 بعد أبحاث ميدانية⁽¹⁰⁾. وعليه فإن آخر إحصاء للسكان (1977) كان مصحوبا بعمليات تفتيش أظهرت نقصا في التقييم العام⁽¹¹⁾.

هكذا وعلى ضوء تحليل معمق مدعم بالأحداث والملاحظات اللازمة يجب أن نقتنع بنقص التقييم في المعطيات الديمغرافية الرسمية وعلى الخصوص طيلة القرن التاسع عشر وبالتحديد طيلة فترة الكوارث، فإذا اعتمدنا على تعداد السكان لسنة 1872 والذي يتعلق بإحصاء 1886، وهو من دون شك ناقص التقييم، فإننا سنبقى بعيدين عن الحقيقة إن هذا الرقم يمثل أدنى حدٍ والتعداد السكاني لسنة 1872 قد يصل على الأقل إلى 3.200.000 نسمة و 4.200.000 نسمة سنة 1886 (الصورة 49) وتمثل إذا كوارث 1867-68 نسبة عالية. إذا أخذنا في الحسبان كل النزيف من 1886 إلى 1872 فإننا نصل إلى نسبة تقارب 25٪ وهذه النسب تشرح تخوفات البعض وقلق البعض الآخر. أما فيما يخص إعادة التقييم اللازمة فإنها تسمح بتوضيح القدرة على المقاومة طيلة الانتفاضة لسنتي 1871-72 وأيضا بقبول المحافظة النسبية على الطاقة الديمغرافية بعد الكارثة والرجوع إلى الحيوية السريعة منذ نهاية القرن التاسع عشر رغم الخلل العميق في نظام اقتصاد المعيشة لجماهير الفلاحين على إثر المصادرات المعممة والمتسارعة طيلة تلك الفترة الحاسمة من بداية الاستعمار الاستيطاني عبر البوادي⁽¹²⁾. بالإضافة إلى هذا فإن نقص النسبة الإجمالية يجب أن تطبق في بعض الحالات بالخصوص حيث توجد نسب عالية جدا مثلما هو الأمر في بعض المجموعات وفي مقاطعة الغرب، لكن في كل الحالات فإن الخسائر المطلقة تبقى بدون تغيير.

صارخ جدا طيلة تلك
والذي ما زال متواجداً
مسلك والرحالة...

الأطفال يظهر جليا من
دائما النسبة المتوسطة
بالزيادة أقل من القيم
عمود). النقص في إعلان
بين القيم المختلفة، فلا
المية الثانية (اللوحة 53)،
سنوات الأربعينات والتي
كذلك بالنسبة للوفيات
تعلقة بوفيات الأطفال لا
ن 200٪.

سنة	وفاة الأطفال
24	111%
2	107
1	90
2	?
1	82
	94
1	75
	90
1	85
1	79

23 (كون الحساب من المعطيات).

II - آثار التناقص الديمغرافي العام للفترة السابقة

إن إعادة التقييم للمعطيات الرسمية الأولى لابد أن توضح وفقا للنتائج المحصل عليها أعلاه والعوامل الحاسمة للتطور الديمغرافي.

I) العوامل الحاسمة للتطور الديمغرافي :

تؤثر ثلاثة عوامل على التطور العام طيلة الفترة المعنية الممتدة من أول إحصاء لسنة 1844-45 إلى غاية الإحصاء الذي سبق مباشرة كوارث (1866)، وتفاعل طيلة هذه العشرين سنة مع آثار المحاصيل الرديئة وأثار متابعة الحرب والأوبئة التي لم تسمح بالإحاطة مليا بآثار المحاصيل الرديئة بسبب نقص المعطيات الإحصائية لكنها تفاقمت مع انتشار المعارك في بداية 1839-40 وعلى الخصوص بعد نقض معاهدة التافنة لكن حتى بعد انتهاء المقاومة تحت قيادة الأمير عبد القادر وبو معزة على الخصوص، انتشرت حملات أكثر فتكا نحو الجنوب وفتحت جبهات طالت كل الأعمار في بلاد القبائل من 1851 إلى 1856 مثلما رأيناه فيما يخص انتفاضة 1864-65 (القسم الثاني والفصل الرابع)، إن العواقب كانت ثقيلة جدا على المستوى البشري وكذا على المستوى المادي حيث أن "ضباط الجيل" الأول لم يترددوا في استعمال كل وسائل الفتك والقمع والقتل بالدخان عبر الضهرة⁽⁴⁾ أو محاصرة الزعاطشة في الزيبان. لم تتقدم أي حصيلة عن مجمل هذه العمليات الدنيئة والتي لم تتابع بكل وضوح بإستثناء الرجال القادمين والمكافحين فإن الخسائر الأخرى كانت كثيرة جدا من جراء سحق القرى والمحاصيل وفرار مجموعات بأكملها تاركة المزارع والمخازن لتباشر الهجرة المؤقتة أو النهائية⁽⁵⁾. إن الوفيات طالت كل مراحل الأعمار وتزايدت على الخصوص عند الأطفال. من ناحية أخرى لقد تفاقم الوضع أكثر بإستثناء أوبئة الكوليرا وكانت تحركات جنود الاحتلال في غالب الأحيان هي المصدر لتلك الظاهرة مثلما كان الأمر في 1849-50 عبر مساحات شاسعة من مقاطعة الغرب

بالأحرى في الشلف (القسم الثاني - الفصل الأول) حيث تأثرت كثيرا تلك النواحي وسجلت التقارير الإبادة الكاملة للأطفال في بعض الدواوير⁽¹⁶⁾ وأمام المجاعة المرعبة أفتى العلماء بتحليل الخنزير⁽¹⁷⁾.

تشرح كل هذه الأحداث مرحلتي المنحنى الديمغرافي، وتساير التناقص المحسوس في بداية سنة 1840 وتزايد أكثر من 1845 إلى 1852 وسجلت المحاصيل الجيدة لسنوات 1852 و 1853 وعلى الخصوص في 1854 تحسنا ولو لم تكن الآثار فورية. لكن الأمر يتعلق بفترة قصيرة قضت عليها نهائيا انتفاضة 1864، وعلى العموم فإن الحصيلة سلبية على المستوى الديمغرافي في خلال هذين العقدين.

"في الواقع إن هذه الفترات تدخل في التسيير المستبد لحرب ضد شعبوالتى لم تكن قط مبررة بعمليات عسكرية كما يوضح ذلك مؤلفو "جزائر الماضي والحاضر"⁽¹⁸⁾ بالإشارة إلى بعض الأفعال التي يجبها بيجو والجنرالات "الأخرين، ويؤكد :

"من دون أي شك لقد تضرر التوازن الديمغرافي بسبب الآثار الفورية للمجازر أو بسبب أثار المجاعة والفقر المترتبة على ذلك".

قبل تقييم تقهقر هذه الفترة علينا نقد نتائج أول إحصاء على الأقل.

(2) نقد نتائج إحصاء سنة 1845

سنحدد دراستنا لأول إحصاء فقط لان الإحصاءات الثلاثة الأخرى لـ (1851 و 1855 و 1861) لم تأت بأي تغيرات محسوسة لان التصحيحات الدنيا التي أدخلها ياكونو⁽¹⁹⁾ والملاحظات التي عبّر عنها فيما يخص المعطيات الرسمية غير كافية. وهو يرتكز على .. توجيهات بيجو .. ونوعية تسييره :

"فبدل التقييم البسيط للمكافحين المقدم من طرف العملاء المشتبه فيهم لنا تعداد أشخاص قامت به الإدارة وهي تراقب رؤساء القبائل" ويضيف :

د أن توضح وفقا للنتائج الديمغرافي.

فترة المعنية الممتدة من ذي سبغ مباشرة كوارث المحاصيل الرديئة وأثار ملىا بأثار المحاصيل نها تفاقت مع انتشار نقض معاهدة التافنة.

بر عبد القادر وبو معزة الجنوب وفتحت جهات 1856 مثلما رأيناه فيما

ال الرابع)، إن العواقب المستوى المادي حيث أن وسائل الفتك والقمع عاطشة في الزيبان. لم

بيئة والتي لم تتابع بكل من الخسائر الأخرى كانت فرار مجموعات بأكملها أوالنهائية⁽¹⁵⁾. إن الوفيات ووص عند الأطفال. من

أوبئة الكوليرا وكانت المصدر لتلك الظاهرة سعة من مقاطعة الغرب

" نسجل أن هذا العمل جاد ويستجيب لتوجيهات دقيقة من طرف الجنرال بيجو والذي قامت به إدارة حيوية لا ينقصها الرجال الأكفاء وفي الجملة فإن ياكونو يثق إذن في الإدارة وشخصيات تلك الفترة مثلما يؤكد على ذلك بنفسه. لكن هؤلاء "العارفين" للجزائر مهتمون مباشرة بالسكان الذين يختالون عليهم ويخدعونهم ويستغلونهم. أو يجعلونهم يستسلمون " عوض نقد التفاصيل كان من الواجب على المؤلف أن يطلب الكثير فيما يخص الحدود الموضوعية لمعرفة البلاد وسكانها في تلك الفترة المحدودة بعينها مثلما يشير إلى ذلك بوايي إنه لا يمكننا أن نصل إلى نتائج حسنة بالاستعانة بالمنشورات ولو كانت جيدة ولا بمساعدة الضباط ولو أنهم ليقفون في غياب المعرفة الحسنة بالبلاد (على المستوى الديمغرافي) حيث أن العلاقات ما بين المحتلين والسكان لا يمكن أن تكون إلا دامية باستثناء بعض الحالات القليلة فإذا كان كاريت وواريني⁽²⁰⁾ قد قدما طاقة هائلة من العمل بإعداد على سبيل المثال خارطة وثائقية قبلية حسنة، وهذا الأمر لا ريب فيه ولكننا نلاحظ فيه الكثير من الفراغات فيما يخص التفاصيل لقد وجد كاريت بعض الصعوبات لالتقاط بعض المعلومات الكافية في بعض المناطق⁽²¹⁾ وعلى الأحرى في الونشريس. وقد لاحظنا هذا النقص فيما يتعلق بهذه الجبال⁽²²⁾.

يبرز إذا النقص في هذا العمل الذي أقيم جزئيا طيلة العمليات العسكرية مثلما تشير إليه المنشورات الرسمية⁽²³⁾ أضف إلى ذلك أن بيجو حاول أن يقدم في هذه المناسبة " جزائر كثيرة السكان" مثلما كتب ياكونو حيث أعلن أمام البرلمان أن عدد السكان هو 4 ملايين ساكن ويرجع هذا إلى 24 جانفي 1845.

أما إحصاء 1856 والذي يعتبر أول إحصاء فإنه يقلل أكثر من عدد السكان (2.307.000 نسمة) فأول إحصاء والتطور الذي حصل من 1845 إلى 1856 يشرح ذلك الأمر بسهولة.

وبالتالي فلا فائدة في إيضاح العراقيل الكبرى وظروف القيام بهذه الإحصاءات إن الفراغات المذكورة فيما يخص تعداد الأقلية الأوروبية طيلة القرن التاسع عشر لدليل على ذلك حيث أن النتائج وصفت رسمياً "بالمقبولة تقريباً"⁽²⁴⁾ وانتقد رسمياً الإحصاءان الأخيران لسنة 1848 وسنة 1854⁽²⁵⁾ وأخيراً في الوقت الحالي من هم الخبراء في المنظمات الدولية الذين لا يتحفظون ولا يشكون في الإحصائيات الديمغرافية عبر بلدان العالم الثالث؟

(3) إمادة تقييم السكان اللازمة

(4) لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار في آن واحد تعداد سنة 1866 وهو 4,2 مليون نسمة على الأقل والتقهقر الديمغرافي الذي وقع سابقاً. فكل الكتاب يقبلون بهذا التقهقر بإستثناء المدة القصيرة الممتدة من 1856 إلى 1861⁽²⁶⁾. إن الحصيلة سلبية طيلة العقدين المعنيين ولكن لا يمكننا تقييم الوضع بدقة. قد يكون هكذا أي تقييم خاطئاً. ولكن لا يجب الاعتراف أنه مع تكاثر وفيات الأطفال الملاحظة في 1849-50 ووفيات الرجال الأصحاء والمكافحين فإن التأثيرات الممتدة قد تؤثر على القدرات الديمغرافية نفسها. لقد ترجمت مباشرة بالنزيف على مراحل الأعمار التي بإمكانها التناسل قبل وبعد الكوارث... ومهما يكن الأمر سنأخذ بعين الاعتبار الخسائر الدنيا كي لا نصل إلى أرقام عالية تفوق الواقع. سيكون إذا تقييماً حسب المقياس الأدنى. سيصل إذا التعداد إلى 4.5 مليون نسمة على الأقل إن الفارق بين هذا الرقم والرقم الرسمي وهو 1.5 مليون لا يدعش إلا القراء الأمناء للآداب الرسمية وكتابات الفترة الاستعمارية. إذا فلا بد من إعادة تقييم تعداد 1830 مرة أخرى حيث أننا نلاحظ من دون شك ممكن تقهقراً من 1830 إلى 1845.

بهاة دقيقة من طرف
تقصها الرجال الأكفاء
صيات تلك الفترة مثلما
جزائر مهمون مباشرة
تغفلونهم. أو يجعلونهم
ب على المؤلف أن يطلب
البلاد وسكانها في تلك
بي إنه لا يمكننا أن نصل
نت جيدة ولا بمساعدة
ب بالبلاد (على المستوى
ن والسكان لا يمكن أن
ذا كان كاريت ووارنيي⁽²⁰⁾
ن المثال خارطة وثائقية
نلاحظ فيه الكثير من
ماريت بعض الصعوبات
اطق⁽²¹⁾ وعلى الأخرى في
بهذه الجبال⁽²²⁾.

م جزئياً طيلة العمليات
أضف إلى ذلك أن بيجو
سكان" مثلما كتب ياكونو
سلايين ساكن ويرجع هذا

فإنه يقلل أكثر من عدد
ور الذي حصل من 1845

III - إعادة تقييم تعداد السكان حوالي 1830

إن الإحصاءات فيما يخص تعداد السكان كثيرة لكنها تتغير كثيرا من مؤلف لأخر، وهكذا فإن الحدود تتأرجح من مليون إلى عشرة ملايين ولكنها تصدر كلها من جهة واحدة وهي الخصم، ولا يوجد في هذا الصدد إلا استثناء واحد وهو مسؤول سامي في الإدارة الجزائرية قبل 1830 وهو حمدان بن عثمان خوجة⁽²⁷⁾ إن الحد الأقصى يرجع إلى هذه الشخصية. أما تصحيح ياكونو⁽²⁸⁾ الذي يستنتج رقما متوسطا بثلاثة ملايين نسمة والذي اعتمده من بعده مؤلفون آخرون دون إعادة النظر فيه فإنه أمر تجاوزته الأحداث حاليا. إن إعادة النظر لازمة على ضوء هذه الدراسة لا بد من إعادة التقييم مرة أخرى بالنظر إلى تقهقر الإعداد طيلة السنوات الخمسة عشر من الاحتلال⁽³⁰⁾ والتقييمات الدنيا السابقة وهي قيمة تقارب الخمس ملايين نسمة. ففي هذه الظروف هل يمكن إعادة التقييم من خلال حصيلة النزيف من 1866 إلى 1872 ومواجهتها من المعطيات الديمغرافية الرسمية للقرن التاسع عشر وهل يمكن تطبيقها مع الحقائق الاجتماعية الديمغرافية والاقتصادية للجزائر في بداية القرن العشرين؟

وستتم هذه الدراسة بهذا المشكل بالتطرق إلى ما يلي :

- الثوابت الاجتماعية الديمغرافية .

- البنيات العقارية والقبلية .

1) الثوابت الاجتماعية الديمغرافية

لا بد من الإشارة إلى الثوابت الاجتماعية الديمغرافية لأنها كانت وستبقى دائما المصدر للولادات العالية الحالية التي لا يمكن أن تغيرها التحولات التي وقعت في الأوساط الحضرية وبالخصوص عند الأقليات المحظوظة على العموم.

لم تتغير العوامل والحوافز منذ قرن ونصف قرن مثلما هو الأمر في غالبية المجتمعات الأخرى وهذه العوامل والحوافز تشرح الزيادات العالية والاستثنائية طيلة القرن التاسع عشر والتي لم تتغير عن - 40. إذا إستثنينا التطور في بعض الفترات القصيرة (أعلاه) فلنذكر إذا هذه العوامل⁽³¹⁾ والمقصود الغياب الكامل للبنات الأبنار والزواج المنتظم لكل من توفيت زوجته وكذا الأرامل الصغيرات وتعدد الزوجات العادة المعمول بها حتى السنوات الأخيرة. أضف إلى ذلك أن أي زواج لم ينتج عنه أولاد في الوقت المبكر ولمدة غير قصيرة والذي يتبع حتما إما بالطلاق أو بإعادة تزويج الرجل. نضيف إلى كل هذا سهولة الإجراءات القانونية للترابط سواء أكان هذا في الوسط الحضري أو القروي والغياب الكامل تقريبا للمشاكل المادية الفورية حتى السنوات الأخيرة يمكننا أيضا ذكر الزواج المبكر عند الجنسين في القرن التاسع عشر.

أما الحوافز فهي على العموم متشعبة ومرتبطة بالسياق الاجتماعي الثقافي. لقد توصلت هكذا إلى تكوين بنيات فكرية بغض النظر عن الدور الأساسي والتأثير العميق للدين فقد وضعت حدا شبه كامل لدور المرأة في الحياة العمومية والعلاقات اليومية العادية. إن الإنجاب يسجل أعلى المستويات في الوقت الحالي⁽³²⁾ ولا يمكن تقييمه ولو أن بعض المؤلفين يعتبره ثابتا⁽³³⁾. كما أننا أيضا نسجل غياب الإجهاض بإستثناء بعض الحالات النادرة جدا⁽³⁴⁾.

هذه هي المعطيات التي تشرح هذه الولادات المكثفة في الوقت الحالي⁽³⁵⁾ وكذا في القرن العشرين وقبل ذلك. هكذا إذا ويفضل هذه العوامل وهذه الحوافز يمكننا أن نتكلم عن الظاهرة الأساسية الديمغرافية الجزائرية بعد أي أزمة أو كارثة كالتالي حدثت بعد 1867-68 أو 1954-62 ولم تكن لنقل من اهتمامنا فيما يتعلق بالهزتين لسنوات 1920-22 وخاصة 1942-45⁽³⁶⁾. بالفعل إن الوفيات بقيت عالية حتى العقود الأخيرة ووصفت بالمريعة⁽³⁷⁾ لكن إعادة التكوين السكاني كانت تقع بسرعة وكانت

لكنها تتغير كثيرا من
يون إلى عشرة ملايين
م. ولا يوجد في هذا
الإدارة الجزائرية قبل
أقصى يرجع إلى هذه
رقما متوسطا بثلاثة
فرون دون إعادة النظر
النظر لازمة على ضوء
نظر إلى تفهقر الإعداد
تقييمات الدنيا السابقة
بذو الظروف هل يمكن
1 إلى 1872 ومواجهتها
تاسع عشر وهل يمكن
الاقتصادية للجزائر في

ما يلي :

الديمغرافية لأنها كانت
التي لا يمكن أن تغيرها
الخصوص عند الأقليات

الفراغات تسد في وقت قصير مثلما فكرنا فيه في آخر القرن التاسع عشر وكان الأمر قد وقع في فترة قصيرة نسبيا وبعد ضياع أكثر من ربع تعداد السكان من 1866 إلى 1872...

فلولا هذه الولادات العالية والقواعد الاقتصادية الفادرة على البقاء والتي لا بد من شرحها فالصدمة العامة التي وقعت في 1867-68 كانت قد تتبعها عواقب لا تحسب على الطاقة الديمغرافية ولمدة طويلة جدا. ويجب الإشارة أيضا إلى انه في هذه الفترة بالذات بدأ الاستيطان الاستعماري في البوادي وصاحبه خلل متسارع في تنظيم الاقتصاد المعيشي وكنا قد أكدنا على هذه الفرضية الدنيا بالنظر إلى هذه المعطيات وأشرنا إلى التطور السابق خلال العقود الثلاثة الأخيرة للقرن التاسع عشر. وفيما يخص التطور السابق، يعني 1830-66 والذي كان يبدو نوعا ما متناقضا مع ما سبق فإن ذلك التطور كان يناسب فترة تميزت خصوصا بالحرب وما تبعها من آثار وخيمة من الفقر والأوبئة.

(2) البنيات العقارية والقبلية

لا بد أن يكتب تاريخ الجزائر الاقتصادي والاجتماعي لما قبل الاحتلال لتكون لنا فكرة عامة على الأهمية الحقيقية للسكان ولتعرف على الفروقات الجهوية الملحوظة في الحين وفي غياب تحليل أرشيف تلك الفترة والتي تتضمن معلومات متنوعة هائلة. فنحن مجبرون للعودة إلى الوثائق الخاصة التي تلت تلك الفترة والتي حضرت طيلة عقود منذ نهاية الإمبراطورية الفرنسية الثانية في إطار تطبيق القوانين العقارية المختلفة. وهي معلومات ألتقطت مباشرة من الميدان من أطراف المكاتب العربية لتحديد أراضي كل مجموعة من ناحية ولتعرف على طبيعة الملكيات المختلفة من ناحية أخرى. فبعد دراسة كل هذه الوثائق طيلة أكثر من خمس عشرة سنة ستركز على النتائج الأساسية لنساطر الخطوط العريضة للحالات الديمغرافية والاقتصادية للفترة التي سبقت الاحتلال.

(أ) البنيات العقارية

إن التقارير التي نشرت طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر والمتعلقة بتحديد الأراضي المختلفة للمجموعات تبدو قراءتها مقيدة لوحدها⁽³⁸⁾. هكذا فإن كل تقرير يتضمن في الغالب نبذة تاريخية عن المجموعة المعنية طيلة القرون السابقة ويوضح روابطها مع الوسط ويشرح الطبيعة الشرعية للأراضي المختلفة. فمساحات الأراضي الخاصة والأراضي المزروعة تمت الإشارة إليها جيدا. والأمر نفسه فيما يتعلق بالأشجار المثمرة وعدد المواشي عند تاريخ التحديد. ولكن في هذه الحالة يجب أخذ المعطيات الإحصائية بتحفظ كبير لأن هذا التحديد يهدف إلى أمر بذاته وهو القاعدة الضريبية.

على العكس إذا رجعنا إلى الوثائق التي تشكل أرشيف الإدارة القديمة لمسح الأراضي والتنظيم العقاري فهناك نجد معطيات واضحة جدا. ويمكننا على سبيل المثال معرفة تمركز الفلاحين وتجذرهم في أراضيهم. فعقود الملكية تحدد الأصل الاجتماعي والعائلي على مستوى المقاطعات المختلفة... أما أرشيف المحافظة القديمة للرهن العقاري فإنها ثمينة جدا⁽³⁹⁾ وهي تأتي بتكذيب قاطع لادعاءات الأوساط الاستعمارية لاسيما فيما يخص الأراضي "الشاغرة" أو بدون "مالك" كما تظهر الصعوبات الكبيرة والصغيرة التي واجهت الاستعمار الخاص لمصادرة الفلاحين. إن الحالات التي ذكرها أوميرات⁽⁴⁰⁾ والمتعلقة بوادي الشلف ليست فريدة من نوعها. "بعد ضراوة المقاومة المسلحة، نشأت أنواع أخرى من المقاومة والثبات دون هوانة... لقد مكث الفلاحون وتشبثوا بأراضيهم رغم التقلبات العديدة وإجراءات الحشد بالمخيمات الواسعة الاستعمال في عهد الإمبراطورية الثانية وبعد النزيف الديمغرافي ما بين 1866 إلى 1872. وكانت تجمعهم العديد من العلاقات والروابط الوثيقة وتشرح تاريخهم الماضي ولكنه حاضر ومتواصل." رغم المصادرات المتعددة الأوجه ورغم الإجراءات القانونية المستبعدة ورغم

في آخر القرن التاسع
عد ضياع أكثر من ربع

ية القدرة على البقاء
ت في 1867-68 كانت
ية ولمدة طويلة جدا.
بالذات بدأ الاستيطان
في تنظيم الاقتصاد
دينا بالنظر إلى هذه
ن الثلاثة الأخيرة للقرن
66-18 والذي كان يبدو
ن يناسب فترة تميزت
لفقر والأوبئة.

ماعي لما قبل الاحتلال
للسكان ولتعرف على
يأب تحليل أرشيف تلك
من مجبرون للعودة إلى
ضرت طيلة عقود منذ
تطبيق القوانين العقارية
من الميدان من أطراف
من ناحية ولتعرف على
ند دراسة كل هذه الوثائق
النتائج الأساسية لنسطر
صادية للفترة التي سبقت

تكوين ترسانة قانونية طويلة أكثر من نصف قرن (من 1863 إلى 1926) لم تستطع قوات الاحتلال إلا على غصب أقل من ثلاثة ملايين هكتار ملكية معترف بها من طرف الإدارة...

يجب الأخذ بهاتين الإحصائيتين وهما تشيران إلى مقدار المساحة التي كان يمتلكها السكان ويستغلونها قبل الاحتلال. كان الفلاحون يستغلون ما يقرب من معدل متوسط سنوي لثلاثة ملايين هكتار عملا بقاعدة إستراحة الأرض لستين. وبمحصول متوسط مناسب لعشر سنوات متتالية⁽⁴²⁾ وهي 3.5 قنطارا وكان إنتاج الحبوب يرتفع إلى عشرة ملايين قنطار وكان ذلك الإنتاج يستجيب بكفاية إلى الحاجة الاستهلاكية والتخزين تحسبا لسنوات الجفاف وتموين الصادرات التقليدية العادية. أضف إلى ذلك أهمية الزراعات الطائفة بفضل التحضير البارح للمنتجات المتعددة الإنتاج وانتشار الأشجار المثمرة والزراعات الخضرية على طول الأودية وحول العيون الهامة. كما كان تطوير هذه الزراعات محل إعجاب المسافرين الأجانب وضباط الاحتلال... أما تربية المواشي التي لا يمكن فصلها عن الزراعات الكبيرة والمتواجدة بقوة في المناطق السهلية فإنها تتجاوز كل المعدلات لأخر القرن التاسع عشر رغم أن التآرجحات قد تكون كبيرة جدا نظرا للتقلبات والتوقعات الطبيعية. فإذا كان معدل إحصاء الماشية يفوق بكثير 10 ملايين رأسا من الغنم فهذا لا يهم لأن تقييم الحد الأقصى لم يكن هو الهدف الأهم.

كانت الحبوب تبقى مخزنة لسنوات طويلة، وكانت السنابل تبقى مبعثرة بعد الحصاد لتترك للمواشي مثلما وضع ذلك الحضري حمدان بن عثمان خوجة... كل هذا يظهر إذا شهرة الثروات الفلاحية للجزائر التي لم تكذب حتى بداية القرن التاسع عشر⁽⁴³⁾.

في هذه الظروف فإن المعطيات المبسطة تسمح لنا بالحكم على التطور السليبي للإنتاج الفلاحي طيلة القرن التاسع عشر والأمر نفسه

فيما يخص الحالة الديمغرافية العامة ، ويمكننا أن نصور هذه الحالة من خلال دراسة البنيات القبلية .

(ب) أهمية القبائل وعددها

إن قيمة هذين الدليلين أهم بكثير من المعطيات التي درسناها إلى حد الآن . لقد إرتكر هابار⁽⁴⁴⁾ على هذه الحالات دون التعمق في دراستها .

العدد

لا يهم كثيرا عدد القبائل . إن الإحصاء الذي قامت به الإدارة الفرنسية لمدة عقود طويلة في الميدان قد يفوق العدد الحقيقي ، ويرجع الفارق إلى بعض التعريفات الغالطة لان بعض الوحدات المتواجدة قبل الاحتلال والتفكك كان بسبب الحرب وأثارها (الفرار والهجرة...) وأيضا نتائج بعض العمليات الفتاكة بعد إنشاء المساحات الأولى للاستيطان قرب المدن الشاطئية . إن أول تقارير التحديد التي تخص مباشرة هذه الحالة التي توضح هذه الأحداث وتذكر مجموعات قليلة بتعداد لا يتغير كثيرا عن 500 شخص . فلا يمكن في هذه الحالة أن نصف هذه التجمعات بالقبائل⁽⁴⁵⁾ ويرجع الأمر إذا لفرق منعزلة .

على العكس من ذلك قد تكون التعريفات الأخرى حقيقية حيث أنها أجريت لمدة سنوات طويلة بعدما وقع النزيف الديمغرافي وكانت التعريفات سهلة حيث أن السكان يعرفون جيدا أصولهم وحتى سلسلة نسبهم على العموم مثلما تظهر ذلك البحوث الحالية في الميدان وبعد تقلبات العقود الأخيرة . يمكننا هكذا ذكر الأمثلة الكثيرة حتى في الحالات القصوى وعندني بحثي بقصر الشلالة (ولاية تيارت) ذكر لنا شخص اسم قبيلته بالضبط مع حالات واقعية ونظرا للإشارات التي قدمها لنا هذا الشخص وبعد التحقيقات التي قمنا بها إعتمادا على أرشيف الحالة المدنية وعقود الملكية توصلنا إلى تأكيد تصريحات المعني بالأمر ، أصل ذلك الشخص من قبيلة بوادي الشلف بالقرب من الأصنام .

ن (من 1863 إلى 1926) لم
ثلاثة ملايين هكتار ملكية

يرازان إلى مقدار المساحة
الاحتلال . كان الفلاحون
ثلاثة ملايين هكتار عملا
توسط مناسب لعشر سنوات
يرتفع إلى عشرة ملايين
إلى الحاجة الاستهلاكية
صادرات التقليدية العادية .
التحضير البارح للمنتجات
راعات الخضرية على طول
هذه الزراعات محل إعجاب
ربية المواشي التي لا يمكن
في المناطق السهلية فإنها
شر رغم أن التآرجحات قد
الطبيعية ، فإذا كان معدل
من الغنم فهذا لا يهم لان

يلة . وكانت السنابل تبقى
مع ذلك الحضري حمدان بن
ت الفلاحية للجزائر التي لم

طمة تسمح لنا بالحكم على
التاسع عشر والأمر نفسه

الكارثة الديمغرافية

لقد رافقت قبيلته جيوش الأمير عبد القادر حتى وادي الطويل غير بعيد عن طاقين ومكثوا في المنطقة. من ناحية أخرى نلاحظ بصفة عامة أن إسم القبيلة يحتفظ به عند كل الأشخاص الذين سألناهم في البادية وقد يسبق في غالب الأحيان إسم الدوار مع إن إسم القبيلة لا يمثل أي شيء منذ زمن طويل.

مهما يكن فقد ينبغي لنا تحديد العدد التقريبي للوحدات. يذكر برونو⁴⁶709. إذا نظرنا إلى الزيادة الطفيفة في التقييم يمكننا إيصاله إلى واحد من عشرين وهو ما يساوي 35 لنصل إلى عدد 674 قبيلة. وهذا هو الرقم الذي سنحتفظ به فيما يخص الفترة التي سبقت الاحتلال حيث إن القبيلة هي قبل كل شيء وحدة ثابتة في المكان لأن المصادر الفرنسية نفسها تشير إلى أقصر مدة للتكوين وهي تذكر في غالب الأحيان بالقرنين السادس عشر والسابع عشر واستثنائيا القرن الثامن عشر وفي الحالات القصوى والمحدودة نتيجة للإجراءات التي إتخذها الأمير عبد القادر لأغراض سياسية محضة.

إذا فالعدد المذكور يقارب الواقع قبل الفترة الاستعمارية.

الأهمية

إن تقييم الأهمية الرقمية للقبيلة يطرح عكس ذلك مشاكل جمة إن إرتكزنا على المعطيات الموجودة لدينا في الوقت الحاضر يعني معطيات آخر عهد الإمبراطورية الثانية. لقد توبع نشر التقارير الأولى للتحديد والتعريف بالقبائل من 1865 إلى 1869 ويمثل 38% من المجموعات وجزء ما يزيد قليلا عن الثلث، ومن دون شك إن هناك بعض التقدم بالنظر إلى الأرقام السابقة⁽⁴⁷⁾ لأن الإحصائيات التقطت في الميدان وهي متنوعة وتشمل معلومات اقتصادية (الماشية) والمساحة الإجمالية والتقريبية لأنواع الأراضي. ومع استحالة أخذ العديد من الإشارات والملاحظات يجب علينا أن ننظر إلى الإحصائيات الديمغرافية بكثير من التحفظ

الاستذكارات الديمغرافية

المرفق بفكر النقد، وقبل كل شيء علينا أن نذكر الملاحظات الهامة التي وجدناها.

هكذا فإن التقارير الأولى تتعلق بالقبائل لسهولة الوصول إليها لإغراض تطبيقية وتبعاً لتوجيهات السلطات العليا⁽⁴⁴⁾ وكذا لتثبيت بصفة نهائية كل المصادر السابقة للأراضي لفائدة المراكز ومساحات الاحتلال المتواجدة على الخصوص في السهول الساحلية أو قرب المراكز السكانية والمتفرقة عبر التراب الوطني وهي مجموعات صغيرة مختارة من دون شك لأسباب ماضيها السياسي والعسكري عبر المقطعات الثلاثة. على العموم يرجع الأمر إلى نوع محدد من القبائل إنها مجموعات في حالة متقدمة من الخلل في النظام والتي لا يمثل تعدادها المتوسط الحالة العامة. أضف إلى ذلك أن عمليات التعرف والتحديد تتطابق مع السنوات الصعبة (انتفاضة 1864-65 والتراجع والابتعاد والاختفاء الطوعي للعديد الكبير من الكبار مثلما يظهر ذلك عند الفلينة وجنوب سيدي بلعباس على الخصوص) ثم التقهقر العام على المستوى الديمغرافي... ماذا سنقي من إحصائيات اللوحة 54 في هذه الظروف؟

اللوحة 54 - توزيع التعداد حسب القبائل.

المعدل العام	المعدل حسب المقاطعات			السنة
	قسنطينة	الجزائر	وهران	
2407	2962	2180	2086	1864-65
3109	3082	3213	3013	1866
3094	3987	3008	2384	1867
2493	3155	2411	1694	1868

المصدر: الجريدة الرسمية 1865-1869.

في وادي الطويل غير بعيد
ري نلاحظ بصفة عامة أن
سألناهم في البادية وقد
قبيلة لا يمثل أي شيء منذ

تقريباً للوحدات. يذكر
في التقييم يمكننا إيصاله
إلى عدد 674 قبيلة، وهذا
التي سبقت الاحتلال حيث
في المكان لأن المصادر
بين وهي تذكر في غالب
استثنائياً القرن الثامن عشر
راءات التي إتخذها الأمير
رة الاستعمارية.

كس ذلك مشاكل جمة إذا
وقت الحاضر يعني معطيات
تقارير الأولى للتحديد
38٪ من المجموعات وهو
ك بعض التقدم بالنظر إلى
في الميدان وهي متنوعة
ساحة الإجمالية والتقريبية
من الإشارات والملاحظات
مغرافية بكثير من التحفظ

إن للفوارق الجهوية والتطور في الزمان أهميتها لأنها تبرز مليا التفاضلات الجغرافية وآثار الوضعية الاقتصادية والسياسية، لتوضح ذلك من خلال أمثلة واضحة وممثلة بإتباع النظام التسلسلي للعمليات إختارت التقارير الأولى مقاطعة وهران وهي المقاطعة الأكثر تضررا والأقل سكانا والموجودة على طريق الاستيطان وهي أيضا المقاطعة التي تضررت كثيرا من قبل والتي ضيعت الكثير من الأشخاص بسبب المعارك الفتاكة والهجرات الهامة. هذه الأمثلة واضحة : وكانت سواحلية المنخفضة (الغزوات) تضم بصعوبة 2418 ساكنا في 1863-64 وهي قبيلة عالية بالنسبة للمقاطعة مع أن التقرير يعلن عن حذف المئات من هذه الأقسام⁽⁴⁹⁾ والإبادة ترجع من دون شك إلى عواقب سحق جيش مونتانيك سنة 1845 (قتل 300 جندي فرنسي) عكس ذلك فإن أولاد علي وهي فرقة من بني عامر والتي كان تطورها طيلة الفترة التي سبق الاحتلال قد شهدت حروبا غير متناهية مع بايات وهران والذين خيروا منذ 1858 في قطع أراضي صغيرة وهو ما يعادل 3 إلى 4 هكتارات للشخص⁽⁵⁰⁾ وذلك بهدف تكوين مساحات للاستيطان على طول الطريق بين سيدي بلعباس وهران (6423 هكتارا) كانت هذه الفرقة تعد 9.544 ساكنا ، ولم تكن لنا فكرة عنها وعن التفهق الديمغرافي فيها، ويبقى مثل جيران أولاد زائد⁽⁵¹⁾ له دلالاته. لقد هجرت كل القبيلة سنة 1845 إلى المغرب وبقيت أراضيها شاغرة وغير صالحة للزراعة سنتي 1845 و 1846 ولم ترجع في ماي 1846 إلا خمسين خيمة لتقييم على الأراضي الباقية الحجز (23776 هكتارا على 46388 هكتارا)، وبعد سنة 1847 والكوارث التي ألمت بالمغرب رجع منهم الذين بقوا على قيد الحياة إلى أراضيهم ويصل عددهم رسميا إلى 4.948 شخصا وتبعاً لهذه الكوارث الضخمة ، لقد أيدت إذا نسبة كبيرة منهم ...

عكس ذلك فإن القبائل التي بقيت على الحياد تقريبا فإن هذا الأمر يستدعي أيضا تعليقات أكانت صغيرة أو متوسطة أو كبيرة فإن هذه

القبائل بقي تقييمها أدنى
عصور المنحدرين من
نسمة وعدد خيامهم
للخيمة فإن العدد الإجمالي
مواردهم تؤكد هذا الارتفاع
إنهم يكسبون عددا كبيرا من
والتي يصل عددها إلى
و2814 من الماعز
والذين كان يصل تعدادهم
الاقتصادية وافرة ومتنوعة
10 أشخاص بالبيت أو العائلي
الرسمي.

في حالة القبائل التي
أيضا نقص التقييم الصريح
فليتة أو الجنوب الوهراني
حالة فليتة فإن أولاد صابر
أهم رفاق السلاح لسيدي
الانتفاضة وقبيل كوارث
نسمة⁽⁵³⁾ وهو معدل أعلى من
أولاد سيدي علي بن أيوب
المغرب سنة 1845 والذين
أن تعدادهم يصل إلى
الأمثلة في النواحي المدروسة
العيش في الخفاء الطوعي
يأخذون بعين الاعتبار من
هذه المعطيات البدائية وهذه
تماما كل هذه النواحي

القبائل بقي تقييمها أدنى على ما يظهر. في الحالة الأولى فإن بني عصمور المنحدرين من بني وراغ (عمي موسى) يقدر عددهم بـ 1.857 نسمة وعدد خيامهم 332 فإذا كان المتوسط الأدنى بعشرة أشخاص للخيمة فإن العدد الإجمالي قد يكون 3320... نسمة على الأقل إن مواردهم تؤكد هذا الرقم ولو أن الأراضي الزراعية توصف "بغير الكافية" إنهم يكسبون عددا كبيرا من البساتين المتعددة والمتكونة أساسا من التين والتي يصل عددها إلى 12.000 شجرة تقريبا. لديهم 5251 رأس غنم و 2814 من الماعز...⁽⁵²⁾ أما "بنو خطاب" (جنوب غرب دائرة الميلية) والذين كان يصل تعدادهم إلى 5703 نسمة 1867 فإن مواردهم الاقتصادية وافرة ومتنوعة مع 15.000 شجرة زيتون. إذا أخذنا كمقياس 10 أشخاص بالبيت أو العائلة نصل إلى 10.000 نسمة وهو ضعف التعداد الرسمي.

في حالة القبائل التي شاركت مباشرة في إنتفاضة 1864-65 نذكر أيضا نقص التقييم الصارخ من خلال الأمثلة المختارة سواء في بلاد فليته أو الجنوب الوهراني وهما الميدانان الهامان لمعارك الانتفاضة ففي حالة فليته فإن أولاد صابر وأولاد عيش وأولاد بن رياض وأولاد دفلتن... أهم رفاق السلاح لسيدي لزرق سنة 1864 فإن تعدادهم على التوالي بعد الانتفاضة وقبيل كوارث 1867-68 : 2.123 و 2558 و 2996 و 2755 نسمة⁽⁵³⁾ وهو معدل أعلى من معدل المقاطعة. وأما في الحالة الثانية فإن أولاد سيدي علي بن أيوب (جنوب سيدي بلعباس) الذين هاجروا إلى المغرب سنة 1845 والذين اعتبروا بعد رجوعهم الجزئي ببعض الفتات ولو أن تعدادهم يصل إلى 1135 شخصا سنة 1867⁽⁵⁴⁾. "يمكننا ضرب هذه الأمثلة في النواحي المدروسة لنؤكد على هذه الظاهرة التي يزيد بها قوة العيش في الخفاء الطوعي لنسبة كبيرة من السكان القادرين وهم الذين يأخذون بعين الاعتبار من طرف ضباط المكاتب العربية... وإذا استهوتنا هذه المعطيات البدائية وهذه الملاحظات، فإن الكوارث تكون قد أخلت تماما كل هذه النواحي ولمدة طويلة جدا.

لأنها تبرز مليا
سلبية، لنوضح ذلك
سلسلي للعمليات.
طعة الأكثر تمردا
بعض المقاطعة التي
ص بسبب المعارك
وكانت سواحلية
186-64 وهي قيمة
ف المئات من هذه
أقب سحق جيش
كس ذلك فإن أولاد
الفترة التي سبقت
بران والذين خيموا
3 إلى 4 هكتارات
على طول الطريق
الفرقة تعد 9.544
في فيها، ويبقى مثل
سيلة سنة 1845 إلى
سنتي 1845 و 1846
على الأراضي الباقية
184 والكوارث التي
إلى أراضيهم ويصل
ضخمة. لقد أبيت
ربيا فإن هذا الأمر
أو كبيرة فإن هذه

وإذا أخذنا الحالة العكسية وهي حالة القبائل الكبرى لمقاطعتي قسنطينة والجزائر فكيف يكون الأمر؟ هكذا فإن أولاد عياد أصحاب العظمة قبل وحين الاحتلال وصل تعدادهم إلى 806 شخصا في حدود سنة 1845⁽⁵⁵⁾ مع أنهم ضيعوا العدد الكبير من المجاهدين أما أولاد عامر الغرابية (دائرة سطيف) فإن قرار التحديد يخصهم ويؤكد كثيرا على التقلبات التي أصابتهم (مع تلطيف الكلام) مع ذكر أهمية الخيل والمواشي التي كانوا يكسبونها في الماضي من ناحية وتناقص الأراضي الفلاحية المتعلقة بنقص عدد السكان بعد إسكانهم في المخيمات من ناحية أخرى⁽⁵⁷⁾. كان تعداد سكانهم يصل إلى 24.285 نسمة⁽⁵⁸⁾.

إذا فكل هذه المعطيات تتطابق لتشير النشرات الرسمية إلى أحداث واقعية فيما يخص هذه الفترة وتذكر في آن واحد أسباب التفقر الديمغرافي العام السابق لتاريخ 1867-68 وأسبابه الرئيسية على الخصوص بغض النظر عن عناصر الحسابات ونقص تقييم عدد السكان. ففي هذه الظروف تصبح قيم اللوحة 54 دون فائدة. وتمثل حداً متوسطاً للقبائل الصغرى وخاصة التي توجد في خلل نظامي كبير أو "الفتات". إذا أردنا أن نتوجه نحو معدل عام واقعي يجب علينا أن نضرب مرتين على الأقل قيم 1866 أو 1867 وهو ما يعادل 6000 نسمة للقبيلة الواحدة. ويصل هكذا المجموع على الأقل إلى 4038.000 عشية الكوارث. وهذا الرقم يقترب من الرقم الذي وصلنا إليه من خلال دراسة النسب المتوسطة السنوية للتزايد الناتج عن الإحصائيات المختلفة الرسمية للسكان طيلة القرن التاسع عشر (الفصل السابق). أما فيما يخص المعدل الذي سنتخذه لما قبل تاريخ 1830 فإنه يكون أعلى من معدل آخر الإمبراطورية الثانية. إذا حسبناه بعد أدنى يتجاوز 7200 نسمة للقبيلة الواحدة فإن التعداد يصل تقريبا إلى 4.845.000 نسمة وهو الرقم الذي يتقارب كثيرا مع الرقم الذي أحصيناه من خلال المعطيات المذكورة. هل يكون تقييم السكان المتوسط للقبيلة مبالغ في تقديره حيث أن الفارق مع الأرقام الرسمية كبير جدا؟

هل يسمح هذا النقد الدراسة ؟ خارج الأحداث التي درسناها من خلال العينات والأمثلة الواقعية يجب علينا الأخذ بعين الاعتبار المعايير الأساسية التالية التي هي أصل الأسس الاجتماعية/الاقتصادية للمجموعة القاعدية للمجتمع التقليدي الجزائري ألا وهي القبيلة. إن كل وحدة تكسب أراضيها المحددة بدقة وتتموقع في أماكن متكاملة⁽⁵⁹⁾ ضامنة الموارد المتنوعة لأن ازدهار القبيلة وتاريخها القصير أو الطويل يتطلب حتما أهمية عددية لأعضائها، وعلى الخصوص الأعضاء السكان الذكور الفحول لتزكية القدرة الطبيعية من ناحية ولضمان الاستقلال الذاتي على الأقل للمجموعة من ناحية أخرى. من دون شك فإن الدليل الاقتصادي هو المحدد لكنه يخضع في غالب الأحيان للظروف الجغرافية فإنه ينتج هكذا الفارق الواضح بين الطبقات الأساسية التي يعيدها دائما التاريخ. ولكن في كل الأحوال تبقى المساحة الفلاحية المفيدة كافية للغاية كما رأينا من قبل كل هذا يبرهن في الأخير إن الحد الأدنى المطلق لـ 2000 نسمة للقبيلة الواحدة محدود جدا ولا يمكننا قبوله في بداية الهجوم الاستعماري إلا في حالة القبائل المعزولة والمتردية والتي تعيش منغلقة على نفسها. أما الطبقة الثانية يمكننا أن نقيّمها بين 4000 و 5000 شخصا وأما الطبقة الثالثة قد يصل تعدادها المتوسط بين 5000 إلى 7000 شخصا وتشمل القسم الكبير من الأودية والجبال. أما الطبقة الرابعة فقد تتجاوز 8000 شخصا وأما الباقي والذي تكون عدد مجموعاته محدودة جدا فإنه يتميز بأعداد عالية جدا تفوق بكثير 10.000 نسمة إذا فالتأرجحات كبيرة جدا.

أما الحالة العامة في أواخر الإمبراطورية الثانية فإن تقييمها يجب أن يكون من خلال الحالة الواقعية والممثلة للمجموعات المتواجدة بين وادي مينا ووادي رهيو وهي مجموعات الزمورة وعمي موسى. مثلما رأينا سابقا فالأعداد الرسمية للقبيلة تتأرجح ما بين 2000 إلى 3000 نسمة قبيل الكوارث. لقد ساهم السكان في معارك 1840 إلى 1845 ومن جديد

مثل الكبرى لمقاطعتي
فإن أولاد عياد أصحاب
806 شخصا في حدود
بجاهدين أما أولاد عامر
سهم ويؤكد كثيرا على
أهمية الخيل والمواشي
قص الأراضي الفلاحية
المخيمات من ناحية
نسمة⁽⁵⁸⁾.

ال رسمية إلى أحداث
واحد أسباب التقهقر
وأسبابه الرئيسية على
قص تقييم عدد السكان
ون فائدة. وتمثل حدا
في خلل نظامي كبير أو
يجب علينا أن نضرب
بدل 6000 نسمة للقبيلة
4038.00 عشية الكوارث.
من خلال دراسة النسب
ثبات المختلفة الرسمية
أما فيما يخص المعدل
من أعلى من معدل آخر
تاوز 7200 نسمة للقبيلة
4 نسمة وهو الرقم الذي
المعطيات المذكورة. هل
تقديره حيث أن الفارق

في 1864 وقد تكون خسائرهم عالية جدا لاسيما بعد المعارك ولكن أكثر عند القمع المثالي كما تذكر الكتابات الرسمية وعلى الخصوص بالنسبة لأولاد دفتن لقد عذبوا بقساوة في 1845 ثم لحقوهم وعوقبوا حتى في ملجئهم "بلاد الشعبة" (60) سنة 1848. كيف وقع إذا هذا الإحصاء وفي أي الظروف؟ هل كان بإمكان ضباط المكاتب العربية وأعوانهم تغطية كل الرجال الفحول بعد المواجهات الدامية لسنة 1864؟ لقد اختلفت من دون شك نسبة هامة من هؤلاء الرجال بصفة أو بأخرى عن عمليات التعداد. وقد تكون إذا الإحصائيات الديمغرافية دون الحقيقة لهذه الأسباب المادية (التضاريس الوعرة بإستثناء وادي مينا ووادي رهيو) ولأسباب سياسية وإستراتيجية.

من ناحية أخرى فإن الكوارث قد أبادت هذه المجموعات المختلفة لقد لاحظنا خسائر عالية جدا (ثلاثة أرباع) في نواحي تنس ومعسكر ففي مثل هذه الظروف فإن نواحي الزمورة وعمي موسى قد بقيت خالية لمدة طويلة ولا تستحق الإجراءات التالية : تثبيت مكاتب لبلدية مختلطة على مستوى المركزين وعلى الخصوص بناء ثكنات هامة في المركزين. توضح النظرة قلعة سيدي موسى بأهمية تعداد الجنود...

لم يمر موقف الضباط دون إنتباه. إن مقالات جريدة "اليدية" (61) التي تكلمت عن أثقل رسوم ضد مجموعات عمي موسى سنة 1893 (62) تشير وتترجم الواقع : وجود سكان مطرودين من حين إلى آخر ومعاقبين ومتبوعين عبر الأراضي القاحلة والرديئة. إذا حددنا الأمر لأولاد دفتن المذكورين سابقا فإن إحصاء 1954 يشير إلى تعداد 4495 شخصا تم للهجرة شبه المعدومة ولو أن النفي المؤقت لفرنسا حقيقة فإن هذا الرقم لا يستثني قط نقصا في التقييم وأنه لمدعش بعد الإبادة التي وقعت في 1867-68. إن الظروف القاسية للاقتصاد المعيشي وبالخصوص في مرحلة الأوبئة كما دلت عليه أبحاثنا طفيلة العشرية الماضية (1969-1978) في الميدان والتي سمحت لنا بالملاحظات وبالأحرى في الخفاء

القاسي لسنة 1872 وصعوبة الوصول إلى هذه المناطق في هذا الفصل بالذات بإستثناء إيصال الأودية بواسطة المروحية... تبرز بوضوح فراغ الإحصائيات.

"كل هذا يؤكد بصفة لاشك فيها عن النقص الصارخ للإحصائيات الرسمية ويمكننا أن نعيد نفس التحليل بالنسبة لمجموعات أخرى، كما أن نواحي أخرى تبرهن على نفس الظاهرة وأهميتها وبالخصوص في النواحي الوعرة وهي الأهم والتي لم تصلها الإدارة الأولى إلا في آخر الإمبراطورية الفرنسية الثانية... إن هذا الإستنتاج يدفعنا للحفاظ وإعطاء الإحصائيات الديمغرافية الرسمية لكل القرن التاسع عشر الذي يكتسي أهمية نسبية، بصفة عامة إن سوء التقييم المتعلق بالأهالي لاسيما الإناث بكل الأعمار وكذا الأطفال، ويمكننا أن نضيف إلى هذا حسب النواحي والتاريخ المعينة نسبة ما من الذكور الكبار.

إذا أخذنا بعين الاعتبار معدلات 7.200 و 6000 للقبيلة على التوالي في 1830 وفي 1866 فإن تقييماتنا تكون تقريبية فإن التعداد الكامل في هذين التاريخين يتطابق مع النتائج الناجمة عن بحوث أخرى مأخوذة كلها من المصادر الفرنسية. إننا نبتعد هكذا عن المعطيات الرسمية المستعملة من طرف المؤلفين إلى حد الآن " إن الفارق يصل على الأقل إلى مليون سنة 1866 وإلى مليونين في 1830، ومن بعيد هو الأكبر في هذه الحالة الأخيرة إذا رجعنا إلى ما وصل إليه ياكونو. إن النزيف الديمغرافي لسنوات 1866 إلى 1872 والتي درسناها مليا مع تحليل نسب الزيادة التي تلت، والدراسة الملخصة للمعطيات والثوابت الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع التقليدي الجزائري وهي السحاور الثلاثة للبحوث التي هي مصدر هذا الفارق الأدنى، ويبقى أيضا فارقا كبيرا جدا آخر فيما يخص 1830، وبالنظر لرقم المصدر الجزائري الوحيد الذي أخذه بعين الاعتبار من جديد هابارد⁽⁶⁷⁾ وإذا ضربنا عناصر التقييم نلاحظ فارقا بخمسة ملايين نسمة وضعت تقييما الأدنى. إذا كان ياكونو يعتبر

المعارك ولكن أكثر
بالخصوص بالنسبة
هم وعوقبوا حتى في
هذا الإحصاء وفي أي
وأعوانهم تغطية كل
لقد اختفت من دون
عن عمليات التعداد
لحقيقة لهذه الأسباب
وادي رهيو) ولأسباب
المجموعات المختلفة
نواحي تنس ومعسكر
مسي موسى قد بقيت
تثبيت مكتبين لبلدية
بناء ثكنات هامة في
تعداد الجنود...
جريدة "ليديا"⁽⁶⁸⁾ التي
مسي سنة 1893⁽⁶⁹⁾ تشير
حين إلى آخر ومعاقبين
لدينا الأمر لأولاد دفلتن
تعداد 4495 شخصا تبعاً
رئسا حقيقة فإن هذا
ش بعد الإبادة التي وقعت
معيشي وبالخصوص في
العشرية الماضية (1969-
سات وبالأحرى في الشتاء

عمل موظف سام أمراً غير سليم وشهادته⁽⁶⁴⁾ وهو الشاهد المباشر لعصره وبالأحرى الذي تعامل مباشرة مع مصادر التقييم ألا وهي مالية الدولة ويتعد عنها طواعية ويكتفي بالمعطيات الرسمية لإدارة بيجو وأفكار المؤلفين المعاصرين المنحازين كل الإنحياز في غالب الأحيان والمتعاطفين مع الهيمنة الاستعمارية على الجزائر، وكان من الواجب عليه أن ينظر من قريب أو بعيد إلى شهادة حمدان بن عثمان خوجة ويتساءل عن المعاني الإجمالية لعمل هذه الشخصية التي جاءت في سياق واضح وبينه المؤلف نفسه عندما قدم رقم 10 ملايين ساكن ولأنه إن كاتب الدولة وبن أخ مدير المالية⁽⁶⁵⁾ يعرف جيدا نوايا المتحدثين معه حيث أنه قدم شهادة أمام لجنة إفريقيا " وبعث برسائل عديدة ومطولة لأعضاء الحكومة الفرنسية وأعوان الدولة على ضوء الأحداث الأولى لجيش الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر والنواحي التي قطعها طيلة السنوات الثلاثة الأولى... إن المؤلف يشرح ويرسم لوحة واقعية لكل النواحي التي يعرفها جيدا وهو يضيف التفاصيل المفيدة، وهناك نصوص كثيرة كانت قد أتلفت نظرا للمنددين بتاريخ الجزائر وبالأحرى النصوص المتعلقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى المالية⁽⁶⁶⁾ ومع أن هذا العمل فريد من نوعه إلا أنه همس⁽⁶⁷⁾، وكان الأمر كذلك بالنسبة للأرشيف الحقيقي للدولة الجزائرية الذي بعثر من طرف دوبرمون⁽⁶⁸⁾ ثم صودر وحول أخيرا إلى فرنسا في آخر الليلة العالكة للاستعمار، ولهذا السبب ظل عمل المؤرخين صعباً ومنهكاً لكنه مثيراً للحماس.

الخلاصة

هكذا فإن العواقب الديمغرافية كانت كبيرة جدا وأثرت على المدى الطويل على الحركات الديمغرافية الطبيعية وكذا التقسيم الجغرافي والمفارقات الجهوية التي تنجر عن ذلك بعد إخلاء نواحي شاسعة.

لكن الظاهرة العظمى التي تشد الانتباه ولا يمكن أن تمر في الخفاء على ضوء الدراسة الأولى هي المواجهة بين الحصيلة الدنيا للكوارث مع المعطيات الديمغرافية الرسمية وبالأحرى النسب الاستثنائية السنوية المتوسط للزيادات من 1872 إلى 1886 مع كل هذه الفترة التي كان عليها أن تسجل على كل حال وعلى الأقل هذا التقهقر الطفيف ومن الآن فصاعداً ستتوجب هذه الملاحظات إعادة الدراسة المعمقة للحالة الديمغرافية لسنوات ما بين 1866 و1872 التي تكذب مباشرة الإحصائيات الرسمية السابقة واللاحقة بغض النظر عن تحليل المعطيات الأخرى المأخوذة من المصادر الفرنسية على الخصوص في إنتظار إعادة وجود المصادر الجزائرية الحقيقية.

ناهد المباشر لعصره
لا وهي مالية الدولة
الإدارة بيجو وأفكار
في غالب الأحيان
كان من الواجب عليه
ثمان خوجة ويتساءل
باءت في سياق واضح.
ساكن ولأنه ابن كاتب
تحدثين معه حيث أنه
بيدة ومطولة لأعضاء
محدثات الأولى لجيش
قطعتها طيلة السنوات
نعية لكل النواحي التي
ك نصوص كثيرة كانت
رى النصوص المتعلقة
ومع أن هذا العمل فريد
نسبة للأرشيف الحقيقي
ون¹⁶⁸ ثم صودر وحول
ولهذا السبب ظل عمل
جدا وأثرت على المدى
وكذا التقسيم الجغرافي
علاء نواحي شاسعة.

ملاحظات

1. 'ياكونو' (75).
2. 'ياكونو' (75).
3. هكذا فإن محصول 1876-77 كان 'رديئا للغاية' وكان تأثيره واضحا على السنة التي تأتي. للأكثر تفاصيل شاهد 'أجرون' (17) ص 376-390.
4. كان سبب بعض الموتى الجوع والبعض الآخر تألم من الجوع دون أن يموتوا. كانوا كثيرين كان منذ الآن ضررا دائما ولكن دون إشكال. وهو حالة الإعوزات القريب من الفقر التي يعيشها القبائل والعرب. خماسة أو عاملي أجرة وحتى الملاك الصغار حالة الإعوزات واضحة جدا كما كتب ناطق رسمي استعماري ولكن شاهد يلاحظ تطور سكان وادي الشلف ألا وهو محامي الأصنام بواي-بانس (الوثيقة الاجتماعية لجغرافية الجزائر 1906 ص 196).
5. لا نكون أبدا واثقين لوضع التزايد السكاني وهذا ينتج عن تحسين الإحصاء ص 1 عرض نسب التزايد من إحصاء إلى آخر كدراسة الحركة الطبيعية للسكان يوجب احتياطات كثيرة هذا ما شهد به 'شوفالبي' في المشكلة الديمغرافية لشمال إفريقيا. باريس 1947 ص 21.
6. 'سوفي' (73) و'بوجو قاريني'.
7. 'سوفي' (73) و'جورج' (78).
8. 'أجرون' (17) نك 1. ص 27.
9. على الخصوص خلال سنوات العشرينات. بهذا فإن حوصلة سنة 1921 كانت سلمية (اللوحة 51) الإحصائيات التي أنشئت في الحالة المدنية تظهر تكاثر الوفيات في سنة 1920-21 أكثر مثال يشد الانتباه هو مثال تيارت. أما بالنسبة للمعدلات السابقة فإن الوفيات قد ضربت بثلاثة. نلاحظ عددا كبيرا من العقود التي تخص

الكارثة الديمغرافية

- المجهولين. لقد ذكر لنا ذلك الموظف المسن ببعض الأسي ذكريات تلك السنوات في المكان المسمى "زرز" قرب الحي الغربي للمدينة. كان البؤساء يقبلون لردأخر نفس...
 10. الحولية الإحصائية للجزائر 1974 ص 25.
 11. الإحصاء العام الثاني للسكان والسكن في 12 فبراير 1977 النتائج الأولى للبلديات الجزائر 1978 ص 4. نسبة التغطية لهذا الإحصاء على مجموع السكان يقبع مؤقتا ب 95,7.
 12. تشير إلى نسبة 33% قد أعلنها صحفي منذ بداية الكوارث. (لو كوري في 13 سبتمبر 1867).
 13. "الجيلالي صاري" (68).
 14. "لاكوست" و "نوشي" و "برونات" (23) ص 304. "مقتل" بليسي 760 شخصا من أولاد ريج و هاجم سان أرنو بني مأذون قرب تنس و "كافينيكا" ببند قبيلة صبيحة... إن مثل صبيحة الذي يؤكد عليه "بيجو" قد أعاد الكرة بأمر موجه لخليفة بن... في بلاد القبائل (ص 305).
 15. يمكننا إن نشرح نشر الإجراءات التي أدت إلى مصادرة أراضي القبائل التي هاجرت إلى المغرب وتونس. الشركات الفرنسية في الجزائر و الجرائد الرسمية... قبل 1845...
 16. أرشيف "أكس آن بروفانس" ف. 80-447 تقرير 20 أكتوبر 1850.
 17. أرشيف "أكس آن بروفانس" ف. 80-462.
 18. "لاكوست" و "نوشي" و "برونات" (23) ص 304.
 19. "ياكونو" (76) إن هذا النص المذكور ألا وهو يوجد في ص 298.
 20. "كارات" و "فارنيي" (57).
 21. "كارات" (56).
 22. "الجيلالي صاري" (70).
 23. الشركات الفرنسية في الجزائر 1944-45 ص 397.
 24. النتائج الإحصائية لإحصاء السكان. الجزائر 1954 ص 111.
 25. النتائج الإحصائية لإحصاء السكان. الجزائر 1954 ص 111 ص 20.
 26. شاهد التفاصيل عند "ياكونو" (76).
 27. "حمدان خوجه" (63).
 28. "ياكونو" (76).

الاستذكارات الديمغرافية

29. "ديبو" (58) و "لاكوست" و "نوئي" و "برونانت" (23) "رانبار" و "أرمانقو" و "دوباسكي" (64)، تشير إلى أن المؤلفين لهذا المصدر الأخير لهم نفس الحالة العدائية و السلبية تجاه العالم الإسلامي وهي التي سادت إلى العقود الأخيرة في أوروبا.
30. شاهد على الخصوص شهادة "حمدان حوجة" فيما يخص مجزرة العوفية، البليدة (63) ص 55.
31. أن المعطيات المطروحة مشروحة شرحا مفصلا من طرف "سكياني" على مستوى البلدان العربية (71).
32. "ج. قالين" ص: تأثير العوامل المختلفة الاقتصادية والاجتماعية على النسل في الجزائر السكان، باريس، جويلية 1973 ص 817-841.
33. "راينهد" (64) و "سكياني" (71).
34. يشير "سكياني" بتحفظه إلى هذه الأوضاع مع بعض الحالات لقتل الأطفال عند بعض القبائل التي تعيش على حافة العالم العربي الإسلامي (711) ص 839.
35. إنها تقارب 50% وهي أعلى المستويات في العالم الثالث.
36. فيما يخص الفترة 1920-22 شاهد الملاحظة 24 أعلاه، فيما يخص سنوات 1942-45 تشير بعض الإحصاءات إلى تكاثر الوفيات التي بقيت حتى 1947-48، إنها نتيجة حتمية للحرب العالمية الثانية بالإضافة إلى الفقر و وباء التيفوس لسنة 1942، إن الحوصلة الرسمية لهذه الفترة تشير إلى 200.000 ضحية ولكن عدد الضحايا قد يكون أكثر نظرا لنقص الإعلانات العامة للحالة المدنية ذكر هذه الدكتور "داود" في المشاركة في دراسة الحالات الآتية للتيفوس، الجزائر أطروحة متعددة 1968. أما الزيادة لأكثر من ثلاثة ملايين نسمة من 1954 إلى 1962 (اللوحة 52) فإنها تستلزم توضيحا مطولا وتتجاوز إطار هذه الدراسة، بغض النظر عن خسائر الحرب الثقيلة التي يتناساها تماما فإنه يشير إلى نقص في التعداد لسنة 1954، عكس تصريحات بعض الأدباء.
37. "راينهد" (64).
38. إن تقارير تحديد القبائل قد نشرت من قبل في إطار القيام بقانون 1863 ثم في إطار قانون 1887. لقد وضعت النصوص في الجرائد الرسمية للحكومة العامة للجزائر (مجلات 1860 إلى 1926).
39. أنها تكون مصدرا لا يفنى للإحاطة بالحالات الاجتماعية الاقتصادية الهامة لفترة الاستعمارية. شاهد "الجيلالي صاري" ص: "تهديم الملكية العقارية" المجلة التاريخية، باريس رقم 505، جانفي 1973، ص 47-76.

40. "أميرات" دراسة حول قضية الأهالي الجزائري 1896.
41. بغض النظر عن القوانين السابقة وعلى الخصوص قانون 1951.
42. إن المعدل الذي يعود إلى فترة 1862-72 (اللوحة 41) تصل إلى 5,3 قنطارا للهكتار مع أنها تعود إلى أرقام رسمية وإلى فترة تقيقر، يأتي كل هذا للمحافظة على الأرقام وللبقاء أقل من الواقع ...
43. "لاكوست" و "نوشي" و "برونانت" (23) ص 158. إن التفاصيل القليلة والشاذة والغامضة التي يعطيها "حمدان خوجة" فيما يخص كمية القمح والمخازن و طول مدة الغزن وبصفة عامة التل المخصص تماما للفلاحة، لا بد من أخذ هذه التفاصيل بعين الاعتبار (63) ص 22-26 مع أن الأمر يتعلق بالموضوع الرئيسي لهذا الكتاب.
44. "هابارد" (61) إن هذا المؤلف يذكر 659 قبيلة أو بقايا قبيلة حسب تقطيع 1869 لم يتم التعرف إلى هذا التاريخ.
45. شاهد شروط التحديد والاعتراف في الجريدة الرسمية لسنة 1865 ص 315، لقد نشرت النتائج من 1865 إلى 1869 ثم بداية من 1888 (قانون 1887).
46. "برونو" (77) ص 23 إن 709 قبيلة المعروفة والمحدودة نكون (حوالي 1938) 1.138 أدارا، إن عدد الدواوير يتأرجح من 1 إلى 8 للقبيلة الواحدة وهو حسب الأهمية العددية للسكان وكذا إلى اعتبارات سياسية وإستراتيجية (مراقبة وتفتيش) حسب المؤلف تمت كل العمليات في مقاطعة قسنطينة وهي في طور الانتهاء في مقاطعتي الجزائر ووهران في هذا التاريخ.
47. هكذا فإن "بواي يلاحظ من خلال عينة (61) قبيلة فارقا ب 15٪ من التعداد بالنسبة لسنة 1866 (55) ص 309.
48. شاهد الجريدة الرسمية 1865 ص 315 إن نظام الأولوية يكون كالتالي المغرب من مراكز الإعمار للأوروبيين والوصول بواسطة السكة الحديدية على الخصوص.
49. الجريدة الرسمية 1866 ص 574.
50. الجريدة الرسمية 1868 ص 482.
51. الجريدة الرسمية 1868 ص 852 مثل أولاد براهيم (سيدي بلعباس).
52. الجريدة الرسمية 1868 ص 712.
53. الجريدة الرسمية 1868 ص 840، 845، 856 و 1127.
54. الجريدة الرسمية 1868 ص 887.

الاستذكارات الديمغرافية

55. ذكر الرقمان الأولان من طرف "بواي" (55) ص 309.
56. الجريدة الرسمية 1869 ص 995.
57. الجريدة الرسمية 1867 ص 814.
58. مثلما رأينا يشبر "توشي" إلى 25.031 شخصا (30) ص 123.
59. "الجيلالي صاري" (70).
60. الجريدة الرسمية 1868 ص 1126 النص الملحق رقم 11.
61. على الخصوص مراسلة 20 أغسطس 1892 التي قدمت إعلان الضابطص :
 "لا بد من فرض غرامات ثقيلة على كل هؤلاء الأشخاص لكن لم يبق لهم أي إنهم
 رعيتي ولا بد أن يستسلموا في آخر المطاف إنها حرب حتى الموت معهم".
62. إنها غرامات غابية مع أن الغابات التي تمثل الجزائر توجد في نواحي أخرى
 وبالأخص على طول الجبال الشاطئية شرق بجاية؟؟؟
63. "هابارد" (61).
64. شاهد النص الملحق رقم 13.
65. "حمدان خوجه" (63) إن المؤلف هو الذي يوضح ذلك مع إشارات أخرى.
66. إن الإشارات التي يعطيها فيما يخص إدارة بيت المال لها أهمية بالغة لتاريخ
 الاقتصادي والاجتماعي والديمغرافي (63) ص 110-113.
67. تأليف خارق للعادة ونشره كان محدودا المترجم ح د (مستشرق) طلب عدم
 ذكر اسمه لم نشاهد إلا الجزء الأول.
68. "كل الملاحظات التي كان يجب تسجيلها قد رميت وبعثرت عبر الطرقات"
 يوضح ذلك "حمدان خوجه" (63) ص 199.

الفصل العامة

كانت دراسة أهم المظاهر للنزيف الديمغرافي لأخر عهد للإمبراطورية الفرنسية الثانية قد ظهرت مفيدة جدا. لقد وصلنا شيئا فشيئا إلى الإحصاء التقريبي للظاهرة مع دراسة أسبابها وآثارها. كما وصلنا إلى الهدف المنشود رغم كل الصعوبات المعهودة لكن هذا الأمر أظهر مشاكل هامة تكذب من دون شك أسباب المعطيات الإحصائية الديمغرافية وبالأحرى التقييمات المتعلقة بأهمية السكان في 1830.

بعد الدراسة النقدية والمعمقة للعديد من الإحصائيات المستمدة أساسا من الحالة المدنية وبمقارنتها مع المصادر الأخرى والشهادات وصلنا إلى إتمام القسم الأول بوضع النتائج على مستوى كل الدوائر الإدارية الجيدة التمثيل. وكان ههنا الثابت طيلة بحوثنا هو النقد المجرد والشديد لكل المصادر التي اطلعنا عليها ولقد أظهرنا و لمرات عدة نقائص الإحصائيات وأكدنا على الإعلانات العامة لوفيات الأطفال وللإناث بكل شرائحها العمرية، بغض النظر عن نقص التسجيل العام الذي يميز كل سجلات الوفيات في تلك الفترة. وقيمنا هذه الظاهرة بعد الحصول على المصادر الكافية، إذا وبعد هذه الملاحظات العامة والخاصة اخترنا إعطاء نتائج ذات حد أدنى وبقينا هكذا طوعا تحت أقل من الحقيقة.

لكن ورغم هذا التحفظ الكبير فإن الحالة المدنية تبقى من أحسن مصادر البحث وبالأحرى فيما يخص تطور الوفيات في المكان والزمان.

الكارثة الديمغرافية

هكذا يمكننا تحديد متابعة فترة أو فترات الكوارث في كل الدوائر وإظهار الحدود القصوى طيلة تلك الأسابيع والأشهر الأكثر فتكا، فهناك حدان أقصيان : الأول يعلن ويشرع بالوفيات تبعا لانتشار وباء الكوليرا في بداية شهري أغسطس وسبتمبر 1867، وطيلة الفترة القصيرة لبعض الأسابيع سجلنا نسبة كبيرة من الوفيات مع حدود قصوى يومية عالية جدا.

أما الحد الأقصى الثاني فهو الأهم ويتطابق مع الشتاء و بداية ربيع 1868، كانت أشهر فبراير ومارس وأفريل مروعة حيث وجدنا فوارق بين تسجيلات العقود والواقع فقد تعممت وتكاثرت الكوارث وكانت الجثث تملأ السبل والطرق وفي المدن تحولت بعض الساحات والشوارع إلى مقابر مفتوحة في الليل، وكانت الهياكل المتجولة تبعد بواسطة الجبل... أما في البوادي فإن نواحي بأكملها خلت فجأة من سكانها والأمر لا يتعلق دائما بالمناطق ذات الطقس القاسي والذي يمتد في بعض الأحيان حتى الشواطئ ويغطي جزءا كبيرا من مقاطعة وهران وكل الجنوب مسجلا أرقاما قياسية مأساوية بما في ذلك الدوائر الإدارية لمستغانم ومعسكر، فالحصيلة ثقيلة وثقيلة جدا بالإضافة إلى زيادة الوفيات التي لوحظت من سنة 1870 إلى 1872 والتي تصل على الأقل إلى مليون ضحية...

وهذا الرقم يضلل من الآن فصاعدا المعطيات الإحصائية الديمغرافية الرسمية بالأسباب أو العواقب فإن النتائج المتتالية لإحصائيات السكان وأهمية التعداد في 1830، إذا لابد من المراجعة على ضوء الملاحظات الكمية لأن المجاعة المزعومة لسنة 1867 لا تمنع دراسة الأحداث رغم النقائص المتعلقة بالأوضاع المناخية على الخصوص. والأمر نفسه بالنسبة للكوارث الطبيعية أو "تيفوس" العرب، إن الكوارث الطبيعية (الجفاف و الجراد) وهي ظواهر ثابتة لا تتجزأ عن البيئة المادية ولا يمكنها أن تشرح كارثة من هذا الحجم لقد لاحظ جميع المعاصرين والملاحظين

الخلاصة العامة

المدنيين منهم والعسكريين لجماعات الفلاحين وأقروا بوجود مخزن من الحبوب يكفي على الأقل لثلاث سنوات. فالحبوب لم تنقص ولم تنقطع حركتها لكن الفلاحين باعوا كل شيء لديهم حتى برانيسهم وخيامهم للحصول على الحد الأدنى من المعيشة...

"... الأمر أكثر من وباء، إنه موت مجتمع وهذا هو الإحساس لدى أعضاء هذا المجتمع" (راي غولد زيغر)

هذه هي نتيجة الطامة العظمى للأربعين سنة الأولى من الإحتلال والمقاومة والتجاوزات المختلفة لجيش مصمم على الهيمنة والاحتكاك الخشن بين الاقتصاد المالي والاقتصاد التقليدي "وحرية المبادلات التجارية. وهذه هي السنوات الأخيرة لهذه الفترة المأساوية التي انهارت فيها الجزائر التقليدية في مدة عشر سنوات. كانت خلاصة راي غولد زيغر التي درست على الخصوص وبعمق هذه السنوات الحاسمة من 1860 إلى 1870. لقد وقعت هذه الكوارث الطبيعية مباشرة بعد تطور آثار انتفاضة 1864-65 وهذا ما بين العوامل البشرية ومن بينها العوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية التي كونت لنا الفوارق الجهوية وبالأحرى الإبادة لبعض النواحي التي كانت مصرحا لعمليات 1864-65 والتي وقعت في الجنوب الوهراني والجنوب الجزائري...

ومهما يكن الأمر فالعواقب لا تحسب ولكن نضع في الحسبان المشاكل الأساسية للديمقراطية التاريخية الجزائرية. فعلى ضوء تقييم الحوصلة الدنيا للنزيف الديمغرافي وكذا تحليل الزيادات المتتالية الناجمة عن الإحصاءات المختلفة، فإننا مجبرون على تكذيب الإحصائيات الرسمية للقرن التاسع عشر على الأقل، وفي نفس الوقت تقييمات 1830. فكيف يمكننا قبول فائض لأكثر من مليون شخص (1.143.000) من 1872 إلى 1886 مع أن في هذه الفترة يتوقع أن تسجل تفهقرا طفيفا في أحسن الفرضيات الممكنة؟ كيف يمكننا قبول هذا الاحتمال بعد إنطلاق الحركة

وارث في كل الدوائر
بهر الأكثر فتكا. فهناك
الانتشار وباء الكوليرا
الفترة القصيرة لبعض
د قصوى يومية عالية

مع الشتاء و بداية ربيع
حيث وجدنا فوارق بين
الكوارث وكانت الجثث
الساحات والشوارع إلى
تبعد بواسطة الحبل
من سكانها والأمر لا
يمتد في بعض الأحيان
ة وهران وكل الجنوب
وائر الإدارية لمستغانم
إلى زيادة الوفيات التي
على الأقل إلى مليون

الإحصائية الديمغرافية
ية لإحصائيات السكان
على ضوء الملاحظات
مع دراسة الأحداث رغم
صوص. والأمر نفسه
إن الكوارث الطبيعية
ليئة المادية ولا يمكنها
معاصرين والملاحظين

الكارثة الديمغرافية

الانتفاضة العارمة لسنوات 1871-72 التي عقيتها مباشرة مصادرات الفلاحين (نصف مليون هكتار) ؟ كيف يمكننا قبول هذا التسلسل لهذه الظواهر دون أن تلمس الطاقة الديمغرافية بصفة أو بأخرى على طول المدى ؟

إن إعادة تقييم تعداد السكان صار أمرا حتميا أكثر من أي وقت مضى وهو يدخل حتما في الملاحظة الأساسية التي تعود إلى الفائض الذي سجل بعد 1872 وعلى الأقل الزيادات الثلاثة الأولى لآلا يظهر أننا نبالغ في الأرقام... إن عدد سكان سنة 1886 (اللوحة 52) وهو 3.200.000 نسمة عليه أن يطابق تقريبا عدد السكان لسنة 1872 حسب الفرضية الأكثر تفاؤلا مع انه لا يمكن أن تكون أي زيادة قبل نهاية القرن. إن عدد السكان سنة 1886 عليه أن يصل إلى 4.200.000 نسمة، وهذه الإعادة في التقييمات الدنيا ترجع إلى الحالة السياسية لسنتي 1871-72 وتسمح لنا بإرجاع نسبة الخسائر من 40٪ تقريبا إلى أقرب من 25٪ (من 22 إلى 30٪) وهي القيمة القريبة جدا من الواقع. أما فيما يخص إعادة التعديلات السابقة فإنها تكون حسب التطور الجاري للفترة المعنية. فمن 1830 إلى 1866 وباستثناء الفترة القصيرة ما بين 1856-61 فإن كل الملاحظين والمؤلفين لهذه الفترة الفارطة يتقبلون التفهقر الديمغرافي العام، تفهقر لا نستطيع حسمه إلا تقريبا. في انتظار وضع أعمال كثيرة متعلقة بهذه الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية الاقتصادية التي سبقت الاحتلال لقد حاولنا أن نضع تصورا عاما يمكننا من شرح الفرضية الدنيا ومن خلال تحليل بنيات المجتمع التقليدي ومن خلال المواد المتجزئة الموجودة في النصوص الفرنسية لأخر الإمبراطورية الثانية يمكننا تقييم عدد السكان بخمسة ملايين على الأقل فإذا وجد فارق بين هذا العدد والعدد الذي كان متفق عليه حتى نهاية العهد الاستعماري فهذا أمر غير مدهش. فكل شيء خطط لتكريس نجاح التاريخ الأكاديمي وخلوده منذ أول عملية لجيش الاحتلال في مدينة الجزائر بإفساد وبعثرة الملفات حتى تم

الخلاصة العامة

نقل ما بقي من الأرشيف وكل ما نجا من الإتلاف⁽¹⁾ وهذا يصعب كثيرا عمل المؤرخ، وعلى الملاحظ المحايد أن يعيد النظر ويعيد من جديد إلى الوجود إن أمكن تلك الملفات الحقيقية لإعادة بنائها من خلال مواد جديدة حسب الاستطاعة وهو ضرورة ملحة سواء كانت ممكنة أو مثالية.

المرجع رقم 1

الطبع من قبل دار نشر بيسان في 1968، 1972
من 1968 إلى 1971

المرجع رقم 2
من 1971 إلى 1972
المرجع رقم 3
من 1972 إلى 1973
المرجع رقم 4
من 1973 إلى 1974
المرجع رقم 5
من 1974 إلى 1975
المرجع رقم 6
من 1975 إلى 1976
المرجع رقم 7
من 1976 إلى 1977
المرجع رقم 8
من 1977 إلى 1978
المرجع رقم 9
من 1978 إلى 1979
المرجع رقم 10
من 1979 إلى 1980
المرجع رقم 11
من 1980 إلى 1981
المرجع رقم 12
من 1981 إلى 1982
المرجع رقم 13
من 1982 إلى 1983
المرجع رقم 14
من 1983 إلى 1984
المرجع رقم 15
من 1984 إلى 1985
المرجع رقم 16
من 1985 إلى 1986
المرجع رقم 17
من 1986 إلى 1987
المرجع رقم 18
من 1987 إلى 1988
المرجع رقم 19
من 1988 إلى 1989
المرجع رقم 20
من 1989 إلى 1990
المرجع رقم 21
من 1990 إلى 1991
المرجع رقم 22
من 1991 إلى 1992
المرجع رقم 23
من 1992 إلى 1993
المرجع رقم 24
من 1993 إلى 1994
المرجع رقم 25
من 1994 إلى 1995
المرجع رقم 26
من 1995 إلى 1996
المرجع رقم 27
من 1996 إلى 1997
المرجع رقم 28
من 1997 إلى 1998
المرجع رقم 29
من 1998 إلى 1999
المرجع رقم 30
من 1999 إلى 2000
المرجع رقم 31
من 2000 إلى 2001
المرجع رقم 32
من 2001 إلى 2002
المرجع رقم 33
من 2002 إلى 2003
المرجع رقم 34
من 2003 إلى 2004
المرجع رقم 35
من 2004 إلى 2005
المرجع رقم 36
من 2005 إلى 2006
المرجع رقم 37
من 2006 إلى 2007
المرجع رقم 38
من 2007 إلى 2008
المرجع رقم 39
من 2008 إلى 2009
المرجع رقم 40
من 2009 إلى 2010
المرجع رقم 41
من 2010 إلى 2011
المرجع رقم 42
من 2011 إلى 2012
المرجع رقم 43
من 2012 إلى 2013
المرجع رقم 44
من 2013 إلى 2014
المرجع رقم 45
من 2014 إلى 2015
المرجع رقم 46
من 2015 إلى 2016
المرجع رقم 47
من 2016 إلى 2017
المرجع رقم 48
من 2017 إلى 2018
المرجع رقم 49
من 2018 إلى 2019
المرجع رقم 50
من 2019 إلى 2020

بها مباشرة مصادر
هذا التسلسل لهذه
أو بأخرى على طول
كثير من أي وقت مضى
عود إلى الفائض الذي
على ألا يظهر أننا نبالغ
وهو 3.200.000 نسمة
حسب الفرضية الأكثر
نهاية القرن". إن عدد
نسمة. وهذه الإعادة في
1871-72 وتسمح لنا
25 (من 22 إلى 30)
لخص إعادة التعديلات
لمعنية. فمن 1830 إلى
6 فإن كل الملاحظين
ديمغرافي العام. تقهقر
مال كثيرة متعلقة بهذه
تي سبقت الاحتلال لقد
ضية الدنيا ومن خلال
اد المتجزئة الموحودة
نية يمكننا تقييم عدد
بين هذا العدد والعدد
فهذا أمر غير مدعش.
بمي وخلوده منذ أول
وبعثة الملفات حتى تم

الوثيقة رقم 1

مقطع من تقرير طبي نشره بيري في 1868 (32) (ص من 466 إلى 471)

الأمراض التي تصيب العرب والصادرة عن الجوع هي : الضنى الآتي من الجوع والذي يؤدي إلى اضطرابات خطيرة في المعدة وتكون أعراضه منتشرة . مثل أضرار المعدة التي كانت ميزة هذه الأمراض لأن التسريبات الصعبة تشير إلى الحالة المتقدمة من هذا الضنى .

لقد ظهرت بعض حالات داء الحفر في وادي سلي قرب الأصنام .

حالات البرسام وإلتهاب الرئتين الصادر عن سوء التغذية . مثل الأمراض العادية كالجدري وبوحمرون وبعض أمراض الجلد .

وأخيرا وكنتيجة لكل هذه الأمراض يأتي التيفوس ولكن بأعداد قليلة نسبيا عند الأهالي .

إن قلة التغذية عند العرب تنتج الضعف الذي يؤدي إلى الضنى ولكن هذا السبب يأتي عادة بصفة منعزلة لأن الأهالي وفي غياب الأكل السليم والكافي يتناولون حسب الأماكن مواد فقيرة وسامة في بعض الأحيان . كما كان الأهالي بالقرب من الجلفة يأكلون ثمر العرعر وكانوا يبحثون في كل مكان عن "القرنية" والنخل الصغير والخبازة وكثير من الحشائش .

الكارثة الديمغرافية

وعلى كل حال يجب الإشارة إلى أن استعمال هذه المواد شيء طبيعي بالنسبة للأهالي فيما يخص الدورة الغذائية وهذه المواد غير مضرّة مثلما يكون الأمر بالنسبة للأوروبيين لأن عند العرب القادرين مؤهلات لهضم هذه الحشائش سواء أكلت مطهية أو بدون طهي . فهم يأكلون الفول الطري بقشرته ويبيعون في الأسواق أوراق النخيل الطرية والقرنية وهي نبتة تشبه الخرشف الإسباني أو الخرشف البري .

إن سوء نوعية الأغذية مع تضافر البرد تشكل عند الأهالي اضطرابات في المعدة تزيد بسرعة في تدهور الحالة الصحية للجسم . كما أن الإسهال يظهر في أوساط الرحالة وملاجئ المتسولين بنسب قليلة . وتكون هذه النسب كبيرة إذا قارناها مع الإسهال الحاد الذي ينجم لا محالة من جراء سوء التغذية والتي تمثل تشخيصا وحادثة للمجاعة .

فمن غير الممكن أن يظهر الإسهال وهو من الأمراض التي تستوطن في البلدان الحارة ، وتظهر حتى في وقت السلم وفي أحسن ثكناتنا تاركة هذا الطابع الوبائي . فالمواد الصعبة الهضم والفواكه غير الطازجة هي الأسباب التي تكون اضطرابات في المعدة وظهور الإسهال كما أن للإسهال خصائصه وله أضراره البدنية . مثل بعض الأمراض الخاصة بالإسهال لا يجد عادة مواد تطوره في الأجسام المنهكة وفي درجة متقدمة من التعب العضوي و يضيع الإسهال الحالات البدنية والفحشية وصحيح أن نقول أن الأمراض الصادرة عن الجوع تتكون حينما يبدأ الإسهال ، مستغلة ما ضيعه من مكونات النسيج ، والملاحظ في المدة الطويلة بعد الانفعال المكون للإسهال .

طيلة أوبئة 1868 وفي واحدة من أول رسائلني إلى مجلس الصحة للجيش كنت ذكرت إن العرب يموتون بأعداد كبيرة من جراء أمراض تعود إلى المجاعة وما هي بالإسهال . لقد وجدت مؤخرا هذا الإيضاح في الكثير من التقارير التي بعثت لي . كان السيد بوشان يكتب فيما يخص

الكارثة الديمغرافية

مرضاه بالجلفة : لقد بدأ الإسهال عند العرب الكبار بصفة غير معهودة وبدون أن يقدم الدلائل التي تعرف عن تشخيصه... إن التهاب المعدة بحالاته المتعددة وأثره الفتاك يمكن أن يذكرنا بالتكوين الباثي. لقد قال السيد فيراتون في المدينة في تقريره المؤرخ في 9 أفريل 1868 والمبعوث للجنرال قائد المقاطعة وَوَ يجب علينا أن نصرح أن المجاعة العارمة والتي لا يمكنني البحث عن أسبابها المتعددة، هي التي تحدد أمراض المعدة المتواجدة عند العدد الكبير من الأهالي والتي تشبه الإسهال الذي يؤدي في غالب الأحيان إلى الضنى والموت وَوَ أما ريب فإنه يكتب مايلي وَوَ في سور الغزلان، إن تأثر أعضاء الهضم كثيرة جدا عند العرب الذين يأتون بمجموعة من الدلائل التي يمكننا أن نسميها بمرض الفقر والجوع وَوَ إن أكثرهم في حالة تدهور ملحوظ، نحيلو الهيئة مصابون بالإسهال ويتغذون بصعوبة. تعتبر أمراض المعدة من الأمراض المزمنة. ونظرا إلى أن أمراض المعدة عند الأهالي الجوعى ما هي إلا عبارة عن حالة عامة، عيرت تسميتي الأولى بالتهاب الفقر ونقص التغذية وهذا هو الأصح.

في حالة عدم التغذية المركبة بأحداث عادية عند الأهالي الجوعى يتأثر النسيج الشحمي وتخال العضلات كأنها تختفي ليبدأ بعدها حفر الوجه ويصعب على الشوارب أن تغطي الأسنان وتعطي للهيئة صورة مشؤومة، ويصفر الجلد ويتخبط بخطوط بنفسجية، وهذا الجلد اليابس والمجعد والمتعلل يمتد على مستوى المفاصل التي تمثل الأجزاء الغليظة للأعضاء بعدها يغيب الصوت أو لا يكاد يسمع ويتأثر النبض بانخفاض عميق : كان النبض ضعيفا ولا يسمع في غالب الأحيان. إن درجة الحرارة العامة كانت تظهر منخفضة كثيرا في الحالات القصوى.

إن أعضاء الحياة ذات العلاقة فإنها تقاوم كثيرا على ناحية هذا الاندثار التام لعملية الأعضاء للحياة النباتية. إن النجافة الهيكلية والإسهال يأتي عادة دون إنفعال الحمى. يحافظ الجوعى في غالب الأحيان على ذكائهم وقدرة

المواد شيء طبيعي
واد غير مضره مثلما
رين مؤهلات لهضم
فهم يأكلون الفول
ظرية والقرنية وهي

د الأهالي اضطرابات
جسم، كما أن الإسهال
قليلة، وتكون هذه
م لا محالة من جراء

راض التي تستوطن
أحسن ثكناتنا تاركة
أكه غير الطازجة هي
إسهال كما أن للإسهال
الخاصة فالإسهال لا
ي درجة متقدمة من
الفحشية وصحيح أن
حينما يبدأ الإسهال
في المدة الطويلة بعد

لي إلى مجلس الصحة
بيرة من جراء أمراض
ت مؤخرا هذا الإيضاح
وشان يكتب فيما يخص

الكارثة الديمغرافية

التحرك. كانوا يركضون طويلا قبل أن يموتوا فجأة دون أن يظهر ذلك عليهم قبل آخر دقيقة من حياتهم .

يعيش ضحايا سوء التغذية طويلا على حساب موادهم الخاصة مع أنهم لم يجدوا وسائل لتحسين تغذيتهم الفاسدة وهكذا صارت أعضاء الهضم غير قادرة على أداء دورها مع أن الامتصاص المعدي كان يقع بصفة عادية، وترجع قلة النتائج إلى هذه الحالة العضوية وفي كثير من الأوضاع إلى الحماية الغذائية .

يقول بوشان « إن اغلب الذين يصلون إلى ملاجئ التسول مصابون بأمراض المعدة ولكن أكثرهم يظهر في صحة جيدة. وبعد وقت قصير من بقائهم يبدوون في التدهور السريع. إن النظام الحديد الذي طبق عليهم كان لهم قاتلا. فبعد أسبوع أو اثنين يصلون إلى آخر درجة الضلّي وهذه الظاهرة كانت حساسة بالخصوص عند الأطفال»

* طيلة هذه المدة كان المرضى دون حمى وكانوا يأكلون أكثر من العادة كانوا كثيري العطش. وكانت بطونهم تؤلمهم وكانوا يذهبون من سبع إلى ثمان مرات إلى المراحيض وكان ما يخرج من بطونهم نصف سائل أصفر وكريه الرائحة ولكن دون دم، وحسب تصريحات المرضى فإنهم لم يعرفوا هذه الأعراض من قبل وكانوا في آخر المطاف يضعون كل قواهم ليبقوا نائمين دون حركة. كان البطن ضامرا وبدأ الجلد ييبس والبص ينخفض ويأتي الموت بصمت دون نزاع ودون أن ينتبه له جيرانه ودون أن يضع طاقاته الفكرية. أما عند الشيوخ فمسيرة المرض أكثر سرعة *

لم نشهد في غالب الأحيان مثل هذه الصفات في حالة أمراض سوء التغذية ولا هذا البؤس، إن العاقبة العادية للفقر والجوع بعد النجاسة وضياح الفكر تكون السيول. يظهر التخرب في الرجلين والوجه ويأتي غالبا في البطن ويتعمم في بعض الأحيان. إن التخرب يكون دائما دليلا سيئا وعند بعض المرضى يسبقه الموت بعد الإرتجاف.

فجأة دون أن يظهر ذلك

موادهم الخاصة مع أنهم
لذا صارت أعضاء الهضم
المعدي كان يقع بصفة
وفي كثير من الأوضاع

اللاجئ التسول مصابون
جيدة. وبعد وقت قصير
نظام الجديد الذي طبق
من إلى آخر درجة الضنى
أطفال»

وكانوا يأكلون أكثر من
لهم وكانوا يذهبون من
يخرج من بطونهم نصف
سبب تصريحات المرضى
في آخر المطاف يضيعون
ضامرا وبدأ الجلد ييبس
ودون أن ينتبه له جيرانه
وخ فمسيرة المرضى أكثر

ت في حالة أمراض سوء
نقر والجوع بعد النحالة
الرجلين والوجه ويأتي
الخزب يكون دائما دليلا
وتجاف.

الوثيقة رقم 2

هجرة شعب بقلم الراهب بورزي (18)

لم يكن شهر أغسطس 1867 قد تم بعد حتى بدأ الوباء يبسط روائه
المأتمي على كامل التراب الجزائري وكان منذ ذلك الوقت في النواحي
الجنوبية قد نفذ مخزون الحبوب من المخازن وأكلت آخر حبات الشعير
والقمح ، والأرض الجافة في هذا الفصل وتحت شمس محرقة لا تعطي أي
نبته أو حشيشه للاستهلاك وأما مواطنوهم الأغنياء الذين يحافظون على
مبادئ الكرم المنشودة في القرآن لا يهدون لهم إلا القليل

في حالة مأساوية كهذه فإن هؤلاء البؤساء صاروا يفرون من هذه
النواحي غير المضيفة ويديرون وجوههم نحو آفاق أكثر سعادة. ووجهوا
خطاهم نحو أمكنة أقل جفاف ونحو قلوب أرحم دون كسوة تقيهم من
الأمطار المتقطعة ودون زاد بدؤوا يسرون في صمت وحزن عبر الأدغال
التي تقطع سيقانهم وأرجلهم الحافية

لا يكسب الرجال إلا العصا التي لا تفارق أبدا العربي والتي تستعمل
في غالب الأحيان كسلاح. أقول إن هؤلاء الرجال يمشون دون مبالاة
بالتعب ودون حاجات تربطهم بعوائلهم وهم محرومون من كل شيء.
النساء المثقلات بالأطفال منحنيات على ظهورهن كالقردة ينسجن وهن
متعبات يتبعهن الأطفال النحل المتضررون جوعاً

أنهم يتقدمون كلهم بصعوبة وببطء والعطش الحار يفتك بهم تحت السماء الحارقة. لا تطفئ ضمأهم إلا بعض البرك الراكدة والساخنة التي كانوا يجدونها بسعادة في طريقهم لتغليط الجوع الذي يعذب أحشاءهم من الصباح إلى المساء، كانوا يتناولون جذور بعض النباتات ويأخذون بعض الحشائش التي يجدونها تحت أقدامهم ويأكلونها بشراسة، مع الأسف فإن الأطفال يرضعون ثدي الأم الجاف نتيجة الحرمان الطويل

"تحت الحر الشديد لنصف النهار كانوا يرقدون تحت ظل بعض الأشجار أو النخيل في انتظار نسيم خفيف يبرد عليهم حر الطقس المشتعل، وعند إقتراب الليل يرقدون على الأراضي العارية ملفوفين ببرانيسهم القبيحة، لا غطاء لهم إلا الندى الكثيف أو بعض أغصان الزيتون البري في هذه المناطق، وهم ينظرون متأملين برون أشعة الشمس متحملين الجوع دون شكوى أو زفرة.

تتهافتل الأمطار في بعض المرات وتعم على السهوب والأودية، مبللون حتى العظام يظلب هؤلاء البؤساء بعض الحنان من ذلك التراب المبلل طالبين النوم الذي هجرهم من شدة الجوع، أما في الثلج فتتجمد أعضاء هؤلاء البؤساء من شدة البرد القارس والمفاجئ.

كانوا يصلون هكذا من النواحي حول المراكز الأوربية، منهمكين وعراة تقريبا كالظل، إنهم ليسوا برجال أو نساء أو أطفال إنهم هياكل عظمية أي مشهد مؤسف ومؤلم هذا الذي يتراءى للأبصار من كل النواحي

"في قسنطينة، كانت عربية مسكينة تحمل فوق ركبتيها طفلين تريد إرضاعهما لكن حانة الفقر والتديين العاريين كانت تغلظ آمال الطفلين لأن الأم ليس لديها حليب، في هذا الوقت بالذات مرت امرأة فرنسية دفعته مشاعر الأمومة فأرضعت كلا الطفلين من ثديها لأنها كانت هي أيضا أمًا، يا له من تواضع! يا له من عمل بشري!، إنها لم تمتلك نفسها

الكارثة الديمغرافية

أمام هذا المشهد وأدارت وجهها نحو الحائط وأرضعت الطفلين تحت أنظار العرب المعجبين.

وفي وهران كان طفل يموت على ثدي أمه التي حاولت وجود أي شيء يرجعه للحياة. لقد جفت عيون الأمومة لقد بحثت تلك الأم العربية مثل اللواتي كنا بكثرة في المدينة تتسول وتطلب الإغاثة كان على وجهها علامات الجوع وثيابها إن كانت هناك ثياب. مقطعة ولا تكفي لستر عورتها. كانت الدراهم تتساقط عند طلبها ولكنها جاءت في وقت متأخر، لا فائدة لإرجاع الحياة للطفل. كتب راهب مارنغو (حجوظ حاليا) إلى أسقف الجزائر في بداية الشتاء كانت كنيسة تستقبل جماعة المتسولين الأهالي الذين يهيمون في الساحات العمومية والطرقا يطلبون قطعة خبز. إن جل هؤلاء المساكين لم يبق لهم إلا الجلد على العظام ولا غذاء لهم إلا حشيش الحقول وجذور النخل القصير أو "القرنية" كم رأيت من مرة جماعات من الرجال والنساء يدافعون بالعصي عن حافات الطريق لمنع قطع البقر من أكل الخبازة التي كانت ترعاها.

يفتكك بهم تحت
الساخنة التي
يعذب أحشاءهم
نباتات ويأخذون
بها بشراسة. مع
الطويل "

تحت ظل بعض
ليهم حر الطقس
الغارية ملفوفين
ض أضغان الزيتون
رروز أشعة الشمس

السهب والأودية.
من ذلك التراب
في الثلج فتتجمد

الأوربية، منهمكين
أطفال إنهم هياكل
للأبصار من كل

ركبتها طفلين تريد
تغلط آمال الطفلين
مرت امرأة فرنسية
ثديها لأنها كانت هي
إنها لم تمتلك نفسها

الوثيقة رقم 3 طرد الجوعى

لقد تكاثرت بصفة مخيفة تلك الأعداد من المساكين من كل النواحي نحو المراكز الأوربية. كانوا يحاصرون أبواب المدن ويزدحمون في الساحات العمومية ويعرقلون الطرقات ويهاجمون القرى ويفرقون البوادي. هؤلاء البؤساء أصحاب العيون المحفورة والأعضاء النحيله والمغلفون لأخر أطراف الأظمار حيث تنبعث رائحة كريهة وبدؤوا يورطون الأمن العمومي وكذا الصحة العمومية.

بدأنا نفكر في إبعادهم من المدن والبوادي تخوفاً من هذه السياحة المرعبة والمجهولة عند الشعوب المتحضرة. لقد وضعت الإدارة العليا مراكز عسكرية في كل القرى لحماية المحاصيل ثم اتخذت إجراءات صارمة لتخليص الأوربيين من هذه الهجومات التي صارت تهدد مصيرهم. فجمعت هكذا كل العرب رجالاً ونساء وأطفالاً وكل الذين يسرون في الشوارع والحقول. تم تنظيمهم في مواكب كثيرة نوعاً ما ثم تم اقتيادهم إلى قبائلهم المنوالية من طرف الجنود.

لإعطاء فكرة عن هذه الكتل البشرية القادمة من المراكز الأوربية ففي خمسة أيام وصل عدد المتسولين الأهالي المطرودين من المدينة إلى الرقم القياسي وهو ألف ومائتين وسبعين من الرجال والنساء والأطفال.

"لم تتح لي الفرصة لأرى بنفسى أحد المواكب لهؤلاء البؤساء الذين أعيدها إلى قبائلهم ولهذا أترك الكلمة لشاهد عيان ليحكى لنا ذهاب مواكب المتسولين الأهالي من وهران الذين طردوا بأمر من الإدارة.

"لقد غادر بالأمس المتسولون الأجانب دائرة وهران وسمح لي الحظ بأن أكون شاهداً على هذا الرجوع. كان عددهم لا يحصى أكثر مما كنا نتخيل. لقد أعطاني موظف سام في الإدارة الرقم الرسمي وهو ألفين ومائة وكان النصف منهم يعود للدائرة الإدارية لمستغانم والنصف الآخر للدائرة الإدارية لمعسكر".

"ذهبنا من جهة سان كلو (قديلا حالياً) على طريق أركول وكانت الطريق التي يسلكها هؤلاء البؤساء عندما يتوجهون إلى مستغانم. لم نشهد من قبل في حياتنا مشهداً مؤسفاً كهذا؟

كانوا يأخذون مكاناً لعدة كيلومترات ويذهبون جماعات رجالاً ونساء وأطفالاً وهم نصف عراة تقريباً جلهم نصف عار يزحفون أكثر مما يمشون لا يحملون معهم أي رزمة أي كسوة وأي أنية إنه الفقر البائس. إنه الفقر بآتم معنى الكلمة إنه الفقر المروع. إنه الفقر إنه الخبل نتيجة الآلام الجسدية. إننا نلاحظ من خلال نظرهم الميت أن كل هذه البطون كانت فارغة وأن كل هذه الرؤوس كانت خاوية وأن كل هذه الأذان ترن بأصوات غريبة ناتجة عن شدة الجوع. عندما يمشي جمع من الرجال معا فإنهم يفرحون الطريق في بعض الأحيان بالأنشيد وفي غالب الأحيان بمبادلة أطراف الحديث إنهم ينادون بعضهم ويتبادلون المشاعر إننا نحس بالحياة عند هؤلاء الرجال الذين يمشون جماعات. أما هنا فلا شيء من هذا القبيل لم تر ولو ابتسامة على شفتي طفل. لم نسمع ولا كلمة. لا عبارة ألم ولا عبارة فرح. الصمت القاتل عند الجميع.

كنا جمعنا ورمينا لهم كل النقود التي كانت في جيوبنا. فكانوا يجمعونها دون إلتفاتة إلى الجهة التي جاءت منها دون أن ينظروا إلينا أو

الكارثة الديمغرافية

يشكروننا، لا أحد من المجموعة يتقدم نحو سيارتنا لطلب المزيد، كانت لدي قطعة خبز فرميتها مع بعض النقود، فأرتدى الذين كانوا قريبا على القطعة كما شاهدت عند البعض معاول رديئة يحملها الأقل إنهاكا ويستعملونها لإقتلاع بعض جذور النخيل القزم ليأكلوها بشراسة. كانت أم مسكينة تضم على صدرها طفلها الميت وكأنها تريد تسخينه وذلك لأنها لم تجد ما تأكله كما أنها لم تتمكن من إعطائه قطرة ماء عندما كان يموت فلا أحد من هؤلاء الموجودين في الجماعة كان لديه إناء يحتوي على كأس ماء.

رجعنا إلى المكان بعد ثلاث ساعات ولم تكن المسافة التي قطعوها طويلة، كانوا ينقسمون إلى أكثر من عشرين مخيما على مساحة لا تفوق الثلاثة أو الأربعة كيلومترات وكان ذلك عند قدوم الليل، فأشعلوا بعض النيران بالأدغال ولكن فوق هذه النيران ولا قدر ولا غذاء يطهى، كانوا يحاولون إنعاش أنفسهم بالقليل من دماء النار.

كان للرجال والنساء دائما نفس الهيئة وكان بعض الأطفال يبكون من دون شك من ألم الجوع، كان معنا شاب صاحب الأربعة عشر سنة، لقد آلمه هذا المشهد حتى مرض.

هؤلاء البؤساء الذين
يان ليحكي لنا ذهاب
بأمر من الإدارة.

ان وسمح لي الحظ بأن
ي أكثر مما كنا نتخيل،
وهو ألفين ومائة وكان
النصف الآخر للدائرة

طريق أركول وكانت
هون إلى مستغانم، لم

جماعات رجالا ونساء

بار يزحفون أكثر مما
ية انه الفقر البائس، انه
ر انه الخبل نتيجة الآلام
كل هذه البطون كانت
هذه الأذان ترن بأصوات
من الرجال معا فإنهم
في غالب الأحيان بمبادلة
مشاعر إننا نحس بالحياة
هنا فلا شيء من هذا
سمع ولا كلمة، لا عبارة

ت في جيوبنا، فكانوا
نا دون أن ينظروا إلينا أو

الوثيقة رقم 4

مراسلة من راهب تلبلات إلى أسقف وهران (7 فبراير 1868)

أرشيف أسقف وهران (1)

صاحب السيادة

أتشرف بالكتابة لكم فيما يخص العرب الموجودين حاليا في تلبلات بحسب موقعها وسوقها الأسبوعي المقام كل يوم ثلاثاء لأن تلبلات مملوءة اليوم بقراية ماتتين من الموتى بالجوع والبرد والفقر من دون شك يا صاحب الغبطة فإن راهبكم موجود وان خادمكم المتواضع يعمل كل ما في استطاعته لمساعدة هذا الشعب الجائع حيث انه يرى أن كل هؤلاء الناس تعودوا على صراخهم وتعاستهم وهو لا يعطيهم أي شيء الآن ولكن لمساعدة هذا العدد الكبير من الناس لابد أن يكون عندي أكثر مما أملك. عندنا ما يقرب من ستين طفلا صغيرا ما بين السنتين والثلاث سنوات وحتى سبع سنوات وأربعون شيخا ما بين 40 إلى 45 سنة والباقون سواء رجال أم نساء وهم الأغلبية.

صاحب السيادة،

إن الأطفال الصغار عراة وأعضاؤهم الصغيرة والنحيلة لا يظهر منها إلا الجلد الطري على العظام...لابد أن نشفق عليهم يا صاحب السيادة إن الله يعلم شدة آلامهم ووقع برودة الليالي المباشرة على أجسامهم العارية دون

كسوة ولا ملجأ مع الجوع الذي يتربصهم... إن الشيء القليل الذي أعطيه إياهم لا يكفي لتصيرهم. من بينهم يا صاحب السيادة من وزن عشرة أرطال ومنهم من يسقطون على الأرض من دون سبب... ويجرحون ولكنهم لا يطببون جراحهم لأنهم بدون دم.

النوع الثاني يشمل الرجال والنساء أصحاب الثلاثين سنة وهم الأكثر عدداً ن كانوا يضربونهم إذا تسولوا ويبعثونهم إلى عمل لا يجيدونه... إنهم الأكثر بؤساً... وهذا شيء مؤسف حتى بالنسبة للمجتمع الذي يضيع هؤلاء الذين يمكنهم الاكتفاء بالقليل حتى إن كان الأمر يتعلق بأجرة عملهم. في هذا الصباح يا صاحب السيادة، أراد عمدة المدينة طردهم جميعاً ولكن لا أعلم أين "لتصفية القرية" أراد طردهم ليموتوا بعيداً لي مثل هاجر مع رغيف من الخبز ولا أظن أن بلدية تليلات قد قسمت عشر كيلوغرام من الخبز لهذا الشعب الجائع... ومن الممكن أن يتخذ هذا الإجراء غداً وسيطردون على بعد 7 أو 8 كيلومترات ليموتوا جوعاً... سيعدون... ولكن سيرجعون وإن لم يكن هؤلاء فسيكون آخرون... سأطلب من عمدة المدينة أن يشغل السالمين في تصليح طريق المقبرة : ستجد البلدية في ذلك العمل فائدة بإعطاء كل واحد منهم خمسين سنتيماً كما أنها تستطيع أن تعين حارساً للعمل.

يجب على الرجل أن يفعل الشيء القليل مقابل هذه الأجرة المتواضعة... لكن هذه الفكرة لم تعجبه... وأجابني بأنه لا يمكنه أن يفعل شيئاً دون إذن السيد العامل (الوالي)... أضف إلى ذلك أن هؤلاء العرب ليسوا من منطقتنا وبالتالي فإنه لا يمكن لبلدية تليلات أن تفعل شيئاً بالنسبة لهم ...

"أقول : يجب أن ندرك أن هذه البلدية تجني فوائد من العرب... خمس... مداخيل السوق حسب ما يقال تقارب 6000 فرنك... وما يشتريه العرب من مستهلكات في قريتنا من الخشب والفحم والذين

الكارثة الديمغرافية

يدفعون فيه 15,20 سنتيم لحمل الحمار... إذا كانت لدينا فوائد فلماذا لا نقبل قليلا من الحمولات...

لا أعرف يا صاحب السيادة ما هي الإجراءات التي ستؤخذ تجاههم ولكن من واجبي أن أحذر سيادتكم وأطلب منكم ألا تتخلوا عن هؤلاء الجوعى في تليلات، فعلى السيد العامل إذن أن يسمح للعمدة بأن يقدم بعض الأعمال في بلديتنا ليشغل العرب، أو يدفع لهم بعض المبالغ من طرف الحكومة في هذا الصدد... وهي صدقة متواضعة ولكن ذكية تنفع أكثر من المبالغ المعتبرة وبغض النظر عن رؤساء المصالح الذين يهينون هؤلاء السفهاء لكني أظنهم أقرب من الله من أولئك العرب الأغنياء ومع أنهم دون المستوى إلا أنهم يستحقون الارتقاء إلى مستوى البشرية ويحسون بالبشرية المتألمة...

لدي في مخزني ثلاثون عربيا جلهم من الصغار جمعتهم لأفيهم قساوة الطقس فجلهم كانوا عراة، ولو كنت أكسب بعض الخيام القديمة لأصنع منها بعض الملابس لفعلت...ومن بين النساء كانت عندي امرأة لها شجاعة رجل وهي تتمتع بمهارة غير عادية، لست أدري من أين اكتسبتها. إنها أرملة صاحبة الثلاثين سنة... لا تتذمر أبدا ولها عيون توحى بالذكاء... لقد علمت من طرف خادمي الصغير أن سيادتكم قد تكلفت باليتيمين الذين أهداهما لي الرب وقالت لخادمي بهدوء: إذا قبلت سيادتكم بأن يستخدمها سيفرح بعملها لم أر من قبل يا صاحب السيادة امرأة مثلها عند الجالية العربية وأتمنى أن تكون مسيحية جيدة فإذا قبلت سيادتكم استقبالها وأنا أطلب السماح من سيادتكم على هذا الموضوع، وأنا أظن أنه باستطاعتي أن أقول كل شيء مثلما أقوله لوالدي، لأنني مع كل التواضع والأدب والاحترام خادمكم المطيع.

راهب تليلات

جاكمار.

القليل الذي أعطيه
زيادة من يزن عشرة
ن سبب... ويجرحون

لائين سنة وهم الأكثر
عمل لا يجيدونه...
للمجتمع الذي يضيع
الأمر بتعلق بأجرة
مدة المدنية طردهم
دهم ليموتوا بعيدا لي
تليلات قد قسمت عشر
ممكّن أن يتخذ هذا
ات ليموتوا جوعاً...
فسيكون آخرون...
صليح طريق المقبرة :
واحد منهم خمسين

مقابل هذه الأجرة
بأنه لا يمكنه أن يفعل
ذلك أن هؤلاء العرب
تليلات أن تفعل شيئا

في فوائد من العرب...
ب 6000 فرنكا... وما
الخشب والفحم والذين

الوثيقة رقم 5

مراسلة من راهب تلبلات إلى أسقف وهران (29 مارس 1868)

أرشفيف أسقفية وهران

صاحب السيادة ،

لي الشرف أن ابعث لكم هذه التفاصيل التي تجهلونها حسب اعتقادي مثلما تجهلها السلطة العليا. لقد عملتم الكثير من أجل هؤلاء العرب المساكين ولقد ساعدتم المحتاجين عندما كانت الموت تشاطرهم. عندما كنتم منهمكين في هذه الأعمال الخيرية تركوكم تجهلون ما يقع داخل البلاد.

منذ شهرين استقبلت كل أسواق الجهة اليهود الذين أتوا للقضاء على جثامين العرب الذين مازالوا في القبائل.

منذ شهرين والعرب الذين لم يصلوا بعد إلى حالة التسول يأتون لبييعوا الأساور والحلقات والدبابيس وهي أعلى حلي تكسبه العربية : من الأشياء المذكورة المتخذة من الذهب والفضة . وكانت مدفوعات اليهود لا تتجاوز نصف القيمة من وزن الحلي وبسبب الحاجة الملحة كان العرب يقبلون ما يدفع لهم كمقابل .

لماذا لم تنشأ مؤسسة للقرض وتعطي التسهيلات ؟ لماذا لم تبلغ السلطات المحلية السلطات العليا بذلك الأمر لتجد حلا. كل شيء يدل على أنهم يريدون الإفلاس الشامل لهذا الجنس.

يا صاحب السيادة إن الأمر لم يتم إلى هذا الحد. ماذا سيقع في الداخل! إننا نلاحظ أن محاصيل الشعير قليلة. إن العربي يحتاج فتقدم له تسبيقات بـ 200% من الفائدة. إنهم يعطون للعربي 5 فرنكات شريطة أن يدفع عند الحصاد ما قيمته 15 فرنكا من الشعير على الأقل ولا تمنح هذه التسبيقات إلا للناس المعروفين الذين يمكنهم استرجاع ما أخذ.

إن السلطات المحلية لا تجهل هذه العمليات ولكنها لا تريد إبلاغ السلطات العليا بما يقع. إنه لمن المؤسف أن نقول يا صاحب السيادة إن الجزء الكبير من الثروات التي اكتسبت في هذه البلاد تأتي من مثل هذا... (غير مفهوم) والذي يصف بالسرقة حسبما أظن إنهم يريدون إفلاس العرب وكل شيء يدل على ذلك بينما يريد المسؤولون في المناصب العليا أن يرجعوا لهم الحياة في الوقت الذي يريد البعض الآخر أن ينزع عنهم آخر ريشة وأخر زفرة.

إن عظمتكم تهتم بما يجري في الجزائر وتسرع لمساعدة البؤساء وتريد أن تصل إلى هدف معين وهو أن ترى هذا المجتمع سعيدا مزدهرا ولكن لن نصل إلى هذه النتيجة ما لم نجد وسيلة لقمع أصحاب الربا وهم داء هذه البلاد بالنسبة للعرب وكذا الأوروبيين.

بأي وسيلة نريد أن نجعل العربي متحضرا إذا كان يتعامل في صفقته التجارية مع الأوروبيين أو اليهود ويدفع أكثر من مائة بالمائة من الفائدة... (دون فائدة)؟

الإمضاء غير واضح

الوثيقة رقم 6

شهادة بالنسبة لناحية بوغار

صدرت في جريدة «أخبار» في 7 جوان 1868

"في الوقت الذي يخيم فيه الفقر حاليا على السكان والأهالي أقدم لكم في بعض السطور إيضاحا على الوضع الموجود في دائرتنا "

"قبل كل شيء فإن الفقر مرعب، انطلاقا من هذه الفكرة ودون الإطالة في الأحداث، نذكر أهم أسباب هذا الفقر والتي تكافحها القيادة بكل قوة " إن دائرة بوغار تتألف من بلاد واسعة مسقية في جزئها الكبير من وادي الحكون و الشلف والتي تكون أهم ثروة للأهالي. أضف إلى ذلك أن القطعان الكثيرة توفر موردا هاما لمالكيها وهذه الموارد قد تكفي أن تكون ثروة على الأقل وتحفظ قبايلنا من هذا الفقر الحالي أو تعيده مقبولا ، ومع الأسف ومع تضافر بعض الظروف المؤلمة فإن كل هذه الثروات انعدمت تماما "

منذ خمس سنوات واجهت دائرة بوغار أعنى المحن التي تساقطت عليها بقوة فقبل كل شيء كانت الانتفاضة التي لم تحترم أي شيء ؛ فبالحديد والنار والغزوات دمر إزدهار البلاد وهذا بلاء لا يمكن أن يصلح إلا بعد سنوات عديدة من الرخاء.

"إن الأهالي عند الرجوع إلى الواجب بدؤوا العمل فزرعوا الأراضي وتحملوا المشاق بكل شجاعة. كان كل شيء ينبئ بالثمرات. فجاءت أول

هذا الحد. ماذا سيقع في
إن العربي يحتاج فتقدم
العربي 5 فرنكات شريطة
الشعر على الأقل ولا تمنح
نهم استرجاع ما أخذ

بات ولكنها لا تريد إبلاغ
قول يا صاحب السيادة إن
البلاد تأتي من مثل هذا
أظن إنهم يريدون إفلاس
مؤلون في المناصب العليا
بعض الآخر أن ينزع عنهم

وتسرع لمساعدة البؤساء
هذا المجتمع سعيدا مزدهرا
بلق لقمع أصحاب الربا وهم

إذا كان يتعامل في صفقته
كثير من مائة بالمائة من

الإمضاء غير واضح

الكارثة الديمغرافية

هجمة للجراد وتساقطت على المحاصيل التي كانت تنتظر أيام قلائل من الشمس ليتم نضجها. لقد أتلف تقريبا كل شيء وكانت هذه السنة بالنسبة للأهالي سنة تنبئ بسنوات شداد.

لقد تخوف كثيرا هؤلاء البؤساء فتدخلت القيادة : فشرحنا لهم بأنه عوض الفشل لابد عليهم من الكد أكثر وتضافرت القوى في مكافحة الكوارث التي أصابتهم وكادت تؤدي إلى إفلاسهم ، فعادوا إلى العمل من جديد وانتظروا محاصيل السنة المقبلة ولكن أصابتهم كوارث أخرى

أصيبوا بجفاف لم تر مثله من قبل لقد نمت السنابل بصعوبة فأحرقتها الشمس تماما قبل الأوان. فبدأت فترة المجاعة التي أنهكت الأهالي. ثم ظهر وباء لا يرحم الا وهو الكوليرا الذي ضرب بقوة السنة الفارطة وخلف الكثير من الضحايا و أصيب هكذا الأهالي على التوالي في مصالحيهم وفي أنفسهم وحتى في أقاربهم، إضافة إلى كل هذا. الجوائح التي دامت أكثر من شهر ففتكت بمواشيهم.

" تزايدت المجاعة أكثر فأكثر وخيم البؤس وانتشر في كل قبائلنا وانتشرت هنا وهناك الجثث المترامية وبين الفحص إن هذا من فعل الجوع الذي بدأ يحصد الضحايا، وتفطنت القيادة ان الأزمة قد عمت وان دورها الآن أصبح يتجاوز التشجيع فقط لأنه صادر دون فائدة فأمرت بتخطيط يشمل الإغاثة وهذا بعدما علمنا أن كميات كبيرة من الحبوب قد وضعت تحت تصرف من له الأمر في تقسيمها بأسعار معقولة وحسب احتياجات كل واحد وتم استدعاء رؤساء القبائل وشرح لهم الوضع. إننا نريد مساعدتهم ولكننا طلبنا منهم عملا متواصلا. فمن واجبه تشجيع مواطنيهم لقد فهم كل واحد مهمته وفعل ما في استطاعته واستعمل كل نفوذه وشيئا فشيئا صار الأهالي يستحسنون مواسة القيادة نحوهم فنهضوا من سباتهم وصمموا على إعادة الكرة من جديد.

الكارثة الديمغرافية

"فزرعت الأراضي من جديد وانتظروا نتيجة أعمالهم. فجاءت الأمطار بغزارة وبللت التربة الجافة واليابسة بعد سنة الجفاف . وصار كل شيء ينبت بتعويض ما فات فنما القمح والشعير بوفرة ولكن لا بد من انتظار بعض الأشهر قبل موسم الحصاد."

"فكانت أتعس فترة عرفناها. لقد توصلنا في بداية الشتاء إلى أحد أفزع آثار هذه المجاعة، لقد رأينا رجالا ونساء وأطفالا يفترسون بكل أسنانهم فرائس تجمعت عليها الغربان والكلاب وأخذت حصتها منها. لقد رأينا تلك النسوة اللاتي كن يهربن عندما يقترب منهم الأوروبي . ويخضعن لأبشع الأفعال للحصول على قطعة خبز ويدفعن إلى الدعارة ببناتهن الصغيرات اللاتي لا تتعدى أعمارهن 12 و13 سنة مقابل بعض النقود. إنه أمر مروع ولكنه موجود ويعلمه كل الناس."

"أيها المساكين أيها الناس المساكين أمركم مؤسف ومع هذا فإن مصيبة أخرى في إنتظاركم. يبدو أن المحصول جيد هذه السنة. بدأ الأمل يظهر إلى الوجود ولكن اختفى فجأة. انظروا إلى هذا الغمام الحالك الذي يغطي السماء ويهددكم ، إنه يتقدم بسرعة مع صوت كدوي الرعد وفي الحين سيهجم هذا الجيش الذي لا يحصى عدده على محاصيلكم ويستهلكها ماذا يمكن للمرء أن يفعله أمام هذه الكوارث؟ هل كان مصير المساكين وهذا الشعب هو الإفلاس الكامل؟ ستجنون الأحداث الرهيبة بسرعة ولكن لا يمكننا أن نقول إنكم لم تبدلوا آخر جهد ."

"لقد أعطيت الأوامر . سيقدم كل شيخ كل قبيلة أكبر عدد ممكن من الرجال القادرين على الأعمال الشاقة سنقيمها حربا دون هوادة ضد الجراد فكل واحد عليه أن يستعمل عنفه وهيجانه أضف إلى ذلك انه يطلب من القيادة جاءت ثلاث فيالق من "الزواف" للمساعدة وتحطيم العدو وساعدتهم في تلك المهمة الكتيبة الثانية لإفريقيا المتمركزة ببوغار فلم تسمع إلا الضجيج والكلام وأصوات الجنود يرددون بفرح الموت للجراد..."

ت تنتظر أيام قلائل من كانت هذه السنة بالنسبة

زيادة : فشرحنا لهم بأنه رت القوى في مكافحة . فعادوا إلى العمل من مايتهم كوارث أخرى "

نمت السنابل بصعوبة مرة المجاعة التي أنهكت الذي ضرب بقوة السنة الأهالي على التوالي في فة إلى كل هذا، الجوائح

وانتشر في كل قبائلنا محص إن هذا من فعل ان الأزمة قد عمت وان صادر دون فائدة فأمرت بات كبيرة من الحبوب قد بأسعار معقولة وحسب وشرح لهم الوضع. إننا سلا. فمن واجبهم تشجيع ما في استطاعته واستعمل من مواسة القيادة نحوهم من جديد.

الكارثة الديمغرافية

رغم كل هذه الجهود، لم نستطع التغلب تماماً على العدو. لقد إستمرت الخسائر وكانت يومية، وأتلقت المحاصيل عند العديد من القبائل ومن بينها أحمد بن ساعد الذين أصيبوا بقوة. إن هذه القبيلة الصغيرة التي تتشكل في أغلبها من المخارنية الأوفياء والأكثر إخلاصاً لقضيتنا والذين أفلسهم جفاف السنة الماضية.

كما ترون سيدي المحرر فإن الوضعية غير لامعة ولكننا نسارع في زيادة ورشات العمل وكما ذكرت لكم في مراسلة سابقة، وكل يوم كان الأمين السابق لقصر البخاري، سي داود بن محمد لا يزال يتابع عمله الخيري ويهدي كل يوم كما كان يعمل بالماضي المؤن الوافرة لكل المحتاجين من المساكين الذين لهم الحظ في طرق بابه.

تقبلوا مني... إلخ.

في "أخبار" المتفرقة :

إن محاصيل العلم أن الكثير الحبوب. إن بعض اللازمة. بعد 1900 فرنكا و...

"لقد باع الحبوب تنبؤ عشر عائلة على

يمكننا أن نظن للأهالي وان مح أخذت وردت

لما على العدو. لقد إستمرت
من العديد من القبائل ومن
هذه القبيلة الصغيرة التي
بشراً إخلاصاً لقضيتنا والذين

ير لامعة ولكننا نسارع في
رأسلة سابقة، وكل يوم كان
محمد لا يزال يتابع عمله
لماضي المؤمن الوافرة لكل
طرق بابه

تقبلوا مني... إلخ

الوثيقة رقم 7

شهادة من مراسلة محلية مجهولة صادرة من الأصنام

أخبار - 10 نوفمبر 1867

الأصنام في

في "أخبار" ليوم الخميس 25 نوفمبر 1858 رقم 2725 نقرأ في الأحداث
المتفرقة :

" إن محاصيل 1858 كانت سيئة بالنسبة لجل المعمرين الأقل ثراء مع
العلم أن الكثير منهم لا يمكنهم زراعة الأرض من جديد لعدم توفر
الحبوب. إن بعض الكرماء من المواطنين ترأسوا قائمة لتسييق الحبوب
اللازمة ، بعد ثلاث ساعات وصلت القائمة إلى 1.170 فرنكا ، وفي الغد
1900 فرنكا وهو مبلغ أكثر من الكافي "

"لقد باع تاجر حبوبا من النوعية الرفيعة بسعر معقول رغم أن
الحبوب تنبئ بأسعار أحسن في الأسواق المقبلة وتحصلت هكذا أربعة
عشر عائلة على ما تحتاجه من الحبوب لتزرع الأرض ... إلخ

يمكننا أن نضيف إلى هذه المقالة وباختصار أن المخازن فتحت أيضا
للأهالي وان محاصيل 1859 كانت من أوفر ما يكون وان الحبوب التي
أخذت وردت ساهمت في سنوات الثراء التي تعرفها دائرة الأصنام "

الكارثة الديمغرافية

كان لهذا الثراء أن يدوم طويلا من دون شك لولا الكوارث الثلاثة التي توالى وأصابت هذا البلد :

الانتفاضة والجراد والجفاف . لقد أتلّف الجفاف كل شيء .

وحيثما لا تعطي الأرض حبوبا ولا علفا فإن أسعار المواد تسجل رقما قياسيا، لا يستطيع الكثير من الأهالي اقتناء ما يحتاجونه لعائلاتهم ولا الاحتفاظ بالمواشي لعدم وجود المراعي . والذين نجوا اليوم من الكوليرا والذين يموتون جوعا إلّجؤوا إلى الأصنام حيث تكثرت أعدادهم . فلم تعد الصدقة رغم تحملها المتواصل أن تقدر على مساعدة هذه الجماعات من الشيوخ والنساء والأطفال النحل والذين يظهرون وكأنهم موتى .

إن الشرطة تسجل في تقاريرها الرسمية الكثير من الوفيات يوميا من جراء الانهاك .

لكننا نتساءل إن لم يكن هناك علاج لهذه الأمراض فهل يكون باستطاعتنا إنقاذ هؤلاء اليتامى الذين نجدهم كل ليلة في الطريق؟

إنه عمل إنساني وسياسة رشيدة لان هؤلاء الأطفال عندما يكبرون يمكن استعمالهم في الضيعات ويكونون أيضا جيوشا في الإحتياط .

منذ يومين بدأ المكتب العربي في توزيع المبلغ الذي خصصته الحكومة لدائرة الأصنام . إن هذه الدراهم التي خصصتها الحكومة للسكان الأهالي لا تكفي لقضاء الحوائج ، ويظهر أنه لا يستفيد من هذه الدراهم إلا مالكو الأرض . من دون شك فإن هذا الإجراء جيد لضمان مال الدولة، ولكنه لا يقوم بالهدف الذي خصص من أجله فالوصول إلى زرع أكبر قدر من الأراضي في الأصنام جعل مالكا من مدينتنا يتوجه إلى القائد السام ليحصل تحت تصرفه 1500 هكتارا من الأراضي الجيدة ليزرعها مع الذين يقدرون تأمين البذور . وهو يتمنى بهذا العطاء أن يرغم السلطات على تقديم قروض جيدة لصالح الأهالي القادرين على القيام بهذه المهمة . كان أيضا من المرغوب أن توسع هذه المساعدات على معمرينا .

الكارثة الديمغرافية

إن أراضيهم كلها قابلة للزراعة مثلما كان الأمر سنة 1858 وحيث أن السنوات الثلاثة الفارطة كانت رديئة وكونت ضررا عاما وإنه من غير الممكن أن تنجح مساعدات مباشرة من طرف المالكين .

هكذا فإذا لم تعجل الحكومة في توسيع هذه المساعدات فإن دائرة الأصنام التي وفرت زمن حرب كريمي كميات هائلة من الحبوب إلى إدارة الحرب وقت الحرث، وكميات كبيرة أخرى للأسواق التجارية. لكن الدائرة بقيت دون إنتاج لسنوات عديدة لعدم تسييق الحبوب التي يمكن إرجاعها عند موسم الحصاد القادم .

أحد المشتركين

لولا الكوارث الثلاثة التي

صاف كل شيء .

إن أسعار المواد تسجل رقما
ما يحتاجونه لعائلاتهم ولا
الذين نجوا اليوم من الكوليرا
يث تكثر أعدادهم ، فلم تعد
مساعدة هذه الجماعات من
رون وكأنهم موتى .

لكثير من الوفيات يوميا من

هذه الأمراض فهل يكون

م كل ليلة في الطريق؟

الأطفال عندما يكبرون

ما جيوشا في الإحتياط .

وزيع المبلغ الذي خصصته

خصصتها الحكومة للسكان

لا يستفيد من هذه الدراهم

براء جيد لضمان مال الدولة.

جولة فالوصول إلى زرع أكبر

من مدينتنا يتوجه إلى القائد

الأراضي الجيدة ليزرعها مع

هذا العطاء أن يرغم السلطات

القادرين على القيام بهذه

بذمة المساعدات على معمرينا .

الوثيقة رقم 8

نظرة سريعة حول مجاعة 1867 بعد المشاكل الخطيرة

التي تواجهها مقاطعة قسنطينة سنة 1887

أرشيف أكس أن بروفانس 1790-780

نداء وجهته لجنة المساعدات

أصابت أخطر كارثة مقاطعة قسنطينة للمرة الثالثة على التوالي منذ ثلاث سنوات، أكل الجراد المحاصيل وأتم الجفاف الفعل بعمله الهدام ما أبقاه الحظ.

إن المواشي لا تجد ما ترعاه وهي تباع بأرخص الأثمان وإن قبائل بأكملها تتألم من الجوع منذ أشهر عديدة. إننا نرى في الطريق التي تصل سطيف بقسنطينة، الأهالي يبحثون في الأرض ليجدوا ما يأكلونه.

إن المجاعة تهددنا، لقد أنذرتنا أحداث 1867 ولهذا السبب نريد قبل كل شيء تجنب رجوع هذه الكوارث لصالح البشرية ومستقبل الجزائر.

كل من له نصيب من الرأفة وكل من يهتم بالازدهار الاقتصادي لعمالة قسنطينة سيجيبوننا، نحن متأكدون من ذلك الأمر.

الكارثة الديمغرافية

إن حيوية البلاد تكون بهذا الثمن.

هل نترك قرابة 20.000 هكتار من الكروم غرست بكل شجاعة وبرؤوس أموال تذهب سدى؟ هل نترك 2.400.000 هكتار بدون بذور بعد أن كانت تحرث سنويا من طرف الأهالي؟ هل نرى مليون هكتار من الغابات دون إنتاج والى الأبد؟ هل نترك للجفاف 15 مليون فرنك من الواردات و 165 مليون فرنك من الصادرات؟

هل من المعقول أن نرى العمالة التي أعطيت من 1881 إلى 1887 من دون الضرائب الجديدة ولا الرسوم الفائضة في المدخولات والتي تقدر بـ 765000 فرنكا والتي نفذت اليوم بسبب محاربة الجراد والتي بقيت رغم الجهود المبذولة من طرف الجميع ضد الكوارث الطبيعية كالمجاعة والفقر؟ هل يسمح لنا تضييع هذه الفرصة لإعادة ازدهار هذه العمالة التي أصيبت مؤقتا؟

لا يمكن أن تضيع كل هذه الجهود في يوم واحد. إن الثروة الطبيعية التي لا مثيل لها والقيمة الفلاحية والصناعية الكبيرة لعمالة قسنطينة ستنقذ وهذا بفضل المبادرة الكريمة لفرنسا التي تواجه دائما الكوارث العمومية مثلما فعلناه نحن أنفسنا في محن عديدة.

هل نذكر أن عمالتنا كانت قد بعثت إلى المتضررين لفيضانات تولوز 120.000 ف زائد 100.000 ف لضحايا الكوليرا لتولان ومرسيليا وأسمرت في مساعدة سكان روان عند الأزمة الكبيرة للقطن؟ هل نذكر دائما أننا كنا بجانب الوطن الأم عندما بعث المساعدات "إشيا" وليهود روسيا والمتضررين من فيضانات مرثيا (إسبانيا)؟

ولكن لماذا هذا الإلحاح؟ كنا سعداء في أيام الرخاء بتقديم صدقاتنا لأولئك المتضررين إننا نعلم في وراء البحر الأبيض المتوسط ما هي البذور التي زرعتها الإحسان الفرنسي في هذه البلاد.

الكارثة الديمغرافية

لكنها غير كافية اليوم لتحد من شدة الخسائر التي أصابتنا مادامت الجزائر تحاول مواصلة مثل هذه المصائب التي ضربت باريقو (المحمدية حاليا) أو المسيلة مادمت تساعد المتضررين فإن ثروتها وكرمها كانت دائما على مستوى المحن التي تمر بها.

أما هنا فالأمر يخص كارثة وطنية، ففي السنة الماضية قدرت مصلحة الضرائب الخسارة التي أصابت العمالة بثمانية ملايين فرنكا، وستبلغ الخسائر أكثر من 30 أو 40 مليون فرنك فيما يخص المحاصيل والمواشي.

إن الآلاف من الأهالي المتعودين على العيش اليومي يمشون الآن نحو موت محقق، وبعد شهرين سيسقطون في الخيام والحقول.

سيأتون ليموتوا أمام أعيننا وفي مدننا ليشهدوا على المضار القاسية لحضارتنا. سيأتون بالتيفوس هذا الرفيق غير المنفصل عن الحرمان الطويل والفقر المزمن. إن المجاعة ستصل لا محالة.

إن الذين يتذكرون سنة 1867 وتلك الهجومات للرجال الشاحبين المنهكين من الآلام الطويلة للجوع والذين يتساقطون في الطرقات وفي الشوارع والساحات العمومية.

يجب علينا أن لا نرى من جديد هذا حفظا على شرف فرنسا والجزائر. لأن هذه المشاهد الأليمة والمثيرة لسنة تحمل في طياتها الإسم البائس لسنة المجاعة مثلما يسميها العرب وهي السنة التي أتت على ما يقرب من 500.000 ضحية في مجموع الجزائر.

إن الوقت يدهمنا والأهالي يتألمون وستبدأ المجاعة فعلتها، إننا نوجه هذا النداء إلى كل الفرنسيين وكل الأجانب الذين يهتمون بأمرنا.

الجزائر في 24 أغسطس 1888

بكل شجاعة وبرؤوس
دون بذور بعد أن كانت
هكتار من الغابات دون
فك من الواردات و 165

من 1881 إلى 1887 من
لمدخولات والتي تقدر
الجراد والتي بقيت رغم
رث الطبيعية كالمجاعة
ازدهار هذه العمالة التي

أحد. إن الثروة الطبيعية
الكبيرة لعمالة قسنطينة
في تواجه دائما الكوارث
يدة.

ضررين لفيضانات تولوز
تولان ومرسيليا وأسرت
طن؟. هل نذكر دائما أننا
بات "إشيا" وليهود روسيا

م الرخاء بتقديم صدقاتنا
الأبيض المتوسط ما هي
نيلاد.

274. الحبوب التي أهدها أهالي عمالة الجزائر لضحايا الجراد لعمالة
قسنطينة 1000 كيس.

رسالة من الحاكم العام إلى عامل قسنطينة -

سيدي العامل

لقد علمت أن أهالي بلدية ثنية الحد مستعدون لمساعدة مواطنيهم
المتضررين من الجراد في عمالتكم بهبات عينية لعدم وجود النقود في
هذا الصدد فإن الأهالي يهدون كمية من الحبوب للبذر والاستهلاك.

إنني أتشرف بإعلامكم بهذا الوضع وأطلب منكم بصفتمكم رئيس لجنة
المساعدات أن تتكفلوا بهذه القضية⁽¹⁾.

عن الحاكم العام الغائب

الأمين العام

دوريو

(1) في رسالة مؤرخة في 14 سبتمبر 1888 برقم 1533 بعث بها عامل قسنطينة إلى الحاكم العام جواب لجنة
المساعدات تقبل فيها الهدية الكريمة لأهالي ثنية الحد. وجعل بموجبها ألف كيس تحت تصرفهم وهو يطلب
في نفس الوقت لتفادي مصاريف النقل العالية جدا بأن يوصل المتكرمون الحبوب إلى محطة القطار لأفروفييل
(خمسة مليانة حاليا) ولنفس السبب طلب عامل قسنطينة من الحاكم العام أن يجعل كل مجهوداته للحصول من
الشركات 'باريس - باريس - ليون - البحر الأبيض المتوسط' وشرق الجزائر التكلفة بإيصال الحبوب بأسعار
منخفضة حتى برج بوعريبيج حيث توزع الحبوب لتستغل كبذور. وإذا لم تتوفر هذه الشروط فإنه يطلب أن تباع

الكارثة الديمغرافية

الحكومة العامة المكتب رقم 5 - الفلاحة - رسالة رقم 5474.
الأرشيف.

ملاحظة : من بين الأجوبة لهذا النداء نعيد هذه الشهادة الرسمية المتعلقة بسكان ثنية الحد والظروف التي تتوجب على السلطات العليا لمقاطعة قسنطينة لتصير هدايا ثنية الحد ممكنة.

الرسوم المختصة

حسب تدخل

عندما إنطلقت

للدفاع عن المعبرين

أن يصل دويه إلى

العسكرية التي بحوزة

وبوسائله الخاصة

قابلنا لإتباع العدو

وتطلبت منا مخططة

النواحي القاحلة فكنا

الحرب أن تمنحنا

المصادر على تصير

منحتنا قبائل هذه

وراء جيوشنا وتجهيز

المساعدة مثلما هو

الوطن وحماس الشعب

تلك الحبوب في المكان بنفسه وبعث الدراهم، وأشار في الأخير أن هذه العملية الأخيرة غير مفيدة على الإطلاق.

في رسالة مؤرخة في 14 سبتمبر 1888 برقم 5963 أعلم الحاكم العام عامل الجزائر الاقتراحات المقدمة من طرف لجنة المساعدات لقسنطينة.

ذخيرة - رسالة رقم 5474.

نعيد هذه الشهادة الرسمية
تتوجب على السلطات العليا
ممكنة.

الوثيقة رقم 9

الرسوم المختلفة الأشكال للجيش طيلة إنتفاضة 1864-65

حسب تدخل البارون ج. دافيد⁽¹⁾ للمجلس التشريعي جلسة الخميس

16 جويلية 1868

(مقتطفات من جريدة "أخبار" الملحق)

عندما إنطلقت الإنتفاضة في الجنوب وجدنا أنفسنا مضطرين للدفاع عن المعمرين. إن رؤساء الثورة يمتازون بشرف ديني عظيم يمكن أن يصل دويه إلى إنتفاضة قبائل التل. لهذا الصدد إستعملنا كل الوسائل العسكرية التي بحوزتنا لقمع نار الثورة. أردنا أن نهزم العدو في عقر داره وبوسائله الخاصة. قابلنا تحركات المتنقلين بتحركات جيوشنا الضاربة. قابلنا لإتعب العدو الأتعب التي يتقبلها بروعة الجندي الفرنسي، وتطلبت منا مخططاتنا التموين المتواصل. كنا لا نجد أي موارد في هذه النواحي القاحلة فكان لراما علينا أن نطلب من القبائل المجاورة لمناطق الحرب أن تمنحنا وسائل النقل. ووجدنا أنفسنا مضطرين لإستعمال المصادرات على نطاق واسع وبالخصوص في مقاطعة وهران. لقد منحتنا قبائل هذه المقاطعة كل وسائل النقل. ومشى رجالها القادرين وراء جيوشنا وتفهموا الوضعية والحالة النفسية للأهالي المعدومين من المساعدة مثلما هو الحال لجنودنا فحبهم للعلم والتضحية من أجل الوطن وحماس المجد تم قلت إن الأهالي عندما يرجعون إلى بيوتهم

خير إن هذه العملية الأخيرة غير مفيدة على

أعلم الحاكم العام عامل الجزائر الاقتراحات

بعدما قاسوا الأمرين من الحرمان وبعدما أضاعوا كل ما يكسبونه من دواب من دون الحصول على تعويض وفي الحالة التي يجدون فيها مصالحتهم قد دمرت وحقولهم أتلفت وأملأهم في تدهور. وعندما هدأت الانتفاضة ولكنها لم تقهر لأن بذورها موجودة دائما في واحات الجنوب وهنا وجدنا أنفسنا أمام قبائل متمردة تطلب الأمان بعدما أفلست من جراء الحرب وقبائل أخرى بقيت وفيه ولكن أفلستها المصادرات؟

إني أتكلم عن المصادرات وهنا أتبحث لنا الفرصة لنهني أفكار العدل التي تحلى بها المارشال المشهور الذي يترأس حاليا حكومة الجزائر: لم تكن توجد أي أجرة للذين كانوا يسوقون المواكب كما أنه لا مقابل للدواب التي صودرت. أما في مقاطعات الجزائر وقسنطينة فإن هذه التعويضات الجزئية تعود لأراء وتقديرات قادة الجيش فلا مقابل على الدواب التي ماتت من التعب. هكذا تحركت مشاعر الدوق ماجنطة لبعض الحالات المعاكسة للعدالة وحسن السياسة: فبأمر منه دفعت أجرة مناسبة على كل المصادرات، وكان الأمر ملفتا للانتباه في هذه الأزمنة الأخيرة وعندما أردنا تمويل مركز جيريفيل (البيض حاليا) طلبت منا قبائل دائرة بوغار التي تضررت كثيرا من الحرب أن تساهم في هذا النقل ليجدوا في الأجرة المدفوعة وسيلة لترقيع جزء من كوارثها.

ويضيف بعد التصريحات المتعلقة بالخلل في النظام العام للسكان. في الواقع ورغم التوصيات الهامة والإنذارات الأخيرة التي كان من شأنها أن تلفت اهتمام الحكومة العامة للجزائر، فالإجراءات المتخذة بقيت دون حقائق المصائب التي ضربت البلاد، وسأعطيكم شرحا يمكن أن تحمل فيه المواجهة على كيفيتي التقييمين للواقع.

بكل تأكيد لقد فوجئنا لأن العمل العسكري لم تكن له الوسائل المعرفية الكثيرة، كما لم تكن المكاتب العربية على دراية بما كان يحصل

في القبائل نظر الإقطاع
الأهالي : منذ سنوات
في الجزائر. إنكم
يتحركون كثيرا
حالة اقتصادية ذات
كانت كل قبيلة
المخازن تحتوي على
شيوخ القبائل وأما
ببعض الحيوية ولكن
رجال الذين يعرفون
المخازن لذا كانوا

(1) عامل قديم في المكتب
غولديغر (39) ص. 761.

الكارثة الديمغرافية

في القبائل نظرا للإجراءات الأخيرة التي اتخذت في تكوين الملكية عند الأهالي : منذ سنوات تستعملون ضباط المكاتب العربية لمتابعة الملكية في الجزائر. إنكم تستعملونهم كضباط للشرطة القضائية وهم لا يتحركون كثيرا بطبيعة الحال إلى القبائل والأسواق مما أدى إلى وقع حالة اقتصادية غابت عنها انتباهات الجميع .

كانت كل قبيلة لها مخازنها (المطامر) في سابق الحال وكانت هذه المخازن تحتوي على احتياطي الحبوب الذي يكفي لثلاث سنوات ، وكان شيوخ القبائل وأنا لا أَدافع هنا عن نظام القيادة الأهالي الذي حاربه ببعض الحيوية ولكن يمكن أن ألع أن القادة الأهالي المكلفين بالحرب ورجال الذين يعرفون ما هي المخاطر التي تترص بالسكان إذا نفذت المخازن لذا كانوا دائما يؤكدون على التموين .

(1) عامل قديم في المكتب العربي للمدينة، نائب رئيس السلك التشريعي في 1859. انظر التفاصيل في غولديفر (39) ص. 761.

عوا كل ما يكسبونه من
الحالة التي يجدون فيها
هم في تدهور. وعندما
وجوده دائما في واحات
ددة تطلب الأمان بعدما
بت وفيه ولكن أفليستها

مرصة لنهني أفكار العدل
صاليا حكومة الجزائر : لم
بواكب كما أنه لا مقابل
أثر و قسنطينة فإن هذه
ة الجيش فلا مقابل على
ع الدوق ماجنطة لبعض
قبامر منه دفعت أجرة
للاتباه في هذه الأزمنة
البيض حاليا) طلبت منا
أن تساهم في هذا النقل
من كوارثها.

في النظام العام للسكان، في
يرة التي كان من شأنها أن
اءات المتخذة بقيت دون
شرا يمكن أن تحمل فيه

كري لم تكن له الوسائل
على دراية بما كان يحصل

الوثيقة 10

الربا

شكوى شعبية غورجو (80، ص : 168 - 170)

DOCUMENT N° 10

L'USURE

(Complainte populaire recueillie par Gourgeot (80, pp. 168-170)

يات من وطن الشام عيشنا به	يسارب عجل به بفك السرقاب
يعطيه جنيد التصليه نعميه	يهدي عبد العزيز بامره للركاب
رب نزل قضى اذك خلفيه	في الدين حصلنا وانكرم لبا كتاب
كشرت السجزي كل يوم تيه	اعيننا ندفعموا نسادوا في الابواب
برقد ما بين يدبك كل شي له	اذا جساك الويس نقول هذا عقاب
والسوسوم اوت اوراك	كفاش تضحك يا عدة
كسي الموت اجله جاك	راه فسي هزوشند
اذا السوس جاك	شوف من السيد لاغد
للسرا راه افسدك	السيز يديره في العنود
من الدين لافسكك	واش يسبسي السفسد
كسي الطير في الأشراك	كسراك حصيل يا عدة
يا ويسن مسو الملاك	في السيد والرجل الحد
مسا تنسلفنن اوراك	اذا تنسرب لسوجد
وتسملوا الهلاك	نترافتوه مرة وحد
والنناس في السنزك	الهلاك مسو المنارد
هسذا الوطن انصاف	ماتفات الا الهسرب
سلستان من الاشراف	حسني يحيي مولا النوب
ويسومن الي يخفاف	يفسكننا من ذا الفلب
في كسبل يسوم زعبي	اطسوسل ذا ابجر الرب
وانجرف لينا حاب	ذا الحمل عجانا صعب
عمر واوه بسطاف	ولا المعربي الي رقاب
ويسراوده بسأصاف	اللمى ايعيطله بابا
للدين راه انصاف	والسارفة هي السب

الوثيقة رقم 11

تقرير يتعلق بتحديد موطن قبيلة أولاد دفلتن (عمي موسى)

الجريدة الرسمية لسنة 1888

تنفيذ قرار مجلس الشيوخ المؤرخ في 22 أبريل 1863 - تحديد وتقسيم موطن قبيلة ديفلتن بمقاطعة وهران .

لقد عين مرسوم 7 أكتوبر 1866 أن أولاد دفلتن من دائرة عمي موسى ليخضعوا للعمليات المنصوص عليها في الفقرتين 1 و 2 من المادة 2 من قرار مجل الشيوخ 22 أبريل 1863 وأتمت اللجنة الإدارية لمستغانم أعمالها في هذه القبيلة .

لي الشرف أن أضع النتيجة أمام أعين جلالتم .

إن بني ديفلتن يكونون واحدة من الفرق الثمانية للفدرالية البربرية الكبيرة لبني وراغ والذين لعبوا دورا هاما في وادي رهيو ، وبقوا حتى نهاية القرن الأخير في استقلال شبه تام عن سلطة البايات ، واتبعوا مغامرة الأمير عبد القادر، ولكن عندما هزموا من طرف قواتنا في عام 1842 و 1843 وتعرضوا لأشد العذاب من جراء مشاركتهم في انتفاضة بومعزة ، التحقنا بهم حتى في ملجئهم ببلاد الشعبة في سنة 1864، كما ساهموا مع بني مسلم وفليتا في الهجوم على عمي موسى، ودخلوا في الواجب في نفس الوقت مع هذه القبائل الكبيرة .

الكارثة الديمغرافية

ان بلاد أولاد ديفلتن تقع على بعد 32 كلم جنوب شرق مركز عمي موسى، و هي محدودة من الشمال بأولاد موجر والعجامة، ومن الشرق بالعجامة وأولاد بخته ومن الجنوب بمظماطة ومن الغرب بأولاد علي. كما تنقسم بلاد أولاد ديفلتن إلى ناحيتين واضحتين: ففي الشمال توجد الأراضي الفلاحية ذات المحاصيل الجيدة، أين يتجمع السكان أما الجنوب فيحتوي على غابات الصنوبر والبلوط.

تسقي العيون الكثيرة ووادي لرجام ووادي سنسيق الناحية الشمالية التي تضم في غربها طريق عمي موسى مرورا بثنية الحد.

فقد حددنا بلاد ديفلتن بسهولة وحددناها بمساحة 1433 هكتارا.

أما تعداد سكان أولاد ديفلتن فهو يقدر بـ 2755 نسمة مقسمة إلى 31 دوارا، ولهم 300 خيمة كما أنهم يملكون 50 حصانا أو فرسا وأربعة بغال و308 من الحمير و736 من البقر و2997 من الأغنم و6101 من الماعز و178 محراثا، وكان مجموع ضرائبهم يصل إلى 8.522 فرنكا و 83 سنتيما بالإضافة إلى 1.305 فرنكا و 57 سنتيما إضافية.

كما يتجمع السكان شمالا وسط الأراضي الزراعية ويوجد جنوبا الجبل الذي يغطي تقريبا نصف مساحة البلاد، ولكنه قليل المنخول ولا يسمح بتقسيم القبيلة التي تتكون من دوار واحد تحت اسم أولاد ديفلتن.

إن الأرض فيها مملوكة بعقد الملكية وحتى لو كانت الملكية مقسمة، فإنها مكونة أساسا لكل عائلة لأنه من النادر أن يقتسم الورثة الأملاك العقارية بعد وفاة رب العائلة.

وتشغل الملكية مساحة 7134 هكتارا و60 سنتيارا.

وعبرت أملاك الدولة على مطلبين حول أراض غابية:

المطلب الأول يتعلق بالجبل الواسع الموجود جنوب القبيلة والمغطي بالصنوبر الحلبي وشجر البلوط وهو على العموم متماسك وجميل

الكارثة الديمغرافية

ومساحته الحقيقية 6649 هكتارا كتلة واحدة ، ولم يكن بهذا الشأن أي معارضة ولا مطلب مضاد فوضعت هذه 6649 هكتارا في عداد أملاك الدولة. ولا تشكل هذه الأملاك إلا جزءا من الغابة الشهيرة التي تمتد بالتالي على التراب المجاور لقبيلتي مضاطة وأولاد بختة. ومع هذا فإن الجماعة طلبت أن يتمتع الدوار بحقوق الاستعمال التي خصصت له بواسطة مرسوم التقسيم.

والمطلب الثاني يتعلق بقطعة غابية من 36 هكتارا وهي منعزلة على حدود القبيلة ومغطاة بشجر البلوط. وعارضت الجماعة ذلك وألحت على أن تشكل تلك المساحة غابة بلدية بسبب طبيعة غطائها والاستغلال الذي تقوم به القبيلة منذ زمن طويل لتجديد خلاياها النحلية.

فبالإجماع صارت هذه الـ 36 هكتارا ملكا بلديا ولكنه ينبغي عند اشتراء حقوق الاستعمال الممارسة على الجبل الرئيسي وأن تؤخذ في الاعتبار المزايا المخصصة للدوار وقامت اللجنة بترتيب مكان للأتار الرومانية على أنه ملكا للدولة وذلك بدون أي معارضة.

بواب شرق مركز عمي
العجامة ، ومن الشرق
من الغرب بأولاد علي ،
محتين ، ففي الشمال
بين يتجمع السكان أما

في الناحية الشمالية التي
حد .

ساحة 1433 هكتارا .

2 نسمة مقسمة إلى 31
نا أو فرسا وأربعة بغال
و 6101 من الماعز و 178
8 فرنكا و 83 ستيما

ية ويوجد جنوبا الجبل
ليل المدخول ولا يسمح
اسم أولاد ديفلتن .

لو كانت الملكية مقسمة .
ن يقتسم الورثة الأملاك

تيارا .

ص غابية :

د جنوب القبيلة والمغطى
العموم متماسك وجميل

الوثيقة رقم 12

تقرير تحديد موطن يخص قبيلة أولاد إبراهيم (سبدي بلعباس)

(الجريدة الرسمية-1867 - الصفحة 394-398)

باريس 9 مارس 1867

يا صاحب الجلالة : لقد خضع أولاد إبراهيم من دائرة سيدي بلعباس تنفيذاً لمرسوم 16 أبريل 1864 وتطبيقاً للفقرتين 1 و2 من قرار مجلس الشيوخ المؤرخ في 22 أبريل لسنة 1864. إن أولاد إبراهيم جزء من القبيلة الكبيرة لبني عامر التي استدعاها للتل في نهاية القرن الرابع عشر سلطان تلمسان، وبعد مرورهم بكل التقلبات التي عرفها موطن القبيلة الأم في غرب مقاطعة وهران حيث كان أولاد إبراهيم يتواجدون عند وصول الفرنسيين في موطن يتربع على مساحة 76683 هكتار تقريباً.

بعد هجرة 1845 صودرت كل أراضي هذه القبيلة ، واليوم وبعد عدة تحولات لم يتبق من أراضي أولاد إبراهيم إلا 46.091 هكتاراً و30 آراً و29 ستياراً. أما الفائض وهو ما يعادل 30.591 هكتاراً فقد أستخدم لإحداث وتثبيت مراكز سيدي بلعباس وسيدي لحسن وسيدي خالد وبوخنفيس وتنيرة، ولتوطين وتوسيع عدة قبائل. لم تصب كثيراً هذه الاقتطاعات مصالح أولاد إبراهيم لأن هذه القبيلة عادت من المغرب بعدما فقدت كثيراً من أفرادها ، وبقيت بعض فرقها لتندمج في قبائل أخرى وهي الآن جزء منها .

الكارثة الديمغرافية

لكن إستغلال 30.000 هكتار الذي وقع في غياب القبيلة خلق اضطرابات عميقة في نظام وتقسيم الأراضي وضيعت بهذا بعض الدواوير كل مواطنها ولم يُصَبَّ البعض الآخر.

في هذه الحالة ونظرا للمصادرات أوجدنا سنة 1854 موقعا مؤقتا لهذه القبيلة والذي يأخذ بموجبه كل دوار جزءا محددا وكافيا لحاجياته وبقي التنظيم منذ ذلك العهد ساري المفعول ورضي أولاد إبراهيم بهذا الأمر الواقع واكتفوا به.

واللجنة في هذه الحالة ليست ملزمة بتغيير هذا الوضع الذي أوجدت فيه هذه القبيلة سنة 1854 والتي كانت بطبيعة الحال تتمركز في هذه الأرض المستعملة.

فمنذ 1808 وبقرار من الحكومة التركية لم يبق أولاد إبراهيم أصحاب ملكية لهذه الأراضي وكان القرار عبارة عن معاقبة للقبيلة على الثورة والهجرة إلى المغرب لمدة أربع سنوات، وعند رجوعهم وحتى وصولنا كان الأهالي يدفعون الضريبة السنوية لبابليك الأتراك.

مثل يسر الجديان من دلس الذي تلطفت جلالتهكم بإمضاء مراسيم التحديد والتقسيم بتاريخ 27 أكتوبر الأخير، فإن أولاد إبراهيم لديهم جزء صغير من موطنهم المعروف والمسمى بقسم العمارنة والمتواجد في الإقليم المدني.

إن تاريخ هذه القسمة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ القبيلة التي يخرج منها، والتي خضعت في نفس الفترة لسيطرة فرنسا وساهمت في الثورة وهجرة سنة 1845، وكان رجوعها الأخير للجزائر لا يسمح لنا بأن نضمها إلى أولاد إبراهيم فوضعناها جنوب سيدي بلعباس في الأراضي التي كانت قد خصصت لصالح الاستيطان والتي لم تمنح بعد، وبعد ذلك وضعت السلطة المدنية لسيدي بلعباس وهكذا وجدت هذه البلاد في حدود الناحية لتبسط عليها السلطة العسكرية إدارتها.

الكارثة الديمغرافية

وعندما تكاثرت سكان العمارنة وزادت ثروتهم تحتم علينا في توسيع موطنهم فسمحنا لهم بحرث الأراضي التي كانت تحت تصرف أولاد إبراهيم وهي محدودة ومحصورة بالأرض التي كانوا يكسبونها من قبل، واسترجعت منهم هذه الرخصة سنة 1862 في الفترة التي رجعت فيها تلك الأرض المحصورة للإدارة المدنية، ولم يبق اليوم تحت تصرف العمارنة إلا 820 هكتارًا و21 آرا وهي مساحة غير كافية.

إن تطبيق قرار مجلس الشيوخ كان فرصة طبيعية لتعويض العمارنة وانضم الحاكم العام لعرض اللجنة وفكر بأنه من العدل بمكان أن تمنح لهم 830 هكتارًا و64 آرا و89 سنتياريًا التي كانوا يملكونها قبل 1862 كتعويض لما سلب منهم عند إنشاء سيدي بلعباس، وهذا التقسيم لا يضر بأي حال من الأحوال مشاعر أولاد إبراهيم لأنهم سيقفون مالكيين لأكثر من 33000 هكتار وهذا إذا نزعنا منها أملاك الدولة الخاصة بسكان يبلغ تعدادهم 3428 وهو معدل 10 هكتارات للشخص الواحد.

إن المادة الخاصة بمشروع مرسوم التقسيم تكرر هذه العملية وتنظم بموجبها حدود بلدية سيدي بلعباس التي تغيرت بصفة تجعلها تتضمن المواطن الجديد الذي أعطي للعمارنة. وبهذا تبقى العمارنة كما كانت في الماضي تحت حكم الإدارة المدنية. وهكذا كانت المساحة المخصصة للعمارنة تقدر بـ1650 هكتارًا و95 آرا و89 سنتياريًا... وهي خارجة عن أملاك الدولة.

إن المعارضة التي وقعت بعد تحديد موطن العمارنة قد إنتهت ما بين لجان بلديتي سيدي بلعباس ووهران كما أن مجموع القبيلة بما فيها العمارنة كانت تضم 3801 شخصًا يتوزعون على مساحة 46091 هكتارًا، ويسددون للضرائب مبلغ يصل إلى 15551 فرنكًا.

مثلما أتيج لي الشرف بأن أوضح لجلالتكم بأن الأرض بصفة "سابقة" ومصلحة أملاك الدولة هي الوحيدة التي قدمت معارضات تخص القطاعات الأرضية التالية:

غياب القبيلة خلق وضعت بهذا بعض

سنة 1854 موقعا مؤقتا محددا وكافيا لحاجياته رضي أولاد إبراهيم بهذا

هذا الوضع الذي أوجدت الحال تتمركز في هذه

بق أولاد إبراهيم أصحاب نقابة للقبيلة على الثورة بوعهم وحتى وصولنا كان

جلالتكم بإمضاء مراسيم أولاد إبراهيم لديهم جزء العمارنة والمتواجد في

بتاريخ القبيلة التي يخرج فرنسا وساهمت في الثورة اثر لا يسمح لنا بأن نضمها اس في الأراضي التي كانت ج بعد ، وبعد ذلك وضعت ت هذه البلاد في حدود

الكارثة الديمغرافية

1) غابة تنيرة ومساحتها المعروفة 8330 هكتارًا لقد كان هذا الجبل يخضع للنظام الغابي بقرار 29 أغسطس 1860 والذي يعتبر غير خاضع لأي مصلحة.

2) غابة مسير والمتربعة على مساحة 2100 هكتار والتي بقيت كسابقتها لا تخضع لأي مصلحة أو لحق استعمال.

3) المحافظات الخاصة بالتلغراف الهوائي ومحجرات التينقمار، داران لمرمي الطرقات وسد طابيا على واد مكرة وأربعة مراكز لمخيمات الجنوب وميدان الرمي لسيدي بلعباس وما يقارب من 300 هكتار التي لم تقع عليها معارضة أو معارضة مضادة لتبقي في النهاية هذه المباني ملكا للدولة.

كما يجب أن نضيف إلى مجموع أملاك الدولة 230 هكتار من الأراضي غير الصالحة للزراعة والتي سلمت للقبيلة على حدود سجن بوخنيفيس، كما تسمح الدولة مقابل ذلك بقطعتي أرض بمساحة 4.80 هكتار ... متواجدة على موطن بوخنيفيس ومخصصة كمقبرة للأهالي كما تتعهد الدولة بفتح طريق عبر هذا الموطن طوله 1.500 متر وعرضه 20 متر لتسهيل وصول أهل القبيلة إلى وادي مكرة، إن قبول هذه المبادلة والتي تقدر قيمتها بألف فرنك وتدخل في مهام الحاكم العام، إن الأهالي لا يتمتعون بأي حق في استعمال أراضي الجبلين الموضوعة تحت تصرف المصالح الغابية . وهكذا تبقى أراضي البلدية التابعة للقبيلة تضمن الكميات الكافية من الحطب للاستعمال اللازم ولكن لضمان الاحتياجات فإن الغابة المسماة بخليج الزبوج والواقعة تقريبا وسط القبيلة التي تبلغ مساحتها 1404 هكتارًا والمتكونة من غابة البلدية والتي يستعملها أولاد إبراهيم فقط لان العمارة لا يمكنهم بأي حال من الأحوال ودون عراقيل المحافظة على حقوق الموطن العسكري.

نظرا لأهمية موطن أولاد إبراهيم وعدد سكانهم ومواردهم المادية فإن الحاكم العام يطلب أن تكون ثلاثة دواوير بإستثناء العمارة .

الكارثة الديمغرافية

إن هذه العروض تتماشى والقرارات والتوجيهات التي تدير تطبيق قرار مجلس الشيوخ وما سبقه إلى غاية اليوم، لا يمكنني إلا أن أرح على هذا الأمر بالقرب من الإمبراطور، وهذا إذا سمحت جلالتم بقبول هذا الأمر كما أطلب منها أن تمضي هذين المشروعين للقوانين المتضمنة والملحقة والتي تنص إحداها بصفة نهائية على تحديد موطن أولاد إبراهيم كما ينص الثاني على تقسيم الدواوير إلى ثلاثة دواوير زائد الجزء المسمى بالعمارنة والمرتبطة ببلدية سيدي بلعباس.

مارشال فرنسا

الوزير كاتب الدولة للحرب

الإمضاء، نيال

مقبول

الإمضاء، نابليون.

ككتاراً لقد كان هذا الجبل
لذي يعتبر غير خاضع لأي

ككتار والتي بقيت كسابقتها

محجرات التينقمار، داران
وأربعة مراكز لمخيمات
رب من 300 هكتار التي لم
في النهاية هذه المباني ملكا

230 هكتار من الأراضي
حدود سجن بوخنيفيس،
بمساحة 4.80 هكتار ...
كمقبرة للأهالي كما تتعهد
1.500 متر وعرضه 20 متر
قبول هذه المبادلة والتي
لحاكم العام، إن الأهالي لا
الموضوعة تحت تصرف
التي التابعة للقبيلة تضمن
ولكن لضمان الاحتياجات
ريبا وسط القبيلة التي تبلغ
بلدية والتي يستعملها أولاد
من الأحوال ودون عراقيل

سكانهم ومواردهم المائبة
بإستثناء العمارنة .

الوثيقة رقم 13
شهادة جهمان بن عثمان خوجا (3) ص 198

منذ غادر الباي وأتباعه القصوبة :

لقد ذكر العديد من الضباط الفرنسيين هذه الأحداث في كتبهم وتجنبوا حكاية ما يتعلق بهذه المناسبة وأنا لا أتكلف قط إلا بالخصائص التي مرت دون ذكر، فعندما غادر حسين باشا القصوبة لم يلمس شيئاً من بيت المال العمومي ولم يسمح بأي اختلاس، كان ينظر لنفسه كمسؤول على كل ما كان تحت تصرفه بعد الاستسلام، وهكذا لم ينقص أي شيء من كنوز الجزائر العاصمة لكن فرنسا استولت على كل شيء.

لقد كان بالقصوبة صندوق على حدة يحتوي على عشرين ألف (20.000) فرنكا تقريبا مخصص للمصاريف اليومية والذي كان يتابعه صاحب بيت المال كما سنشرح ذلك فيما يلي، وكما قيل فإن هذا المبلغ قد ضاع ونحن نجهل صاحب هذا الاختلاس، أما الأرشيف والسجلات فقد تمت المحافظة عليها، كما كان هناك مكان مخصص توضع فيه الأوراق المنفرقة والمكتوبة عليها الملاحظات التي ستقل إلى الكتب العادية مثل كتاب "المكتبي" ومثلما ذكرنا سالفاً، ولكن بعد ذلك بعثت الأوراق وأخذت، وكنت اعتقد أن الفرنسيين كانوا يظنون أنها ذات قيمة عالية لكنها لم تكن كذلك، لهذا السبب القيت على الرصيف وأنا بنفسني مشيت عليها في القصوبة، وكان هذا مشهد من العوضى العارمة التي عمت في ذلك الوقت.

كان قنصل السويد يمتلك دارا للترفيه وكان يتخذها كسكن وكانت هذه الدار مزركشة ومليئة بالأثاث الجميل والأواني الفضية وأشياء أخرى ثمينة.

شهادة حوك فضائح الاحلال في البلدة... في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تساعد الاغريق والبالج والبولونيين (ص 246 إلى 250)

عند دخول هذه المدينة (المدينة) نشر (كلوزال) إعلانا يوضح فيه التعهدات التي أوفى بها المريشال بورمون.

وقع هذا الإعلان في البلدة

توجد هذه المدينة قرب الجبال وجل سكانها كانوا من الجبال ولكنهم تحضروا لتحسين معيشتهم. وعند اقتراب الجيش الفرنسي فروا إلى الجبال فغادر الفرنسيون المدينة ولم يتركوا فيها إلا تكنة مكونة من 600 جندي فقط ولكن سكان الجبال وبمساعدة بعض سكان البلدة كانوا يحضرون للهجوم على التكنة ولولا العودة السريعة للجنرال كلوزال من المدينة لأبيدت هذه التكنة تماما. ولما علم سكان الجبل بعودة الجيش تفرقوا وهربوا، واقترب الجنود في ذلك الحين فضائح كبيرة في المدينة وأوقعوا مجزرة مرعبة: الرجال والنساء والأطفال لم يستثنوا منهم أي احد بل يذكر أن رضعا قسموا إلى نصفين، وطال النهب كل شيء. كما لم يستثن حتى الجزائريين الذين لجؤوا إلى المدينة فرارا من بطش الحكومة الفرنسية وبحثا عن وسائل العيش (إني أتكلم هنا دون تحيز وأنا اذكر الأحداث كما وقعت). هكذا فكم من ساكن لم تكن له حتى فكرة خداع الفرنسيين وحتى أن يظهر لهم أي عداة قد أبيدوا في هذه الظروف. هل يمكن أن يصل الغضب إلى هذا الحد من العمى؟ وسأذكر حدثا في هذه المناسبة.

الكارثة الديمغرافية

لقد أرغم المسمى محمد بن صفية إلى القدوم إلى البلدة ليعيش، فمهنته كإسكافي ما كانت لتكفل له العيش الكريم هو وزوجته وأربعة من بناته الصغيرات، عند الهجوم كان عند بيته الصغير يعلق على نفسه الباب، كان مجرداً من السلاح ولم تكن بحوزته إلا أدواته التي كان يعمل بها، ولما دق الجنود الباب هرع رفقة زوجته ليفتح، في هذه اللحظة دوت الطلاقات النارية المكان فسقط الرجل وابنته الصغيرة التي كان عمرها عامين ميتين، أما زوجته فقد كسر ذراعها، ونهب الجنود كل ما في الدار، وذهبت بعد ذلك المسكينة بذراعها المكسرة وبناتها الصغار الثلاث لتشتكي عند القائد العام فكان من شفقتة عليها أن اركبها بغلة ليركها تنزف دون علاج على طول الطريق.

كم نأسف لسرد هذه التفاصيل، إن المؤرخ لديه أيضاً قلب إنسان، ويجب عليه أحياناً أن يقف أفكاره ويكف عن الكتابة ليتألم على بعض أعمال الرجال، يالأسف هل من علاج لهذه الظواهر والأوبئة؟ في كل وقت كان عفريت شريد يمر فوق الأرض وهو يجر وراءه أنواع الأوبئة لأن ملوك كل عصر مضطرون لمشاهدة هذه المسرحيات من ميادين القتال وهم يمشون على الجثث ويسمعون الصراخ والأنين... وأخيراً ليروا بكل بشاعة النهب والقتل والإبادة.

لقد صارت هذه المرأة والكثير من السكان بعد هذه الأحداث من المتسولين وكان باستطاعتنا في السابق أن نساعدهم عندما كانت لدينا مؤسسات الصدقة أما الآن فإن كل هذه المؤسسات موجودة بيد السلطات الفرنسية والتي توزع أحياناً بعض الصدقات في كل أسبوع لتعطي فلساً أو فلسين.

إن هؤلاء المساكين يأتون بالآلاف ويتخاصمون، ويتضاربون للحصول على مساعدة ضئيلة، وكانت الطرقات تغلق عند التوزيع إن مثل هذا التخفيف وهذا التوزيع الضعيف لا يؤدي الهدف المنشود وهو بعيد كل البعد عن حاجيات كل هؤلاء المحتاجين ولكنه لا يسمح للمدير أن يفعل

تخذها كسكن وكانت
الفضية وأشياء أخرى

الوقت الذي كانت فيه
24 إلى 250

إعلاناً يوضح فيه

كانوا من الجبال ولكنهم
ش الفرنسي فروا إلى
إلا ثكنة مكونة من 600
ض سكان البلدة كانوا
عة للجنرال كلوزال من
كان الجبل بعودة الجيش
فضائح كبيرة في المدينة
فقال لم يستثنوا منهم أي
طال النهب كل شيء، كما
المدينة فراراً من بطش
أتكلم هنا دون تحيز وأنا
من لم تكن له حتى فكرة
عداء قد أبيدوا في هذه
الحد من العمى؟ وسأذكر

أحسن مما فعله إن نصف المبلغ الذي خصص لهذا النوع من المساعدات قد دفع لشخص لا أريد أن أذكر اسمه والربع من الربعين الباقين يأخذه المدير وأعوانه بما في ذلك ما يوزع والربع الأخير مخصص لمصلحة أملاك الدولة التي تضاف إلى أموال فرنسا.

أخيرا إذا رجعنا إلى أحداث البليدة أقول أنه كان من الأفضل على الجنرال الفرنسي أن لا يترك أي جنود بالبليدة عوض ترك ثكنة غير قادرة على الدفاع لصد هجمات سكان الجبال فإذا أرادت فرنسا أن تشن حربا في هذه النواحي فإننا ننتظر كل أشكال الانتقام وبالأحرى من طرف شعب متعصب ومنهك وهذا الإحتلال وسمة عار لفرنسا حيث أن نتيجة هذا الإحتلال هو الإبادة لجزء كبير من هذا النوع البشري، بسبب معاملة الفرنسيين نفسها؟ ولو أنني شخصا لا أظن أن الفرنسيين جاؤوا للجزائر لهذا السبب بالذات ولكن هذه الفكرة هي الشائعة عند الكثير من الناس وتدعمها أحداث لا شك فيها، إن المساعدات الممنوحة لليونانيين وتلك 60 مليون التي ساهمت فيها فرنسا لوحدها بـ 20 مليون دون أن تنتظر أي فائدة مادية من تضحياتها هذه ألم تعظ لفرنسا فخرها ولتكون هذه الأمة من الأمم التي تسجل أعمالها في كتب التاريخ. إن المساعدات الموفرة للبالغ والبولونيين والمساعدات التي تمنح الآن للبرتغاليين ألم تهدد بنفس هذه النية لأن هذه الشعوب لا تقدم لفرنسا أي فائدة تذكر تتناسب والتضحيات المقدمة؟ إذا لا حظنا كل هذه النوايا النبيلة فكيف نفكر أن فرنسا نفسها لا تشعر بآلام الجزائريين الموضوعين تحت سلطتها وتسمح بأن يحاكموا بهذه الكيفية غير العادلة !!!

إن حصول الأحداث التعسفية تفرض علينا تعريفها حتى يسجلها التاريخ، وبهذا يتسنى للأجيال القادمة أن تعرف تفكير الحضارة في القرن التاسع عشر وكيف كانوا يضطهدوننا في الجزائر وإذا أردنا أن نرفع أصواتنا ضد هذا النظام الاضطهادي يعزلوننا... هل من سلطة الإنسان أن يهدئ غيره بالقوة؟ لماذا لا يحكمنا الفرنسيون حسب مؤسساتهم؟

الكارثة الديمغرافية

إشارات ثرية حول دور بيت المال وشهادة ذات أهمية قصوى لتحليل التاريخ الاجتماعي الاقتصادي والديمغرافي للجزائر حسب واحد من قوانين الحكومة التركية لقد كونا في هذه الريجانس محكمة يرأسها تركي وموكل بإسم بيت المال، ينوب على أوليائهم أن يسجلوا إعلانهم بالقرب من هذه المحكمة، فبعد أوامر رئيس المحكمة يمكن لأوليائه نقله إلى مثواه الأخير. فتحقق المحكمة حقوق الورثة. فإن غابوا فالقاضي الخاص وواحد من المسؤولين السامين يعينون مباشرة نائباً ليمثلهم كما يعين أولياء ليمثلوا القاصرين، فإن كانت الوصية تحمل ترتيباتها بعد أن يسجل بأن الهالك كان سليم العقل. فيعطي الأمر ليحمل الميت في تابوت قبل أن ينقل إلى مثواه الأخير، ويأتي بعد ذلك الموثقون إلى بيت الهالك ليكتبوا قائمة بكل الموجودات في بيته وتنقل بعد ذلك الأشياء الثمينة التي يمكن أن تضيع إلى مكان آمن حتى يجتمع الورثة. أما إذا كان الهالك غريباً أو مجهولاً أو كان أولياؤه غائبين فإن هذه المحكمة تمثلهم. فتبيع كل ما يتعلق بالميراث في السوق العلانية ويحفظ المبلغ في الخزينة المقدسة، بعد أخذ الأتعاب والمصاريف التي لا يمكن أن تزيد على 7% من أجره محضر الموثق ومصاريف البيع... إلخ، يوضع المبلغ في الصندوق العمومي ويكتب على سجلين أو ثلاثة سجلات، لا يلمس المبلغ أياً كان دون رخصة شرعية.

إذا لم يترك الهالك أي وريث حاضر أو غائب وبعد نزع المصاريف التي خصصت لدفنه ودفع كل ديونه تطبق توصياته الأخيرة إذا لم تتجاوز القسط الذي يسمح به القانون وهو الثلث فإذا كان له أولياء، فالثلثان الآخران يدفعان في الخزينة العمومية لتستعمل لقضاء المصاريف التي تترتب على الموتى الفقراء أو الغرباء والذين ليس لهم مأوى ولمواساة المساكين ومرتبات المعلمين العموميين الذين يقضون وقتهم في تعليم المجتمع ونشر العلم في محيطهم، كما تصرف أيضاً هذه الأموال في مساعدة المؤلفين والطلبة المعوزين... إلخ.

نوع من المساعدات
بين الباقيين يأخذه
مخصص لمصلحة

من الأفضل على
ض ترك ثكنة غير
ادات فرنسا أن تشن
تقام وبالأحرى من
بار لفرنسا حيث أن
لنوع البشري، بسبب
أن الفرنسيين جاؤوا
بائعة عند الكثير من
لممنوحة لليونانيين
20 مليون دون أن
فرنسا فخرها ولتكون
اريخ. إن المساعدات
الآن للبرتغاليين ألم
فرنسا أي فائدة تذكر
النوايا النبيلة فكيف
ضوعين تحت سلطتها
عرفها حتى يسجلها
ير الحضارة في القرن
وإذا أردنا أن نرفع
من سلطة الإنسان أن
ب مؤسساتهم؟

الكارثة الديمغرافية

هناك أتراك مرتبطون بالوصاية، وأغلبهم يتزوج ليترك ثروته لبيت المال وكان هذا هو السبب في رخاء هذه الخزينة في عهدهم.

إذا وصل مبلغ بيت المال 50.000 فرنكا فيدفع في الخزينة العمومية لأن مصاريف الدولة كثيرة ومدخولاتها قليلة، ولقد بقيت هذه الإجراءات حتى حين إحتلال الفرنسيين للجزائر.

إن قوانين مؤسسة بيت المال تركز على المبادئ الأساسية لقوانيننا وفي بعض الأحيان تمنح قروضاً من صندوق لآخر دون أن يتغير الوضع العادي.

كانت لإدارة بيت المال حركية كبيرة في وقت وباء الطاعون أكثر من أي مؤسسة أخرى، وكانت تلاحظ عدد الوفيات وتجنب الخلط الذي كان يمكن أن يقع بسبب كثرة الوفيات، وكانت لوحدها تعترف بالورثة وتعالج الميراث...إلخ.

إستولى الفرنسيون بعد اجتياحهم للبلاد التي كانت تحتوي على مبالغ هائلة، كما أخذ أيضا الجزء الذي كان يتكون من ودائع الخواص ولهذا السبب وجد في بيت المال نقص كبير جدا.

تضاعفت أموال "بيت المال" بعد الاحتلال وبعد طرد الأثرياء، كيف تستطيع هذه الإدارة أن تلمس مداخلها المعهودة حيث أن ميراث كل هالك سواء ترك الورثة أم لم يترك كانت لا تكفي لتغطية مصاريف الدفن؟ أظن أن الذي يشغل حاليا منصب رئيس بيت المال وهو جزائري يدفع من أمواله الخاصة ما يكفي للتكليف بمصاريف دفن المساكين وذلك كان يدفع مسبقا مثلما كان يفعل من سبقوه، وأظن أن هذا المسؤول لا يعمل إلا بحسن نية.

نص من التمهيد : نظرة تاريخية واحصائية حول

الريجانس بالجزائر.

"...عندما تقع عيني على موطن الجزائر أرى هؤلاء السكان المساكين الموضوعين تحت نير الفطرس والإبادة وكل أوبئة الحرب وكل المجازر التي تقع باسم فرنسا الحرة .

ولوان الكثير من المؤلفين نشروا كتابا حول الجزائر فإن العديد منهم لم ينتهز الفرصة إلا ليتكلم عن الفوائد المادية لهذه البلاد ، دون أن يتطرقوا للكيفية التي كان يحكم بها السادة ، الحكام ليصلوا إلى تحصيل هذه الفوائد وأظن أن السلطة الفرنسية عملت عكس ما تقتضيه مبادئ الحرية فالفوائد التي كانت تنتظر من حكومتها . قد استثناها السيد بيشون لمبادئ هؤلاء المؤلفين.

إن معرفتي الجيدة لمراكز هذا الوطن ووضعيتي الاجتماعية في مدينة الجزائر سمحت لي بأن ارسم لوحة ولو أن ملاحظتها كانت تتعلق بالبشرية جمعاء .

إن قضية الجزائر ذات طبيعة خطيرة للغاية حيث أن الأمر يتعلق بحيوية أمة بأكملها تتكون من عشرة ملايين نسمة . يقتلون كل يوم من جراء حرب طاحنة استمرت لمدة ثلاث سنوات بكل تعسف وإستبداد .

إنني أريد أن أقوم بدوري كمؤرخ حقيقي لهذه الظروف الخاصة التي تعيشها الجزائر وهذه المهمة لم يقم بها أي مؤلف عاش تحت الوصاية على الجزائر ، كما لم تكن لأي واحد الشجاعة الكافية لإظهار ذلك الأمر لا أريد أن أخبئ أي شيء ولست مغرورا بأن أقول إنني أكتب أحسن من غيري ولكنني مقتنع أن فرنسا لها رجال لا يفرطون في أي وسيلة تكون بحوزتهم لاكتشاف الحقيقة...."

BIBLIOGRAPHIE

Archives

EN ALGERIE :

1) *Etat civil :*

— Les registres de naissances et de décès aux sièges des A.P.C. indiqués dans le texte.

— Les registres de décès au Palais de justice d'Alger, et listes des défunts aux orphelinats d'El-Biar et de Ben-Aknoun.

— Archives de la wilaya d'Oran : Tables décennales des arrondissements de l'ex-province, ainsi que les registres de décès de la commune d'Oran jusqu'en 1861.

2) *Archives ecclésiastiques :*

Celles des archives d'Alger et de Constantine ne renferment aucun document. En revanche celles d'Oran contiennent quelques informations, notamment les deux correspondances reproduites en annexe (textes n° 4 et 5), (a).

3) *Météorologie :*

Les archives du XIX^e siècle n'ont pas été retrouvées à la suite des différents transferts (voir p. 108)

EN FRANCE :

1) *Archives militaires :* Fonds du Château de Vincennes, (Paris).

2) *Archives d'Outre-Mer :* Fonds d'Aix-en-Provence; sous-série F-80 et les séries des archives de l'ex-gouvernement général de l'Algérie (références dans le texte).

3) *Archives du ministère des Affaires étrangères :* Fonds du Quay d'Orsay (quelques pièces relatives aux Ouled-Sidi-Cheikh).

4) *Archives de l'Assemblée nationale française (Paris) :* dépouillement des interventions et débats concernant le vote de crédits accordés aux victimes de 1867.

(a) Nous remercions vivement le père Lamney, conservateur en chef du dépôt central des archives des Pères Blancs à Rome d'avoir bien voulu répondre à nos besoins et nous adresser en particulier des copies de la correspondance du cardinal Lavigerie.

N.B. — Nous précisons seulement les principales références. D'autres sont mentionnées directement dans le texte.

Journaux

La liste se limite seulement aux quotidiens encore disponibles en Algérie :

L'illustration (Paris) 1868, t. 51, pp. 18, 34, 148, 412.

Le moniteur de l'Algérie (Alger) : des sondages.

Akhbar (Alger, officieux) : dépouillement systématique, 2^e sem. 1867 et 1868.

L'Indépendant de Constantine : quelques numéros.

L'Echo d'Oran (1867-68).

Le Courrier de Mostaganem et le Courrier de Tlemcen (quelques numéros).

Statistiques

Tableaux de la situation des établissements français en Algérie, annuel, Paris, imp. Royale, 1838-68.

Bulletin officiel du Gouvernement général de l'Algérie, annuel, Alger. *Statistique générale*, Alger, 1866-72 et 1872-76.

Pluviométrie

- 1) CH. E. ALIX : *Observations médicales en Algérie*. Paris 1869 (renferme un relevé des précipitations à Sétif de 1863 à 1868, mais les statistiques semblent douteuses, car en contradiction avec les sources (2) et (3).
- 2) *Bulletin de la Société de Climatologie de l'Algérie*, tome 1, 1864-68, Alger 1868.
- 3) *Gazette Médicale*, Alger, (périodique), renferme les relevés météorologiques régulièrement.
- 4) Dr JAILLARD : *Récapitulation générale des observations météorologiques faites pendant les années 1865 à l'hôpital du Dey*, Alger, manuscrit Bibliothèque nationale, Alger.
- 5) P. MARES : Note sur les observations de Biskra envoyées par M. Colombo *An. Soc. Mét. France*, t. XII, 1864, 2^e part, pp. 226-236.
- 6) COYE et LEGRAS : La variabilité pluviométrique au Maroc *Rev. géogr. du Maroc*, Rabat, n° 10, 1966, pp. 19-30.
- 7) RIVIÈRE : *Météorologie et agrolologie. La famine de 1866-67, Algérie Nouvelle*, Alger, 1896, pp. 139-141.
- 8) P. SELTZER : *Le climat de l'Algérie*, Alger, 1946.
- 9) THÉVENET : *Essai de climatologie algérienne*, Alger, 1896.

1) Etat civil :

— Les registres indiqués dans le texte

— Les registres funts aux orphelins

— Archives de menus de l'ex-province d'Oran jusqu'en 1866.

2) Archives ecclésiastiques

Celles des archives document. En revanche, notamment les deux (4) et 5), (a).

3) Météorologie :

Les archives du xix^e siècle transferts (voir p. 100).

1) Archives militaires

2) *Archives d'Oran* et les séries des archives mentionnées dans le texte.

3) *Archives du ministère de l'Orsay* (quelques pièces).

4) *Archives de l'Algérie* : mention des interventions et des victimes de 1867.

(a) Nous remercions vivement les archives des Pères Blancs à Rouen pour avoir fait en particulier des copies de la

N.B. — Nous précisons seulement ce qui est mentionné directement dans le texte.

Invasion d'acridiens

- 10) J. KONCKEL d'HERCULAIS: *Invasion des acridiens*, 1893-1905. Alger, 2 vol. in-8 752 p. chacun et une annexe de même importance contenant les documents. C'est la principale source. L'auteur était le directeur du Service de lutte contre les acridiens.
- 11) *El Dierad* (les sauterelles), numéro spécial illustré présenté par l'Association de l'Afrique du Nord au profit des victimes des sauterelles en Algérie, Paris, 1888.
- 12) Gouvernement général de l'Algérie: *La lutte contre les sauterelles en Algérie*, Alger, 1929.
- 13) P. FRAZAL: *L'opération sauterelle 1954-55 en Algérie*. Bulletin de la Société des agriculteurs d'Algérie. Alger, 1955, n° 508.
- 14) Dr. AGNÉLY: *Le criquet pèlerin, ses invasions en Algérie de 1816 à 1866*. Alger, 1866.
- 15) Ch. LALLEMAND: *Notice sur l'invasion des sauterelles en Algérie*, avril 1866, Alger, 1867.

La surmortalité et ses différents aspects

- 16) M. ARNAUD: *Origines et affinités du typhus d'après l'épidémie algérienne de 1868*. Extrait de la *Gazette médicale de Paris*, 1869, 82 p.
- 17) Ch.-R. AGERON: *les Algériens musulmans et la France*, Paris, 1868, t.I, p. 375.
- 17 bis) Dr. BESANÇON: *Note sur le typhus*, «Akhbar», 25 juin 1868.
- 18) ABBÉ BURZET: *Histoire des désastres de l'Algérie (1866-68)*. Alger, 1869.
- 19) A. CHAUCEL: *Des famines et des disettes*, journal «Akhbar», Alger, 3, 5 et 7 juillet 1868.
- 20) LE HON: *Enquête agricole*, Paris 1870. (Nombreux témoignages et précisions).
- 21) HANOTEAU: *La Kabylie et les coutumes kabyles*, (en coll. Letourneux) Paris, 1872-73, 3 v.
- 22) HUGONNET: *La crise algérienne et la démocratie*, précédée d'une lettre à E. de Girardin, Paris, 1868.
- 23) Y. LACOSTE, A. NOUSCHI et A. PRENANT: *L'Algérie, passé et présent*. Paris, 1960, pp. 372-374.
- 24) *La famine en Algérie et les discours officiels*, Paris, 1868.
- 25) LACRETELLE: *De l'Algérie au point de vue de la crise actuelle*, Lyon, 1868.

الكارثة الديمغرافية

- 26) LAVIGERIE (archevêque d'Alger) : *Les orphelins arabes d'Alger, leur passé, leur avenir, leur adoption en France et en Belgique*. Paris, 1870.
- 27) LAVIGERIE (archevêque d'Alger) : *Lettres et mandements*. Paris, de 1867 à 1870.
- 27 bis) A. MAURIN : *Le typhus exanthématique, le typhus des Arabes*. Paris, 1872.
- 28) *Mémoire sur les cas de typhus observés pendant l'épidémie de 1868 à la clinique d'Alger* (anonyme et non daté), Alger.
- 29) A. NOUSCHI : *Enquête sur le niveau de vie des populations du Constantinois de 1870 à 1919*. Tunis, 1961, p. 336-378.
- 30) A. NOUSCHI : *La crise économique de 1866 à 1869 dans le Constantinois*. Hespéris. Rabat, 1959, pp. 105-139.
- 31) J. PÉRIER : *Rapport sur l'épidémie de choléra dans la province d'Alger*. Bul. Soc. Médecine d'Alger, Alger, 1866.
- 32) J. PÉRIER : *Effets de la misère et du typhus dans la province d'Alger en 1868*, Recueil de mémoire de médecine clinique et de pharmacie militaires. Paris 1869, t. xxii, pp. 449-520 et t. xxiv, 1870, pp. 461-535.
- 33) A. REY-GOLDZEIGUER : *Le Royaume arabe*, Alger 1977, pp. 441-508.
- 34) TIQUET : *Une expérience de petite colonisation indigène en Algérie. Les colons arabes-français du cardinal Lavigerie*. Maison-Carrée, 1931.
- 35) YAICONO : *La colonisation des plaines du Chélif*, Alger, 1954-55, t. II, pp. 120-132.
- 36) DE WIMPFEN : *Rapport sur la situation de la province d'Alger*. «Le Moniteur de l'Algérie» et le journal «Akhbar» du 1^{er} mars 1868.
- 37) M.-A. VINCENT : *Le choléra d'après les neuf épidémies qui ont régné à Alger depuis 1830 à 1865*, Paris, 1867.
- 38) A.-E. VITAL : *Le typhus dans la province de Constantine*, Rev. Médecine et Chirurgie civiles, Paris, 1869, (3^e série), pp. 81-115.
- 39) M.-A. VINCENT et V. COLLARDOT : *Le choléra d'après les neuf épidémies qui ont régné à Alger*, Paris, 1867.
- 40) SOULIÉ : *L'épidémie cholérique de 1893 en Algérie*. Alger, 1894.

L'insurrection de 1864-65

- 41) Archives Aix-en-Provence F 80-1679, 1780
- 42) M. BELKHEIR : *L'étendard interdit*, poèmes de guerre (insurrection de 1864-65) et d'amour, recueillis, présentés et traduits par B. Bessaïh, Paris, 1976, 176 p.

- 10) J. KUNCKEL d'J
2 vol. in-8 752 p.
les documents.
du Service de l'u
- 11) *El Dierad* (les
l'Association de
relles en Algérie
- 12) Gouvernement
Algérie, Alger,
- 13) P. FRAZAL : *L'aj*
Société des agric
- 14) Dr. AGNÉLY : *Le*
Alger, 1866.
- 15) Ch. LALLEMAN
avril 1866, Alger
- La s
- 16) M. ARNAUD : *C*
algérienne de 18
82 p.
- 17) Ch.-R. AGERON
t.I, p. 375.
- 17 bis) Dr. BESANÇON
- 18) ABBÉ BURZET : *H*
1869.
- 19) A. CHAUCÉL : *L*
Alger, 3, 5 et 7 ju
- 20) LE HON : *Enquête*
précisions).
- 21) HANOTEAU : *La*
neux) Paris, 1872-
- 22) HUGONNET : *La*
lettre à E. de Gira
- 23) Y. LACOSTE, A. NO
Paris, 1960, pp. 372
- 24) *La famine en Algérie*
- 25) LACRETELLE : *De l*
1868.

- 43) « Illustration » : *L'insurrection en Algérie*, Paris, 1864, pp. 258, 322, 370, 387 et 402, 1865, p. 4.
- 44) INNOCENT : *Insurrection du Sud-Oranais*, Paris, 1893.
- 45) Dj. SARI : *L'insurrection de 1864 et ses rapports avec la dépression démographique de 1867*, « Majallat El-Tarikh », Alger, 1977, p. 27-40.
- 46) TRUMLET : *Histoire de l'insurrection dans le Sud de la province d'Alger en 1864*, Alger, 1884, 2 t.
- 47) « TEF » : *Précis des opérations militaires en 1864*, Paris, 1864, p. 183.
- 48) VOINOT : *La situation sur la frontière algéro-marocaine lors de l'insurrection des Ouled Sidi Cheikh dans le Sud-Oranais de 1864 à 1870*, Rev. Afr. 1919, p. 399.
- 49) WARNIER : *Cahiers algériens*, Alger, 1870.

Population et divers

- 50) *Annuaire statistique de l'Algérie*, Gouvernement général de l'Algérie, Service de la Statistique, Alger (annuel).
- 51) *Résultats statistiques du dénombrement de la population en 1848 et 1954*, Alger, 3 tomes.
- 52) *Annuaire statistique de l'Algérie*, secrétariat d'Etat au Plan, Alger, (annuel).
- 53) BEAUJEU-GARNIER : *Trois milliards d'hommes*, Paris, 1965, 2^e éd.
- 54) L. BONZON : *Le régime fiscal en Algérie*, Paris, 1900.
- 55) P. BOYER : *L'évolution démographique des populations musulmanes du département d'Alger*, Rev. Africaine, 4^e tr. 1954, pp. 308-353.
- 56) CARETTE : *Origine et migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale*, Paris, 1853.
- 57) CARETTE et WARNIER : *Carte des tribus de l'Algérie*, « TEF », 1844-45.
- 58) DESPOIS : *Répartition de la population de l'Algérie*, Annales, Paris, 1960, p. 915.
- 59) DESSOLIÈRES : *Les impôts arabes*, « Algérie Nouvelle », Alger, 1896, p. 99.
- 60) E. MERCIER : *Histoire de Constantine*, Constantine, 1893.
- 61) PERRET : *Récits algériens*, Paris, 1886, 2 t.
- 61) HABARD : *Histoire d'un parjure*, Paris, 1960.
- 62) R. PRESSAT : *Analyses démographiques, concepts, méthodes et résultats*, Paris, 1968.
- 63) HAMDAN BEN OTHMAN KHODJA : *Aperçu historique et statistique de la Régence d'Alger*, Paris, 1833.
- 64) REINHARD, ARMENGAUD et DUPAQUIER : *Histoire de la population mondiale*, Paris, 1968, 3^e éd.
- 65) RICOUX : *Démographie figurée de l'Algérie*, Alger, 1880.

- 66) L. CHEVALIER : *Le problème démographique nord-africain*, Paris, 1847.
- 67) RAYNAUD, SOULIÉ et PICARD : *Hygiène et pathologie nord-africaine*, Paris, 1932.
- 68) DJ.SARI : *La dépossession des fellahs*, Alger, 1978, 2^e éd.
- 69) DJ. SARI : *Problèmes démographiques algériens*, Maghreb-Machrek, Paris, 1974, n° 63, pp. 32-40.
- 70) DJ. SARI : *L'équilibre économique traditionnel des populations de l'Ouarsenis central*, Rev. Occ. Mus. Méd. Aix-en-Provence, 1971, n° 9, pp. 63-89.
- 71) SEKLANI : *La fécondité dans les pays arabes, données numériques, attitudes et comportement*, Population, Paris 1960, p. 831.
- 72) A. SAUVY : *Théorie générale de la population*, Paris, 1954.
- 73) A. SAUVY : *De Malthus à Mao Tsé-Toung*, Paris, 1958.
- 74) A. SIEGFRIED : *Itinéraires de contagions, épidémies et étiologies*, Paris, 1960.
- 75) VILLOT : *Mœurs, coutumes et institutions des Arabes*, Constantine, 1871.
- 76) YACONO : *Peut-on évaluer la population de l'Algérie en 1830 ?* Rev. Africaine, Alger, 1954, pp. 277-307.
- 77) H. BRENOT : *Le douar, cellule administrative de l'Algérie*, Alger, 1938.
- 78) P. GEORGE : *Population et peuplement*, Paris, 1972.
- 79) GOURGÉOT : *Les sept plaies de l'Algérie*, Alger, 1891.
- 80) PICHON : *Alger sous la domination française*, Paris, 1833.
- 81) LAPASSET : *Le général Lapasset, par un ancien officier de l'armée du Rhin*, Paris, 1899, 2^e éd.

TEF : Tableau de la situation des établissements français en Algérie, ministère de la Guerre (Paris), annuel.

- 43) « Illustration » : L'illustration, 370, 387 et 402, 1847.
- 44) INNOCENT : *Insurrection*, Alger, 1847.
- 45) DJ. SARI : *L'insurrection démographique de 1847*, Alger, 1978.
- 46) TRUMELET : *Histoire de l'Algérie en 1864*, Alger, 1884.
- 47) «TEF» : *Précis des statistiques*, Alger, 1847.
- 48) VOINOT : *La situation démographique de l'Algérie*, Rev. Afr. 1919, p. 3.
- 49) WARNIER : *Cahiers de l'Algérie*, Alger, 1847.
- 50) *Annuaire statistique de l'Algérie*, Service de l'Algérie, Alger, 3 tomes.
- 51) *Résultats statistiques de l'Algérie*, Alger, 3 tomes.
- 52) *Annuaire statistique de l'Algérie* (annuel).
- 53) BEAUJEU-GARNIER : *Tableau de l'Algérie*, Alger, 1847.
- 54) L. BONZON : *Le régime de l'Algérie*, Alger, 1847.
- 55) P. BOYER : *L'évolution démographique du département d'Alger*, Alger, 1968.
- 56) CARETTE : *Origine et développement de l'Algérie septentrionale*, Paris, 1968.
- 57) CARETTE et WARNIER : *Tableau de l'Algérie*, Alger, 1847.
- 58) DESPOIS : *Répartition de la population en Algérie*, 1960, p. 915.
- 59) DESSOLIÈRES : *Les impôts en Algérie*, Alger, 1847.
- 60) E. MERCIER : *Histoire de l'Algérie*, Alger, 1847.
- 61) PERRET : *Récits algériens*, Alger, 1847.
- 61) HABARD : *Histoire d'Alger*, Alger, 1847.
- 62) R. PRESSAT : *Analyses démographiques*, Paris, 1968.
- 63) HAMDAN BEN OTHMAN : *la Régence d'Alger*, Alger, 1968.
- 64) REINHARD. ARMENGA : *Algérie mondiale*, Paris, 1968.
- 65) RICOUX : *Démographie*, Alger, 1968.

أكاديمية تبادل الوثائق والمصادر التاريخية

الفهرس

07.....	المقدمة
15.....	الجزء الأول : حصيلة الكوارث
19.....	الفصل الأول، تقييم الوضع في مقاطعة الجزائر
22.....	I - ناحية الجزائر.....
61.....	II - بلاد القبائل.....
64.....	III - الجنوب الشرقي للمقاطعة.....
67.....	IV - وسط وجنوب المقاطعة.....
80.....	V - الجزء الغربية للمقاطعة.....
103.....	VI - كثرة الوفيات في ملاجئ اليتامى.....
121.....	الفصل الثاني : حصيلة مقاطعة قسنطينة.....
141.....	الفصل الثالث : حصيلة مقاطعة وهران.....
144.....	I - ناحية وهران.....
177.....	الفصل الرابع : الحصيلة العامة.....
179.....	I - الحصيلة الخرائطية.....
180.....	II - مجموع الحصيلة.....
182.....	الخلاصة.....

أكاديمية تبادل الوثائق والمصادر التاريخية

الكارثة الديمغرافية

185	الجزء الثاني : أسباب الكوارث
189	الفصل الأول : الأسباب الآنية، الأوية
199	الفصل الثاني، الكوارث الطبيعية
203	I - النقص المحدود في تساقط الأمطار
220	II - التقلبات الحرارية
225	III - هجوم الجراد
233	الفصل الثالث : تطور الإنتاج الفلاحي
235	A - قيمة الإحصائيات
237	B - معدل كافي لإنتاج الحبوب متبوع بنقص محسوس في المساحات المزروعة بعد سنة
263	الفصل الرابع، آثار انتفاضة 1864 - 65
266	I - أهم مظاهر الانتفاضة
271	II - الانعكاسات المباشرة
275	III - العواقب العامة
285	الفصل الخامس، الفوضى السريعة للاقتصاد التقليدي
287	I - العوامل الهامة التي أفسدت النظام
294	II - النتائج العامة
298	الخلاصة
305	الجزء الثالث، العواقب الديمغرافية العامة
309	الفصل الأول، التغييرات المستديمة للتقسيم الجغرافي
317	الفصل الثاني، الانعكاسات على التحركات الديمغرافية
331	الفصل الثالث، الاستذكارات الديمغرافية
333	I - الآثار الفورية للنزيف الديمغرافي
340	II - آثار التناقص الديمغرافي العام لفترة السابقة
344	III - إعادة تقييم تعداد السكان حوالي 1830
358	الخلاصة
367	الخلاصة العامة

الجيلالي صاري



كرس الجيلالي صاري، وهو جغرافي التكوين، أهم أعماله إلى تطور بلاده وبقية المغرب العربي خلال العقود الأربعة الماضية وكان يفضل المقاربات المتعددة المواد والمعايير الاجتماعية الاقتصادية. هو أستاذ في جامعة الجزائر منذ سنة 1966م وعضو في عدد من الاتحادات العلمية الدولية. أضف إلى هذا أنه يشارك بانتظام في مختلف التظاهرات العلمية الوطنية والدولية.

الكارثة الديمغرافية

مهما يكن ورغم كل العواجز الموضوعية من طرف النظام الاستعماري فإن بعض الشهادات تلوح من وقت إلى آخر مثل شهادة الراهب الذي أراد أن يلصق النظر إلى "الحالة الفظيعة للعرب والتي تجاوزت كل حدود الخيال في المراكز مثل وهران وسيدي بلعباس حيث كانت الجثث تجمع كل يوم بالعشرة والعشرين والثلاثين للأشخاص الذين كانوا يموتون جوعاً. أنا لا أتكلم إلا على سكان قريتي لكن الأمر نفسه كان في كل مكان. وماذا يجري إذن في المراكز الأخرى البعيدة؟ في كل مكان كان في الأذغال والواحات جثثاً أكل نصفها من طرف الذئاب والضباع.

أكاديمية تبادل الوثائق والمصادر التاريخية

ردمك : 2-74-846-9961-978
الإيداع القانوني : 2008-150